تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقق سماحة الحجة

يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد التاسع والأربعون

Juybari

المجلد التاسع والأربعون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباری

ایران - قم ۱٤۰۲ هـ ق = ۱۳٦۰ هـ ش

سورة المعارج مكية وآياتها اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع ﴿١﴾ للكافرين ليس له دافع ﴿٢﴾ من الله ذي المعارج ﴿٣﴾ تعرج
الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴿٤﴾ فاصبر صبرا جميلا ﴿٥﴾ انهم
يرونه بعيدا ﴿٦﴾ ونراه قريبا ﴿٧﴾ يوم تكون السماء كالمهل ﴿٨﴾ وتكون الجبال كالعهن ﴿٩﴾ و
لا يسأل حميم حميما ﴿١٠﴾ يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ﴿١١﴾ وصاحبته
واخيه ﴿١٢﴾ وفصيلته التي تؤويه ﴿١٣﴾ ومن في الارض جميعا ثم ينجيه ﴿١٤﴾ كلا انها لظى ﴿١٥﴾
نزاعة للشوى ﴿١٦﴾ تدعوا من ادبر وتولى ﴿١٧﴾ وجمع فاوعى ﴿١٨﴾ ان الانسان خلق هلوعا ﴿١٩﴾ اذا
مسه الشر جزوعا ﴿٢٠﴾ واذا مسه الخير منوعا ﴿٢١﴾ الا المصلين ﴿٢٢﴾ الذين هم على صلاتهم
دائمون ﴿٢٣﴾ والذين في اموالهم حق معلوم ﴿٢٤﴾ للسائل والمحروم ﴿٢٥﴾ والذين يصدقون بيوم الدين ﴿٢٦﴾



وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ
هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ
ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ
مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ
امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ
الْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ
يَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ
نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أكثروا من قراءة «سأل سائل» فان من أكثر قراءتها لم يسئله الله تعالى يوم القيامة عن ذنب عمله، وأسكنه مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته إن شاء الله.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، والمحدث الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار.

وذلك: من أدمن قراءة هذه السورة وتدبر فيها، وعلم موقف الكفار وعذابهم في النار يوم القيامة بسبب الكفر والعصيان، وعلم مآل أمر المؤمنين وكرامتهم عندالله تعالى يومئذ بسبب حفظ الصلاة، وأداء الزكاة، والخوف من الله جل وعلا، والعفة، وأداء الامانة، والوفاء بالعهد، وإقامة الشهادة، فاذن أعرض القارىء المتدبر عما يوجب الهوان والنار وتاب إلى الله تعالى وأتى ما فيه العزة والجنة والكرامة عندالله تعالى لم يسئله الله جل وعلا عن ذنب عمله، ويحاسبه حساباً يسيراً وأسكنه مع محمد وأهل بيته عليهم السلام في الجنة.

قال الله تعالى: «وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً - و اذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً ومن يطع الله والرسول

فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً » النساء : ۶۴-۷۰)

وفي المجمع : أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : و من قرأ «سأل سائل » أعطاه الله ثواب «الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون »

وفي البرهان : روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قرأ هذه السورة كان من المؤمنين الذين أدركتهم دعوة نوح ، ومن قرأها وكان مأسوراً اومسجوناً مقيداً فرج الله عنه وحفظه حتى يرجع .

اقول : وفي الروايتين الاخيرتين مالا يخفى فيه سنداً على القارىء الخبير ولكن مضامينهما غير بعيدة عن مفاهيم السورة ، ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ماجاء في ذيل الرواية الاخيرة .



﴿ الغرض ﴾

غرض السورة توكيد بوقوع عذاب الله الموعود على الكافرين الذى اشير فى السورة السابقة إجمالاً، و بيان لمواقفهم يوم يخرجون من الاجداث سراعاً خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، ولذوقهم وبال أمرهم من غير أن يستطيع أحد من البنين والازواج والاخوة والاحباء على دفع ذلك عنهم، و من غير أن ينجيهم من ذلك متاع الدنيا و أعراضها من الاموال و العدة والعدة . . . مع التذكير بعظمة المشاهد السماوية و وصف لهول يومئذ.

وفيها إشارة الى ما انطبعوا عليه من حب الدنيا والجزع عن ادبارها، و موقفهم للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم موقف الساخر المستخف الهازىء الجاحد تنديداً بهم

وفيها تهديد وإثارة خوف وهلع فيمن يأتى بعدهم أن يتطرق طرقهم، فعلى الاخرين من دونهم لما يلحقوا بهم أن يذهبوا مذاهبهم . . .

وفيها إشارة إلى ما آل إليه أمر المؤمنين يومئذ من الكرامة عندالله جل و علا مع تقرير لما أوجب لهم ذلك فى الاخرة من الايمان وصالح الاعمال و كرائم الاخلاق فى الحياة الدنيا حثاً لمن لم يلحق بهم على ذلك، فعلى الاخرين أن يهتدوا بهداهم.

وفيها تسلية للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأمره بالصبر والثبات، وعدم الاغتمام و تطمين له صلى الله عليه وآله وسلم، وأن لا يعبأ بهم، وأن يدعهم فى خوضهم ولهوهم إلى أن يلقوا العذاب الموعود.

«النزول»

سورة المعارج مكية ، نزلت بعد سورة « الحاقة » وقبل سورة النبإ ،وهي السورة التاسعة والسبعون نزولاً ، والسبعون مصحفاً .

وتشتمل على أربع وأربعين آية ، سبقت عليها / ٤٢٧٤ آية نزولاً ، و/ ٥٣٧٥ آية مصفحاً على التحقيق .

ومشتملة على /٢١٦ كلمة ، وقيل : /٢١٣ كلمة ، و قيل : / ٢٢٤ كلمة، و على /٩٢٩ حرفاً وقيل : / ٨٦١ حرفاًوقيل:/ ٧٥٧ حرفاً ، وقيل : / ١٠٦١حرفاً، وقيل : / ١١٦١حرفاً على ما في بعض التفاسير .

وعلى القارىء المتعهد بالعدّ والاحصاء بدقة .

وقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة في نزول أوائل السورة فنشير إلى نبذة منها مع ماورد فيها من الشبهات ودفعها . . .

١ـ روى الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٨٦ط بيروت سنة ١٣٩٣ هـ) باسناده عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال : لما نصب رسول الله علياً يوم غدير خم ، فقال : من كنت مولاه فعليّ مولاه طار ذلك في البلاد ، فقدم على رسول الله النعمان بن الحرث الفهري فقال : أمرتنا عن الله أن نشهد : أن لا اله الا الله ، و أنك رسول الله ، و أمرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة والصوم ، فقبلناها منك ، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت : من كنت مولاه فهذا مولاه ، فهذا شيء منك أو أمر عند الله ؟ قال: الله الذي

لااله الاّ هو ان هذا من الله قال : فولى النعمان وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم ، فرماه الله بحجر على رأسه ، فقتله فأنزل الله تعالى : « سأل سائل » .

٢- وفيه : باسناده عن حذيفة بن اليمان قال : لماقال رسول الله لعلى :من كنت مولاه فهذا مولاه قام النعمان بن المنذر الفهرى كذا فقال : هذا شيء قلته من عندك أوشيء أمرك به ربك ؟ قال :لابل أمرني به ربي فقال : اللهم أنزل علينا حجارة من السماء ، فمابلغ رحله حتى جاءه حجر فخرّ ميتاً ، فأنزل الله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع » .

٣- وفيه : باسناده عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله بعضد علي بن أبي طالب يوم غدير خم ثم قال : من كنت مولاه فهذا مولاه فقام إليه أعرابي ، فقال : دعوتنا أن نشهدان لا اله الاّ الله ، و أنك رسول الله ، فصدقناك و أمرتنا بالصلاة والصيام ، فصلينا وصمنا ، وبالزكاة فأدّينا فلم تقنعك الآن تفعل هذا ؟! فهذا عن الله أم عنك ؟!

قال : عن الله لاعني . قال : الله الذي لااله الاّ هو لهذا عن الله لاعنك ؟!!

قال : نعم ثلاثاً فقام الاعرابي مسرعاً إلى بعيره وهو يقول : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » الاية فما استتم الكلمات حتى نزلت نارمن السماء فأحرقه ، و أنزل الله في عقب ذلك : « سأل سائل - إلى قوله - دافع » .

٤- أورد ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ٢٤ ط النجف) ما رواه الثعلبي في (تفسيره) : ان سفيان بن عيينة سئل عن قول الله عزوجل : «سئل سائل بعذاب واقع » فيمن نزلت ، فقال للسائل : لقد سئلتني عن مسئلة ما سئلني عنها أحد قبلك ، حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام ، فذكر نزول الآية في الحارث بن النعمان الفهري حيث قال عند قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » اللهم إن كان مايقول محمد حقاً فأمطر علينا

حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فما و صل إلى راحلته رماه الله عزوجل بحجر سقط على هامته ، فخرج من دبره فقتله .

رواه جماعة من أعلامهم :

منهم: الشبلنجى فى (نور الابصار ص ١٠٦ ط العثمانية بمصر) .

و منهم : الزرندى الحنفى فى (معارج الوصول ص ١٢٥) وفى (درر السمطين).

و منهم : الحموينى فى (فرائد السمطين فى الباب الثالث عشر) .

و منهم : محمد عبده المصرى فى تفسير (المنار ج ٦ ص ٤٦٤) .

٥ ـ روى الحافظ أبوعبيد الهروى فى تفسير (غريب القرآن ص ٨٦) .

قال : لما بلّغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غدير خم ما بلّغ و شاع ذلك فى البلاد أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدرى فقال : يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله الاّ الله و انك رسول الله و بالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع إبن عمك ، ففضلّته علينا و قلت : من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله ؟ فقال رسول الله : والذى لا اله الاّ هو ان هذا من الله ، فولّى جابر يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته ، و خرج من دبره و قتله و أنزل الله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » .

رواه أبوبكر النقاش الموصلى فى تفسير (شفاء الصدور ص ١٠٤) الاّ ان فيه « الحارث بن النعمان الفهرى » بدل « جابر بن النضر » و فى بعض رواية « الحارث بن النعمان الفهرى » بدل « الحارث بن النعمان الفهرى »

و قد أورد الرواية جماعة من حملة أسفار العامة باختلاف يسير :

منهم: الثعلبى النيسابورى فى تفسير (الكشف والبيان) .

والقرطبى فى تفسيره فى سورة (المعارج) .

و سبط ابن الجوزی الحنفی فی (التذکرة ص ١٩) .

والشیخ ابراهیم بن عبدالله الیمنی الوصّابی الشافعی فی (الاکتفاء فی فضل الاربعة الخلفاء) .

و دولت آبادی فی (هدایة السعداء فی الجلوة الثانیة من الهدایة الثامنة) .

والسمهودی الشافعی فی (جواهر العقدین ص ١٣٣) .

و أبوالسعود العمادی فی تفسیر (إرشاد عقل سلیم) .

والشربینی الشافعی فی تفسیر (السراج المنیر) و فیه : اختلف فی هذا الداعی فقال ابن عباس : هو النضر بن الحرث ، و قیل : هو الحرث بن النعمان و ذلك انه لما بلغه قول النبی صلى الله عليه وآله وسلم : من کنت مولاه فعلی مولاه رکب ناقته فجاء حتی أناخ راحلته الابطح ثم قال : یا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا اله الاّ الله و انك رسول الله فقبلناه منك ، و أن نصلّی خمساً و نزکی أموالنا فقبلناه منك ، و أن نصوم شهر رمضان فی کل عام ، فقبلناه منك و أن نحج فقبلناه منك ، ثم لم ترض حتی فضّلت ابن عمك علینا ، أفهذا شیء منك أم من الله تعالی؟ فقال النبی صلى الله عليه وآله وسلم : والذی لا اله الاّ هو ما هو الاّ من الله ، فولّی الحرث وهو یقول : اللهم إن کان ما یقول محمد حقاً فأمطر علینا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ألیم فوالله ما وصل إلی ناقته حتی رماه الله تعالی بحجر فوقع علی دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت : « سأل سائل » .

والمناوی الشافعی فی (فیض القدیر فی شرح الجامع الصغیر ج ٦ ص ٢١٨) .

و ابن العیدروس الیمنی فی (العقد النبوی والسر المصطفوی ص ١٣٨) .

و ابن باکثیر المکی الشافعی فی (وسیلة المآل ص ١٣٩) .

والصفوری فی (النزهة ج ٢ ص ٢٤٢) .

والحلبی الشافعی فی (السیرة الحلبیة ج ٣ ص ٣٠٢) .

والزرقانی المالکی فی (شرح المواهب اللدنیة ج ٧ ص ١٣) .

و غيرهم منهم تركناهم للاختصار .

و فى تفسير القمى : عن عبدالرحمن بن كثير عن أبى الحسن عليه السلام فى قوله: « سأل سائل بعذاب واقع» قال: سئل رجل عن الاوصياء وعن شأن ليلة القدر و ما يلهمون فيها فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : سئلت عن عذاب واقع ثم كفر بان ذلك لا يكون فاذا وقع فليس له دافع .

و قد حكى عن الطريقين : ان أوائل السورة نزلت فى بدر .

وفى أسباب النزول : للواحدى النيسابورى : قوله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » الايات نزلت فى النضر بن الحارث حين قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك . . . الآية » فدعا على نفسه و سئل العذاب ، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبراً و نزل فيه سأل سائل بعذاب واقع ـ الاية .

و فى أسباب النزول : للسيوطى : أخرج النسائى و ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى : « سأل سائل » قال : هو النضر بن الحارث قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء .

وفيه : و أخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى قوله : « سأل سائل » قال : نزلت بمكة فى النضر بن الحارث و قد قال : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » الاية و كان عذابه يوم بدر .

وفيه : وأخرج ابن المنذر عن الحسن قال: نزلت « سأل سائل بعذاب واقع » فقال الناس : على من يقع العذاب ؟ فأنزل الله « للكافرين ليس له دافع » .

و فى تفسير القمى : فى حديث : « لما اصطفت الخيلان يوم بدر رفع أبوجهل يديه فقال: اللهم اقطعنا للرحم وأتنا بما لا نعرفه فاجاه العذاب ، فأنزل الله : « سأل سائل بعذاب واقع » .

و أما الشبهات الواهية عن بعض حملة أسفار العامة ـ الذين لم يخرجوا من ورطة العصبية العمياء والحمية الجهلاء بعد ـ فأهمها عندهم ثلاث :

الاولى : ان قصة الغدير كانت عند رجوع النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن حجة الوداع و ما ورد : انها لما شاعت فى البلاد جائه الحارث او ابن النضر ، و هو بالابطح بمكة ، و هذا يقتضى أن يكون ذلك بالمدينة ، فالمفتعل للرواية كان جاهلاً بتاريخ قصّة الغدير .

أجيب عنه : بان الابطح لايختص بحوالى مكة كما زعم لما ورد فى كتب الحديث و معاجم اللغة والبلدان والادب من إطلاق الابطح على كل مسيل فيه دقاق الحصى و منه بطحاء مكة كما .

فى صحيح البخارى (ج ١ ص ١٨١) و صحيح مسلم (ج ١ ص ٣٨٢) عن ابن عمر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أناخ بالبطحاء بذى الحليفة فصلّى بها . .

و فى الصحيحين : عن نافع ان ابن عمر كان اذا صدر عن الحج او العمرة أناخ بالبطحاء التى بذى الحليفة التى كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ينيخ بها .

و فى معجم البلدان : (ج ٢ ص ٢١٣) : البطحاء فى اللغة مسيل فيه دقاق الحصى ، والجمع : الاباطح والبطاح على غير قياس - إلى أن قال - قال أبو الحسن محمد بن على بن نصر الكاتب : سمعت عوادة تغنّى فى أبيات طريح بن اسماعيل الثقفى فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك و كان من أخواله : أنت ابن مسلنطح البطاح ولم - تطرق عليك الحنىّ والولج فقال بعض الحاضرين : ليس غير بطحاء مكة ، فما معنى الجمع ؟ فثار البطحاوى العلوى فقال : بطحاء المدينة ، وهو أجل من بطحاء مكة و جدّى منه و أنشد له :

و بطحاء المدينة لى منزل		فيا حبّذا ذاك من منزل

و قد خاطب الامام على عليه السلام لوليد بن المغيرة بقوله عليه السلام :

يهدّدنى بالعظيم الوليد		فقلت : أنا ابن أبى طالب
أنا ابن المبجّل بالابطحين		و بالبيت من سلفى غالب

و قال الميبدى فى شرحه : انه عليه السلام يريد أبطح مكة والمدينة .

الشبهة الثانية : ان سورةالمعارج مكية إجماعاً، فيكون نزولها قبلواقعة الغدير بعشر سنين بل أكثر .

اجيب عنه : بانالمتيقن من معقدالاجماع هونزول مجموع السورة مكية لاجميعها ، فلا غروفى كون السورة مكية وبعض آياتها مدنية سواء كان البعض من أوائلها كسور العنكبوت والكهف والمطففين والليل أم كان من أواسطها أو ختامها . . . كما ان غير واحد من السور المدنية فيها آيات مكية كسور المجادلة والبلد و غيرهما . .

الشبهة الثالثة : ان الحارث بن النعمان غيرمعروف فى الصحابة ولم يذكره أصحاب الرجال العامة .

اجيب عنه : ان معاجم الصحابة غير كافلة لاستيفاء أسمائهم اذ كل مؤلف يؤلف ما أحاط به كيف و ان الحضار فى حجةالوداع مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مأة ألف أو يزيدون فأين للكتب الرجالية استيفاء ذلك العدد الجم ، هذا ولولم لم يكن ترك ذكر الحارث بن النعمان وقصته عن حمية جهلاء وعصبية عمياء .

و فى أسباب النزول للواحدى : قوله تعالى: «أيطمع كل امرىءمنهم أن يدخل جنة نعيم كلا » قال المفسرون : كان المشركون يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وآله وسلم يستمعون كلامه ولا ينتفعون به ، بل يكذبون به و يستهزؤن و يقولون : لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم ، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم فأنزل الله تعالى هذه الاية .

وورد : ان المشركين كانوا يتحلقون حول رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم حلقاً حلقاً وفرقاً فرقاً ويستهزؤن بكلامه ويقولون : ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت : « أيطمع كل امرىء » من هؤلاء المهطعين «ان يدخل جنة نعيم »

﴿القراءة﴾

قرأ حفص وأبوجعفر ونافع وابن عامر وحمزة « سال سائل » بغير همزة فى الوقف مثل « قال » و« خاف » بناء على كون الالف منقلبة عن الواو و التى هى عين الفعل ، والباقون : « سأل » بالهمزة من السؤال على أن الهمزة هى العين .

و قرأ أبو عمرو « يعرج » بالياء على إرادة معنى الجمع و تبعه الكسائى والباقون بالتاء على إرادة الجماعة . وقرأ عاصم « ولايسئل » بضم الياء والباقون بفتحها .

قرأ أبو جعفر ونافع « يومئذ » بفتح الميم على البناء والباقون بكسرها ، و قرأ حمزة « تؤويه » بغير همزة فى الوقف ، والباقون بالهمزة وقفاً و وصلاً ، و قرأ حفص « نزاعة » بالنصب إما على الحال من الضمير المستكن فى « لظى » و إما حملاً على فعل محذوف ، والباقون بالرفع إما خبراً ل « ان » و « لظى » بدل من إسمها أو « لظى » خبرها و « نزاعة » خبر ثان ، أوخبر لمبتداء محذوف أى هى نزاعة .

قرأ ابن كثير « لامانتهم » بغير الالف بعد النون بالافراد ، والباقون « لأما ناتهم » بالالف على الجمع ، وقرأ حفص و أبو عمرو « بشهاداتهم » على الجمع ، والباقون « بشهادتهم » على الافراد ، وقرأ عاصم « أن يدخل » بضم الياء وفتح الخاء مبنياً للمفعول ، والباقون بفتح الياء وضم الخاء مبنياً للفاعل .

وقرأ حمزة وعاصم « يخرجون » بضم الياء وفتح الراء من الاخراج مبنى للمفعول ، وقرأ الباقون بفتح الياءوضم الراء من الخروج ، وقرأ ابن عامر وحفص « إلى نصب » بضمتين جمع نصب كاسد واسد و كرهن ورهن ، والباقون بفتح النون وسكون الصاد .



﴿الوقف والوصل﴾

« واقع لا » للمتعلق الآتى و« دافع لا » كالمتقدم ، و « المعارج ط» لتمام الكلام ، و « سنة ج » لتمام الكلام والفاء الآتية ، و « بعيداً لا » للعطف و« قريبا ط » لحسن الابتداء بمابعده ، و «كالمهل لا» لمكان العطف ، و« كالعهن لا» لا تصال السياق بالعطف ، و « حميماً ج ى » لان مابعده منقطع عنه مستأنف ولكن أصلحوا الوقف على « يبصرونهم ط » لتمام الكلام .

« ببنيه لا » للعطف ، و« أخيه لا »كالمتقدم ، و « تـؤويه لا » لما سبق ، و « جميعا لا» و« ينجيه لا » و « كلاط » لتمام الكلام وتغيير السياق ، و « لظى لا» لان من قرأ «نزاعة »بالرفع جازأن يكون بدلاًأوخبراً ا« لظى» والضمير فى« انها» للقصة أوخبرمبتداء محذوف ، ومن قرأ بالنصب فعلى الحـال المؤكدة أو علـى الاختصاص ، و « للشوى ج » لان «تدعوا » يصلح أن يكون مستأنفاً ، وأن يكون بدلاً من « نزاعة » .

« تولى لا » لاتصال الكلام بالعطف ، و« هلوعاً لا » للتقرير والتعليل الآتيان و« جزوعاً لا » للعطف ، و « منوعاًلا »للاستثناء الآتى ، و « دائمون ص »فيوقف لضرورة من طول الكلام ونحوه والا فلابد من الوصل ، و « معلوم لا » للمتعلق الآتى ، و « المحروم ص » كمامر آنفاً ، و« الدين ص » كذلك ، و « مشفقون ج » لتمام الكلام ، والتعليل الآتى ، و « مأمون ج » لتمام التعليل ، والعطف لماسبق.

« حافظون لا » للاستثناء الآتى ، و « ملومين ج » لتمـام الكلام و الفاء ،

و « العادون ج » لتمام الشرط والجزاء ، والعطف ، و « راعون ص » فيوقف لضرورة ، والأفلا ، و « قائمون ص » لما تقدم ، و« يحافظون ط » لتمام الكلام ، و« مكرمون ط ع » لانقطاع المعنى ، و«ع» علامة لانتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن فى عامين .

« مهطعين لا » للمتعلق الآتى، و« نعيم لا » لاتصال الردع الآتى بماسبق، و « كلا ط »لتمام الكلام ، و« لقادرون لاى» للمتعلق الآتى ، و« ى » علامة العشر، وتوضع عند انتهاء عشر آيات، و « يوعدون لا» لان مابعده بدل ، و «يوفضون لا» لان مابعده حال من الضمير، و « ذلة ط » لتمام الكلام .



﴿اللغة﴾

٢٧ - العرج - ٩٩٢

عرج الشيء واليه وعليه يعرج فهوعرجاً - من باب علم - : رقي و ارتفع و علا .

قال الله تعالى : « تعرج الملائكة والروح إليه » المعارج : ٤)

وعرج بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء أى صعدبه إلى السماء . وفي الخصال: عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « عرج بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مأة وعشرون مرة مامن مرة الا وقد أوصى الله تعالى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالولاية لعلي والائمة عليهم السلام أكثر مما أوصاه بالفرائض .

وعرج الرجل في الدرجة والسلم يعرج عروجاً و عرجاناً و معرجاً - من باب نصر - : مشى مشي الذاهب في صعود كما يقال : درج أي مشى مشي الصاعد في درجة وارتقى .

قال الله تعالى : « ومايننزل من السماء وما يعرج فيها » الحديد : ٤)

وعرج يعرج فهو عريج - من باب كرم - : اذا صار ذلك خلقة فيه فهو أعرج إحدى رجليه أعلى من الاخرى ، وعرج الرجل : أصابه شيء في رجله فجمع و مشى مشية العرجان .

قال الله تعالى : « ولا على الاعرج حرج » النور : ٦١)

وأعرج الرجل : دخل في وقت غيبوبة الشمس . والعارج : الغائب . المعرج

كمقعد ـ : المصعد ، والمعراج : السلم ، والمعارج والمعاريج : المصـاعد . قال الله تعالى : « من الله ذى المعارج » المعارج : ٣)

وفى أسماء الله تعالى : « ذو المعارج » وفى حديث التلبية : « لبيك ذا المعارج لبيك » أى ذا المصاعد .

المعارج : الرتب والفواضل والصفات الحميدة ، واستعارة عن معنى للمراقى والدرجات ، قال الله تعالى : « ومعارج عليها يظهرون » الزخرف : ٣٣) أى درجات عليها يعملون .

من الحسى : العرج ـ بفتح العين و كسرها ـ : قطيع ضخم من الابل نحو الثمانين إلى تسعين ، وقيل : من خمسمأة إلى ألف كأنه قد صعد كثرة .

انعرج الشىء : إنعطف ، وإعوجّ عن الشىء : عدل عنه وتركه .

ثوب معرّج : مخطط فى إلتواء ، ومعرج الوادى : منعطفه يمنة ويسرة .

العرجون : العود الاصفر الذى فيه شماريخ الغدق ، وهو فعلون من الانعراج : الانعطاف ، والواو والنون زائدتان ، وجمعه : عراجين .

قال الله تعالى : « حتى عاد كالعرجون القديم » يس : ٣٩)

فى المفردات: العروج : ذهاب فى صعود .

وفى اللسان: عرج ـ من بابى كرم وعلم ـ عرجاناً ـ مشى مشية الاعرج بغرض ، فغمز من شىء أصابه .

٧٤ - الحميم - ٣٦٢

حمّ الماء يحمّ حمماً وحماً ـ من باب منع نحو برّ ـ : سخن واشتدّت حرارته وحمّ التنور : أوقده وأحماه ، وحمّ الشحمة : أذابها .

الحميم : الماء الشديد الحرارة يسقى منه أهل النار أو يصب على أبدانهم .

قال الله تعالى : « لهم شراب من حميم » الانعام : ٧٠)

وقال: « وسقواماء حميماً فقطع أمعاءهم » محمد ﷺ: ١٥)

وقال: « ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم » الدخان: ٤٨)

وعن ابن عباس: « لوسقطت منه - الحميم - نقطة على جبال الدنيا لأذابتها

ويطلق الحميم أيضاً على الماء البارد الشديد البرودة كما نصّ عليه جمع من أهل اللغة فهو من الأضداد . . . والحمة: عين ماء حار يستشفى بها المرضى وفى الحديث: « مثل العالم مثل الحمة ».

والحميم: القريب - فى النسب - المشفق لان له فى الاشفاق على قريبه حرارة وحدّة.

قال الله تعالى: « ولا يسئل حميم حميماً » المعارج: ١٠) أى لا يسئل ذو قرابة عن قرابته.

وقال: « ولاصديق حميم » الشعراء: ١٠١) أى القريب الذى يهتمّ بأمره.

واليحموم: الدخان الشديد السواد: والاسود من كل شىء.

قال الله تعالى: « وظل من يحموم » الواقعة: ٤٣)

حمّ حمّه: قصد قصده، وحمّ ارتحال البعير: عجله، وحم الغلام: بدت لحيته، وحمّ الرأس: نبت شعره بعد ما حلق، وحم الفرخ: نبت ريشه، وحمّم الفرخ: اذا اسود جلده من الريش، وحمم وجهه: اسود بالشعر، وحممت الارض: بدأ نباتها اخضر إلى السواد.

أحمّ الشىء احماماً: دنا وحضر وحان وقته، يقال: أحمّ خروجنا، و أحم الامر فلاناً: أهمّه، وأحم الله فلاناً: جعله اسود، وأوقعه فى الحمى، وأحم نفسه: غسلها بالماء البارد على قول إبن الاعرابى، والماء الحار على قول غيره.

حامة محامة: قاربه وطالبه، والحامة: الخاصة، و حامة الرجل: أهله و ولده وقرابته فى النسب. المحام: الثابت، يقال: أنا محام على هذا أى ثابت عليه.

تحمّم. صار أسود وفى حديث الرجم: « انه مرّ بيهودى محمم مجلود » أى

مسودّ الوجه من الحممة : الفحمة .

إحتمّ الرجل : إهتمّ في الليل ، ولم ينم من الهم .

آل حاميم وذوات حاميم : السور القرآنية التي افتتحت بـ« حم » .

الحمام - بالفتح - طائر بعينه ، حمام الحرم : الذي يأوي إلى حرم مكة ،و هو مثل في المنعة لان صيده محرّم . و-بالكسر - : قضاء الموت وقدره ،المحموم: المقدرو القضاء المحتوم وبالضم - : حمّى جميع الدواب . . .

الحمامي - بالضم - : نوع من النبات ، وحمرة الجلد ، والحمامة-بالفتح - وسط الصدر ، والمرأة الجميلة ، وخيار المال ، وحم الشيء - بضم الحاء وفتحها- معظمه ، والحمام : السيد الشريف ، والحميمة : اللبن المسخن ، والحمم: الفحم والرماد ، و كل ما احترق من النار الواحدة،والحمام : موضع الاستحمام،والحمامي : حافظ الحمام وصاحبه ، والحماميون : المحدثون ، وهي نسبة من يطير الحمام ويرسلها إلى البلاد .

في اللسان: الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده وذي قرابته يقال:هؤلاء حامته أي أقربائه ، وفي الحديث : « اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » حامة الانسان : خاصته ومن يقرب منه .

وفي المحكم: فلان حمم المرأة : متعها بشيء بعد الطلاق ، و قد ورد : ان عبدالرحمن بن عوف طلق امرأته فمتعها بخادم سوداء حممها اياها أي متعها بها بعدالطلاق .

٥٧ - الشوى ٨٢٥

شوى اللحم يشويه شياً - من باب ضرب - : أنضجه وجعله شواء فهو شاو، واللحم مشوي ، وأكثر ما يستعمل في الشيء بالنار ، وشوى الماء : أسخنه .

قال الله تعالى : « وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه »الكهف

: ٢٩) الشوى : ماشوى من اللحم وغيره أى فأعرض لحرارة النار ، فنضج وصلح للأكل والقطعة منه شواءة .

قال الله تعالى : « نزاعة للشوى » المعارج : ١٦)

الشوى : الاطراف والاعضاء التى ليست بمقتل ، وجلدة الرأس أو قحفه ، و هو العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة أوظاهر الجلد كله، والشوى : الامر الهين ورذال المال ، وفى الحديث :« لاتنقض الحائض شعرها اذا أصاب الماء شوى رأسها» أى جلده ، وفى حديث مجاهد : « كل ما أصاب الصائم شوى الا الغيبة » أى شىء هيّن لايفسد صومه ، وهومن الشوى : الاطراف : أى ان كل شىء أصابه لا يبطل صومه الا الغيبة فانها تبطله فهى كالمقتل، والشوى : ماليس بمقتل يقال : كل شىء شوى ماسلم لك دينك أى هين .

شوى القوم : أطعمهم الشواء ، وأعطاهم لحماً يشوون منه ، وأشوى القوم بمعنى شوّاهم . الشواية ـ مثلثة الشين ـ والشوية : بقية قوم أومال هلك ،وشواية الخبز: القرص منه . الشوّاء ـ فعال للمبالغة ـ : الذى يشوى اللحم ، والشوى : ماشوى من اللحم ، والمشواة : آلة شىء اللحم .

الشاة : هى من الغنم ، والشواة ـ كنواة ـ : جلدة الرأس كأنها هى من الشوى.

٢٧ - الهلع - ١٦١١

هلع يهلع هلعاً وهلوعاً ـ من باب علم ـ : جزع عند مس المكروه له جزعاً شديداً ، وهلع : حرص على اجتماع الخير لنفسه ، ويمنع البذل من ماله جزعاً أن يفوته المتاع به ، ويكون سريعاً فى جزعه .

والاصل فى هذا السرعة من قولهم : ناقة هلواع : سريعة شهمة الفؤاد يخاف السوط .

قال الله تعالى : « ان الانسان خلق هلوعاً اذامسّه الشر جزوعاً واذامسّه

الخير منوعاً » المعارج : ١٩) و قد فسّر بعضهم الهلع بالضجر والجزع الشديد و سوء إستقبال النعمة ، فهو يضجر للشر يصيبه ، ولا يعطى واجب النعمة بالبذل منها، وهو من المعنى السابق ، والوصف : هلع وهلوع .

الهلوع : من يجزع ويفزع من الشر و يحرص ويشحّ على المال .

وفي صفات المؤمن : « لاجشع ولاهلع » وفي وصف الامام على عليه السلام : « و علوت اذ هلعوا » يعنى الصحابة .

الهالع : النعام السريع في مضيّه ، وهلع - كصرد - : الحريص ، والهلعة - كهمزة - : من يجزع ويستجيع سريعاً ، والهلياع - بالكسر - : سبع صغير .

الهلع : الجزع ، وقلة الصبر، يقال : رجل هلوع إذاكان لايصبر على خير ولاشرّ حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق ، ولايصبر على المصائب .

هلع هلعاً : جاع ، والهلاع والهلعان : الجبن عند اللقاء ، والهيلع : الضيف والهلع : أفحش الجزع .

٣١- الجزع - ٢٤٧

جزع من شيء يجزع جزعاً وجزوعاً - من باب علم ومنع - : لم يصبر عليه فأظهر الحزن وعليه أشفق .

قال الله تعالى : «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» ابراهيم: ٢١)

الجزع : نقيض الصبر، وهو ضعف النفس عن إحتمال ماينزل بها من مكروه وصيغة المبالغة منه : جزوع .

قال الله تعالى : « اذا مسّه الشر جزوعاً » المعارج : ٢٠)

وجزع الوادى جزعاً : قطعه عرضاً ، وفي الحديث : « انه صلى الله عليه وآله وسلم وقف على محسّر فقرع راحلته فخبّت حتى جزعه » أى قطعه ولايكون الا عرضاً .

يقال : له من المال جزعة : قطع له منه قطعة .

وتجزع الشيء : تقطّع وتفرّق ، وتجزّع السهم : تكسّر.

اجتزع الشيء والعود من الشجرة : كسره وقطعه ، انجزع الحبل : انقطع أو بنصفين وانجزع العصا : انكسرت .

الجزعة - بالكسر - : القليل من المال والماء .

الجزيعة : القطعة من الغنم .

في المفردات: الجزع أبلغ من الحزن ، فان الحزن عام ، والجزع هو حزن يصرف الانسان عماهو بصدده ويقطعه عنه ، وأصل الجزع : قطع الحبل من نصفه .

و في اللسان : الجزوع : ضد الصبور على الشر ، والجزع : نقيض الصبر .

٤١ - عزين - ١٠٠٦

عزا الرجل يعزو عزواً وعزاء - واوى من باب نصر نحو دعا - : صبر و عزا فلاناً إلى أبيه : نسبه إليه ، و فلان إلى فلان : انتسب إليه صدقاً أو كذباً . يقال عزوته وعزيته إلى كذا : نسبته إليه .

والاسم من الاعتزاء : العزوة كالنسبة من الانتساب زنة ومعنى يقال : انه لحسن العزوة أي الانتساب والصبر ، وهي بالياء : العزية أيضاً ، والعزاء : الصبر عن كل مافقدت .

ويجمع المعتل جمع سلامة على غير قياس ، فتكون عزون وعزين .

قال الله تعالى : « عن اليمين و عن الشمال عزين » المعارج : ٣٧) أي جماعات متفرقة : فرقة فرقة ، وحلقاً حلقاً .

والعزة : عصبة من الناس ، وجماعة اعتزاؤها وانتسابها واحد ، والهاء عوض من اللام المحذوفة وهي الواو ، وجمعها : عزى وعزون ولم يقل : عزات ، ويقال: في الدار عزون أي أصناف من الناس ياتون متفرقين .

وقد تفسر بانها من عزا عزاء و تعزّى أي تصبّر ، فكأنها اسم للجماعة التي

يتأسى بعضها ببعض . وقيل: «من تعزّى بعزاء الجاهلية فاعضّوه بهن أبيه» وفي الحديث «ان في الله عزاء من كل مصيبة فتعزّوا بعزاء الله » العزاء - ممدوداً - : الصبر ، وفي الحديث : « من لم يتعزّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات » والتعزية تفعله - من العزاء .

في المفردات: عزين أي جماعات في تفرقة واحدتها : عزة ، وأصله من عزوته فاعتزى أي نسبته فانتسب ، فكأنهم الجماعة المنتسب بعضهم إلى بعض إما في الولادة أو في المظاهرة ، ومنه الاعتزاء في الحرب وهو أن يقول : أنا ابن فلان وصاحب فلان .

وفي النهاية : التعزى : الانتماء والانتساب إلى القوم يقال : عزيت الشيء وعزوته اعزيه واعزوه اذا اسندته إلى أحد ، والعزاء والعزوة: إسم لدعوى المستغيث وهو أن يقول : يالفلان أو للأنصار ، ويا للمهاجرين .

٥٥ - الوفض والايفاض - ١٦٨٨

وفض الرجل يفض وفضاً بسكون الفاء وفتحها - من باب ضرب نحو وعد - أسرع ، وجاء بمعنى : عدا وسعى واستعجل .

أوفض يوفض ايفاضاً : عدا و أسرع كوفض و أوفض فلان الابل : فرّقها ، وأوفض لفلان : بسط له بساطاً يتقى به الارض ، وأوفض الرجل وغيره : طرده .

قال الله تعالى : « كأنهم إلى نصب يوفضون » المعارج : ٤٣) أي يسرعون إلى الداعي مع إستعجال .

ناقة ميفاض : أي مسرعة . كذلك النعمامة .

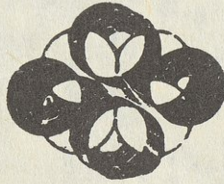
استوفض بمعنى وفض وأوفض ، و في الحديث : « واستوفضوه عاماً » أي اطردوه عن أرضه وغرّبوه وأنفوه .

الاوفاض : جمع الوفض : الفرق المستعجلة من الناس والاخلاط منهم . و

وفي الحديث : « انه امر بصدقة أن توضع في الاوفاض » هم الفقراء من فرق الناس واخلاطهم من وفضت الابل اذا تفرّقت . وقيل :الجماعة الذين مع كل واحدمنهم، وفضة لطعامه وهي مثل الكنانة الصغيرة يلقي فيها طعامه ، وقيل : الجماعة من قبائل شتى كأصحاب الصفة .

الوفاض - بكسر الواو - : الجلدة التي توضع تحت الرحى ، والوفاض : المكان الذي يمسك الماء .

الوفضة : خريطة يحمل فيها الراعي أداته و زاده ، و الوفضة: جعبة السهام اذا كانت من أدم لاخشب فيها تشبيهاً بذلك .



﴿النحو﴾

١ - (سأل سائل بعذاب واقع)

«سئل» فعل ماض، مهموزالعين، و «سائل» فاعله، وفي الباء في «بعذاب» وجوه: أحدها - للتعدية بناء على أن السئوال بمعنى الدعاء أى دعا داع بعذاب. ثانيها - بمعنى «عن» كقوله تعالى: « فاسئل به خبيراً » أى عنه. ثالثها - أن تكون زائدة فجيئت للتأكيد كقوله تعالى: «تنبت بالدهن» أى سأل سائل عذاباً واقعاً ألبتة. رابعها - هى على بابها أى سأل بالعذاب كما يسيل الوادى بالماء، فالهمزة بدل من الياء من السيل. و على أىّ تقدير فالجار والمجرور متعلق ب «سأل» و «واقع» نعت من «عذاب».

٢ - (للكافرين ليس له دافع)

في «للكافرين» وجوه: أحدها - متعلق ب «واقع» أى نازل لأجلهم. ثانيها - متعلق بمحذوف، و هو صفة اخرى من «بعذاب» أى بعذاب واقع لا محالة كائن للكافرين. ثالثها - متعلق ب «سأل» أى دعا للكافرين بعذاب واقع. رابعها - كلام مستأنف جواب للسائل الذى سأل: ان العذاب على من ينزل؟ فقيل: هو ثابت للكافرين. خامسها - اللام بمعنى «على» أى واقع على الكافرين. سادسها - بمعنى «عن» أى ليس للعذاب دافع عن الكافرين من الله تعالى.

«ليس» من أفعال الناقصة، و «له» متعلق بمحذوف خبر مقدم لها، و «دافع» إسم مؤخر لها، والجملة في موضع جر صفة اخرى ل «بعذاب».

٣ - (من الله ذی المعارج)

فی«من الله» وجوه : أحدها ـ متعلق بـ«دافع» أی لا یدفع من جانب الله تعالی لانه قضاء مبرم . ثانیها ـ متعلق بـ«واقع» و لم یمنع النفی ذلك لان لیس فعل، والمعنی : نازل من عند الله ذی المعارج . ثالثها ـ متعلق بمحذوف أی مرسل علیهم من الله ذی المعارج . رابعها ـ متعلق بقوله : «بعذاب» والثالث هو الاوجه و قریب منه الثانی .

«ذی» صفة من «الله» جل جلاله اضیف إلی «المعارج» وهی جمع معرج .

٤ - (تعرج الملائكة والروح الیه فی یوم كان مقداره خمسین الف سنة)

«تعرج» فعل مضارع ، والتاء لارادة الجماعة من «الملائكة» فاعل الفعل ، والجملة مستأنفة ، و «الروح» عطف علی «الملائكة» و «إلیه» متعلق بـ«تعرج» و فی إرجاع الضمیر وجوه : أحدها ـ راجع إلی الله تعالی كقوله تعالی حكایة عن ابراهیم : « انی ذاهب إلی ربی » أی إلی الموضع الذی أمرنی به ثانیها ـ راجع إلی المكان الذی هو محلهم و هو فی السماء لانها محل برّه و كرامته . ثالثها ـ راجع إلی «عرشه» .

«فی یوم» متعلق بـ«تعرج» و «خمسین» منصوب علی أنه خبر «كان» و «ألف» منصوب علی التمییز اضیف إلی «سنة» و «كان» و إسمها و خبرها فی موضع جر لانها صفة من «یوم» .

٥ - (فاصبر صبراً جمیلاً)

الفاء للتفریع ، ومدخولها فعل أمر ، خطاب للنبی الكریم صلی الله علیه وآله وسلم و «صبراً» مفعول مطلق ، و «جمیلاً» نعت من «صبراً» .

٦ - (انهم یرونه بعیداً)

ضمیر الجمع فی موضع نصب ، إسم لحرف التأكید ، و«یرونه» من أفعال القلوب فان المراد بالرؤیة : الاعتقاد ، و ضمیر الوصل فی موضع نصب ، مفعول

أول و «بعيداً» مفعول ثان ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد .

٧ - (و نراه قريباً)

«نرى» فعل تكلم مع الغير من المضارع عطف على «يرونه» والباقى ظاهر مما تقدم .

٨ - (يوم تكون السماء كالمهل)

فى عامل «يوم» وجوه : أحدها - عامله قوله تعالى : «واقع» أى يقع بهم العذاب يوم . . . ثانيها - عامله قوله تعالى : «نراه» . ثالثها - قوله سبحانه : «يبصرونهم» رابعها - أن يكون « يوم تكون » بدلاً من «قريباً» . خامسها - على تقدير : اذكر يوم تكون . . سادسها - بدل من يوم القيامة يدل عليه السياق و «السماء» إسم لفعل الناقص و «كالمهل» فى موضع نصب ، خبر لها ، والجملة فى موضع جر لاضافة «يوم» إليها .

٩ - (و تكون الجبال كالعهن)

عطف على ما قبلها و إعرابها ظاهر مما تقدم .

١٠ - (و لا يسئل حميم حميماً)

عطف على ما قبلها و «حميم» فاعل الفعل و «حميماً» مفعول به على حذف الجار والمجرور أى لايسئل حميم حميماً عن حاله أو عن غيرها . . . وقيل : على حذف الجار فقط أى لايسئل حميم عن حميم ، ف «حميما» منصوب على نزع الخافض.

١١ - (يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه)

«يبصرونهم» فعل مضارع لجمع الغيبة من باب التفعيل ، و فى الضميران وجوه : أحدها - ان ضمير جمع الفاعل راجع إلى الكفار، و ضمير المفعول «هم» راجع إلى الاقرباء . ثانيها - ضمير المرفوع راجع إلى المؤمنين وضمير المنصوب راجع إلى الكافرين ، والمعنى : يبصّر المؤمنون الكافرين يوم القيامة إذ ينظرون إليهم فى النار . ثالثها - أحدهما راجع إلى التابعين والاخر إلى المتبوعين .

رابعها ـ ضمير الفاعل راجع إلى الملائكة ، وضمير المفعول راجع إلى الكافرين أى يعرّفونهم ، فيسوقون إلى النار . و قيل : يعرّفون أحوال الناس فيسوقون كل فريق إلى ما يليق بهم .

وفى موضع الجملة أيضاً وجوه: أحدها ـ أن تكون الجملة صفة من «حميماً» أى حميما مبصرين معرّفين إياهم ، و انما جمع ضمير الحميم لانه فى معنى الجمع حيث رفع فى سياق النفى . ثانيها ـ أن تكون الجملة متعلقاً بما بعدها، والمعنى: ان المجرمين يبصرون المؤمنين حال مايودّ أحدهم أن يفدى نفسه بكل مايمكنه فان الانسان إذا كان فى البلاء ثم راى عدوه فى الرخاء كان ذلك أشد عليه . ثالثها ـ أن تكون مستأنفة . رابعها ـ أن تكون حالاً ، و جمع الضمير على معنى الحميم . خامسها ـ أن تكون فى موضع جر بدلاً من « تكون السماء كالمهل » .

«يود» فعل مضارع، و «المجرم» فاعله، وفى موضع الجملة وجوه : أحدها ـ فى موضع رفع على الاستيناف . ثانيها ـ فى موضع نصب ، حالاً من ضمير المفعول فى «يبصّرونهم» ثالثها ـ حال من ضمير الفاعل فى «يبصرونهم» .

«لو» بمعنى «أن» و «يفتدى» فعل مضارع من باب الافتعال ، و « من عذاب يومئذ » متعلق بفعل الافتداء والباء فى «ببنيه» للمقابلة ، والجملة فى موضع نصب، قائمة مقام مفعول «يود» و قيل: فى موضع جرّ بدلاً من « تكون السماء كالمهل » و «إذ» فى «يومئذ» إسم للزمن المستقبل .

ان تسئل : «اذ» ليست بمتمكنة ، فكيف نوّنت ؟

تجيب : ان «اذ» تمكنت فى موضعين هذا أحدهما . ويحتمل أن تكون التنوين عوضاً عن المضاف إليه حيث ان «اذ» تضاف غالباً ، فليست تنوين تمكن .

١٢ - (و صاحبته و اخيه)

عطف على «ببنيه» .

١٣ - (و فصيلته التى تؤويه)

عطف على سابقها و «التى» موصولة و «تؤويه» فعل مضارع من باب الافعال والضمير فى موضع نصب ، مفعول به، والجملة صلة الموصول والجملة بتمامها صفة من «فصيلته».

١٤ - (و من فى الارض جميعا ثم ينجيه)

«من» موصولة فى موضع جر ، عطف على «ببنيه» و « فى الارض » متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول و «جميعاً» تأكيد « ثم ينجيه »جواب لما تقدم لان «ثم» من حروف العطف فالتقدير: يود المجرم لو يفتدى فينجيه الافتداء اذ قوله تعالى: «يود المجرم» يقتضى جواباً بالفاء كقوله تعالى: « ودوا لو تدهن فيدهنون » و قيل : التقدير : و يود لو فدى بهم لافتدى ثم ينجيه . فلابد من هذا الاضمار كقوله جل وعلا : « و انه لفسق » أى و ان أكله لفسق .

١٥ - (كلا انها لظى)

« كلا» كلمة ردع ، و هى ههنا لنفى ما قبلها ، والمعنى : ليس ينجيه من عذاب الله الافتداء و «انها» الضمير فى موضع نصب إسم لحرف التأكيد راجع إلى «جهنم» و ان لم يجر لها ذكر لدلالة العذاب عليها ، و قيل : راجع إلى نار و قيل : راجع إلى القصة و «لظى» علم لنار جهنم ، خبر لحرف التأكيد أى تتلظى نيرانها كقوله تعالى : « فانذرتكم ناراً تلظى » الليل : ١٤) .

١٦ - (نزاعة للشوى)

فى نصب « نزاعة » وجوه : أحدها ـ على الحال المؤكدة كقوله تعالى : « وهو الحق مصدقا » البقرة : ٩١) ثانيها ـ على معنى : ان نارجهنم تتلظى نزاعة أى فى حال نزعها للشوى ، والعامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى « لظى » . ثالثها ـ حال للمكذبين بخبرها . رابعها ـ منصوب على القطع كما تقول : مررت بزيد العاقل الفاضل . خامسها ـ حال من الضمير فى «تدعوا» مقدمة . سادسها ـ حال من الضمير فى «لظى» على أن تجعلها صفة غالبة مثل الحرث و العباس سابعها ـ

على تقدير أعنى .

وعلى قراءة رفع « نزاعة » ففيها وجوه خمسة : أحدها ـ أى هى نزاعة . ثانيها ـ بدل من « لظى » ثالثها ـ كلاهما خبران لحرف التأكيد . رابعها ـ «لظى» بدل من اسم « ان » ونزاعة خبرها . خامسها ـ ان تكون الضمير فى « انها » للقصة و « لظى » مبتداء و « نزاعة » خبره والجملة فى موضع رفع خبر «ان» و«للشوى» جمع شواة وهى جلدة رأس متعلق بـ « نزاعة » .

١٧ـ (تدعوا من أدبر وتولى)

« تدعوا » فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى ما يرجع إليه الضمير فى « انها » وقيل : إلى « لظى » وفى موضع « تدعوا » وجوه : أحدها ـ فى موضع نصب ، حالاً من الضمير فى « نزاعة » اذا لم تعمله فيها . ثانيها ـ حال من « لظى » على أنها تدعوهم بلسان الحال كما قيل : سل الارض من شق أنهارك و غرس أشجارك فان لم تجبك جؤاراً أجابتك اعتباراً ، فههنا لماكان مرجع كل من الكفرة إلى دركة من دركات جهنم كأنها تدعوهم إلى نفسها ، و يمكن أن يخلق الله تعالى الكلام فى جرم النار حتى تقول صريحاً فصيحاً إلىّ يا كافة الكفرة ثم تلتقطهم التقاط الحب .

ثالثها ـ فى موضع رفع على حذف المضاف أى تدعوا زبانتها ، والجملة صفة من « لظى » رابعها ـ فى موضع رفع ، خبر ثالث لحرف التأكيد . خامسها ـ فى موضع رفع ، مستأنف منقطع مما قبله . و« من » موصولة فى موضع نصب، مفعول به و « أدبر » فعل ماض من باب الافعال، صلة الموصول على حذف الجار والمجرور أى أدبر فى الدنيا عن طاعة الله تعالى و « تولى » فعل ماض من باب التفعل، عطف على « أدبر » على حذف الجار والمجرور وأيضاً أى تولى عن الايمان .

١٨ـ (وجمع فاوعى)

عطف على ماقبله على حذف المفعول به أى وجمع المال حرصاً عليه ، و

« فاوعى » الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض من باب الافعال والمعنى : فجعل المال فى وعائه ، ومنع منه حق الله تعالى .

١٩- (ان الانسان خلق هلوعاً)

« خلق » فعل ماض مبنى للمفعول ، وقيل : « هلوعاً » حال من الضمير فى « خلق » و تسمى هذه الحال حالاً مقدورة ، لان الهلع انما يحدث بعد خلقه لا فى حال خلقه كقوله تعالى : « محلقين رؤسكم » الفتح : ٢٧) وهم ليسوا محلقين حال الدخول .

والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد . و من غير بعيد أن تكون « هلوعاً » حالاً حقيقة من الضمير فى « خلق » على ان صفة الهلع مخلوقة مع الانسان وهى نعمة وفضيلة كسائر الصفات . . . وان الانسان هو الذى يخرجها من الفضيلة إلى الرذيلة ، ومن النعمة إلى النقمة والذم راجع إلى الصفة من جهة سوء تدبيره لا من حيث انها فعله جل وعلا .

٢٠- (اذا مسه الشر جزوعاً)

« اذا » ظرف للاستقبال ، متضمنة معنى الشرط ، وعاملها « جزوعاً » وقيل عاملها « هلوعاً » و « مسه » فعل ماض ، والضمير فى موضع نصب ، مفعول به ، و « الشر » فاعل الفعل ، و« جزوعاً » حال مقدرة اخرى أى خلق الانسان هلوعاً جزوعاً اذا مسه الشر ، وقيل: نعت من« هلوعاً » على أن ينوى بـ« جزوعاً» التقديم على « اذا » كالسابق ، و قيل : عامل « جزوعاً » قوله تعالى : « هلوعاً » و قيل : « جزوعاً » خبر لـ «كان» مضمرة .

٢١- (واذا مسه الخير منوعاً)

عطف على ماقبلها ، وإعرابها ظاهر مما تقدم .

٢٢- (الا المصلين)

« المصلين » منصوب على الاستثناء من الجنس ، والمستثنى منه هو الانسان

الذى اريد به العموم بدليل الاستثناء كقوله تعالى : « ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا » العصر : ٢ - ٣)

٢٣- (الذين هم على صلاتهم دائمون)

« الذين » موصولة ، و«هم» مبتداء ، و « على صلاتهم » متعلق بـ « دائمون» وهو الخبر، والجملة صلة الموصول ، والجملة فى موضع نصب ، نعت من «المصلين»

٢٤- (والذين فى أموالهم حق معلوم)

عطف على ماقبلها و « فى أموالهم» متعلق بمحذوف ، وهو خبر مقدم و«حق» مبتداء مؤخر ، و « معلوم » نعت من «حق» والجملة صلة الموصول .

٢٥- (للسائل والمحروم)

« للسائل » متعلق بـ « معلوم » و« المحروم » عطف على « للسائل » .

٢٦- (والذين يصدقون بيوم الدين)

وصف ثالث للمصلين ، و« يصدقون » فعل مضارع من باب التفعيل ، و«بيوم الدين » متعلق بفعل التصديق .

٢٧- (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون)

وصف رابع ، عطف على الوصف الاول للمصلين ، و «هم» مبتداء ، و « من عذاب ربهم » متعلق بـ « مشفقون » اسم فاعل من باب الافعال ، وهو خبر المبتداء والجملة صلة الموصول .

٢٨- (ان عذاب ربهم غير مأمون)

« ان » حرف تأكيد ، و « عذاب ربهم » إسمها ، و« غير مأمون » خبرها و « مأمون » إسم مفعول من الأمن .

٢٩- (والذين هم لفروجهم حافظون)

وصف خامس ، عطف على المتقدم ، و «هم» مبتداء و « لفروجهم » جمع فرج ، متعلق بـ « حافظون » وهو خبر المبتداء واللام فى « لفروجهم » للتقوية

وهي التي يقوّى بها العامل الضعيف عن العمل ولذلك لاتدخل على مفعول متأخر، ولايقال: ضربت لزيد ويقال: لزيد ضربت وكون اسم الفاعل في العمل فرعاً على الفعل ف« حافظون » ضعيف لوجهين معاً .

٣٠- (الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غيرملومين)

إستثناء من حفظ الفروج . وقيل : « الاّ » هنا بمعنى « لكن » التي تفيد الابتداء لا الاستثناء فما بعدها منقطع عما قبلها ، و هذا يعنى ان الحفظ للفروج هنا هو حفظ مطلق الاستثناء فيه ، وفي غير الحفظ عدوان ، ولكن المؤمنين في هذا العدوان غيرملومين وفي كلمة « على » وجوه : أحدها - انها بمعنى «عن» ثانيها بمعنى « من » أي من أزواجهم اللاتي أحل الله لهم لايجاوزون . ثالثها - بمعناها الاستعلاء . وفي تعلقها وجوه : أحدها - متعلق بمحذوف يدل عليه « غيرملومين » كأنه قيل : يلامون على كل من يباشرونه الاّ على أزواجهم فانهم غير ملومين عليهن ، ولايجوز أن تتعلق بـ« ملومين » لامرين : أحدهما - ان ما بعد « ان » لايعمل فيما قبلها . ثانيهما - ان المضاف اليه لايعمل فيما قبلها . ثانيها - متعلق بـ« حافظون » ثالثها - متعلق بـ« حافظون » على المعنى .

وفي موضع الجملة وجوه : أحدها - في موضع نصب على الحال أي إلاّ والين أو قوامين على أزواجهم ، والمعنى : انهم مستمرون على حفظ الفروج في كافة الاحوال إلاّ في حال تزوجهم أو تسريهم . ثانيها - في موضع نصب بـ« حافظون » على المعنى لان المعنى : صانوها عن كل فرج إلاّ عن فروج أزواجهم .

ثالثها - حال أي حفظوها في كل حال الاّ في هذه الحال .

« اوماملكت ايمانهم » في موضع خفض ، عطف على « أزواجهم » و« ما » مصدرية .

٣١- (فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون)

الفاء للتفريع ، و مدخولها « من » إسم شرط ، و « ابتغى » فعل ماض من

باب الافتعال فعل الشرط ، و «وراء» بمعنى « سوى » اضيف إلى « ذلك » مفعول به ا « ابتغى » أى من طلب سوى الازواج والولائد المملوكة له ، و قيل : مفعول الابتغاء محذوف و « وراء » ظرف .

« فاولئك » الفاء للجزاء، ومدخولها مبتداء، و«هم» مبتداء ثان ،و«العادون» خبر الثانى ، والجملة خبر الاول ، و تمامها جزاء الشرط ، و قيل : « هم » ضمير فصل ، و « العادون » خبرا « اولئك » .

٣٢- (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون)

وصف سادس عطف على ما تقدم،و«هم» مبتداء و«لاماناتهم » متعلق بـ«راعون» وهى جمع أمانة ، و هو مصدر ، والمصادر لاتجمع لانها تدل على الجنس الا أن تختلف أنواعها ، فيجوز تثنيتها وجمعها ، والامانة ههنا مختلفة لأنها تشتمل على سائر العبادات وغيرها من المأمورات . . . « وعهدهم » عطف على « لاماناتهم » و « راعون » خبر المبتداء والجملة صلة الموصول ، وأصل « راعون » : راعيون ، فنقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى ماقبلها بعد حذف الكسرة ، فحذفت الياء لا لتقاء الساكنين بين الياء والواو.

٣٣- (والذين هم بشهاداتهم قائمون)

وصف سابع عطف على ماسبق و« بشهاداتهم » جمع شهادة متعلق بـ « قائمون»

٣٤- (والذين هم على صلاتهم يحافظون)

وصف ثامن ، و « يحافظون » فعل مضارع من باب المفاعلة .

٣٥- (اولئك فى جنات مكرمون)

« اولئك » مبتداء وفى « فى جنات » وجوه : أحدها - فى موضع نصب على الحال أى فى حال كونهم أوثابتين فى جنات . ثانيها - فى موضع رفع على الخبرية على أنه متعلق بمحذوف وهو خبر المبتداء و « مكرمون » خبر بعد خبر. ثالثها - متعلق بـ « مكرمون » وهو : اسم مفعول من باب الافعال ، وهو الخبر .

٣٦- (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين)

الفاء فصيحة ، و«ما» في موضع رفع على الابتداء ، و « الذين » متعلق بمحذوف وهو الخبر ، و« كفروا »صلة الموصول ، و « قبلك » ظرف مكان في موضع الحال من الضمير المرفوع في « كفروا » أو من المجرور على تقدير : فما للذين كفروا كائنين قبلك ، وقيل : « قبلك » متعلق بـ « مهطعين » و قيل : « قبلك » ظرف لمعنى الفعل في اللام الجارة ، و « مهطعين » : إسم فاعل من باب الافعال، منصوب على الحال بعد حال من « الذين كفروا » .

٣٧- (عن اليمين وعن الشمال عزين)

في « عن اليمين وعن الشمال » وجوه : أحدها ـ متعلق بمحذوف و هو صفة من « مهطعين » لانه نكرة واذا كان كذلك تضمن ضميراً ، واذا تضمن الضمير يمكن أن ينتصب « عزين عن ذلك » ثانيها ـ أن يكون متعلقا بـ « مهطعين »ثالثها أن يكون متعلقاً بـ « عزين » على حدّ قولك : أخذته عن زيد .

و في نصب « عزين » وجوه : أحدها ـ أن يكون صفة من « مهطعين » . ثانيها ـ منصوب على الحال من الضمير في « مهطعين » وفي « عزين » ضمير يعود إلى ما في « مهطعين » ثالثها ـ منصوب على الحال من « الذين » فحال بعد حال . رابعها ـ منصوب بما في قوله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال » و« عزين »: جمع عزة و أصلها عزوة جمع بالواو والنون عوضاً عن الواو المحذوف كما في «عضين» الحجر : ٩١) .

٣٨- (أيطمع كل امرى منهم أن يدخل جنة نعيم)

الهمزة للاستفهام ، و « يطمع »فعل مضارع ، و « كل امرىء » فاعل الفعل و« منهم » متعلق بمحذوف ، وهو نعت من « امرى » و « يدخل » فعل مضارع من باب الافعال ، مبنيّ للمفعول ، منصوب بـ « أن » وفاعله النيابي مستتر فيه ، راجع إلى « كل امرى » و « جنة» مفعول ثان قام مقام المفعول الاول لبناء الفعل للمفعول،

واضيف « جنة » إلى « نعيم ».

٣٩- (كلا انا خلقناهم مما يعلمون)

« كلا » كلمة ردع ، و« انا » حرف تأكيد و« نا » في موضع نصب إسمها ، و « خلقنا » فعل تكلم مع الغير من الماضى ، و « هم » فى موضع نصب ، مفعول به والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد . و من فى «مما» لابتداء الغاية أى انا خلقناهم من نطفة قذرة ، و قيل : للتعليل أى من أجل ما يعلمون ، وهو الطاعة كقوله تعالى : « و ما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون » و «ما» موصولة ، و «يعلمون» صلتها على حذف العائد أى يعلمونه .

٤٠ - (فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون)

الفاء تفريعية ، و مدخولها جاء لتأكيد القسم ، و « برب المشارق » الباء للقسم، مع مجرورها متعلق بفعل القسم و «المشارق» : جمع المشرق، و«المغارب» عطف على «المشارق» و«انا» حرف تأكيد و«نا» فى موضع نصب إسمها و «لقادرون» اللام للتأكيد ، و مدخولها خبرها والجملة جواب القسم .

٤١ - (على أن نبدل خيراً منهم و ما نحن بمسبوقين)

«على» مع مجرورها بعد الانسباك بالمصدر متعلق بـ «قادرون» و «نبدل» فعل تكلم مع الغير من المضارع منصوب بـ «أن» من باب التفعيل على حذف المفعول الاول ، وحرف الجر من المفعول الثانى فالتقدير : نبدّلهم بخير منهم . ثم قامت الصفة «خيراً» مقام موصوفها و«ما» نافية تشبه بليس و«نحن» إسمها و«بمسبوقين» إسم مفعول خبرها على زيادة الباء جاءت للتأكيد .

٤٢ - (فذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون)

الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل أمر خطاب للنبى الكريم ﷺ والفعل لم يستعمل فى تصريفاته الا المستقبل والامر ، و ضمير الوصل فى موضع نصب ، مفعول به راجع إلى الكافرين ، و «يخوضوا» فعل مضارع مجزوم بـ «إن» الشرطية

لوقوع الفعل بعد الامر على تقدير : إن تذرهم يخوضوا فى باطلهم ، و «يلعبوا» عطف على «يخوضوا» و «حتى» حرف للغاية و «يلاقوا» فعل مضارع من باب المفاعلة ، منصوب بـ «أن» مقدرة لوقوع الفعل بعد «حتى» و أصله : يلاقيوا فحذفت الياء لثقل الضمة عليها فنقلت إلى القاف بعد حذف حركتها ، و «يومهم» مفعول به و «الذى» نعت من «يومهم» و «يوعدون» فعل مضارع من باب الافعال ، مبنى للمفعول ، صلة الموصول على حذف العائد أى يوعدون به .

٤٣ - (يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم الى نصب يوفضون)

«يوم» بدل من «يومهم» فالتقدير : حتى يلاقوا يوم يخرجون . وقيل: على تقدير: اعنى يوم يخرجون . و «من الاجداث» جمع جدث، متعلق بفعل الخروج، و «سراعاً» منصوب على الحال من الواو فى «يخرجون» و «كأنهم» من الحروف المشبهة بالفعل ، والضمير فى موضع نصب ، اسمها ، و «إلى نصب» جمع نصب ، متعلق بـ «يوفضون» فعل مضارع من باب الافعال ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التشبيه ، والجملة فى موضع نصب حال ثان من الواو فى «يخرجون» وقيل: حال من «سراعاً» .

٤٤ - (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون)

« خاشعة أبصارهم » حال ثالث من الواو فى «يخرجون» و قيل : حال من الواو فى «يوفضون» و « ترهقهم ذلة » فى موضع نصب ، حال رابع من الواو فى «يخرجون» وقيل: حال من الواو فى «يوفضون» وقيل: صفة من «خاشعة أبصارهم» و «ذلك» مبتداء و «اليوم» خبره و «الذى» وصف من «اليوم» و «يوعدون» فى موضع نصب، خبر لفعل الناقص ، والجملة صلة الموصول ، على حذف العائد أى يوعدونه .

«البيان»

١ - (سأل سائل بعذاب واقع)

إخبار من الله تعالى بسئوال سائل عن عذاب لامرية في وقوعه ، ولم يذكر إسم السائل لا تصريحاً ، و لا تلويحاً بالتعريف ولا غيره لانه لا يعدو أن يكون واحداً من هؤلاء السفهاء الذين ركبهم الجهل ، من اولئك الاغبياء الذين غمرهم الغرور حتى لقد خيل إليهم انهم أوتاد هذه الارض ، و انهم لو أخلوا مكانهم منها لفسد نظام الكون و اضطرب أمر الناس ! !

والسئوال من سائل ضال الاسم هنا هو سئواله عن هذا العذاب : متى هو؟ و قد كان هو منكراً لما يسئل عنه ، وكأنه بهذا الانكار انما يهتف به أن يأتيه الآن ، و أن يقع به في الحال ، انه على إستعداد لاستقبال هذا العذاب لانه على يقين من أنه شيء لا وجود له ! . .

قال الله تعالى : « بعذاب واقع » و لم يقل : « بعذاب سيقع » تنبيهاً على تحقق الوقوع ، ولم يقل : « عذاباً واقعاً » للتاكيد بالباء بناء على زيادتها ، و أما بناء على تعدية الفعل بالباء مع أنه يتعدى بحرف «عن» فاشارة إلى تضمن الفعل معنى المطالبة بهذا العذاب و الهتاف به كما يقول الله تعالى حكاية عن هؤلاء المشركين: « فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » الانفال: ٣٢) .

فكأن المعنى : طلب طالب ، ودعا داع بعذاب واقع لا محالة .

٢ - (للكافرين ليس له دافع)

رد على هذا السؤال المتحدى المنكر وهذا من قبيل تعليق الحكم على الوصف للاشعار بالعلية بان الكفر يقتضى وقوع العذاب من غير أن يستطيع أحد دفعه عنهم ما لا يخفى كما تدل على ذلك اللام الجارة الاولى .

٣ - (من الله ذى المعارج)

دلالة على أن المسئول عنه قضاء مبرم ، و قال بعض المفسرين : فى الاية إشارة إلى ان العروج إلى السماء لا يكون فى خط عمودى ، و انما فى خطوط مقوسة داخل فى قبة الفلك التى تمثل دائرة عظيمة لا نهاية لها . . و فى جمع «المعارج» إشارة اخرى إلى أن هناك أكثر من معرج ، وان لكل سماء معرجها الذى يعرج إليها منه ، أشبه بالمبنى ذى الطوابق العديدة لكل طابق معرج يعرج فيه إليه . .

و وصف الله جل وعلا بانه ذو المعارج إشارة ثالثة إلى علو سلطانه ، و أن العذاب المرسل منه إلى الكافرين ، عذاب يسقط عليهم من سموات عالية ، فلا يمكن لقوة أن تحول بينه وبين أن يهوى على رؤوس الكافرين . . انه أشبه بالاحجار التى تهوى من السماء على رؤوس من هم فى دائرة سقوطها . .

٤- (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)

إخبار من المغيبات المتصلة بسر الله جل وعلا وملائكته يجب الايمان بها شأن غيرها من المغيبات التى أخبر عنها القرآن الكريم مع واجب تنزيه الله تعالى عن المكان والحدود والجسمانية . . .

وتقرير لغاية إرتفاع تلك الدرجات التى قال الله تعالى: «من الله ذى المعارج» وبعد مداها على منهاج التمثيل ، والمعنى : انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا و تذكير بعظمة المشاهد السماوية .

٥ - (فاصبر صبراً جميلا)

أمر للنبى الكريم ﷺ بالصبر الجميل هو الذى لاجزع فيه ولاشكوى لغيرالله تعالى و بالثبات على وظيفته و عدم الاغتمام لما يلقى من عناد قومه ، و استهزاءهم به ، و أذاهم و كفرهم وتكذيبهم بالوحى لجاجاً و استكباراً، وتطمين له ﷺ فى تحدّيهم للعذاب الذى ينذرهم به ، فكأنه قيل له ﷺ : ان العذاب قرب وقوعه ، فاصبر فقد شارفت الانتقام .

وفيه تهديد للمشركين والمكذبين بما سيقع بهم وراء هذا الصبر الذى يلقاهم النبى ﷺ به محتملاً سفاهتهم و سخريتهم .

٦ - (انهم يرونه بعيداً)

إخبار من الله تعالى بما كان المشركون يظنون بما كانوا يسئلون عنه تعنتاً و استكباراً ، و تعليل للامر بالصبر الذى سبق ذكره

٧ - (و نراه قريبا)

رد على المشركين الذين كانوا يستعجلون العذاب إستهتاراً أو تحدياً و يهزؤن من تأخيره بان ما يظنونه بعيداً هو عند الله تعالى قريب ، غير بعيد ، و لا متعذر و ان اليوم عنده ليعدل خمسين ألف سنة من سنيهم .

٨ - (يوم تكون السماء كالمهل)

بيان للاحداث التى تقع يوم القيامة ، يوم العذاب الذى ينتظر أهل الشرك والضلال ، ففيها إشارة إلى وقت وقوع عذاب الله الموعود الذى أكدت الايات السابقة وقوعه و قربه ، مع الوصف لهول ذلك اليوم .

قيل : فى تشبيه السماء بالمهل و ما يغلب على التشبيه من لون الحمرة إشارة إلى تغيّر طبيعة لون الجوّ فى مرأى العين ، و ذلك حين يكون موقع النظر من خارج الغلاف الجوى للارض ، حيث تبدو السماء والارض مكسوّتين بلون أشبه بلون الافق الداكن بعد الغروب أو قبل الشروق . .

٩ - (و تكون الجبال كالعهن)

إشارة إلى ما يحدث يوم القيامة فى العالم الارضى ، فيومئذ تكون الجبال كالصوف ليونة و تناثراً ، و هو الصوف المصبوغ بلون الحمرة بعد أن ينفش ، و تنحل أجزاءه بعضه عن بعض .

١٠ - (و لا يسئل حميم حميماً)

إشارة إلى إنشغال كل امرىء يوم القيامة بنفسه بحيث لا محل لسئوال صديق نصراً و معونة من صديق ، تنبيهاً على شدة اليوم و هو له و فزعه . . .

١١ - (يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه)

مستأنف بيانى، جواب عن سؤال مقدر، فكأنه قيل: هل يرى الاحماء يومئذ أحماءهم ؟ اجيب : يبصرونهم .

قوله تعالى : « يود المجرم لو يفتدى . . » تقرير لحال يكون عليها الكفار يوم القيامة من الفزع والهلع والرعب لاتدع لأى سبيلا إلى الاختيار فيما ينظر إليه إذ يقعون فى فم الهلاك ، وفى دائرة العذاب المنطبق عليهم، و هم يرون بعضهم ، و يكون هول العذاب شديداً على المجرمين حتى ليتمنى الواحد منهم او فدى نفسه بكل عزيز عليه من بنيه . . . وفى جمع «بنيه» دلالة على أن كثيرهم محبوب مرغوب فيهم ، و لم يقل : أولاده حتى يشمل البنات لانهن لا يقدرن على ما يقدر عليه الأبناء .

١٢ - (و صاحبته و اخيه)

«صاحبته» كناية عن زوجته مع تضمنها التوافق بينهما .

١٣ - (و فصيلته التى تؤويه)

كناية عن عشيرته الاقربين و اسرته الخاصة .

١٤ - (و من فى الارض جميعاً ثم ينجيه)

«من» للتغليب و يعم الثقلين والخلائق، « ثم ينجيه » لاستبعاد الانجاء عن الافتداء ، والمعنى : يتمنى لو كان الثقلان والخلائق جميعاً تحت يده و بذلهم

فى فداء نفسه ثم ينجيه من العذاب الموعود .

١٥ - (كلا انها لظى)

ردع و تنبيه على أن الودادة لاتنفعه ، و تصريح بامتناع إنجاء الافتداء ، و زجر و نفى لتمنى المجرم النجاة من العذاب بالافتداء ، اذ لا نجاة لمن تلبس بالاجرام من هذا العذاب ، و لا مفرّ له ، و لا يدفع عنه العذاب جاه أو سلطان أو فدية من بنين . . .

قوله تعالى : « انها لظى » تعليل للردع و نفى لنجاتهم عن العذاب الموعود بالافتداء و ردّ أىّ فدية لو كان يملك أحد شيئاً يقدمه فى هذا اليوم . . انها لظى: فهل يملك أحد أن يفرّ منها ؟ وهل يستطيع أحد أن يفلت من «لظى» اذا أوقعه شؤمه و ضلاله فى طريقها ؟ ذلك محال .

١٦ - (نزاعة للشوى)

«نزاعة» مبالغة ، وصف مرعب من شأنه إثارة الخوف والهلع فى المجرمين، و فى الآيـة إشارة إلى أول ما تحدثه النار فيهم من إنخلاع أطرافهم و تشويـة بشراتهم . . .

١٧ - (تدعوا من ادبر و تولى)

وصف آخر لنار جهنم وفيه تهديد و وعيد شديد على المدبرين المكذبين والمعرضين ، وفى الاية إستعارة على أن المراد بدعوة النار المدبرين المعرضين لما استحقوا بادبارهم عن الحق صارت كأنها تدعوهم إلى نفسها، وتسوقهم نحوها .

١٨ - (و جمع فاوعى)

تقبيح على كنز المال والشح به عن سبيل البر والخير، ومساعدة المحتاجين، وفى الجمع بين الاعراض عن الايمان بالله تعالى والامساك عن الانفاق فى سبيل الله جل وعلا دلالة على شناعة البخل ، و انه يعدل الكفر .

١٩ - (ان الانسان خلق هلوعاً)

تعليل وتقرير لما يدعو الانسان إلى الادبار عن الحق، والاعراض عن الطاعة ، و جمع المال والامساك والبخل عن أداء الحقوق المالية التى تؤدّيه إلى دخول النار التى تدعوه إلى نفسها .

٢٠ - (اذا مسه الشر جزوعاً)

بيان لبعض آثار ما انطبع عليه الانسان من أنانية و حرص و سرعة تأثر: فهو سريع التهيج مما يلم به وهو أنانى لايفكر إلاّ فى نفسه فاذا أصابه شر جزع و اضطرب اضطراباً شديداً والمراد من الشر كلما لا يلائم طبعه .

و قيل : «جزوعاً» بدل تفصيلى من «هلوعاً» .

٢١ - (و اذا مسه الخير منوعاً)

إشارة إلى بعض آثار آخر لهلع الانسان بانه إذا انفرجت اموره ، و نال خيراً أمسك وبخل ، والمراد من الخير : كل ما يلائم طبعه . وقيل : « منوعاً » بدل تفصيلى آخر من «هلوعاً» .

٢٢ - (الا المصلين)

إستثناء للمتصفين بالنعوت الثمانية الجليلة الآتيـة من المطبوعين على القبائح الماضية لانباء نعوتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق، والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة و كسر الشهوة و ايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك فى حبّ العاجل وقصر النظر عليه، فالاستثناء ليس لأجل أن صفة الهلع غير مخلوقة فيهم بل لاجل أنهم أبقوها على كمالها و لم يبدّلوها رذيلة و نقمة ، فصفة الهلع مخلوقة نعمة و فضيلة ، و ان الانسان هو الذى يخرجها من الفضيلة إلى الرذيلة ، من النعمة إلى النقمة بسوء اختياره كسائر الصفات . . . من الغضب والحسد والبغض . . . حيث ان صفة الهلع التى اقتضت الحكمة الالهية أن يخلق الانسان عليها ليهتدى بها إلى ما فيه خيره و سعادته غير ان الانسان يفسدها على نفسه ، و يسيىء إستعمالها فى سبيل

سعادته ، فتسلك به إلى هالكة دائمة إلا من آمن بالله و عمل عملاً صالحاً .

في تقديم الصلاة على سائر صالح الاعمال المعدودة في الايات التالية دلالة على كونها ركناً ركيناً من أركان قام عليها الايمان ، و انها أول صفة يتصف بها المؤمنون ، وانها طريق يصلهم بالله تعالى فاذا تركها المؤمن إنقطعت صلته بربه إلى أن يعود اليها قال رسول الله ﷺ فيها : اذا قبلت قبل ما سواها و اذا ردّت ردّ ما سواها .

و دلالة على شرفها و انها خير أعمال صالحة مع آثار بارزة لها و منع آثار الهلع المذمومة من حافظيها .

قال الله تعالى: « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » العنكبوت : ٤٥) .

فاختصاص المصلين بالذكر في الاستثناء ، و تكرار التنويه بالدوام على الصلاة والمحافظة عليها في أول نعوتهم و آخرها- الذين هم على صلاتهم دائمون- والذين هم على صلاتهم يحافظون) لكون الصلاة هي مظهر رئيسي من مظاهر الايمان بالله تعالى أولاً ، و وسيلة وحيدة مستمرة للتذكير بالله جل وعلا ، و أوامره التي فيها كل خير و نواهيه التي تنهى عن كل شر ثانياً . و هذا مما يجعل المصلي يندفع في عمل الحق والعدل والخير ، ويمتنع عن الآثام والفواحش ، وعلى هذا فاذا صدر من مصلّ آثام و منكرات ، وغلبت فيه الانانية والجزع والامساك عن مساعدة المحتاجين فلا يكون في الحقيقة مصلياً لان صلاته لا تكون صادرة عن ايمان صحيح ، فلا تفيد في تصفية روحه و تنقية قلبه .

و ان الاية و مايليها تنطوي على تقرير أثر الايمان في نفس الانسان و أثر الصلاة في المصلي الصادق و اتجاهه و سلوكه و تقويم ما في طبيعته من أنانية وجزع من الشر ومنع للخير ، وهي من روائع المجموعات القرآنية المنطوية على جليل التلقينات الاخلاقية والاجتماعية المستمرة المدى .

٢٣ - (الذين هم على صلاتهم دائمون)

أول نعت يتصف به المصلون، و هو مداومتهم على صلاتهم ، و فيه تنبيه على أن من لم يدم عليها فهو ليس بمصلٍّ ، و ليس لصلاة لاتدوم أثر كالايمان المنقطع بالنفاق والكبائر والاصرار في الصغائر . . .

قيل : في إضافة الصلاة إلى الضمير دلالة على أنهم مداومون على ما يأتون به من الصلاة كانت لا انهم دائماً في الصلاة ، وفيه إشارة إلى أن العمل انما يكمل أثره بالمداومة. وعلى أن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له ، فالمصلي هو المنتفع بها وحده ، وهي عدّته و ذخيرته ، فهي صلاته ، و أما المصلى له فغنيٌّ متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها فمن صلّى صلّى لنفسه فالصلاة لهم لا لله تعالى .

٢٤ - (والذين في أموالهم حق معلوم)

صفة ثانية يتصف بها المصلون حقاً فانهم بما أنهم مصلون يعرفون ما عليهم في أموالهم من حق واجب للسائل والمحروم ، فان الصلاة الصحيحة تدعوا المصلي إلى أداء حق كل ذي حق ، و إلى مساعدة المحتاجين ، و ان المصلي الصادق لا يرى لنفسه كمال السعادة الا في مجتمع سعيد ينال فيه كل ذي حق حقه .

و إشارة إلى ان الصلاة هي التي تخلق في الانسان عواطف ومشاعر تدعوه إلى الرحمة والعطف والاحسان ، فالزكاة ثمرة من ثمرات الصلاة . . والثمرة فرع من اصل هو الشجرة ، ففي الجمع بينهما إشارة إلى انهما من باب واحد ، في باب الايمان والاحسان .

و ان الاية الكريمة والتالية لها قرينة على أن الزكاة كانت مفروضة على المؤمنين و معينة المقدار ، و فرض الزكاة في عهد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم المكي مما تضمنت تقريره آيات عديدة في كثير من السور المكية كسورة المؤمنون والاعلى والروم . . . و هذا بناء على أن يكون المراد بقوله تعالى : «حق معلوم» الزكاة المفروضة وأما بناء على أنه سواها فهو الانسب بالسياق والمؤيد بالروايات الآتية و ذلك لان الزكاة المفروضة لا تختص بالسائل والمحروم و لا انها واجبة

على كل من سوى السائل والمحروم و ان الاية الكريمة تفرض فرض حق معلوم للسائل والمحروم وغيرهما تعلقت بماله الزكاة ام لافهذا من صفات المتقين كما في قوله تعالى : « ان المتقين فى جنات وعيون ـ وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » الذاريات : ١٥ ـ ١٩) .

٢٥ - (للسائل والمحروم)

فى الاية دلالة على مالكية السائل والمحروم لحقهما فى الاموال بناء على أن اللام للملك بمعنى الاختصاص فى التصرف بعنوانى الحاجة و الحرمان لا ذوات شخصية .

٢٦ - (والذين يصدقون بيوم الدين)

نعت ثالث للمصلين، وفى التعبير بفعل المضارع «يصدقون» من باب التفعيل دلالة على الاستمرار فهو المراقبة الدائمة بكثرة ذكر الله تعالى عند كل عمل يواجهونه فيأتون بما يريده و يتركون ما يكرهه ، والمراد بيوم الدين يوم القيامة سمى بذلك لانه يوم الدينونة ويوم الحساب حيث يدان الانسان ويجازى بما عمل .

٢٧ - (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون)

وصف رابع لهم بانهم اتخذوا الله جل وعلا رباً يملكهم ويدبر أمرهم، وهذا هو الذى جعلهم خائفين من العذاب ، و راجين من عناية الرب بهم .

وفى الاشفاق ايماء إلى أن الخوف من العذاب هو القوة العاملة فى توجيه الانسان إلى الخير ، و تجنبه عن الشر أكثر من الطمع فى الجنة والرغبة فى نعيمها ، فان الاشفاق : عناية مختلطة بخوف ، فاذا عدى بـ «من» فمعنى الخوف فيه أظهر و اذا عدى بـ «فى» فمعنى العناية فيه أظهر ، و من طبيعة الانسان انه يحرص على أن يتوقى الشر ، ويعمل له حساباً أكثر من حرصه على تحصيل الخير والجد فيه . . ومن هنا كان من المبادىء العامة فى الشريعة الاسلامية : « أن دفع

المضار مقدم على جلب المنافع » فان دفع الضرر هو في الوقت نفسه جلب لمنفعة هي السلامة من هذا الضرر والعافية من بلائه . . فدفع المضار مقترن دائماً بجلب المصالح والمنافع . . . على خلاف مايكون من جلب المنافع فانه قد تجلب المنفعة، ولايكون معها دفع مضرة . . مثل جلب المال إلى المال بعد سدّ حاجة الانسان ، فان تحصيل المال لدفع الحاجة هو دفع لضرر وجلب لمصلحة معاً، ولكن كسب المال لغير سدّ الحاجة هو جلب لمنفعة لا يصحبه دفع ضرر و شتان بينهما . .

و لايخفى ان في تكرار الموصول «الذين» ايذاناً باستقلال كل واحدة من تلك النعوت بفضيلة باهرة على حيالها ، و تنزيلاً لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها .

٢٨ - (ان عذاب ربهم غير مأمون)

اعتراض في موضع تعليل لاشفاقهم من عذاب ربهم مؤذن بانه لاينبغي لاحد أن يأمن عذابه تعالى ، و إن بالغ في الطاعة ، فان الامور بخواتيمها ، والخاتمة غير مقطوع بها .

٢٩ - (والذين هم لفروجهم حافظون)

وصف خامس لهم بالعفة ، وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم ، وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها و بذلك يتحقق كمال العفة ، و حفظ الفروج كناية عن الاجتناب عن الموافعة المحرمة سواء كانت زنا أم لواطاً أو باتيان البهائم و غير ذلك ، واللام في «لفروجهم» للتقوية والمعنى: انهم حافظون فروجهم ولا يرسلونها على غير ما جوّزه التشريع .

٣٠ - (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين)

استثناء من حفظ الفروج ،والازواج في «أزواجهم» يعم الدائمات والمنقطعات وقوله تعالى: « أو ماملكت أيمانهم » يعم ملك اليمين عيناً او منفعة كالامة الموهوب وطئها مع شروطها ، وقوله تعالى: « فانهم غير ملومين » تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن أى فانهم غير ملومين على عدم حفظ فروجهم منهن .

و في تقديم الحرائر على السراري تشريف و تعظيم لهن و لولدهن ، وفي كلمة «على» دلالة على استعلاء الحافظ على المحفوظ عليه لانه متفضل عليه به أي لا يضبطونها على أزواجهم و إمائهم .

وفي الاية بيان لاباحة إستمتاع مالك الاماء بامائه استفراشاً بدون قيدوعقد و لا يخفى : ان الدّين الاسلامي لايعتبر رقيقاً الاّ من كان رقيقاً قبل الاسلام او تولد منه أو من استرقه المسلمون في اسرى الحرب أو من الاعداء غير المسلمين أو تولد منهم ، و لا يبيح إسترقاق المسلمين أبداً بل و لا غير المسلمين إذا لم يكونوا أعداء المحاربين ، وانما العدو المحارب هو المعتدي على المسلمين من غير المسلمين فاستفراش النساء بصفة ملك اليمين اذا لم يكن رقهم في نطاق هذه الحدود ليس من الشرع الاسلامي في شيء .

٣١ - (فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون)

تفريع على ما تقدم من الاستثناء والمستثنى منه أي إذا كان مقتضى الصلاة التامة الصادقة حفظ الفروج مطلقا إلاّ عن طائفتين من النساء وهما : الازواج و ملك اليمين فمن مسّ غير الطائفين فاولئك هم المتجاوزون عن الحد الذي حدّه الله جل وعلا لهم .

وفيه بيان امور ثلاثة: أحدها ـ ان من لم يحفظ فرجه لم يكن من المصلين حقيقة و إن صلّى ظاهراً . ثانيها ـ انه من الملومين البعداء عن العناية الالهية والكرامة . ثالثها ـ انه من العادين الذين يلاقون تبعة المجاوزة عن حدود الله تعالى

٣٢ـ (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون)

نعت سادس للمصلين بحفظ الامانات من أن تخان و برعاية العهد من أن ينقض ، فمن حق الصلاة أن تدعوا المصلي إلى ذلك إذ فيها حقيقة السكون والاستقرار والاطمئنان قال الله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد :٢٨) فاذا ائتمن المصلي بأمانة أودعها أحد عنده أوعاهده بعهد فلا يتزلزل بخيانتها أو

بنقضه .

في جمع الامانة « لاماناتهم » وإفراد العهد « عهدهم » دلالة على كثرة وقوع الامانة وقلة العهد ، أو على أقسام الامانات الدائرة بين الناس وإرادة مطلق التكليف المتوجه إلى المؤمن بالعهد فيجمع التكاليف كلها عهد واحد بايمان واحد .

٣٣- (والذين هم بشهاداتهم قائمون)

صفة سابعة لهم ، و في جمع الشهادة : « بشهاداتهم » دلالة على اختلاف الشهادات و كثرة أنواعها ، وفي التعبير عن أداء الشهادة على ماتحملها منها على وجهها كماتحمل من غير كتمان ولاتغيير بلفظ القيام بها إشارة إلى أن الذي يؤديها لابدله من أن يقيمها على ميزان العدل .

قيل : في تخصيص الشهادات بالذكر - مع كونها من جملة الامانات - تنبيه على فضلها لان في إقامتها احياء للحقوق ، وفي تركها تضييع لها .

٣٤- (والذين هم على صلاتهم يحافظون)

نعت ثامن لهم ، قيل : تشير إلى أبواب ثمانية للجنة ، وفي تكرير الصلاة و توصيفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين - الدوام والمحافظة - دلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وانها : إن قبلت قبل ما سواها وان ردت ردّ ماسواها .

وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات ايذان بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة ، حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ، ولايجعل شيء منها تتمة للآخر وإن كان الموصوف جامعاً لها .

وفي إفراد الصلاة : « صلاتهم » دلالة على أن الصلوات المفروضة بمنزلة الصلاة الواحدة فهم يراقبونها على أن لايفوتهم شيء منها . وفي ايثار الفعل والاستقبال: « يحافظون » لما في الصلاة من التجدد والتكرر ، وليس معنى المحافظة والمواظبة عليها دوامها ، ومن ثم فصّل بينهما بنعوت ستة ايذاناً بان كلاً منهما فضيلة مستقلة

على حيالها وان كان لابد للمصلى منهما ، فلوقرن بينهما فى الذكر لتوهم انهما فضيلة واحدة .

قيل : ان الدوام متعلق بنفس الصلاة ، والمحافظة متعلق بكيفيتها ، فلا تكرار فى ذكر المحافظة عليها بعد ذكر الدوام عليها ، و فى إتيان ضمير الفصل : « هم » فى النعوت الستة تأكيد للحكم وإشعار بالحصر والاختصاص بأن المصلين الصادقين هم الذين يتصفون بتلك النعوت . . .

٣٥- (اولئك فى جنات مكرمون)

وعد جميل وبشرى للمصلين الذين اتصفوا بتلك الصفات الثمانية و«اولئك» إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات، ومعنى البعد فيها مع قرب العهد بالمشار اليهم ايذان بعلو شأنهم، وبعد منزلتهم فى الفضل والشرف ،وتفخيم لشأنهم، وإحضار لهم بأوصافهم الحميدة ، وامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليه حساً .

٣٦- (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين)

سؤال إنكارى وتنديد عما يريده ،الكفار من إسراعهم نحو النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والتفافهم حوله صلى الله عليه وآله وسلم .

٣٧- (عن اليمين وعن الشمال عزين)

بيان لحال الكفار ، ووقوفهم جماعات جماعات حلقاً حلقاً عن يمين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وشماله على حين ينظرون إليه فى بعض مواقف وعظه وارشاده و تلاوته للقرآن وشغله بعبادة الله جل وعلا نظر الهازىء المنكر مادين بأعناقهم إليه وقوف الساخر الجاحد .

٣٨- (أيطمع كل امرىء منهم ان يدخل جنة نعيم)

إستفهام إنكارى وتنديد بهم ، وفى قوله تعالى : « أن يدخل » مبنياً للمفعول من باب الافعال إشارة إلى أن دخولهم الجنة ليس منوطاً باختيارهم ومشيتهم بل

لوكان فانماهو إلى الله تعالى وقد حرّمها عليهم اذقال : « من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة وماواه النار » المائدة : ٧٢)

وقال : « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين » الاعراف : ٤٠)

٣٩- (كلا انا خلقناهم مما يعلمون)

ردع للكافرين عن ذلك الطمع الفاسد الفارغ ونفى جازم لذلك ، وتهكم بهم، وتنبيه إلى تناقضهم فى كلامهم ، فان الاستهزاء بالساعة والحساب والجزاء فيها ، ودخول الجنة مما لا يقبله العقل السليم والرأى القويم .

وذلك من وجهين : أحدهما - انهم ينكرون البعث فمن أين لهم هذا الطمع ثانيهما - انهم لم يعدّوا للجنة زاداً من الايمان وصالح الاعمال فكيف يطمعون أن يدخلوها .

و قوله تعالى : « انا خلقناهم مما يعلمون » رد عليهم أيضاً من وجهين : أحدهما - ان من علم ان أوله نطفة لم ينكر البعث . ثانيهما - من علم ان أوله نطفة مذرة كسائر بنى آدم لم يدع التقدم والشرف بلا توسل من الايمان وصالح العمل .

٤٠- (فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون)

قسم وتقرير يتضمنان معنى الانذار، بان الله تعالى هو الذى خلقهم مما يعرفون قادر على إهلاكهم متى شاء و إستبدالهم بخير منهم ، و ليس هو عاجزاً عنه ، ولن يستطيعوا الافلات منه .

وقوله تعالى : « فلا اقسم » إلتفات من التكلم مع الغير إلى التكلم وحده لتأكيد القسم باسناده إلى الله تعالى نفسه وحده .

وقوله تعالى : « برب المشارق والمغارب » إلتفات من التكلم وحده إلى الغيبة إشارة إلى صفة من صفاته تعالى التى هى المبدأ فى خلق الناس وجعلهم فى

مسير الكمال . وايجاد الاسباب التى يكمل باستعمالها الانسان جيلاً بعد جيل وهى صفة الربوبية ، وإضافتها إلى « المشارق والمغارب » لما فيها دخل تام فى تكوّن الانسان جيلا بعد جيل وسائر الحوادث الارضية المقارنة له .

وإفراد المشرق والمغرب تارة وتثنيتهما تارة اخرى وجمعهما ثالثة باختلاف الاعتبارات، فحيث افردا فباعتبار الجهة، وحيث ثنيا فباعتبار مشرق الصيف والشتاء و مغربهما ، وحيث جمعا فباعتبار تعدد المطالع و المغارب فى كل يوم بل كل دقيقة وثانية .

وقوله تعالى ، « انا لقادرون » إلتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير للاشارة إلى العظمة التى تناسب ذكر القدرة ، و من مظاهر القدرة الالهيّة : المشارق والمغارب ...

٤١- (أن نبدل خيراً منهم ومانحن بمسبوقين)

تهديد و وعيد شديد على الكافرين ، و فى ايثار الفعل ، الضمير بالتكلم مع الغير تعظيم ، وفى حذف المفعول الاول لفعل التبديل إشارة إلى هوان أمرهم ، و عدم الاهتمام بهم ، والسبق كناية عن الغلبة أو العجز .

٤٢- (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون)

تفريع على ما سبق من اهطاعهم و عزوتهم وطمعهم الفاسد ، و أمر للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بعدم اغتمامه بموقفهم وايكال أمرهم من العناد والضلال والكفر بالله وبأن لا يعبأ بهم وأن يدعهم فى خوضهم ولهوهم إلى أن يلقوا اليوم الذى يوعدون وينالهم العذاب المعد لهم فيه ، وفيه تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم عما يفعلون ، وتهديد كنائى بشمول العذاب بهم وحالهم هذه .

وفى تسمية ماهم عليه بالخوض واللعب دلالة على أنهم لا ينتفعون به انتفاعاً حقيقياً على مالهم فيه من الامعان والاصرار كاللعب الذى لا نفع فيه وراء الخيال

فليتر كواحتى يلاقوا اليوم الذى يوعدون وهويوم القيامة .

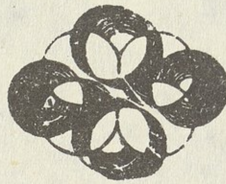
وفى إضافة اليوم إليهم إشارة إلى نوع إختصاص له بهم وهو الاختصاص بعذابهم

٤٣ـ (يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم الى نصب يوفضون)

بيان لكيفية بعث الكافرين وخروجهم من قبورهم يوم القيامة وأحوالهم فيه

٤٤ـ (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون)

بيان لحالين من أحوال الكافرين بعد خروجهم من قبورهم ، وسوقهم إلى الموقف من خشوع الابصار ورهق الذلة و « ذلك » إلى كيفية بعثهم وخروجهم من القبور مسرعين وإلى الحالين بعد خروجهم ، وفى الختام من الانذار والوعيد الشديد مالايخفى .



﴿ الاعجاز ﴾

ونحن نشير فى هذه السورة إلى وجوه من إعجازها تشهد على أن النظم الذى جاء عليه القرآن الكريم شهادة قاطعة لا تقبل المراء والريبة بان هذا القرآن ليس من تلقاء نفس النبى ﷺ ولا تقول على الله تعالى بعض الاقاويل ولا هو بقول شاعر ولا كاهن لا من حيث انه نظم معجز فحسب ، بل لان الطبيعة البشرية لأى انسان مهما بلغ من التمام والكمال البشرى. هذه الطبيعة لا تتسع لان تتعلم غاية العلم والحكمة ثم ان تصوغهما فى هذا الاسلوب المبتدع المعجز ثم أن تستنبتها فى الحياة وتملأ بهما مشارق الارض ومغاربها . . . ان ذلك لا يكون لأى إنسان أبداً . . أما الذى يمكن أن يكون فهو ما كان فعلاً ، وهو أن كان القرآن من الله تعالى وكانت الدعوة بالقرآن الكريم من رسول الله ﷺ .

ومن الوجوه : روعة النظم فيها إذ بدئت بجمل متعددة غير متعاطفة فيجعل منها كيانا واحداً دون أن يكون بينها واسطة تصل اولاها باخراها . . « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج » وهذه أربع جمل من غير عطف يعطف بعضها على بعض ، ويضم بعضها إلى بعض ومع ذلك فهى كما ترى من التلاحم والتناسق . . كأنها جملة واحدة بل كأنها كلمة واحدة .

وفى هذا النظم ما يعتمد على تجاذب الكلمات وتعانق الايات . ويكون ذلك رباطها الذى يمسك بها ويشد بعضها إلى بعض فى وثاقة وإحكام ، و يجذب بعضها بعضاً فى شوق وعطف وحنان ! . .

ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الانيق، ونظمت هذا النظم السرّى من نكت ذوات جزالة ففى الاولى : « سأل سائل » و موضوع سئواله عن عذاب واقع ، والذين يقع بهم هذا العذاب هم الكافرون . . وهو عذاب لا يدفع لانه عذاب من الله . . ذى المعارج التى لا نهاية لمقامها وعلوها . .

وتدبر فى قوله تعالى : « بعذاب واقع للكافرين » ولم يقل : « بالكافرين » وهو ما يستدعيه لفظ « واقع » حيث يقال : وقع به الامر ، ولا يقال : وقع له ولكنه القرآن الكريم . . لا يجىء على سمت الكلام الذى ينظمه الناس . . فدخول « اللام » على الكافرين بدل « الباء » فيه فضل بيان ، وزيادة توكيد بان هذا العذاب انما هو مرصود ومعدّ لأجل الكافرين . . واذن فليس لهم محيص عنه . . لانه انما وجد من أجلهم . . ولو قيل : بعذاب واقع بالكافرين لكان من شأن هذا العذاب ألاّ يختص بالكافرين وحدهم بل بهم وبغيرهم، وربما افلتوا منه ونجوا ، اذ أن وجود العذاب فى هذه الحال لا يقتضى وجودهم فيه . . اذ لا صلة بينه وبينهم . .

ومن الوجوه : مافى الايات الكريمة :« يوم تكون السماء كالمهل - إلى - واذا مسّه الخير منوعا » ٨ - ٢١) من إثارة الهول والفزع فى صدور الكافرين ومن تصوير الانقلابات الهائلة المروّعة التى تقلب اوضاع هذا الوجود وكانت تضرب آذانهم ، فتضطرب لذلك القلوب و تهيج النفوس . . وهيهات أن يفرّ انسان من وجه هذا النذير المبين : انذار الهلاك والدمار، وانذار العذاب والنار . . . فما أن تكاد هذه الكلمات تطرق الآذان وتقرع الاسماع، وتذهب نفوسهم حسرة و تتقطع أنفاسهم ألماً حتى تنطبع فى كيان سامعها انطباعاً لتناغم كلماتها ، وتوازن آياتها وتقابل معانيها . . واذا هى على كل فم وفى كل بيت . . غناء وحداء ونشيداً . . وكانت تملأ الآفاق رعباً وفزعاً، فلا يتنفس الكافرون منها الاّ الرعب والفزع والهول فهل تظن مع هذا أن يقرّ لهم قرار ويهدأ بال ؟. و قد خرست الألسنة ، وخضعت الاعناق ، وانكفأت الرؤس، وهمد القوم همود الاموات وهنا يصدر عن ذى المعارج

هذا البلاغ المبين ، يؤذّن به محمد ﷺ في أسماع الدنيا ، فيظل هذا الصوت العلوى الكريم قائماً على الحياة آخذاً مداره فى فلك الزمن يطلع على الاجيال والامم . . صباحاً ومساء . . بنور الحق ، وبقول الحق ، ورسول الحق .

ولنا من وقفة فى قوله تعالى : « يود المجرم لويفتدى - إلى ثم ينجيه» لما فيه من الصورة المعجزة التى صورّها لمسارب النفوس و مجرى الخـواطر فى زحمة هذا المعترك الضنك الذى تبلغ فيه القلوب الحناجر . . صورة من صور الفرار من الخطر يتخفف فيها الانسان مما بين يديه من كل عزيز عليه غال عنده ولكنه محمول على هذا تحت وطأة البلاء المحيط به . . ولهذا فهو لا يلقى بكل مدخراته جملة واحدة ، وانما يخلى يده من بعض ويشدّ يده على بعض ، حتى اذا لم يجد فيما فعل ما يخفف عنه البلاء ألقى بكل ما معه جميعاً ، لعله يجد فى هذا طريقاً للافلات من يد هذا الخطر المطل عليه . . والفرار من الخطر ، وطلب النجاة من مواطن الهلاك غريزة مركوزة فى الكائن الحىّ يقوم عليها بقاؤه وحفظ نوعه . . وانه حين يفقد الكائن الحى فعالية هذه الغريزة ، يفقد الحياة فى اولى خطواته على طريقها : سواء فى ذلك الانسان أو الحيوان . . .

والانسان بما فيه من عقل وذكاء ، قد مكّن لهذه الغريزة فى كيانه ، وأقام منها حارساً يقظاً عليه ، ووضع بين يدى هذا الحارس أكثر من سلاح يدفع بـه أى خطر يقع أو يتوقع أن يقع .

فيرى المجرم يومئذ موقفاً رهيباً يساق المجرمـون والعصاة إلـى ساحة القصاص فينزلون إلى جهنم تتلظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر عن الايمان وتولى عن الطاعة . .

فاذاً تنخلع القلوب من هذا الهول ان كان هناك قلوب لم تذهب بها مطالع الاهوال ولم تفتتها الآلام والحسرات . . انها حال لا يمكن أن تتصورها العقول ولا أن يحيط بها وصف لانها مما لن يقع الا فى هذا اليوم . هناك صراخ وعويل وزفرات

وأنين ولهفات وحسرات يختلط بعضها ببعض ، فتملأ أسماع العالمين بهذه المناحة المروّعة التى تزيد فى الآلام وتضاعف من العذاب وأين المفر ؟ لا مفرّ من النار الا إلى النار ، ولا مفزع من البلاء إلا إلى البلاء الأشد !

ومع هذا اليأس القاتل ، فان قسوة العذاب ، وشدة البلاء ، تحمل المجرمين على أن يفزعوا إلى أىّ مفزع ، و يتجهوا إلى أى متجه . . إنها محاولات لا بد منها وحركات تجرى فى النفس ، ولا تتخذ لها طريقاً عملياً ، حيث اليأس المطلق ، الذى لا يلوح فى سما المتجهمة بصيص من أمل ولا أثر لرجاء . .

ان الانسان هنا فى فم الهلاك ، وفى دائرة العذاب المطبق عليه . . وان لذعة العذاب لتخرج الانسان عن نفسه ، وتجعل اعضاءه ـ فى متدافع هذا العذاب ـ يرمى بعضها بعضاً ، ويتقى بعضها ببعض . . انه لا شىء يحرص عليه الانسان هنا . . ان أقرب شىء إليه ، وأعزّه إلى نفسه ليقدمه فى غير وعى ليدفع به هذا العذاب الذى يأكله كما تأكل النار الحطب ! انه لا يملك غير نفسه ، وقد احتواها العذاب ! فهل يحرص بعد هذا على شىء ؟ .

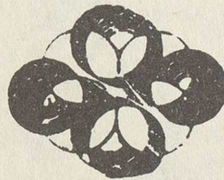
انه يود أن لو كان بين يديه أبناءه . . إذن لاتقى بهم هذا العذاب ، ولجعلهم دريئة له ، يتلقون عنه ألسنة اللهب ، ووهج السعير . . ولكنه اذ يرمى بأبنائه فى جهنم ثم لا يجد فيهم غناء يمدّ يده إلى من هم أبعد اليه منهم . . انها صاحبته وهى زوجة وصاحبة معاً قد سكن اليها ، وتعلق قلبه بها ، وليست مجرد زوجة ! ثم ماذا ؟ انها لم تغن عنه شيئا . . وها هو ذا يمد يده إلى من هم أبعد من بنيه و صاحبته . . إلى أخيه . . ثم إلى أهله و عشيرته . . ثم إلى كل من تطول له يده من قريب أو بعيد . . ثم لا يزال هكذا حتى يأتى على كل ما فى الارض من أنفس ومتاع . . .

ان هذا الترتيب المتتابع فى تقديم ضحايا الفداء لا يمكن أن يقع على هذا الوجه الا بحساب دقيق محكم لاتجاهات النفس والا بتقدير واقعى لارتباطها الشعورى بكل ضحية يضحّى بها فى هذا المقام .

ان هذه الدقة البالغةغاية الاحكام ، فى تصوير الحقائق ، وانتزاعها من أغوار النفس ، ومسارب الفكر لاتكون فى غير القرآن الكريم ولاتجىء الا من تلقائه حيث القدرة المعجزة والبيان المفحم . . ولو ذهب كاتب او شاعر يصور هذه الاحوال لما أمكن أن يقارب هذا التصوير القرآنى ولاأن يقع فى ظلاله . . وهب شاعراً أو كاتباً وقع فى نفسه هذا الترتيب ، أفتظن انه كان يستطيع أن يجد له هذا البيان الواضح السمح الذى يتدفق تدفق النور من وجه الصباح الوليد ؟ ثم أكان يفرّق فى هذا المقام بين زوجة وزوجة بهذه اللفظة المعجزة : « صاحبته » التى تضمن لهذا الترتيب بين أهل الانسان وعشيرته الصدق والواقعية ؟

ومن الوجوه : مافى قوله تعالى : « فلااقسم برب المشارق والمغارب » :

٤٠) من الدلالة على تعدد مطالع الشمس ومغاربها ، والاشارة إلى كروية الارض فان طلوع الشمس على أى جزء من أجزاء الكرة الارضية يلازم غروبها عن جزء آخر ، فيكون تعدد المشارق والمغارب واضحاً لاتكلف ولاتعسف فيه ، ففيه أسرار من الاسرار التى أخبر بها القرآن الكريم لاسبيل إلى العلم بها فى بدء الاسلام إلاّ من ناحية الوحى الالهى .



﴿التكرار﴾

و نحن نشير فى المقام إلى صيغ سبع لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ الصيغ التى جاءت فى هذه السورة و فى غيرها من السور القرآنية :

١ ـ جاءت كلمة (العرج) بصيغها فى القرآن الكريم نحو : تسع مرات :

١ـ٢ المعارج : ٣و٤) ٣ـ السجدة : ٥) ٤ ـ سباء : ٢) ٥ـ الحديد : ٤).

٦ـ الحجر : ١٤) ٧ ـ النور : ٦١) ٨ـ الفتح : ١٧) ٩ـ الزخرف : ٣٣) .

٢ـ « « (الحميم) « « « : ٢١ مرة :

٣ـ « « (الشوى) « « « : مرتين :

١ـ المعارج : ١٦) ٢ ـ الكهف : ٢٩) .

٤ـ « « (الهلع) « « « : مرة واحدة :

و هى فى سورة المعارج : ١٩) .

٥ ـ « « (الجزع) « « « : مرتين :

١ ـ المعارج : ٢٠) ٢ ـ ابراهيم : ٢١) .

٦ ـ « « (عزين) « « « : مرة واحدة :

و هى فى سورة المعارج : ٣٧) .

٧ ـ « « (الوفض) « « « مرة واحدة :

و هى فى سورة المعارج : ٤٣) .

قال الله تعالى في افتداء المجرم : « يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بنيه و صاحبته و أخيه و فصيلته التى تؤويه و من فى الارض جميعاً ثم ينجيه » المعارج : ١١ ـ ١٤) و فى الفرار : « يوم يفرّ المرء من أخيه و امه و ابيه و صاحبته و بنيه » عبس : ٣٤ ـ ٣٦) على العكس فى التقديم والتأخير .

و اختلفت كلمات المتعرضين لذلك في المقام من قال: و قد يبدو غريباً ـ فى ظاهر الامر ـ أن يقدّم الانسان أول ما يقدم للفداء والتضحية أعز شىء لديه ، و هم أبناؤه ، و قد كان المتوقع أن يضنّ بهم أو يجعلهم آخر سهم يرمى به فى وجه هذا الهلاك الذى يحتويه ! ! وهذا الحساب انما يجرى على هذا الوجه حين تكون الامور على ما الف الناس ، وحين يكون فى الامر شىء من السعة ، ولو كان بمقدار سمّ الخياط . . أما والعذاب هو عذاب جهنم ، فان المعايير تختلّ والموازين تضطرب . . ، وهل ينتظر من الانسان فى مزدحم هذا الهول أن يعرف ضوابط ومعايير؟ وهل يدع هذا العذاب لانسان سبيلاً للاختيار أو فرصة للموازنة؟

ان أقرب شىء للانسان فى هذا الموقف : هو درعة التى يتقى بها لفح العذاب ، و لو كان هذا الشىء عضواً من أعضائه ! ! و لكن انظر حين يكون فى الامر شىء من السعة ، و حين يكون الانسان خارجاً عن دائرة العذاب ، لم يقع فيه بعد ولم تغلق عليه أبواب جهنم ، انه هنا يملك شيئاً من الاختيار . . و لهذا فانه فى ابتداء منطلقه من وجه الخطر يتخفف من المهم فالاهم ، و يتخلى عن العزيز فالأعز . . . انه لا يقدم فدية و لكنه يحلّ نفسه من الروابط التى تربطه بالولد ، والصاحبة والاب والام والاخ تلك الروابط التى تجعل منه و من هؤلاء الاقربين كياناً واحداً أشبه بالجسد و أعضائه . . فهو إذ يحلّ عقد الروابط بينه و بين هذه الاعضاء ، يبدأ بأبعدها عنه ، فيحلها عقدة عقدة حتى ينتهى إلى أقرب عضو إليه ، و لا عضو أقرب منه بعد هذا إلاّ نفسه ذاتها . .

و شاهد هذا فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « يوم يفرّ المرء من أخيه

وامه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس:٣٤-٣٧).

فهنا حركة فرار من خطر داهم .. أو شر مقبل أو حيّة مهاجمة أو نار علقت بالدار والمتاع أو نحوهذا . . وهنا لايلتفت الانسان الا إلى نفسه لينجو بها ، فان راوده الامل ، و نازعته نفسه إلى حمل شيء معه كان نظره إلى أعز شيء عنده يحمله معه ، و يمنى نفسه بالنجاة به ، فان هو قد وجد فرصة النجاة ضيقة تخفف مما حمل، و رمى بالعزيز دون الاعز . . ثم اذا ضاقت الدائرة بحيث لا تتسع الا لنفسه رمى بكل شيء ، و طلب السلامة لنفسه والفرار بجلده .

وأما العطف بالواو في الآيتين فقالت علماء البلاغة : ان الواو لاتفيد ترتيباً وأنها لمطلق الجمع . . و ربما كان هذا حقاً . . و هو حق فعلاً ولكنه في مجال الكلام الذي يكال كيل التمر ، و لا يوزن وزن الدر والذهب . . أما حين يرتفع مستوى الكلام إلى أعلى منازل البلاغة ، ثم يجاوزها فيكون من كلام الله جل وعلا في كتابه الكريم ، فان الامر يختلف حيث يكون لكل حركة معنى و لكل وضع من النظم مقصداً لا يتحقق الا به .

فالواو في القرآن الكريم صالحة في أغلب الاحيان لافادة الترتيب و التعقيب، فتجعل للمتقدم وضعاً غير وضع المتأخر ، و مع إشتراكهما في الحكم فانهما على درجات في هذا الحكم و تلك خاصّة من خصائص البيان القرآني ، وسرٌ من أسراره لا يشاركه فيه غيره من شعر أو نثر . . و فرّقوا بين المتعاطفتين بالواو و جعلا لكل منهما مكاناً خاصاً من المشاركة في الحكم الذي اشتركا فيه . .

وإذن فهذا الترتيب الذي جاءت عليه الايات الكريمة في الموضعين السابقين هو ترتيب لازم ، و إن كانت الواو هي أداة العطف في هذا الترتيب ! ثم لعل سائلاً يسئل : إذا كان هذا الترتيب لازماً ، فلماذا لم يجيء العطف بالفاء ليكون ذلك أدلّ على المراد ، و أبلغ في بيان المطلوب ؟ .

فتجيب : ان العطف بالواو وحدها هو الذي يحقق هذه الصورة المجتمعة

المتفرقة فى آن واحد . . و ذلك لأن الواو لمطلق الجمع من جهة ، و للترتيب بين المتعاطفين من جهة اخرى ، ثم انه ليس بين متعاطفيها إمهال ملتزم ، كما يكون ذلك بين المتعاطفين بالفاء أو ثم .

فتضح آيات سورة المعارج هؤلاء الضحايا جميعاً على مذبح الفداء مرة واحدة ، ثم هى - مع هذا - تضعهم بهذا الترتيب فيما يشبه الزمن العدمى ! !

و تفرض آيات سورة عبس على المجرم الفار من وجه العذاب - أن يرمى بكل هؤلاء جميعاً دفعة واحدة كما يرمى بحصيات من يده مرة واحدة ولكن - و بتدبير معجز - تخرج تلك الحصيات من يده على هذا الترتيب الذى جاءت به الايات . . فهو يفرّ من أهله جملة واحدة لا يفصل بين أفرادها زمن و لكنها جملة مفصلة تمر فى أسرع من آنات الزمن ! و لو أن العطف وقع بالفاء أو ثم فى الموقفين لكان فى هذا الترتيب فواصل زمنية لازمة لا يحتملها الموقف و لا يحكيها واقع الحال !

هذه واحدة ، واخرى : ان الطبيعة البشرية فى مجموعها ، وإن كانت تجرى على هذا الترتيب الذى جاءت عليه الايات فى الموقفين فى مقام المفاضلة بين الاهل والولد : الابن ، فالصاحبة (الزوج) فالاب فالام ، فالاخوة فالاهل والعشيرة ! و لكن هناك حالات خاصة تقضى بأن يكون لبعض الناس موقف خاص من هذا الترتيب ، فيقدّم صنفاً على صنف لانحراف فى التفكير أو لفساد فى الطبيعة أو فتور فى العلاقة أو غير هذا مما يغيّر فى وضع العلاقة الطبيعة بين المرء وأقاربه ...

وانه لو جاء العطف بالفاء أو ثم لكان هذا الترتيب حكماً ملزماً للناس جميعاً أن يجروا عليه فى هذه المواقف ، و لكان هذا الحكم غير صادق كل الصدق و لوجد من الناس من ينقضه و يخرج عليه . . أما العطف بالواو فانه يتسع لقبول مثل هذه الحالات العارضة على الطبيعة البشرية ، حيث ان العطف بها لا يفيد هذا الترتيب الملزم . . فهى - أى الواو - تفيد الترتيب المطلق من جهة ، و بذلك

تحقق الحكم العام الذى يجرى عليه معظم الناس ثم هى من جهة اخرى ، لاتجعل هذا الترتيب أمراً ملزماً - لان الترتيب ليس من طبيعتها ولكنه شيء عارض فى مقام الاعجاز - وبذلك تتناول الاطراف المنحرفة من مجموع الانسانية ، وتجعل لها مدخلاً فى الحكم و مكاناً فى الصورة.

ان الله تعالى وصف المؤمنين فى سورة المؤمنون بما وصف المصلين فى سورة (المعارج) تنبيهاً على وحدة الموصوفين بتفاوت الزيادة والنقصان فى كلتيهما.

فقد بدء فى سورة (المؤمنون) بذكر الخشوع فى الصلاة تنبيهاً على أن لاجدوى لصلاة بدون الخشوع ، ثم ذكر صفات تعين على الخشوع من الاعراض عن اللغو ، و أداء الزكاة ، و حفظ الامانات كلها ، والوفاء بالعهد ، و من حفظ تلك الخلال حافظ على الصلوات كلها : وقتها وعددها ، فقال : « والذين هم على صلواتهم يحافظون » بصيغة الجمع.

و قد جاء فى سورة (المعارج) «دائمون» بدل «خاشعون» مع الاشارة إلى ما يزلزل به الايمان بقوله تعالى : « ان الانسان خلق هلوعاً ... » تنبيهاً على أن لا ينجو من تلك العلة الا من تمكنت الصلاة والخشوع من قلبه و دام عليها حتى دام له معنى الصلاة فيها ، و فى غيرها من الاوقات ذكراً لربه وصلة دائمة به. و زاد فيها قوله تعالى: « والذين هم بشهاداتهم قائمون » عقيب قوله : « لاماناتهم وعهدهم راعون » تنبيهاً على أن إقامة الشهادة أمانة لابد من أدائها إذا احتاج اليها صاحبها لاحياء حق فهى إذن من جملة الامانات ...

ثم ختمها بقوله تعالى : « والذين هم على صلاتهم يحافظون » بالافراد لتعم وقت الصلاة و غيره فكأن الصلوات المفروضة عنده صلاة واحدة و هو يسعى فى حفظها ومراقبتها أى يحافظون على معنى الصلاة فى قلوبهم فيها و فى غيرها من الاوقات و هو « المراقبة لله فى كل وقت ».

فمن اتصف بتلك الصفات فى السورتين فهو مؤمن مصل حقاً.

﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها - التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها - التناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى والثانية : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « الحاقة » فمنا سبتها لها نزولاً ومصحفاً فبامور : أحدها - لما جائت سورة « الحاقة » بقصة هلاك عاد و ثمود وفرعون وقومه ودمارهم في الحياة الدنيا ، وبما يؤل إليه أمرهم في الآخرة من العذاب والنار بسبب كفرهم و تكذيبهم و عصيانهم الرسول ، و ختمت بوعيد الكافرين إطلاقاً وكان لسائل أن يسئل : أيستمرّ هذا الهلاك والعذاب على القوم الكافرين في طوال الاعصار . . إفتتحت سورة « المعارج » بذكر هذا السؤال والجواب عنه بان الكفار : سواء كانوا من الامم السابقة أم من هذه الامة المسلمة في مآل أمرهم إلى العذاب والنار سواء بسواء ، وإن لم يكن الهلاك والدمار لهذه الامة كما كان للامم السالفة .

ثانيها - لما اشير في السورة السابقة إلى المؤمنين إجمالاً ونجاتهم من الهلاك والدمار في الحياة الدنيا ، ومن العذاب والنار في الاخرة جائت هذه السورة بذكر صفاتهم الثمان رداً على من يرى الايمان بالاطلاق إطلاقاً ، وتنبيهاً على من أراد الايمان واقعاً .

ثالثها ـ لما جاءت السورة السابقة بعدم إغناء المال والسلطان ، وإمساك الأغنياء و نفي الصديق إجمالاً جائت هذه السورة بذلك تفصيلاً مع الاشارة إلى تعليل الامساك .

رابعها ـ قيل: ان الله تعالى لما ختم سورة « الحاقة» بوعيد الكفار والمكذبين إفتتح هذه السورة بمثل ذلك فهذه كالتتمة لها في وصف القيامة و وعيد الكفار والمكذبين بالنار .

وأما الثالثة : فلما افتتحت السورة بسئوال سائل عن العذاب الموعود على الكافرين وصفته بوقوعه لامحالة من غير دافع له معللا بانه مرسل من السماوات السبع التي الله تعالى هو خالقها لا يمنعه مانع عما أراده ثم أشار إلى ارتفاع السماوات ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على وظيفته من غير إستعجال في وقوع العذاب مع التنبيه إلى اعتقاد المكذبين وما هو الواقع عند الله تعالى والاشارة إلى زمن الوقوع و سوء أحوالهم يومئذ لسوء إختيارهم في الحياة الدنيا .

ان الله تعالى لما أشار إلى ما طبع عليه الانسان يصير به مختاراً في شئون حياته وإلى طائفة خرجوا عن حد الاعتدال بسوء الاختيار ومآل أمرهم أخذ بذكر طائفة مقتصدة وصفاتهم وعاقبة أمرهم بقوله تعالى : « الا المصلين ـ الى ـ اولئك في جنات مكرمون » ثم أخذ بتهديد الكافرين و سوء فعالهم في الدنيا و وعيدهم بأسوإ الاحوال يوم القيامة .

«الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه»

فى تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبى : فى قوله تعالى : « فاصبر صبراً جميلاً » قال ابن زيد : هى منسوخة بآية السيف .

وفى تفسير الطبرى : قال إبن زيد فى قوله : « فاصبر صبراً جميلاً » قال : هذا حين كان يأمره بالعفو عنهم لايكافئهم ، فلما أمر بالجهاد والغلظة عليهم أمر بالشدة والقتل حتى يتركوا ونسخ هذا .

قال الطبرى : لا دلالة على صحة ما قال من بعض الاوجه التى تصح منها الدعاوى وليس فى أمر الله نبيه ﷺ فى الصبر الجميل على أذى المشركين ما يوجب أن يكون ذلك أمراً منه له به فى بعض الاحوال بل كان ذلك أمراً من الله له به فى كل الاحوال لانه لم يزل ﷺ من لدن بعثه الله إلى أن اخترمه فى أذى منهم وهو فى كل ذلك صابر على ما يلقى منهم من أذى قبل أن يأذن الله له بحربهم وبعد إذنه له بذلك .

وفى **الناسخ والمنسوخ** لابن العتائقى قال فى قوله تعالى : « فاصبر صبراً جميلاً » نسخته آية السيف .

اقول : ان الاية بصدد تصبير النبى الكريم ﷺ وإشارة إلى خلقه الكريم فأين هذا من النسخ ؟ !

وقد وقع الاختلاف فى نسخ قوله تعالى : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» المعارج:٢٤-٢٥) ولما سبق الكلام تفصيلاً فى سورة الذاريات

مايمس بالمقام فلم أجد للتكرار فائدة فراجع .

وقال بعضهم : ان قوله تعالى : « بـرب المشارق والمغـارب » من الايات المتشابهات اذقال تارة بصيغة الافرادفى « ولله المشرق والمغرب » البقرة:١١٥) وتارة اخرى بلفظ التثنية فى « رب المشرقين و رب المغربين » الرحمن : ١٧) وثالثة بصيغة الجمع كما فى هذه السورة ، فلانرى وجهاً للتلك الا أن نقول انها من المتشابهات . . .

أقول : ان الايات واضحة المعانى بما يأتى فى البحث الروائى عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام على أن المرادبالافراد هوالنوع ، وبالتثنية همامشرق الشتاء والصيف ومغرباهما ، وبالجمع تعدد المطالع والمغارب فى السنة .

وفى تفسير القرطبى : فى قوله تعالى : « فذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوايومهم الذى يوعدون» المعارج : ٤٢)قال : وهذه‌الاية منسوخة بآية‌السيف.

أقول : ان الاية الكريمة بصددالتهديدلاالترخيص ، وان التهديدتمهيد للسيف لامنسوخ به .

«تحقيق فى الاقوال»

١- (سأل سائل بعذاب واقع)

فى السائل أقوال: ١- عن إبن عباس و مجاهد: هو النضرب بن الحرث حيث قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» فنزل مسئوله فقتل يوم بدر هو وعتبة بن أبى معيط. وقيل: هو النضر بن الحارث العبدرى، وهو الذى إعترض على على عليه السلام فى تزويجه بفاطمة عليها السلام. وقيل: هو النضر بن الحارث بن كلدة.

٢- قيل: هو النعمان بن الحرث الفهرى حين بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى على عليه السلام يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلى مولاه» وقيل: هو الحرث بن النعمان، وقيل: هو الحارث بن النعمان الفهرى. وقيل: هو جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة.

٣- عن الربيع: هو أبو جهل. ٤- عن الحسن: هو قول جماعة من كفار قريش. ٥- قيل: هو قول نوح عليه السلام حيث طلب من الله تعالى عذاب قومه.

٦- عن الحسن أيضاً و قتادة و الجبائى: هو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استعجل بعذاب الكافرين إما فى الدنيا كيوم بدر، و إما فى الاخرة لقوله تعالى بعد ذلك: «فاصبر صبراً جميلاً» أى لاتشكو إلى أحد. ٧- قيل: هو بعض المشركين. ٨- قيل: هو بعض المنافقين. ٩- عن إبن زيد عن بعض: «سائل» اسم واد فى جهنم سمى به لانه يسيل بالعذاب.

أقول : وعلى الثانى روايات كثيرة أوردنا نبذة منها فى بحث النزول عن طريق العامة فراجع .

٣ - (من الله ذى المعارج)

فى « المعارج أقوال : ١ - عن إبن عباس و قتادة والجبائى : أى ذا العلم والعلو، والدرجات التى يصعد إليها الكلم الطيب و صالح العمل ، و ذا الفواضل التى ينال بها الانبياء والاولياء فى الاخرة ، و ذا النعم بحسب الارواح و مراتب الاستحقاق والاستعداد ، و ذا العظمة ، وذلك لان لأياديه و وجوه أنعامه تعالى مراتب ينال بها الناس على مراتب مختلفة . . .

٢ - عن مجاهد و ابن عباس أيضا : أى معارج السماء أى مواضع عروج الملائكة من سماء إلى سماء فالمعنى : ذى السموات التى تعرج فيها الملائكة .

٣ - قيل : أى ذى درجات عاليــة و مقامات الملكوت التى يعــرج إليها الملائكة عند رجوعهم إلى الله تعالى . ٤ - قيل : أى المصاعد وهى مراتب الترقى من مقام الطبائع إلى مقام المعادن بالاعتدال ثم إلى مقام النبات ثم إلى الحيوان ثم إلى الانسان لاعلى سبيل الانتقال والارتقاء كما توهم داروين و أذنابه الذين جعلهم أنفسهم من سلالة القرود فشأنهم و اياها .

٥- قيل: أى فى المعارج فى الانسانية من حيث كمالاته النفسانية و دنائتها و مدارجها العالية فى الايمان والتقوى و صالح العمل . ٦ - قيل : أى ذى النبوة والعصمة بالنسبة إلى الامة على إختلاف فضائلهم . ٧ - قيل : أى فى الانوثية والذكورية ، وتفضيل بعض على بعض كما قال: « فضلنا بعضهم على بعض» فالمعارج فى الرتب والفضائل والفواضل والصفات الحميدة . ٨ - قيل : المعارج : الغرف التى جعلها الله تعالى لاوليائه فى الجنة . ٩ - قيل : أى ذى مقامات القرب التى يعرج إليها المؤمنون بالايمان وصالح العمل لقوله تعالى: «هم درجات عندالله» آل عمران : ١٦٣) .

١٠ ـ قيل : المعارج هى الجنة لانها درجات . . . ١١ ـ قيل : هى مراتب أرواح الملكية المختلفة بالشدة و الضعف و بسببها يصل آثار فيض الله إلى العالم السفلى عادة أو غيرعادة ، فتلك الارواح كالمصاعد لمراتب الحاجات التى ترفع إليها و كالمنازل لآثار الرحمة من ذلك العالم إلينا . ١٢ ـ قيل : أى ذى الملائكة أى مالك الملائكة التى تعرج إلى السماء ومنه ليلة المعراج لانه عرج بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء فيها . ١٣ ـ أى معارج الرحمة و معارج العذاب يعرج خلقه فى أى منهما فى الدنيا والاخرة .

أقول : والثانى هو الانسب بظاهر السياق و عليه أكثر المفسرين .

٤ـ (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)

فى «الروح» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس : هو جبرئيل عليه السلام لقوله تعالى: « نزل به الروح الامين» الشعراء : ١٩٣) وخصه بالذكر من بين الملائكة تشريفاً له . ٢ـ قيل: اريد بالروح : مطلق الروح لقوله تعالى: « قل الروح من أمر ربى » الاسراء : ٨٥) .

٣ ـ قيل : اريد بالروح : أرواح الانبياء . ٤ ـ قيل : المراد بالروح : أرواح المؤمنين . ٥ ـ قيل : الروح : هو ملك آخر عظيم الخلقة . ٦ ـ عن أبى صالح : الروح هنا : خلق من خلق الله كهيئة الناس و ليس بالناس .

٧ـ قيل: انه روح الميت حين يقبض . ٨ـ قيل: الروح أعظم من الملائكة قدراً و هو أول درجة نزول الانوار من جلال الله و منه تتشعب إلى أرواح سائر الملائكة والبشر فى آخر درجات منازل الارواح و بين الطرفين معارج مراتب أرواح الملائكة و مدارج منازل الانوار القدسية و لا يعلم تفصيلها إلا الله .

أقول : والثانى هو الظاهر .

و فى قوله تعالى : «اليه» أقوال : ١ ـ قيل : أى إلى عرشه تعالى . ٢ ـ قيل : أى إلى مهبط أمره تعالى من السماء ، و هو الموضع الذى لا يجرى لاحد

سواه فيه حكم جعل سبحانه عروجهم إلى ذلك الموضع عروجاً إليه ، وهذا محلهم في السماء لانها محل برّه و كرامته . ٣ ـ قيل : أي إلى الموضع الذي أمرني به كقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « اني ذاهب إلى ربي » أي إلى الموضع الذي و عدني ربي . ٤ ـ قيل : أي إلى حكمه . ٥ ـ قيل : أي إلى مواضع العزة والكرامة ٦ـ قيل : أي إلى الله تعالى فان يوم القيامة يبرز الكل لله الواحد القهار : «وبرزوا لله جميعاً ـ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» ابراهيم : ٢١-٤٨) فيرجع الكل يومئذ إلى الله تعالى و تسقط الوسائط و تقطّع الاسباب ، و ترتفع الروابط بينها و بين مسبباتها . . .

أقول : والاخير هو المؤيد بالسورة التالية نزولاً وهي سورة النبأ فتدبر .

و في قوله تعالى : « في يـوم كان مقداره خمسين ألف سنـة » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس و مجاهد و وهب : أي منتهى أمره تعالى من أسفل الارضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف سنة في يوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك : حين ينزل الامر من السماء إلى الارض ، و من الارض إلى السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء والارض مقدار مسيرة خمسمأة عام ، و غلظ كل أرض خمسمأة عام وبين كل أرض خمسمأة عام فذلك سبعة آلاف عام و غلظ كل سماء خمسمأة عام ، وبين السماء إلى السماء خمسمأة عام ، فذلك أربعة عشر ألف عام ، و بين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة و ثلاثين ألف عام و ذلك قوله تعالى : « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »

فالمراد بذلك : مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، و هو قرار الارض السابعة ، و ذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، وهذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الارض السابعة ، و كذلك إتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة .

٢ ـ عن مجاهد و عكرمة و أبي مسلم : اريد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ

خلقها الله تعالى إلى قيام الساعة ، فعمرها خمسون ألف سنة حيث قال تعالى : « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم » اليوم : الدنيا ، و مقدارها خمسون ألف سنة لا يدرى أحد كم مضى ، ولا كم بقى إلا الله تعالى . فهذا هو مدة عمر الدنيا من أول ما خلقت إلى آخر ما بقى خمسون ألف سنة . ٣ ـ عن عكرمة : أى تعرج الملائكة والروح إلى الله تعالى في يوم يفرغ فيه من القضاء بين خلقه ، وكان قدر ذلك اليوم الذى فرغ فيه من القضاء بينهم قدر خمسين ألف سنة ، فهذا يوم القيامة.

و عن قتادة والجبائى : ان الله تعالى يفعل يوم القيامة من الامور و يقضى فيه من الاحكام بين العباد ما لو فعل في الدنيا لكان مقداره خمسين ألف سنة . و عن عكرمة و محمد بن كعب : اريد به يوم القيامة أى مقدار الحكم فيه لو تولاه مخلوق خمسون ألف سنة و ان الله تعالى يفرغ منه في ساعة . وعن الحسن: هو يوم القيامة و لكنه لانفاد له ، فالمراد ذكر موقفهم للحساب فهو فى خمسين ألف سنة من سنى الدنيا ثم حينئذ يستقر أهل الدارين .

٤ ـ قيل : أى تصعد تلك المعارج الملائكة و جبرئيل إلى مواضع في يوم واحد لو أراد واحد من أهل الدنيا أن يصعد إليها لطالت مدة الصعود كانت خمسين ألف سنة . ٥ ـ قيل : ليس المراد من ذكر الخمسين تحديد العدد ، بل المقصود ان المقام القدسى الالهى بعيد المدى عن مقام العباد لانهم في المادة مغموسون ، وهناك عوالم ألطف وألطف درجات بعضها فوق بعض ، و كل عالم ألطف مما قبله ، و كلما لطف العالم العلوى كان أشد قوة ، وهكذا إلى « و ان إلى ربك المنتهى » فاذا سئلوا إستعجال العذاب على سبيل الاستهزاء والتكذيب بالوحى و كان هذا يورث ضجرك أيها الرسول ﷺ . ٦ ـ عن وهب والكلبى ومحمد ابن اسحق : أى تصعد فى المعارج التى جعلها الله تعالى لهم أى عروج الملائكة والروح إلى المكان الذى هو محلهم فى وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين ألف سنة.

٧ ـ عن يمان : هذا يوم القيامة و فيه خمسون موطناً : كل موطن ألف

سنة . ٨ـ عن إبن عباس أيضاً و إبن زيد : هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدارخمسين ألف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار . ٩ ـ عن إبن عباس أيضاً : انه سئل عن هذه الاية فقال : أيام سماها الله عزوجل، و هو أعلم بها كيف تكون ، و أنا اكره أن أقول فيها مالا أعلم .

١٠ـ قيل : ذكر خمسين ألف سنة تمثيل ، وهو تعريف لطول مدة القيامة فى الموقف ، ومايلقى الناس فيه من الشدائد ، وان العرب تصف أيام الشدة بالطول وأيام الفرج بالقصر ، فهذه المدة على سبيل التقدير لاعلى سبيل التحقيق والمعنى: انه لواشتغل بذلك القضاء والحكومة أعقل الناس وأدهاهم لبقى فيه خمسون ألف سنة ثم انه تعالى يتمم ذلك القضاء والحكومة فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا .

١١ـ عن وهب أيضاً : أى تعرج الملائكة إلى مواضع لوأراد أحد من أهل الدنيا أن يصعد إليها لبقى فى ذلك الصعود خمسين ألف سنة ثم انهم يصعدون إليها فى ساعة واحدة .

١٢ـ عن الزجاج : فى الكلام تقديم و تاخير والمعنى : سئل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له من الله دافع فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح فيه . ١٣ ـ قيل : ان العذاب الذى سئله السائل يكون مقدراً بهذه المدة ثم ينقله الله تعالى إلى نوع آخر من العذاب .

١٤ـ قيل : أى ان أول نزول الملائكة فى الدنيا و أمره و نهيه و قضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء وهو يوم القيامة هذه المدة ، فيكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة لايدرى كم مضى و كم بقى .

١٥ ـ قيل أى مقدار يوم القيامة خمسون ألف سنة بحيث لووقع فى الدنياو انطبق على الزمان الجارى فيها كان مقداره من الزمان خمسين ألف سنة من سنى الدنيا .

اقول : والسابع هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر . من غير تناف بينه و

بين بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً .

٨ـ (يوم تكون السماء كالمهل)

فى «كالمهل» أقوال: ١ـ عن إبن عباس ومجاهد : المهل : دردى الزيت و عكره وخثارة الزيت وخبيثه بعد غليانه . ٢ـ عن ابن مسعود والحسن وأبى مسلم: المهل : ما اذيب من الرصاص والنحاس والفضة والصفر وغيرها من المعدنيات . .

٣ـ عن مجاهد أيضاً : أى كقيح من دم وصديد.

٤ـ عن قتادة : أى تتحوّل السماء يومئذ لوناً آخر إلى الحمرة ٥ـ عن عطاء: أى كعكر القطران والعكر ـ محركة ـ : الدرى من كل شىء و هوما يبقى راسباً فى أسفله من الكدر .

اقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين .

٩ـ (وتكون الجبال كالعهن)

فى «كالعهن» أقوال : ١ـ عن مجاهد وقتادة : أى كالصوف المصبوغ ٢ـ عن مقاتل : أى كالصوف المنفوش . ٣ـ عن الحسن : أى كالصوف الاحمر و هو أضعف الصوف ، وقال : ان الجبال تلين بعد الشدة وتتفرّق بعد الاجتماع ، وتصير أولاً كثيباً رملاً مهيلاً ، ثم تصير عهناً منفوشاً ثم هباء منثوراً .

٤ـ قيل : أى كالصوف ذى الالوان فشبه الجبال به فى تلوّنها ألواناً لقوله تعالى : «ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيت سود» الفاطر : ٢٧)

٥ـ قيل : أى كالصوف فى الخفة والطيران بالريح .

اقول : ان العهن هنا مطلق ولكنه مقيّد بما فى قوله تعالى : «و تكون الجبال كالعهن المنفوش» القارعة : ٥)

١٠ـ (ولا يسئل حميم حميماً)

فى الاية أقوال : ١ـ عن مجاهد وقتادة : أى لا يسئل صديق صديقه عن شأنه لشغل كل إنسان بنفسه . ٢ـ قيل :أى لا يسئل حميم عن حميمه ، ولا ذوقرابة عن

قرابته لينعرف شأن من جهته كما يتعرّف خبر الصديق من جانب صديقه ،بل كل انسان يسئل عن عمله كقوله تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » المدثر:٣٨)

٣- عن الفراء : اى لا يقال لحميم : أين حميمك ؟ ٤ - عن الحسن : أى لا يسئل حميم حميماً أن يتحمّل عنه من أوزاره ليأسه منه فى الاخرة . ٥- عن الاخفش : الحميم من يخصّه الرجل مودة وشفقة من قريب الرحم و بعيده، فالحامة بمعنى الخاصة .

٦- قيل : أى لا يحتاج إلى سؤاله لانه يكون لكل علامة يعرف بها فعلامة الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون ، و علامة المؤمنين نضارة الكون و بياض الوجوه . . .

أقول : والثانى هو الانسب بمعناه اللغوى وقريب منه الاول .

١١- (يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه)

فى « يبصرونهم » أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة : يتعارف الاحماء بعضهم بعضا ساعة ثم لا يتعارفون بعد تلك الساعة ، وان أهل القيامة يفرّون من المعارف مخافة المظالم ، فالضمير ان للاحماء المعلوم من السياق .

٢- قيل : أى يرونهم وليس يوم القيامة مخلوق الاّ و هو نصب عين صاحبه من الجن والانس ، فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته وعشيرته ولا يسئله ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم . ٣- عن ابن عباس أيضاً : أى يبصر بعضهم بعضاً فيتعارفون ثم يفرّ بعضهم من بعض ، فالضمير فى « يبصرونهم » راجع إلى هؤلاء الكفار، و الهاء والميم للاقرباء .

٤ - عن مجاهد : يبصر الله المؤمنين الكفار يوم القيامة ، فيشتمونهم و يوبخونهم و يعيرونهم على الكفر والفساد فى الحياة الدنيا، فالضمير فى « يبصرونهم» للمؤمنين والهاء والميم للكفار .

٥- عن إبن زيد : أى يبصر الله الكفار فى النار الذين أضلوهم فى الدنيا، فيعرف

أتباع الضلالة رؤسائهم ، فالضمير في « يبصرونهم » للتابعين ، والهاء والميم للمتبوعين ٦ـ قيل : ان الله تعالى يبصّر المظلوم ظالمه ، والمقتول قاتله . . .

٧ـ عن قتادة : ان الله تعالى يعرّف قوماً قوماً واناساً اناساً فيعرفونهم و يعلمون . ٨ـ قيل : أي يعرف الملائكة أحوال الناس ، فيسوقون كل فريق إلى ما يليق بهم : فريق إلى الجنة وفريق إلى النار .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

١٣ـ (وفصيلته التى تؤويه)

في الفصيلة أقوال : ١ـ عن مجاهد وإبن زيد : عشيرته وقبيلته التي تنصره . ٢ـ عن مالك : أي امّه التي تربّيه . ٣ـ عن أبي عبيدة : الفصيلة دون القبيلة ، و قال المبرد : الفصيلة : القطعة من أعضاء الجسد ، وهي دون القبيلة ، وسميت عترة الرجل فصيلته تشبيهاً بالبعض منه . ٤ـ عن ثعلب : هم آباؤه الادنون .

أقول : والتعميم غير بعيد فالاقوال من المصاديق . . .

١٦ـ (نزاعة للشوى)

في الاية أقوال : ١ـ عن إبن عباس : أي تنزع نار جهنم الموقدة أم رأس الكفار والمجرمين . ٢ـ قيل : أي تنزع اللحم دون العظم . ٣ـ عن أبي صالح و زيد : أي تنزع لحم الساقين والآراب العظام ذاك الشوى . ٤ـ عن إبن عباس أيضاً والحسن : أي تنزع الجلود والهام والقوائم ، وقال الحسن : للهام تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده نضيجا .

٥ـ قيل : أي تقطع عظامهم ثم يجدد خلقها وتبدل الجلود كما ترى . ٦ـ عن مجاهد : أي تنزع جلود الرأس نزعاً فتقلعها ثم تعاد . ٧ ـ عن أبي صالح أيضاً : أي تنزع الاطراف كاليد والرجل و كل ماليس مقتلا لكيلا يقتل .

٨ـ عن مقاتل : أي لاتترك لحماً ولاجلداً الا أحرقته . ٩ـ عن الحسن أيضاً وأبي العالية : أي تنزع لمكارم وجه المجرم ومحاسنه . ١٠ـ عن قتادة : أي تنزع

لمكارم خلقته وأطرافه . ١١- عن الضحاك : أى تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لاتترك منه شيئاً . ١٢- عن الكسائى: أى تنزع المفاصل . ١٣- عن سعيد بن جبير: الشوى : العصب والعقب و لحم الساقين واليدين تنزعها نزعاً فتلكها ثم يعيدها الله تعالى . ١٤- عن الكلبى : أى تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان .

أقول : وعلى الرابع أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

١٧- (تدعوا من ادبروتولى)

فى « تدعوا » أقوال : ١- عن إبن عباس والجبائى : أى تدعوا نار جهنم الكفار والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح إذيجوز أن يخلق الله تعالى فيها كلاماً كما يخلقه فى جلودهم وأيديهم وأرجلهم ، فتقول لهم : ياكافة الكفار والمنافقين! تعالوا إلىّ بما قدمتموه من الكفر وفساد الاعمال ، فاسكنوا فىّ . فتلتقطهم النار كما يلتقط الطير الحب . وقيل : أى تدعوهم لظى و تقول لهم : إلىّ إلىّ ياكافر يا مجرم يا منافق ، فتدعوهم إلى صليّها . ٢ - عن قتادة : هذا ضرب مثل كأنها تدعوهم ، فتحضرهم بلسان الحال . و ذلك لما كان مرجع كل كفرة إلى دركة من دركات جهنم كأنها تدعوهم إلى أنفسها و هى الداعية لهم فان مصيرهم إليها لامحالة . كما قيل : سل الارض : من شق أنهارك وغرس أشجارك ؟ فان لم تجبك جؤاراً أجابتك إعتباراً.

٣- قيل: أى تدعوهم الزبانية . وقيل : تدعو ننا زبانيتها على حذف المضاف. و قيل : الداعى خزنة جهنم اضيف دعاؤهم إليها . ٤ - عن ثعلب : أى تهلكهم كقول العرب : دعاه الله أى أهلكه . ٥ - عن الخليل : انه ليس كالدعاء «تعالوا» و لكن دعوتها إياهم تمكنها من تعذيبهم ، فتدعوا بمعنى : تعذّب .

أقول : والثانى هو الانسب .

١٩ - (ان الانسان خلق هلوعاً)

فى «الانسان» أقوال : ١ - قيل : اريد به الجنس بدليل الاستثناء عقيبه كقوله تعالى: « والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا » ٢ - عن الضحاك : اريد به الكافرون فقط . ٣ - قيل : اريد به الكافرون والمنافقون والمجرمون ، على أن الانسان هو الانسان الذى ضل عن سبيل الله و كفر به و برسله وباليوم الاخر و عصى ربه ، فجاء الحكم على الانسان مطلقا على التغليب لأن أكثر الناس هم هذا الانسان الهلوع كقوله تعالى : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » يوسف : ١٠٣) .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين و هو الانسب بظاهر السياق لمكان الاستثناء فان صحة الاستثناء من جملة أدلة العموم والاستغراق .

و فى قوله تعالى : «هلوعاً» أقوال: ١- عن عكرمة : الهلع : شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر . و قيل : أى سريع الجزع عند مس المكروه وسريع التأثر والتهيج مما يلم به ، و سريع المنع عند نيل الخير يقال : ناقة هلواع : سريع السير . ٢ - عن سعيد بن جبير و إبن زيد وقتادة : أى شحيحاً جزوعاً . ٣ - عن الضحاك : أى بخيلاً منوعاً للخير ، جزوعاً إذا نزل به البلاء ، وقل ماله ، و ناله الفقر والعدم ، فلا صبر له على ذلك ، فيفعل فيهما مالا ينبغى . ٤ - قيل: أى قليل الصبر ، شديد الحرص و قيل : أشد الحرص و أسوأ الجزع و أفحشه .

٥ - عن الضحاك أيضاً : هو الذى لا يشبع . ٦ - عن أبى عبيدة و ثعلب : الهلوع : هو الذى إذا مسه الخير لم يشكر و إذا مسه الضر لم يصبر . ٧ - عن إبن عباس و ثعلب أيضاً : قد فسر الله الهلوع و هو الذى إذا ناله الشر أظهر شدة الجزع و إذا ناله الخير بخل به و منعه الناس .

اقول : والاول هو الانسب بمعناه اللغوى .

٢٤ - (والذين فى أموالهم حق معلوم)

فى «حق معلوم» أقوال : ١ - عن إبن عباس وقتادة و ابن عمر و إبن سيرين :

هو الزكاة المفروضة.

وقال بعض المفسرين: ان الله تعالى وصف الحق بانه معلوم، و سوى الزكاة ليس بمعلوم انما هو على قدر الحاجة و ذلك يقلّ و يكثر مضافاً إلى اقترانه بادامة الصلاة وأماماجاء فى الذاريات فلم يصف الحق بانه معلوم بل مدح هناك قوماً بالتزام ما لا يلزمهم كقلة الهجوع والاستغفار بالاسحار. ٢ ـ عن مجاهد و عطاء والنخعى والشعبى: هوسوى الزكاة، و انه على طريق الندب والاستحباب من الصدقات مما يصل بها رحماً أو يقرى بها ضيفاً أو يحمل بها كلاً أو يعين بها محروماً. ٣ـ قيل: هوالمفروض إطلاقاً سواء يفرضه الانسان على نفسه بالنذر والعهد و نحوهما أو يفرضه الله تعالى على الانسان من الصدقات...

أقول: والثانى هو المؤيد بالروايات الآتية الواردة عن أهل بيت الوحى عليهم السلام، و ان السياق يؤيده أيضاً لما اشير إلى موارد الزكاة فى قوله تعالى: «انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين ـ فريضة من الله» التوبة: ٦٠). وليست مختصّة بالسائل والمحروم على ماهوظاهر الاية وفيماقال بعض المفسرين ما لا يخفى على القارىء الخبير.

٢٥ ـ (للسائل والمحروم)

فيهما أقوال: ١ ـ عن إبن عباس و مجاهد و سعيد بن المسيب و عطاء و نافع وابراهيم النخعى: السائل هوالذى يسئل الناس لفاقته، والمحروم: المحارف و هو الذى حرم المال و ليس له فى الاسلام سهم من الغنيمة. عن ابراهيم: ان ناساً قدموا على على عليه السلام الكوفة بعد وقعة الجمل فقال: اقسموا لهم و قال: هذا المحروم. و عن الحسن بن محمد بن الحنفية: ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية فغنموا و فتح عليهم فجاء قوم لم يشهدوا الغنائم فنزلت: «فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» يعنى: هؤلاء.

والمحروم: هوالذى يطلب الدنيا و هى تدبر عنه و هو لا يسئل الناس.

٢ ـ عن الضحاك و عكرمة : المحروم هو الذى لا ينمى له مال ولايبقى له .

٣ ـ عن إبن‌زيد و زيدبن‌أسلم : المحروم من ذهب ماله بالسيل والبلاء .

٤ ـ قيل : المحروم : الفقير الذى لا يسئل الناس حياءاً و تعففاً و هم لا يعلمون بحاجته .

٥ ـ قيل : المحروم من حرم وصيته .

اقول : والاول هو المؤيد بالروايات الاتية فانتظر .

٢٨ ـ (ان عذاب ربهم غير مأمون)

فى الآية أقوال : ١ ـ عن إبن عباس : أى غير مأمون أن ينال لمن أشرك بالله تعالى ، و كذّب أنبياءه ، و لمن عصاه و خالف أمره . فالجملة معترضة .

٢ ـ قيل : أى ان المصلين يخافون أن لا تقبل حسناتهم فيؤخذون بسيئاتهم .

٣ ـ قيل : أى غيرمأمون لان المكلف لا يدرى هل أدى الواجب حقه كما امر به ، و هل انتهى عن المحظور على ما نهى عنه ، و لو قدرنا ان انساناً يعلم ذلك من نفسه لكان آمناً . ٤ـ قيل : أى لايأمن أحد من نزول عذاب‌الله تعالى ، فيجب على كل واحد أن يخافه و يشفق منه لان‌الامور بخواتيمها والخاتمة غيرمقطوع بها . ٥ ـ قيل: أى ان‌المصلين يخافون عذاب ربهم ويرجون رحمته لان‌العذاب غير مأمون . فالجملة تعليل لاشفاقهم من‌العذاب ، فيظهر من ذلك انهم مصيبون فى‌إشفاقهم من‌العذاب. ٦ـ قيل: أى انهم يخافون أن تصيبهم فتنة الثوم الكافرين لقوله تعالى : « و اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة و اعلموا ان‌الله شديد العقاب » الانفال : ٢٥) .

اقول : و على الخامس أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

٣٢ ـ (والذين هم لاماناتهم و عهدهم راعون)

فى الامانات أقـوال : ١ ـ قيل : انها تعم لكل تكليف إلهـى اؤتمن عليه الانسان من اعتقاد و عمل ، و ما اؤتمن عليه من أعضائه و جوارحه و قـواه بأن يستعملها فيما فيه رضى‌الله تعالى ، و ما ائتمنه عليه الناس من الايمان والشريعة والعبادات والمعاملات والاموال والودائع والقصود والنيات والعقـود والنـذور والطلاق والعتاق والعقل والعلم والاشتهار . . . فكلها امانات لابد من استعمالها فيما أذن الله تعالى له فمن لم يستعمل شيئاً منها فيما أعطاه الله تعالى لاجله فقد خانه . قال بعضهم : ان الامانات على ضربين : أمانات إلهية و هى التى بين الله تعالى وبين عباده وهى العبادات كالصلاة والصوم والحج والجهاد فى سبيل‌الله تعالى والوضوء والاغتسال ...و أمانات العباد كالودائع والمعاملات والشهادات والوصايا والحكومات . . .

٢ـ قيل: الامانات هى الدائرة بين الناس على أنواعها التى يؤتمنون عليها من الاموال ومايوصون بها من النفوس والاعراض . .. فلابد من حفظها. ٣ـ قيل : الامانات والعهـد يجمع كل ما يحمله الانسان من أمر دينه و دنياه قولاً و قلباً وفعلا ، وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغيرذلك ، وغاية ذلك حفظه والقيام به ، والامانة أعم من العهدو كل عهدفهوأمانة فيماتقدم فيه قول أومعتقدأوفعل. ٤ـ قيل:الامانات : الايمان وما أخذ الله تعالى على عباده من التصديق بما أوجبه عليهم والعمل بما يجب عليهم العمل به .

اقول : والاول هو الانسب بالسياق .

و فى العهد أقوال : ١ ـ قيل : العهد ـ بحسب عرف الشرع ـ : ما يلتزم به الانسان لغيره بصيغة العهد شقيق النذر واليمين ، فالايمان بالله تعالى و رسوله و بما جاء عهد منه إذ عاهـد به ربه أن يؤمن به و يطيعه فى كل ما كلّفه به و يعمل بكتابه ، فمن عصى الله تعالى فى شيء مما أمره الله تعالى به أو نهاه عنه فقد نقض عهـده ، و كذلك ما يلتزم به الانسان لغيره من قول أو فعل يجوز فى

الشرع رعايتهما . ٢ ـ قيل : العهد : هو مطلق التكليف المتوجه إلى المـؤمن ، فان الله تعالى سمى ايمان المؤمن به عهداً و ميثاقاً منه على ما توجه إليـه من تكاليفه جل وعلا بقوله : « او كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منه » البقرة : ١٠٠) و لعل إرادة هذا المعنى هو السبب فى إفراد العهد لان جميع التكاليف يجمعها عهد واحد بايمان واحد .

٢ ـ قيل : ان العهد على ثلاثة أضرب : أحدها ـ أوامر الله تعالى ونواهيه فلابد من الائتمار بالاوامر والانتهاء عن النواهى ، و من تخلف فقد نقض العهد . ثانيها ـ نذور الانسان فلابد من أدائها و من لم يؤد ما نذر فقد نقض العهد . ثالثها ـ العقود الجارية بين الناس يجب عليهم الوفاء بها .

و قال بعضهم : العهد هو المواثيق بين العبد و ربه ، و بينه و بين نفسه ، و بينه و بين الناس ، و هى من قبيل الامانات التى يجب أن تؤدّ إلى أهلها .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين و إن كان بين الاقوال تقارب مآلاً .

٣٤ - (والذين هم على صلاتهم يحافظون)

فى المحافظة أقوال: ١ـ عن قتادة : أى يحافظون وضوء الفرائض و ركوعها وسجودها . فالمراد بالمحافظة على الصلاة رعاية صفات كمالها على ما ندب إليه الشرع بان تؤدى على وجهها الصحيح ، بما يسبقها من طهـارة الجسد والثوب والمكان ، و بما يقوم بين يديها من إنشراح صدر و روح نفس ، و إستحضار ذهن و إجتماع فكر، وبما يصحبها من خشية وجلال فى مناجاة ذى العظمة والجلال ...

٢ ـ قيل : أى يحافظون عددها ، فلا يفوتهم شىء من الصلوات المفروضة و يراقبونها دائماً . ٣ـ قيل : أى يقيمون الصلاة و يبادرون إليها أوائل أوقاتها ويتمّون ركوعها وسجودها . وقال مسروق: أى يقيمونها فى أوقاتها، ولا يضيعونها، و انما أعاد ذكر الصلاة تنبيهاً على عظم قدرها و علو رتبتها عند الله تعالى. ٤ـ قيل : ان الدوام على الصلاة غير المحافظة عليها، فان دوامهم عليها أن يحافظوا

على أدائها لا يخلّون بها في أوقاتها . . . و لا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل حين يشتغلون بها ، و محافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ، و يقيموا أركانها و يكملوها بسننها و آدابها و يحفظوها من الاحباط باقتراب المآثم فالدوام يرجع إلى نفس الصلاة ، والمحافظة ترجع إلى أحوالها و كيفيتها، فلاتكرار في ذكر المحافظة عليها بعد ذكر الدوام عليها

اقول : والاخير هو المؤيد بالرواية الآتية .

٣٦ - (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين)

في«مهطعين» أقوال : ١- عن أبي‌عبيدة : أي مسرعين، والمعنى فما بالهم مسرعين في‌تكذيبك ، والكفر بالله تعالى و معصيته . ٢ - عن‌الاخفش: أي مالهم يسرعون اليك و يجلسون حواليك ، ولا يعملون بما تأمرهم به ولاينتهون عما تنهاهم عنه .

٣- قيل: أي ما بالهم يسرعون إلى‌السماع منك ليعيبوك ويستهزؤا بك .

٤ - عن عطية : أي ما بالهم معرضين عن‌الايمان بالله و قبول الحق ، وعن‌الطاعة وترك المعصية ، فما حملهم على الكفر والعصيان . ٥ - عن إبن‌عباس والكلبي : فما شأن الذين كفروا بالله نحوك يا محمد ناظرين إليك تعجباً ، مادين أعناقهم مدمني النظر اليك ، و ذلك من نظر العدو .

٦ - عن قتادة : أي عامدين على الاستهزاء . و ذلك لان الاية نزلت في جمع من المنافقين إذ كانوا يحضرون النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و هم به يستهزؤن .

٧- عن‌الضحاك : أي‌مقبلين عنك بوجوههم ، فلا يلتفتون عنك أي ناظرين إليك بالعداوة . قال الزجاج : المهطع : المقبل ببصره على الشيء لا يزايله . و قال إبن‌زيد: المهطع : الذي لايطرف. والمراد بهم‌المنافقون. وقيل: هم‌المشركون.

٨ - عن عكرمة : أي فاتحين آذانهم إلى الصوت والهتاف . ٩ عن‌الحسن: أي منطلقين . و عنه أيضاً : أي متطلعين .

اقول : والخامس هوالانسب بظاهرالسياق من غيرتناف بينه و بين بعض

الاقوال الاخر .

٣٩ - (كلا انا خلقناهم مما يعلمون)

فى « انا خلقناهم مما يعلمون » أقوال : ١ - عن قتادة والحسن : أى انا خلقناهم من النطفة وهم يعلمون به . فالجملة تعليل للردع . فمن كان أصله من هذا الماء المهين، فكيف استوجب الجنة بأصله وبنفسه إنما يستوجبها بقلب سليم وصالح الاعمال . وفيه تنبيه على أن كافة الناس من أصل واحد ، و انما يتفاضلون بالايمان والطاعة ، و تحقيقه انما خلقناهم من المقاذر والانجاس فمتى يدخلون الجنة ، و لم يؤمنوا بى ولم يصدّقوا رسولى ، و من علم ان أوله نطفة لم ينكر البعث و من علم ان أوله نطفة مذرة كسائر بنى آدم لم يدع التقدم والشرف بلا توصل من الايمان و صالح العمل .

٢ - قيل : أى خلقناهم من الجنس الذين يعلمون . ٣ - قيل : أى خلقناهم من الخلق الذين يعلمون ويفقهون ويلزمهم الحجة ولم نخلقهم من الجنس الذى لا يفقه كالبهائم والطير . ٤ - قيل : أى خلقناهم من أجل ما يعلمون من الثواب والعقاب والتكليف للطاعات تعريضاً للثواب .

أقول : و على الاول أكثر المفسرين .

٤٠ - (فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون)

فى «المشارق والمغارب» أقوال : ١ - عن قتادة : أى مشارق الشتاء والصيف ومغاربهما . ٢ - عن إبن عباس والسدى : أى مشرق كل يوم من السنة ومغربه ، فان للشمس فى كل يوم من أيام السنة مشرقا ومغرباً . وقال إبن عباس: ان الشمس تطلع كل سنة فى ثلاثمأة و ستين كوة ، تطلع كل يوم فى كوة لا ترجع إلى تلك الكوة إلى ذلك اليوم من العام المقبل . ٣ - قيل : أى مشارق الكواكب والنجوم ومغاربها ، إذ لكل نجم و كوكب مشرق ومغرب . ٤ - قيل : أى مشارق الانبياء و مغاربهم ، فان ظهور دعوة كل نبى مشرق ، و موته مغرب .

٥ ـ عن إبن عباس أيضاً : أى مشارق الشمس والقمر ومغاربهما . ٦ـ قيل: المشرق : الاهتداء والمغرب : الضلالة . ٧ ـ قيل : أى مشارق الارض والشمس و مغاربهما ، ففيها إشارة إلى وجود قارة اخرى تكون على السطح الآخر للارض ، يلازم شروق الشمس عليها غروبها عنا . ٨ ـ قيل : أى مشارق الارض والشمس و مغاربهما على تعدد الارض والشمس ، فلكل أرض وشمس شرق و غرب إذ ليست الارض مقصورة فيما نعيش عليه ، و لا الشمس مقصورة فيما نراها .

٩ـ أقول : و من غير بعيد أن يكون المراد بالمشارق والمغارب : مشارق الشمس و مغاربها على أن للشمس فى كل ثانية أو أقل منهما مشرقاً فى ناحية الشرق و مغرباً فى جانب الغرب على إختلاف الآفاق والمناطق والقارات . . . و هكذا الكواكب والنجوم من الثوابت والسيارات . . . فتأمل و اغتنم .

٤١ - (على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين)

فى « أن نبدل خيراً منهم » أقوال : ١ ـ قيل : أى نقدر على أن نهلكهم و نأتى بدلهم بقوم آخرين خيراً منهم ، فيستمعون دعوة الداعى و نصح الناصح ، ويطيعوننى ولايعصوننى . فالمراد بالتبديل : الاهلاك و ايجاد الاخرين مكانهم ، والمراد بالخيرية : خيريتهم فى أفعالهم بالايمان والطاعة .

٢ـ قيل: أى أن نخلق أمثل منهم فالخيرية ترجع إلى ذواتهم لا إلى أفعالهم.

٣ ـ قيل : أى نقدر على إهلاكهم والذهاب بهم والمجيىء بخير منهم فى الفضل والطول والمال ، فيكونوا أشد بطشا فى الدنيا و أكثر أموالاً و اولاداً ، وأعلى قدراً و أكثر حشماً و جاهاً و خدماً و عدداً و عدداً . . . فالتبديل : هو تحويل الوصف . ٤ ـ قيل : أى نبدل بهم الانصار والمهاجرين .

٥ـ قيل:أى نبدل كفرهم بالايمان، وعصيانهم بالطاعة ، والنفاق بالاخلاص.

٦ـ قيل: أى نبدل تبديلاً عظيما خيراً منهم . ٧ـ قيل : أى سوف نبدّل أجسادهم البالية خيراً منها ما يناسب الخلود بتخليصها من بواعث الامراض والاعراض

المؤدية إلى الموت لحد لايقضى على أهل النار فيموتوا « لايموت فيها ولايحيى » فكيف أهل الايمان.

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق.

و في « و ما نحن بمسبوقين » أقوال : ١ ـ عن أبى مسلم : أى و ما نحن بمغلوبين . ٢ـ قيل: اى لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر نريده . ٣ـ قيل : أى لا يفوتون بأن يتقدموا على وجه يمنع من لحاق العذاب بهم فانهم لم يكونوا سابقين ، و لا العقاب مسبوقاً منهم . فالمعنى : و ما نحن بمسبوقين يفوت عقابنا إياهم ، فانهم لو سبقوا عقابنا لسبقونا .

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين و قريب منه الاول .

٤٣ - (يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم الى نصب يوفضون)

فى « نصب » أقوال : ١ ـ قيل : النصب هو كل ما ينصب للعبادة من دون الله . قال الحسن : كان المشركون يبتدرون اذا طلعت الشمس إلى نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوى أوّلهم على آخرهم .

٢ ـ عن ابن زيد : هو حجر أو صنم يذبح عليه و منه قوله تعالى : « و ما ذبح على النصب » ٣ـ قيل : النصب: أى الشر والبلاء كقوله تعالى : « انى مسّنى الشيطان بنصب و عذاب » ٤ ـ عن قتادة و أبى العالية والضحاك والكلبى والحسن وأبى مسلم والجبائى : النصب ما ينصب علم أو علامة فى الطريق يقصده السائرون للاهتداء به ، فيستبقون ، ويبتدرون إلى نصبهم أيهم يستلمه أوّل . ٥ ـ عن إبن عباس و قتادة : أى إلى غاية و هى التى تنصب إليها بصرك ، والمعنى: كأنهم إلى أوثانهم يسعون للتقرب اليها .

أقول: و على الرابع أكثر المفسرين .

«التفسير والتاويل»

١ - (سأل سائل بعذاب واقع)

سأل سائل - عناداً و لجاجاً - من الكفار على نفسه عذاباً - مستعجلاً له و هو واقع بهم لا محالة سئل أم لم يسئل عنك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

نظير قوله تعالى: « و يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده » الحج: ۴۷).

و قوله : « ان عذاب ربك لواقع » الطور : ۷) .

٢ - (للكافرين ليس له دافع)

ليس للعذاب الواقع على الكافرين دافع يدفعه عنهم فانه عذاب غير مردود فلا مهرب لهم منه ، و ما لهم من الله من واق فلما ذا يستعجلونه ؟ !

قال الله تعالى : « و انهم آتيهم عذاب غير مردود » هود : ۷۶) .

وقال: « وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل » الشورى : ۴۴) .

و قال : « لهم عذاب فى الحياة الدنيا و لعذاب الاخرة أشق وما لهم من الله من واق » الرعد : ۳۴) .

٣ - (من الله ذى المعارج)

هذا العذاب الواقع على الكافرين مرسل من عند الله تعالى، نازل من السماء ، والله تعالى ذو السماوات السبع كما انه جل وعلا ذو العرش المجيد ، و ان العذاب نازل من السماء كما تنزل الرحمة منها .

قال الله تعالى : « و اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء » الانفال : ٣٢) .

وقال: « انا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون» العنكبوت : ٣٤) .

وقال: « ان بطش ربك لشديد انه هو يبدىء و يعيد و الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد » البروج : ١٢ - ١٦) .

و قال : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض - فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون » الاعراف : ٩٦ - ١٦٢) .

وقال : « وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً و يزدكم قوة إلى قوتكم » هود : ٥٢) .

و قال : « له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر » الشورى : ١٢) .

٤ - (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)

إذا برز الخلق لله الواحد القهار و رجع الكل إليه جل وعلا و تقطع بهم الاسباب و سقطت وسائط الملائكة الموكلة على امور العالم و حوادث الكون تعرج الملائكة والروح عندئذ معارجهم و هم على أرجاء السماء و يحفون من حول العرش و يحملونه فوقهم ، و هذا يوم القيامة كان مقدار هذا اليوم خمسين ألف سنة اذ فيه خمسون موقفاً و كل موقف ألف سنة يحاسب فيها الكفار والمجرمون حساباً شديداً و أما المؤمنون فيحاسبون حساباً يسيراً سريعاً فلا يقفون تلك المواقف .

قال الله تعالى : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت » غافر : ١٦ - ١٧) .

و قال : « ويوم نسيّر الجبال و ترى الارض بارزة و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً و عرضوا على ربك صفاً » الكهف : ٤٧ ـ ٤٨) .

وقال : « يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوالله الواحدالقهار» ابراهيم : ٤٨) .

و قال : « كل إلينا راجعون » الانبياء : ٩٣) .

و قال : « إليه مرجعكم جميعاً وعدالله حقاً انه يبدؤا الخلق ثم يعيده » يونس : ٤) .

و قال : « فيومئذ وقعت الواقعة و انشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » الحاقة : ١٥ ـ ١٨) .

و قال : « و ترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق » الزمر : ٧٥) .

وقال : « هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ـ وقفوهم انهم مسئولون» الصافات : ٢١ ـ ٢٤) .

و قال : « و كأين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً و عذبناها عذابا نكراً » الطلاق : ٧ ـ ٨) .

و قال : « فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً » الانشقاق : ٧ ـ ٨) .

٥ ـ (فاصبر صبراً جميلاً)

فاصبر أيها النبى صلى الله عليه و آله و سلم على أذى قومك وتكذيبهم واستهزاءهم صبراً جميلاً بلاجزع فيه ولاشكوى لغيرالله كما صبر اولوا العزم من الرسل ، و قد كذبوا واوذوا من قبلك ، فلاتستعجل لهم ما كانوا يستعجلون على سبيل الاستهزاء والتكذيب بالوحى ، فالذى وعدوا من العذاب أمر محقق و كل آت قريب فلا تك فى ضيق

مما يمكرون فانك بأعيننا .

قال الله تعالى : « فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولاتستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبسوا الآساعة من نهار » الاحقاف : ٣٥) .

و قال : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا و اوذوا حتى أتاهم نصرنا و لا مبدّل لكلمات الله » الانعام : ٣٤) .

وقال : « فاصبر ان وعدالله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفّينّك فالينا يرجعون » غافر : ٧٧) .

و قال : « و اصبر و ما صبرك الآ بالله و لا تحزن عليهم و لا تك فى ضيق مما يمكرون » النحل : ١٢٧) .

و قال : « و اتبع ما يوحى اليك و اصبر حتى يحكم الله » يونس : ١٠٩).

و قال : « و اصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الطور : ٤٨) .

٦- (انهم يرونه بعيداً)

يرى هؤلاء الكافرون المكذبون ذلك اليوم الطويل الذى كان مقداره خمسين ألف سنة وعذابه بعيداً عن الوقوع غير كائن ، فانهم لايؤمنون به حتى يروه قال الله تعالى : « أيعدكم انكم اذامتم و كنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لماتوعدون » المؤمنون : ٣٥ - ٣٦)

وقال : « واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة » الجاثية : ٣٢)

و قال : « لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون » الشعراء - ٢٠٢)

٧- (ونراه قريباً)

ونرى ماوعدناهم قريباً غير بعيد ولا متعذر علينا ، واقع هذا العذاب على الكافرين لامحالة .

قال الله تعالى : « انا انذرنا كم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً » النباء : ٤٠)

وقال : « فسيقولون من يعيد ناقل الذى فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلاً » الاسراء : ٥١ - ٥٢)

٨- (يوم تكون السماء كالمهل)

يقع هذا العذاب الموعود بالكافرين يوم يكون السماء كالشيء المذاب من المعدنيات من الصفر والنحاس والرصاص والذهب والفضة وما إليها او كدردى الزيت الذى يشوى الوجوه ويغلى فى البطون كما فى قوله تعالى : « وان يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب » الكهف : ٢٩)

و قوله : « ان شجرت الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم » الدخان : ٤٣ - ٤٦)

٩- (وتكون الجبال كالعهن)

و تكون الجبال كالصوف المنفوش حين نزول عن أماكنها و تلاشيٍ على اختلاف أنواعها وألوانها ،وتنحل أجزاء بعضه عن بعض ، فتخر هداً وتنسف نسفاً وتصير خفيفة السير فتكون هباء منبثاً .

قال الله تعالى : « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » القارعة : ٥)

وقال: « يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً » المزمل:١٤)

وقال : « وسيرت الجبال فكانت سراباً » النباء : ٢٠)

١٠- (ولايسئل حميم حميماً)

ويومئذ لايسئل ذوقرابة عن قريبه ، ولاصديق صديقه عن شأنه لشغل كل إنسان بنفسه الا المتقين فلاأنساب ولاخلة يومئذ للمجرمين بل تنقلب خلتهم عداوة وندامة ولكنهم يتساءلون بتوبيخ ونفور واختصام .

قال الله تعالى : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس : ٣٧)

وقال : « ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » غافر : ١٨)

وقال : « فليس له اليوم ههنا حميم » الحاقة : ٣٥)

وقال : « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » الزخرف : ٦٧)

وقال : « ويوم يعض الظالم على يديه يقول - ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً » الفرقان : ٢٧ - ٢٨)

وقال : « يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة والكافرون هم الظالمون » البقرة : ٢٥٤)

وقال : « فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون » المؤمنون : ١٠١)

وقال: « فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لايتساءلون » القصص :٦٦)

وقال : « وقفوهم انهم مسئولون مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وماكان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين - الا عباد الله المخلصين - فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون - ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين » الصافات: ٢٤ - ٥٧)

وقال : « وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون - فمالنا من شافعين ولاصديق حميم » الشعراء :٩١-١٠١

وقال : « ولاتزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذاقربى » فاطر : ١٨)

١١- (يبصرونهم يود المجرم لويفتدى من عذاب يومئذ ببنيه)

يتعارف الاحماء المجرمون بعضهم بعضاً يوم القيامة حين يرون العذاب

الموعود الذى كانوا به يستعجلون رؤية كاشفة لاحوالهم وماهم فيه من كرب وبلاء يتمنى كل مجرم عاص عندئذ لو ينفع أعز الناس اليه فدية لينجيه من ذلك العذاب فيودو لو كان أبناؤه ولكن لن تقبل منه .

قال الله تعالى : « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم - الآن وقد كنتم به تستعجلون- ولوان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لا فتدت به وأسرّوا الندامة لمارأوا العذاب » يونس : ٤٥ - ٥٤)

وقال : « حتى اذارأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً» الجن : ٢٤)

وقال : « وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون » الصافات:١٧٥-١٧٦)

وقال : « ان الذين كفروا لوان لهم مافى الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبّل منهم ولهم عذاب أليم » المائدة : ٣٦)

١٢- (وصاحبته وأخيه)

أو يفتدى هذا المجرم من عذاب يوم القيامة بزوجته التى يصاحبها فى الحياة الدنيا وكانت هى سكن لزوجها، وكان كل يحب الاخر حتى ربما قدّمها على أبويه ، أو يفتدى بأخيه الذى كان شقيقه وظهيراً ومعيناً له فى الدنيا .

١٣- (وفصيلته التى تؤويه)

أو يفتدى باسرته الخاصة مثل عشيرته لفصله منها - والفصيلة : القطعة المفصولة من الجسد تطلق على الآباء الاقربين ، و على الامهات والاولاد لان الولد يكون مفصولاً من الابوين ، فلما كان الولد مفصولاً منهما كاناهما مفصولين منه أيضاً فسميا فصيلة لهذا السبب ، والمراد من الفصيلة هو الآباء الاقربون والعشيرة الادنون لقوله تعالى : « وبينيه » - التى تضمّه وتؤمّنه ، ويأوى إليها فى النسب فتجيره من هول وفزع وخوف وشدة ذلك اليوم لو كان به .

وذلك لان القيامة يوم الفصل لاتنفع فيه فصيلة دنيوية .

قال الله تعالى : «هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون - مالكم لا تناصرون فانهم يومئذ فى العذاب مشترکون انا كذلك نفعل بالمجرمين » الصافات:٢١-٣٤)
وقال :« لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم» الممتحنة:٣)
و قال : « هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين » المرسلات:٣٨-٤٧)

١٤- (ومن فى الارض جميعاً ثم ينجيه)

ويود المجرم لو فدى بهم من البنين والزوجة والاخ والعشيرة وغيرهم من اولى العقل لافتدى ليخلّصه هذا الفداء من ذلك العذاب الموعود.

هذا بناء على إرادة اولى العقل بـ « من » والاّ فعلى العموم كما فى قوله تعالى : « والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما فى الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به » الرعد : ١٨)

وقوله : « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهباً ولو افتدى به » آل عمران : ٩١)

١٥- (كلا انها لظى)

لن ينجى الافتداء المجرم من العذاب الموعود لان نار جهنم تلظى لهيبها الخالص على الكفار والمجرمين ولا يخمد اشتعالها.

قال الله تعالى : « أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مداً ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً » مريم : ٧٨ - ٨٠)

وقال : « فانذرتكم ناراً تلظى لا يصليها الاّ الاشقى الذى كذّب و تولّى » الليل : ١٤ - ١٦)

١٦- (نزاعة للشوى)

ومن صفة نار جهنم وعدبها الكفار والمجرمون أن تنزع جلودهم ، و تقلع

قوائمهم ، وتحرق أطرافهم ثم ترجع إلى ماكانت عليه من الجلود والقوائم والاطراف وغيرها وهي التي لاتبقي ولاتذرلوّاحة للبشر، كما ان من صفة مائها أن يشوي الوجوه . . .

قال الله تعالى : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء : ٥٦)

وقال : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود » الحج : ١٩ ـ ٢٠)

وقال : « لاتبقي ولاتذرلوّاحة للبشر » المدثر : ٢٨ ـ ٢٩)

وقال : « انا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرداقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب » الكهف : ٢٩)

و قال : « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» التوبة : ٣٥)

١٧- (تدعوا من أدبر وتولى)

كأنها تدعوا الكفار و المجرمين ، فتحضرهم لادبارهم عن قبول الحق و إعراضهم عن الدعوة الالهية وتكذيبهم بالساعة

قال الله تعالى : « بل كذّبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً » الفرقان : ١١ ـ ١٢)

و قال : « و إذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً » الاسراء : ٤٦)

و قال : « واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ في اذنيه و قراً فبشّره بعذاب أليم » لقمان : ٧)

١٨- (وجمع فاوعى)

و كان كل همه جمع المال و كنزه حرصاً وحباً للدنيا ومتاعها ، فجعله

فى وعاء وادخره ، ولم يؤدّ حقوقه الواجبة ، وتشاغل به عن الاخرة وطغى أن رآه استغنى وتكبّر باقتنائه لطول أمله ، و إنعدام شفقته على عباد الله و بخل به عن سبل البر و وجوه الخير و مساعدة المحتاجين من السائل والمحروم .

قال الله تعالى: « الذى جمع مالاً و عدّده يحسب ان ماله أخلده » الهمزة : ٢ ـ ٣) .

و قال : « كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » العلق : ٦ ـ ٧) .

و قال : « انه كان لا يؤمن بالله العظيم و لا يحض على طعام المسكين » الحاقة : ٣٣ ـ ٣٤) .

١٩ - (ان الانسان خلق هلوعاً)

ان الانسان خلق حريصاً : سريع الجزع عند مسّ المكروه ، وسريع التأثر والتهيج مما يلمّ به ، و سريع المنع عند نيل الخير .

و لا يخفى على المتدبر الخبير ان الانسان فى حاجة إلى صفة الهلع فى سبيله إلى الكمال و نيله إلى الخير والسعادة الدنيوية والاخروية فلابد و أن يكون حريصاً لنفسه ، جزوعاً بمسّ الشر لكى يفرّ منه ، ومنوعاً عن الخير لكى يجلبه إلى نفسه ، و يمنع من يمنعه عنه ، وهذه الصفة ممدوحة كالحسد والغضب و البخل و ما إليها . . . مما اقتضته الحكمة الالهية أن يخلق الانسان عليها ولم يطبع عليها الاّ لصلاح نفسه و صلاح مجتمعه ديناً و دنياً ما لم يصرفها إلى غير ماخلقت لأجله كالمصلين الصادقين فهذه الصفة مذمومة إذا أساء الانسان فى تدبيرها و إستعمالها باخراجها عن الاعتدال فدخل فى الافراط أو فى التفريط .

كما خلق الانسان ضعيفا و عجولاً حسب ما اقتضته الحكمة الالهية وانهما من صفات كمالية له كسائر الصفات سواء بسواء .

قال الله تعالى : « و خلق الانسان ضعيفاً » النساء : ٢٨) .

و قال : « و يدع الانسان بالشر دعاءه بالخير و كان الانسان عجولاً »

الاسراء : ١١) .

و قال : « و انه لحب الخير لشديد » العاديات : ٨) .

٢٠ - (اذا مسه الشر جزوعاً)

ومن آثار ذميمة لهذه الصفة انه اذا أصابه شر من الفقر و قلة المال والعدم والمرض والبلاء والشدة والمضار . . . اضطرب كثيراً و جزع شديداً و استولى عليه اليأس لانه لايستند إلى قوة القوى العزيز ولايستعين بعون الرحمن الرحيم و لا بالصبر والصلاة و لا يرى لهذا البلاء دافعاً و لا يتوقع من وراء هذا الضيق فرجاً . . .

قال الله تعالى : « و إن مسّه الشر فيؤس قنوط » فصلت : ٤٩) .

و قال : « إذا أنعمنا على الانسان أعرض و نابجانبه و اذا مسّه الشر كان يؤساً » الاسراء : ٨٣) .

وأما المؤمن بالله تعالى فانه إذا أصابه شر نظر إلى وجه ربه الكريم ويستعين بالصبر والصلاة ويبسط يد الرجاء إليه جل وعلا ، طمعاً فى رحمته ، و رجاءاً لكشف الضر عنه ، فيجد فى هذا الرجاء متنفساً لكربه ، و كشفا لضرّه ، فلايحزن نازل مؤمناً و لا يكربه بلاء لانه يرى نفسه فى ضمان من رحمة الله تعالى وعلى رجاء من فضله .

قال الله تعالى فيهم : « والصابرين فى البأساء والضراء و حين البأس اولئك الذين صدقوا و اولئك هم المتقون » البقرة : ١٧٧) .

و قال : « و لئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور و لئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسّته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور الا الذين صبروا و عملوا الصالحات » هود : ٩ - ١١) .

٢١ - (و اذا مسه الخير منوعاً)

و اذا كثر ماله و نال غنى وخيراً و انفرجت اموره ، فهو يمسك ويبخل

و يمنع عما في يده ، فلا ينفقه في وجوه الخير ، و لا يؤدّي حق الله تعالى منه لشدة حرصه ، فلا يرى ان ما نال به هو وديعة عنده لابد منه ردّها يوماً ، بل يطغى و ينهمك فى الكفر والمعصية .

قال الله تعالى: « والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله » التوبة : ٣٤) .

وقال: « و إذا قيل لهم أنفقوا ممارزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » يس : ٤٧) .

وقال : « مناع للخير معتد أثيم- أن كان ذا مال وبنين » القلم: ١٢-١٤).

و قال : « و لئن أذقناه رحمة منا من بعد ضرّاء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قائمة » فصلت : ٥٠) .

وقال: « ولو رحمناهم و كشفنا مابهم من ضرّ للجوا فى طغيانهم يعمهون » المؤمنون : ٧٥) .

و قال : « و اذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر فى آياتنا » يونس : ٢١) .

٢٢ - (الا المصلين)

ان الانسان المجبول على الهلع سريع الجزع عند مسّ الشر ، و كثير المنع حين النيل بالخير الاّ الذين يصلّون صلاة صادقة تجعل المصلى يندفع فى عمل الحق والعدل والخير ، ويمتنع عن الفحشاء والمنكر ، و عن الجزع فى البأساء والضراء ، و عن المنع فى النعماء فاذاً ينقطع المصلى عن شر الهلع إلى خيره .

قال الله تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» العنكبوت : ٤٥) .

فعلى هذا فاذا صدر من مصلّ آثام و منكرات و بخل و إمساك و تغلب عليه أنانية وجزع ومنع ، فلا يكون مصلياً فى الحقيقة لان صلاته لاتكون صادرة عن ايمان صحيح ، فلا تفيد فى تصفية روحه و تنقية قلبه .

قال الله تعالى : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن و يمنعون الماعون » الماعون : ٤ - ٧) .

٢٣ - (الذين هم على صلاتهم دائمون)

ليس كل مصل مصلياً فى الحقيقة ، و انما المصلون الصادقون الذين هم على صلاتهم مستمرون على أدائها فى أوقاتها المعلومة لا يخلون بها فيقيمونها طرفى النهار و زلفاً من النهار ، ولا تلهيهم تجارة و لا بيع عن إقامتها ما داموا أحياء ، فلا يضيعون منها شيئاً و لا يتركونها إذ ليست هى كبيرة عليهم .

قال الله تعالى فيهم : « رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و أقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » النور : ٣٧) .

و قال : « و انها لكبيرة الا على الخاشعين » البقرة : ٤٥) .

٢٤ - (والذين فى أموالهم حق معلوم)

و من جملة صفات المصلين انهم يجعلون بصفاء فطرتهم فى أموالهم جزءاً معيناً ميزوه وعزلوه فيلزمون أنفسهم باخراجه، وليس المراد بهما أوجبه الشارع و الأنفال : يؤدون ما أوجبنا عليهم أو ندبنا إليه ، و تسمية ما التزموا اخراجه حقاً لاتدل على وجوبه لان الحق قد يطلق على الوظيفة المقدرة وان لم تكن واجبة.

٢٥ - (للسائل والمحروم)

حظ معين للطالب المحتاج وهو الذى يسئل العطية باظهار الفاقة، وللمتعفف الذى لا يجد ما يغنيه و لا يسئل حياءاً و تعففاً يعبر عنه بالمحارف .

قال الله تعالى : « و أما السائل فلا تنهر » الضحى : ١٠) .

و قال : « و ما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر - و ما تنفقون الا ابتغاء وجه الله - للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافاً » البقرة : ٢٧٠ - ٢٧٣) .

٢٦ - (والذين يصدقون بيوم الدين)

و من صفات المصلين انهم يوقنون بيوم الجزاء والحساب ، فيعملون عمل من يرجو الثواب ، و يخاف العقاب ، و تظهر آثار اليقين فى أفعالهم و أقوالهم فينيبون إلى الله جل وعلا .

قال الله تعالى فيهم : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » البقرة : ٣ ـ ٤) .

و قال : « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون » لقمان : ٤) .

بخلاف غيرهم من المكذبين بالبعث والجزاء والحساب ولا يعملون عمل المصلين و كان تظهر آثار التكذيب والريب فى المعاد فى أفعالهم و أقوالهم ، فيعرضون عن قبول الحق و يولون الادبار .

قال الله تعالى فيهم : « ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين و كنا نخوض مع الخائضين و كنا نكذب بيوم الدين » المدثر : ٤٢ ـ ٤٦) .

وقال : « هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلو لا تصدقون » الواقعة : ٥٦ ـ ٥٧) .

و قال : « و اذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة إن نظن الا ظناً ومانحن بمستيقنين » الجاثية: ٣٢) و ما ورد فى المقام فمن باب التأويل لانتهاء خروج القائم عليه السلام إلى قيام الساعة .

٢٧ - (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون)

ومن صفات المصلين الصادقين انهم بجميع ضمائرهم وظواهرهم ، فى خوف من عذاب الله تعالى و رجاء من رحمة الله جل وعلا اذ يخافون خوفاً عظيماً من

عذابه فى الحياة الدنيا بالهلاك و الدمار وسوء العاقبة ، و من عذابه فى الاخرة بالنار والعذاب وسوء الحساب ، فلايفعلون الا ما يرضاه الله تعالى ، ولايتر كون الطاعة، ولايقدمون على المعصية ، فلايضيعون حقاً ولايتر كون طاعة ولايتعدون حداً ، فان المصلى الصادق خائف من التقصير فى الطاعة و المجرم لايخاف من إرتكاب أنواع المعصية،لايخاف من العذاب إطلاقاً ولامن سوء الحساب،ولايرجو لقاء ثواب الله تعالى .

قال الله تعالى : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لايشركون والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم إلى ربهم راجعون اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون» المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١)

وقال : « يوفون بالنذر و يخافون يوماً كان شره مستطيراً ـ انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً » الانسان : ٧ ـ ١٠)

و قال : « الذين يوفون بعهد الله و لا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل و يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب » الرعد:٢٠ ـ ٢١)

وقال: « اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه » الاسراء : ٥٧)

و قال : « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار» النور : ٣٧)

وقال : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الاخرة و يرجوا رحمة ربه » الزمر : ٩)

وقال : « ان الذين يتلون كتاب الله وأقام الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » الفاطر : ٢٩)

وقال : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولايشرك بعبادة ربه

أحداً » الكهف : ١١٠)

وقال : «ان الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون » يونس : ٧)

وقال : « انهم كانوا لا يرجون حساباً وكذّبوا بآياتنا كذاباً » النبأ: ٢٧-٢٨)

٢٨- (ان عذاب ربهم غيرمأمون)

و من خصال المصلين أن يكونوا خائفين من عذاب الله تعالى إذ لا يأمن أحد من نزوله ، فينبغى أن يكون كل إنسان بين الخوف والرجاء وأن يبالغ فى الطاعة وصالح العمل ما بلغ و أن يترك المعصية وفساد العمل مهما كانت وأن يديم ذلك لان الامور بخواتيمها وهى غير معلوم لنا . فعذاب الله تعالى كان محذوراً يجب التحرّز منه .

قال الله تعالى : « و يرجون رحمته و يخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً » الاسراء : ٥٧)

٢٩- (والذين هم لفروجهم حافظون)

والمصلون هم مستمرّون على حفظ فروجهم فى كافة الاحوال عما نهاه الله تعالى من الزنا واللواط واتيان البهائم . . . وعن نكاح الزانية والمشركة .

قال الله تعالى : «الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين- قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » النور : ٣ - ٣٠)

٣٠- (الاعلى أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غيرملومين)

وهم يحفظون فروجهم عما نهوا عنه إلاّ أنهم غير ملومين فى مسّ الازواج الحلائل بالنكاح ، والجوارى المملوكة بملك اليمين .

٣١- (فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون)

فمن طلب سوى الازواج الحلائل والجوارى المملوكة ، ومسّ غير هاتين الطائفتين ، فاولئك هم العادون حدود الله تعالى، المجاوزون عن ما أحل الله تعالى

لهم إلى ما حرّم عليهم، فهم ملومون .

قال الله تعالى : « و تذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » الشعراء : ١٦٦)

٣٢- (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)

ومن صفات المصلين انهم يحتفظون بما أؤتمنوا عليه من الامانات كلها : من الامور الدينية الاعتقادية والقولية والعملية، ومن الامور الدنيوية من الاموال والانفس والاعراض والوصايا والودائع والمعاملات والشهادات . . . فلايخونونها وهم الذين يوفون بعهدهم اذا عاهدوا ولاينقضون ماعاهدوابه .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » الانفال : ٢٧)

وقال : « ان الله يامركم أن تؤدّوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعمّا يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً » النساء:٥٨)

و قال : « ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب لكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » البقرة : ١٧٧)

وقال : « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » الاحزاب : ٢٣)

وقال : « انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق» الرعد : ٢٠)

٣٣- (والذين هم بشهاداتهم قائمون)

ومن صفات المصلين انهم لايستنكفون عن تحمّل الشهادة ، ولا عن أدائها

بعد ما تحملوا منها ، فيقومون بأدائها على وجهها عند الحاجة لدى الحكام من غير كتمان ولاتغيير إذبها تحيى الحقوق وبتركها تموت .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ـ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ـ ولايأب الشهداء اذامادعوا ـ ولايضار كاتب ولاشهيد وإن تفعلوا فانه فسوق بكم» البقرة : ٢٨٢)

وقال : « و أشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر » الطلاق : ٢)

٣٤- (والذين هم على صلاتهم يحافظون)

وهم الذين يراعون شرائط الصلاة ومقدماتها ، و يكملون أركانها وواجباتها إذ يجتهدون قبل الدخول فيهافى تفريغ القلب من الوساوس والالتفات إلى ما سوى الله حين يسعون فى طهارة الجسد واللباس والمكان مع حضور القلب حين القراءة والتوجه إلى ما يقرؤنها ، وإلى من يتكلمون معه، وإلى من عنده يقومون ويركعون ويسجدون ويتشهدون ويسلمون ، ولايفوتونها كسلاً و لا يضيّعونها إهمالاً ، ولايقصرون فى إقامتها كماينبغى أن تقام ، وانما يؤدّونها فى أوقاتها الاولى كاملة الفرائض والسنن ، مستوفية الاركان والآداب ، حسيّة يستغرق فيها القلب وينفعل فيها الوجدان ، فانها صلة ورابطة مابين القلب وخالقه ، فمن لا يحافظ عليها فقد قطع الصلة مابينه وبين ربه كالمنافقين .

قال الله تعالى فى صلاة المؤمنين : « يا ايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة و أنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون » النساء : ٤٢)

وقال : « والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون» الانعام : ٩٢)

وقال : « يا أيها الذين آمنوا اذاقمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق و امسحوا برؤسكم و أرجلكم إلى الكعبين ـ ما يريد الله ليجعل

عليكم من حرج و لكن يريد ليطهركم و ليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » المائدة : ٦)

وقال : « وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله و جلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة » الحج : ٣٥)

وقال : « وما امروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » البينة : ٥)

وقال فى صلاة المنافقين : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم و اذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الاّ قليلاً » النساء :١٤٢)

وقال : « ولا يأتون الصلاة الاّ وهم كسالى ولا ينفقون الاّ وهم كارهون » التوبة : ٥٤)

٣٥- (اولئك فى جنات مكرمون)

اولئك المصلون الذين اتصفوا بثمان صفات فاضلة هم فى جنات عظيمة لا يقدر قدرها أحد ، مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطرت على قلب بشر، و هم فيها مكرمون بأنواع كرامة الله تعالى بهم : كريم الاجر ، كريم المقام ، كريم الرزق ، ورضوان الله تعالى أكبر من ذلك .

قال الله تعالى : « انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم » يس : ١١)

وقال : « الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » الانفال : ٤)

وقال : « اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون و عندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون » الصافات : ٤١ _ ٤٩)

و قال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هوالفوز العظيم » التوبة : ٧١ ـ ٧٢)

٣٦ ـ (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين)

فما للكافرين مسرعين إليك يامحمد ، مادين أعناقهم ، نحوك ناظرين إليك نظر العدو معرضين عن قبول الحق والايمان بالله تعالى واليوم الاخر .

نظير قوله تعالى : « فما لهم عن التذكرة معرضين ـ كلا بل لا يخافون الاخرة » المدثر : ٤٩ ـ ٥٣) .

وقوله : «ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام» الانفال:٣٤).

و قال : « ما لكم لا ترجون لله وقاراً » نوح : ١٣) .

و قال : « فما لهم لا يؤمنون » الانشقاق : ٢٠) .

و قال : « فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » النساء : ٧٨) .

٣٧ ـ (عن اليمين و عن الشمال عزين)

يقفون يمينك وشمالك جماعات متفرقين فى تجمعاتهم حسب عادة الجاهلية فلا يرغبون فى كتاب الله تعالى و لا فى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم نافرين منك لا يلتفتون إلى ما تلقيه عليهم من رحمة الله جل وعلا و هداه و نصحه و إرشاده وما فيه سعادتهم فى دنياهم و عقباهم ، و فى معاشهم و معادهم .

٣٨ ـ (أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم)

أيطمع كل امرىء من هؤلاء الكافرين أن يدخل جنة نعيم كما يدخلها المصلون الصادقون وقد كانوا يكذبون باليوم الاخر ويجحدون آيات الله تعالى .

و لعلهم الذين قال الله تعالى فيهم : « و على الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم

و نادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها و هم يطمعون و اذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الاعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ماأغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون. و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرّمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا و ما كانوا بآياتنا يجحدون » الاعراف : ٤٦ ـ ٥١) .

٣٩ - (كلا انا خلقناهم مما يعلمون)

وليس الامر كما يطمع فيه هؤلاء الكفار من أن يدخل كل امرئ منهم جنة نعيم لان الكافرين وأذنابهم المنافقين لن يدخلوا الجنة إذ لا يجتمع الكفر والنفاق مع الجنة ، لانا خلقناهم من نطفة يعلمون كما خلق سائر جنسهم، فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة ، و انما تستوجب بالايمان و صالح العمل ، فلابد لدخول الجنة من تكميل النفس والصعود إلى مدارج الكمال بالايمان والطاعة ، فمن لم يكمل ولم يصعد بذلك، فهو بمعزل عن أن يتبوّأ متبوّأ الذين أخلصوا الله تعالى وحده ، و بعدت نفوسهم عن دنس الشرك والمعاصى . . .

كيف يطمع هؤلاء الكفار و أذنابهم نعيم الجنة و قد كانوا يكذّبون بها و كانوا يحبون العاجلة و يذرون الاخرة ولايخافونها فهم عن رحمة ربهم يومئذ لمحجوبون .

قال الله تعالى: « ان الذين كذبوا بآياتنا و استكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة » الاعراف : ٤٠) .

وقال : « أن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً » النساء : ١٤٠).

و قال : « أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة » يس : ٧٧) .

و قال : « تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا » مريم : ٦٣) .

و قال : « كلا بل تحبون العاجلة و تذرون الآخرة » القيامة : ٢٠-٢١).

و قال : « كلا بل لا يخافون الآخرة » المدثر : ٥٣) .

و قال : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون » المطففين : ١٥ - ١٧) .

٤٠ - (فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون)

فاقسم برب مشارق الشمس والكواكب والنجوم و مغاربها فى كل ثانية و أقل منها انا لقادرون .

فحرف النفى «لا» لتاكيد القسم نظير قوله تعالى: «فلا اقسم بمواقع النجوم و انه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » الواقعة : ٧٥ - ٧٧) .

وقوله : « فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقاً عن طبق » الانشقاق : ١٦ - ١٩) .

و قوله : « فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس انه لقول رسول كريم » التكوير : ١٦ - ١٩) و ما ورد فى الباب فمن باب التأويل فتدبر جيداً .

٤١ - (على ان نبدل خيراً منهم و ما نحن بمسبوقين)

نقدر على أن نهلك الكافرين و نأتى بدلهم بقوم يستمعون دعوة الحق فيطيعوننى ولا يعصوننى ، وما نحن عاجزين عن ذلك فلا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر نريده .

قال الله تعالى : « نحن خلقناهم و شددنا أسرهم و اذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلاً » الانسان : ٢٨) .

و قال : « ألم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد و ما ذلك على الله بعزيز » ابراهيم : ١٩ - ٢٠) .

و قال : « إن يشأ يذهبكم أيها الناس و يأت بآخرين و كان الله على ذلك قديراً » النساء : ١٣٣) .

٤٢ - (فذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون)

فاترك أيها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم هؤلاء الكافرين بالله تعالى و آياته و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم والمكذبين باليوم الاخر الذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرتهم الحياة الدنيا وغفلوا عن الاخرة ، ولا تعبا بهم و دعهم فى عنادهم و اصبر على مايقولون واهجرهم هجراً جميلاً أن يخوضوا فى كفرهم وطغيانهم و يلعبوا بباطلهم فى دنياهم لعب اللاعبين الذين لافائدة من فعالهم وأقوالهم الا مر الزمان ، وضياع العمر وفنائه حتى يلاقوا يوم القيامة ماوعدوا فيه من الحساب و العقاب ، فحينئذ يعلمون عاقبة وبال أمرهم و يذوقون شديد نكالهم حين يعرضون للحساب والجزاء يوم تجزى كل نفس بما عملت و لا يسئل حميم حميماً فلا ينفع مال و لا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

قال الله تعالى : « و ذر الذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرتهم الحياة الدنيا و ذكّر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع و ان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون » الانعام : ٧٠) .

وقال: «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون» الحجر: ٣).

و قال : « فذرهم فى غمرتهم حتى حين أيحسبون انما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » المؤمنون : ٥٤ ـ ٥٦) .

وقال: «و نقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرّة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون » الانعام : ١١٠) .

وقال : « و اصبر على مايقولون واهجرهم هجراً جميلا و ذرنى والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلاً ان لدينا أنكالاً وجحيما وطعاماً ذا غصّة و عذاباً أليماً يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً » المزمل : ١٠ ـ ١٤) .

٤٣ - (يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم الى نصب يوفظون)

يوم يخرج هؤلاء الكفار والمجرمون من قبورهم مسرعين اذا دعاهم الداعى لموقف الحساب والجزاء كأنهم إلى نصب يسابق بعضهم بعضاً كما كانوا يهرولون فى الحياة الدنيا إلى النصب إذا عاينوه يبتدرون أيهم يستلمه قبل .

قال الله تعالى : « و نفخ فى الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون » يس : ٥١ ـ ٥٣) .

و قال : « يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً » طه : ١٠٨) .

و قال : « يوم يدع الداع إلى شىء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » القمر : ٦ ـ ٨) .

٤٤ ـ (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون)

حالكون أبصار الكافرين والمجرمين ذليلة خاضعة لايستطيعون النظر من هول ذلك اليوم و لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله تعالى يغشاهم الهوان والذلة و تعلو وجوههم القترة لما أصابهم من الكآبة والحزن ، ذلك اليوم الذى كان هؤلاء الكافرون يوعدون به .

قال الله تعالى : « وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى » الشورى : ٤٤ ـ ٤٥) .

و قال : « قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة » النازعات : ٨ ـ ٩) .

و قال : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها و ترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » يونس : ٢٧) .

﴿ جملة المعانى ﴾

۵۳۷۶ - (سأل سائل بعذاب واقع)

سأل سائل من الكفار بعذاب واقع بهم لا محالة.

۵۳۷۷ - (للكافرين ليس له دافع)

ليس للعذاب الواقع على الكافرين دافع يدفعه عنهم .

۵۳۷۸ - (من الله ذى المعارج)

هذا العذاب نازل من السموات التى الله تعالى هو صاحبها .

۵۳۷۹- (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)

تصعد الملائكة والروح إلى الله تعالى فى يوم كان مقدار هذا اليوم خمسين ألف سنة .

۵۳۸۰ - (فاصبر صبراً جميلاً)

فاصبر أيها النبى على أذى قومك وتكذيبهم واستهزاءهم صبراً جميلاً بلا جزع فيه و لا شكوى لغير الله .

۵۳۸۱ - (انهم يرونه بعيداً)

ان الكافرين يرون هذا اليوم الموعود بعيداً عن الوقوع غير كائن .

۵۳۸۲ - (و نراه قريبا)

و نرى ما وعدناهم قريباً غير بعيد .

۵۳۸۳ - (يوم تكون السماء كالمهل)

يقع هذا العذاب بالكافرين يوم يكون السماء كالشيء المذاب .

٥٣٨٤ - (و تكون الجبال كالعهن)

و تكون الجبال كالصوف المنفوش الذى تلاشى و تنحلّ أجزائه .

٥٣٨٥ - (و لا يسئل حميم حميماً)

و يومئذ لا يسئل ذوقرابة عن قريبه و لا صديق صديقه عن شأنه .

٥٣٨٦ - (يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه)

يتعارف الاحماء المجرمون بعضهم بعضاً إذ يرون العذاب يوم القيامة يتمنى كل لو ينفع أعز الناس إليه فدية و هى أبناؤه يؤدّيها .

٥٣٨٧ - (و صاحبته و اخيه)

أو يفتدى بزوجته التى كان يصاحبها فى الحياة الدنيا أو بأخيه .

٥٣٨٨ - (و فصيلته التى تؤويه)

أو يفتدى بعشيرته الادنون التى يأوى إليها من هول ذلك اليوم و فزعه .

٥٣٨٩ - (و من فى الارض جميعاً ثم ينجيه)

أو يفتدى بمن فى الارض جميعا ليخلصه من ذلك العذاب الموعود .

٥٣٩٠ - (كلا انها لظى)

لا ينجى تلك الفداء المجرم قط من العذاب لان نارجهنم تلظى لهيبها الخالص على الكفار و أذنابهم و لا يخمد إشتعالها .

٥٣٩١ - (نزاعة للشوى)

تنزع نار جهنم جلود الكفار ، و تقلع قوائمهم ، و تحرق أطرافهم .

٥٣٩٢ - (تدعوا من ادبر و تولى)

كأن نار جهنم تدعوا من أعرض عن الايمان والطاعة .

٥٣٩٣ - (و جمع فاوعى)

و كان كل همه جمع المال و كنزه حرصاً على الدنيا و متاعها .

٥٣٩٤ - (ان الانسان خلق هلوعاً)

ان الانسان خلق حريصاً على إجتماع الخير لنفسه . و يمنع البذل من ماله جزعاً أن يفوته المتاع به .

٥٣٩٥ - (اذا مسه الشر جزوعاً)

و من آثار ذميمة للحرص انه إذا أصابه فقر و قلة مال و بلاء استولى عليه اليأس و جزع جزعاً شديداً .

٥٣٩٦ - (و اذا مسه الخير منوعاً)

و اذا نال بمال و خير أمسك و لا ينفقه فى وجوه الخير .

٥٣٩٧ - (الا المصلين)

يظهر ذميم آثار الهلع من الانسان إلاّ الذين يصلّون صلاة تامة كاملة

٥٣٩٨ - (الذين هم على صلاتهم دائمون)

انما المصلون الصادقون هم الذين يستمرون على أداء صلاتهم فى أوقاتها . . .

٥٣٩٩ - (والذين فى أموالهم حق معلوم)

و هم الذين يلتزمون فى أموالهم حقاً معلوماً، فينفقون فى وجوه البر . . .

٥٤٠٠ - (للسائل والمحروم)

و هم يميزون منها للطالب المحتاج الذى يظهر الفاقة ، و للمتعفف الذى لا يجد ما يغنيه .

٥٤٠١ - (والذين يصدقون بيوم الدين)

و هم الذين يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء .

٥٤٠٢ - (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون)

و انما هم الذين بجميع ضمائرهم وظواهرهم فى خوف و رجاء من العذاب والرحمة . . .

٥٤٠٣ - (ان عذاب ربهم غير مامون)

إذ لا يأمن أحد من نزول العذاب .

٥٤٠٤ - (والذين هم لفروجهم حافظون)

والمصلون هم الذين يحفظون فروجهم فى الأحوال كلها عما نهاه الله تعالى.

٥٤٠٥ - (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين)

الا انهم غير ملومين فى مس الازواج الحلائل والجوارى بملك اليمين .

٥٤٠٦- (فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون)

فمن طلب سوى ذلك فاولئك هم المجاوزون حدود الله تعالى .

٥٤٠٧ - (والذين هم لاماناتهم و عهدهم راعون)

و هم الذين يحتفظون بما أؤتمنوا عليه من الامانات كلها .

٥٤٠٨ - (والذين هم بشهاداتهم قائمون)

و هم الذين لا يستنكفون عن تحمل الشهادة و لا عن إقامتها .

٥٤٠٩ - (والذين هم على صلاتهم يحافظون)

و هم الذين يراعون شرائط الصلاة و أركانها و واجباتها . . .

٥٤١٠ - (اولئك فى جنات مكرمون)

اولئك المصلون الذين اتصفوا بتلك الصفات الفاضلة هم فى جنات مكرمون بأنواع كرامة الله تعالى . . .

٥٤١١ - (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين)

فما للكافرين مسرعين إليك ، مادين أعناقهم نحوك .

٥٤١٢ - (عن اليمين و عن الشمال عزين)

يقفون يمينك وشمالك جماعة جماعة متفرقة متفرقة حسب عادة الجاهلية من غير رغبة فى كتاب الله تعالى و لا فى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

٥٤١٣ - (أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم)

أيطمع كل امرىء من هؤلاء الكافرين أن يدخل جنة نعيم كما يدخلها

اولئك المصلون .

٥٤١٤ - (كلا انا خلقناهم مما يعلمون)

ليس الامر كما يطمع فيه هؤلاء الكفار انا خلقناهم من نطفة يعلمون كغيرهم فلافضل لهم أن يدخلوا الجنة بلاايمان وصالح عمل وغيرهم لايدخلونها الاّ بهما .

٥٤١٥ - (فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون)

فاقسم برب مشارق الشمس و مغاربها انا لقادرون .

٥٤١٦ - (على أن نبدل خيراً منهم و ما نحن بمسبوقين)

على أن نهلك الكافرين و نأتى بدلهم بقوم يؤمنون بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و ما نحن بعاجزين عن ذلك .

٥٤١٧ - (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون)

فدعهم أيها الرسول أن يخوضوا فى كفرهم و يلعبوا بباطلهم حتى يلاقوا يوم الدّين الذى وعدوا فيه بالعذاب والنار .

٥٤١٨- (يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم الى نصب يوفضون)

يوم يخرج هؤلاء الكفار من قبورهم مسرعين إلى دعوة الداعى لموقف الحساب والجزاء كأنهم إلى علامة معينة منصوبة يسابق بعضهم بعضاً .

٥٤١٩ - (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون)

حالكون أبصار الكافرين ذليلة لا يستطيعون النظر منّ هول ذلك اليوم تحيطهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا به يوعدون ، و كانوا هم يكذبون به .

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي: قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عن معنى هذا - أي قوله تعالى: «سأل سائل بعذاب واقع» فقال: نار تخرج من المغرب، وملك يسوقها من خلفها حتى يأتي من جهة دار بني سعد بن همام عند مسجدهم، فلا تدع داراً لبني امية إلا أحرقتها وأهلها، ولا تدع داراً فيها وتر لآل محمد الا أحرقتها و ذلك المهدي عليه السلام.

أقول: أي ومن علاماته أو عند ظهوره عليه السلام.

و في غيبة النعماني: باسناده عن صالح بن سهل عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام في قوله: «سأل سائل بعذاب واقع» فقال: تأويلها يأتي عذاب يقع (يرتفع خ) في الثوية يعني ناراً حتى ينتهي إلى كناسة بني أسد حتى تمر بثقيف لا تدع وتراً لآل محمد الا أحرقته وذلك قبل خروج القائم عليه السلام.

وفي الكافي: باسناده عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن لا يسئل ربه شيئاً الا أعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا من عندالله جل ذكره فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسئله شيئاً الا أعطاه فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها فان للقيامة خمسين موقفاً: كل موقف مقداره ألف سنة ثم تلا: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»

وفي المجمع: روى أبو سعيد الخدري قال. قيل: لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أطول هذا اليوم؟ فقال: والذي نفس محمد بيده انه ليخف على المؤمن حتى

يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا .

وفى الاحتجاج : روى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين عليهم السلام ان أمير المؤمنين عليه السلام قال : وقد ذكر النبى صلى الله عليه وآله : انه اسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى مسيرة شهر وعرج به فى ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف عام فى أقل من ثلث ليلة حتى انتهى إلى ساق العرش الحديث .

وفى الدر المنثور : عن عكرمة قال : سئل رجل ابن عباس : ما هؤلاء الايات : «فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» و «يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ولن يخلف الله وعده» و «و ان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» ؟

قال : يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة ، وخلق السموات والارض فى ستة أيام كل يوم ألف سنة ويدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال ذلك مقدار المسير .

وفى التوحيد : باسناده عن زيد بن على عن أبيه على بن الحسين عليه السلام فى حديث قال : وان لله تبارك وتعالى بقاعاً فى سمواته ، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه ألا تسمع الله عزوجل يقول : « تعرج الملائكة والروح إليه » .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « يوم تكون السماء كالمهل » قال : الرصاص الذائب والنحاس كذلك تذوب السماء . وقوله تعالى : « ولا يسئل حميم حميماً » أى لاينفع .

وفيه : وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : «يبصّرونهم» يقول : يعرّفونهم ثم لايتساءلون .

وفيه : فى قوله تعالى : « كلا انها لظى » قال : تلتهب عليهم النار و« نزاعة للشوى » قال : تنزع عينيه وتسوّد وجهه ، و « تدعوا من أدبر وتولى » قال : تجرّه إليها ، و « وجمع فاوعى » قال : جمع مالاً ودفنه ووعاه ولم ينفقه فى سبيل الله ، و « خلق هلوعاً » قال : حريصاً ، و « اذا مسّه الشر جزوعاً » قال : الشر هو الفقر

والفاقة ، و « واذامسّه الخير منوعاً » قال : الغنى والسعة .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « شرّ ما فى الرجل شحّ هالع أو جبن خالع » أى البخل والحرص أو الخوف وقلق القلب ، واضطرابه من كل صوت و حدوث أمر .

وفى تفسير القمى: فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام قال : ثم استثنى فقال : « الا المصلين » فوصفهم باحسن أعمالهم : « الذين هم على صلاتهم دائمون » يقول : اذا فرض على نفسه شيئاً من النوافل دام عليه .

قوله عليه السلام : « اذا فرض على نفسه شيئاً » إشارة إلى ما يستفاد من إضافة الصلاة إلى ضمير « هم » من انهم مداومون على ما يأتون به من الصلاة كائنة ما كانت لا انهم دائماً فى الصلاة ، فلا يشغلهم عنها شاغل ماداموا عليها .

و فى رواية فى قوله تعالى : « الذين هم على صلاتهم دائمون » قال : مستمرّون على أدائها لا يخلّون بها ولا يتركونها .

وفى الكافى : باسناده عن الفضل بن يسار قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : « والذين هم على صلاتهم يحافظون » قال : هى الفريضة قلت : « الذين هم على صلاتهم دائمون » قال : هى النافلة .

و فى وسائل الشيعة : عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : « الذين هم على صلاتهم دائمون » قال : هذا فى النوافل ، وقوله : « والذين هم على صلاتهم يحافظون » فى الفرائض والواجبات .

وفيه : عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن عليه السلام فى قوله تعالى : « والذين هم على صلاتهم يحافظون » قال : اولئك أصحاب الخمسين صلاة من شيعتنا .

وفيه : عن أبى محمد الحسن بن على العسكرى عليهما السلام قال : علامات المؤمن خمس وعدّ منها صلاة الاحدى وخمسين .

وفى الكافى : باسناده عن سماعة بن مهران عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان

الله عزوجل فرض للفقراء فى أموال الاغنياء فريضة لا يحمدون الاّ بأدائها وهى الزكاة بها حقنوا دمائهم ، وبها سمّوا مسلمين ولكن الله عزوجل فرض فى أموال الاغنياء حقوقاً غير الزكاة فقال عزوجل : « والذين فى أموالهم حق معلوم » فالحق المعلوم من غير الزكاة ، وهو شىء يفرضه الرجل على نفسه فى ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله ، فيؤدّى الذى فرض على نفسه إن شاء فى كل يوم وإن شاء فى كل جمعة وإن شاء فى كل شهر وقد قال الله عزوجل أيضاً : « أقرضوا الله قرضاً حسناً » وهذا غير الزكاة . الحديث .

وفيه : باسناده عن أبى بصير قال : كنا عند أبى عبدالله عليه السلام ومعنا بعض أصحاب الاموال ، فذكروا الزكاة فقال أبو عبدالله عليه السلام : ان الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وانما هو شىء ظاهر انما حقن بها دمه وسمّى بها مسلماً ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة وان عليكم فى أموالكم غير الزكاة ، فقلت : أصلحك الله وما علينا فى أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحان الله أما تسمع الله عزو جل يقول فى كتابه : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » قال : قلت ماذا الحق المعلوم الذى علينا قال : هو الشىء يعمله الرجل فى ماله يعطيه فى اليوم أو فى الجمعة أو فى الشهر قلّ أو كثر غير انه يدوم عليه . الحديث

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « والذين فى أموالهم حق معلوم » و روى عن أبى عبد الله عليه السلام انه قال : الحق المعلوم ليس من الزكاة و هو الشىء الذى تخرجه من مالك إن شئت كل جمعة ، وإن شئت كل يوم ولكل ذى فضل فضله .

وفيه : قال : وروى عنه أيضاً انه قال : هو أن تصل القرابة وتعطى من حرمك ، وتصدّق على من عاداك .

وفى الكافى : باسناده عن اسمعيل بن جابر عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزو جل : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » أهو سوى الزكاة ؟ فقال : هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال ، فيخرج منه الالف والالفين

والثلاثة الآلاف والاقل والاكثر ، فيصل به رحمه و يحمل به الكل عن قومه .

وفيه : باسناده عن القاسم بن عبد الرحمن الانصارى قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : ان رجلاً جاء إلى أبى على بن الحسين عليهما السلام فقال له : أخبرنى عن قول الله عزوجل : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ما هذا الحق المعلوم؟ فقال له على بن الحسين عليهما السلام : الحق المعلوم الشىء يخرجه الرجل من ماله ليس من الزكاة ولا من الصدقة المفروضتين قال : فاذا لم يكن من الزكاة و لا من الصدقة فما هو ؟ فقال : هو الشىء يخرجه الرجل من ماله إن شاء أكثر و إن شاء أقل على قدر ما يملك ، فقال له الرجل : فما يصنع به ؟ قال : يصل به رحماً ويقرى به ضيفاً ويحمل به كلاً أو يصل به أخاً له فى الله أو لنائبة تنوبه . فقال الرجل : الله يعلم حيث يجعل رسالاته .

وفيه : باسناده عن صفوان الجمال عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله عزوجل: « للسائل والمحروم » قال : المحروم المحارف الذى قد حرم كدّ يده فى الشراء والبيع .

وفيه : و فى رواية اخرى عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السلام أنهما قالا : المحروم : الرجل الذى ليس بعقله بأس و لم يبسط له فى الرزق وهو محارف .

وفيه : باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزوجل: « والذين يصدقون بيوم الدين » قال : بخروج القائم عليه السلام .

وفيه : باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : ما عبدالله بشىء أفضل من عفة بطن و فرج .

أقول : العفة فى الاصل : الكف ، و فى اصطلاح الحكماء والمتكلمين : حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة والمتعفف المتعاطى لذلك بضرب من الممارسة والقهر، و فى الاخبار تطلق غالباً على عفة البطن والفرج و كفهما عن مشتهياتهما المحرمة ، بل المشتبهة والمكروهة أيضاً ، من المأكولات

والمشروبات والمنكوحات ، بل من مقدماتهما من تحصيل الاموال المحرمة لذلك ، ومن القبلة واللمس والنظر إلى المحرم ، ويدل على ان ترك المحرمات من العبادات وكونهما من أفضل العبادات وكون العفتين من أفضل العبادات لكونهما أشقهما .

وفيه : باسناده عن حنان بن سدير عن أبيه قال : قال أبوجعفر عليه السلام : ان أفضل العبادة عفة البطن والفرج .

وفيه : باسناده عن أبى سارة قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عنها يعنى المتعة؟ فقال لى : حلال فلاتتزوج الا عفيفة ان الله عزوجل يقول : « والذين هم لفروجهم حافظون » ولا تضع فرجك حيث لاتأمن على دراهمك .

و فى فقه الرضا عليه السلام : قال: سئل الصادق عليه السلام عن الخفخضة فقال : إثم عظيم قد نهى الله تعالى عنه فى كتابه ، وفاعله كناكح نفسه ، ولو علمت بمن يفعله ما أكلت معه ، فقال السائل : فبيّن لى يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كتاب الله نهيه؟ فقال : قول الله : « فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » وهو مما وراء ذلك فقال الرجل : أيّما أكبر الزنا أوهى ؟ قال : هوذنب عظيم قد قال القائل : بعض الذنوب أهون من بعض ، والذنوب كلها عظيم عندالله لانها معاص ، و ان الله لايحب من العباد العصيان ، وقدنهانا الله عن ذلك لانها من عمل الشيطان ، و قال : « لاتعبدوا الشيطان ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب الجحيم »

و فى المجمع : وروى زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : هذه الفريضة من صلاّها لوقتها عارفاً بحقها لايؤثر عليها غيرها كتب الله له بها براءة لايعذّبه ، ومن صلاّها لغير وقتها مؤثراً عليها غيرها فان ذلك اليه ان شاء غفر له وان شاء عذّبه.

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لاايمان لمن لاأمانة له ، ولا دين لمن لاعهد له »

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « مهطعين » قال : أذلاء وقوله تعالى : « عزين » قال: قعود وقوله: « انا خلقناهم مما يعلمون » قال : من نطفة ثم من علقة.

وفى الدر المنثور : عن عبادة بن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد، فقال : مالى أراكم عزين حلقاً حلق الجاهلية قعد رجل خلف أخيه .

وفى رواية : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه جلوس حلقاً حلقاً ، فقال : مالى أراكم عزين .

و فى رواية : عن جابر بن سمرة قال:دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد ونحن حلق متفرّقون فقال : « مالى أراكم عزين ألا تصفّون كما تصفّ الملائكة عند ربها » قالوا : و كيف تصفّ الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف الاول ويتراصّون فى الصف .

و فى الاحتجاج: عن الاصبغ بن نباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيها الناس سلونى فان بين جوانحى علماً جماً فقام اليه ابن الكوا فقال : يا أمير المؤمنين - وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً .

قال عليه السلام : ثكلتك امك يا بن الكوا ! كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ، و لا ينقض بعضه بعضا ، فسل عما بدالك .

قال : يا أمير المؤمنين سمعته يقول : « رب المشارق والمغارب » وقال فى آية اخرى : « رب المشرقين ورب المغربين » وقال فى آية اخرى : « رب المشرق والمغرب »

قال عليه السلام : ثكلتك امك يابن الكوا ! هذا المشرق وهذا المغرب ، و أما قوله : « رب المشرقين و رب المغربين » فان مشرق الشتاء على حدة و مشرق الصيف على حدة أما تعرف بذلك من قرب الشمس و بعدها ؟ و أما قوله : « رب المشارق والمغارب » فان لها ثلاثمأة وستين برجاً ، وتطلع كل يوم من برج ، و

تغيب في آخر، فلاتعود إليه إلاّ من قابل في ذلك اليوم. الحديث ...

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «فلااقسم» قال: اقسم و «برب المشارق و المغارب» قال: مشارق الشتاء و مشارق الصيف، و مغارب الشتاء و مغارب الصيف.

و في معاني الاخبار: باسناده عن عبدالله بن أبي حماد مرفوعاً إلى الامام امير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزوجل: «رب المشارق والمغارب» قال: لهما ثلاثمأة وستون مشرقاً وثلاثمأة وستون مغرباً، فيومها الذي تشرق فيه لا تعود فيه إلاّ من قابل.

و في كنز الفوائد: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «فلا اقسم برب المشارق والمغارب» قال: المشارق: الانبياء والمغارب: الاوصياء عليهم السلام.

اقول: عبّر عن الانبياء بالمشارق لان أنوار هدايتهم تشرق على أهل الدنيا، وعن الاوصياء بالمغارب لان بعد وفاة الانبياء تغرب أسرار علومهم في صدور الاوصياء ثم تفيض عنهم على الخلق بحسب قابلياتهم واستعدادهم.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «يوم يخرجون من الاجداث سراعاً» قال: من القبر و «كأنهم إلى نصب يوفضون» قال: إلى الداعي ينادون، و قوله: «ترهقهم ذلة» قال: تصيبهم ذلة.

و في كنز الفوائد: باسناده عن محمد بن يحيى عن ميسّر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزوجل: «خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون» قال: يعني يوم خروج القائم عليه السلام.

أقول: رواه البحراني في البرهان عن يحيى بن ميسر ولكنني لم أجد «يحيى بن ميسر» من بين الاصحاب في الرجال.

﴿ بحث فقهي ﴾

و قد استدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » المعارج : ٢٤ ـ ٢٥) على وجوب ما تقرّر شرعاً كالزكاة والخمس ، على أن السياق وان كان بصدد المدح للمصلين ولكنه باعتبار الكسب والاخراج .

أقول : ان قوله تعالى لايدل على ذلك لانصاً ولاظاهراً ، و ما أوردنا من الروايات عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام تدفع ذلك .

واستدل بعضهم بالآيتين على الترغيب في نذر الاموال ونحوه وتعيين شيء منها للمذكورين ولو بالوصية وغيرها .

في قوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوماملكت ايمانهم فانهم غيرملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » المعارج : ٢٩ ـ ٣١)

بيان مسائل :

أحدها ـ ينحصر سبب إباحة الفروج في أمرين: أحدهما ـ الزواج. ثانيهما ـ ملك اليمين على طريق الانفصال الحقيقي بان الفروج حلال إما بعقد نكاح أو بملك يمين بحيث لايجتمعان ولا يرتفعان إذ أكّد ذلك بقوله تعالى : « فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون »

ولايخفى ان ملك اليمين يبيح استمتاع مالك الاماء باماته إستفراشاً بدون

قيد وعقد لمافى ذلك من تخفيف وتيسير على المسلمين ، ولايجوزاستمتاع مالك الغلمان بغلمانهم بأى نحو كان لان قوله تعالى : « ما ملكت أيمانهم » محصور الدلالة فى الاماء دون الغلمان ، وان اتيان الغلمان من ملك اليمين محرم كاتيان غيرهم ، وهومستحق لحدّ الواطىء .

فرع : أما المتعة وتحليل الأمة للغيرفالاولى داخلة فى الازواج . . . و اما انتفاء بعض أحكامها كالارث والقسمة فلا تقتضى خروجها عن مسمى الزوجة لانها زوجة لغة وشرعاً أيضاً كما فى بعض الدائمات أيضاً مثل الناشزة والقاتلة .

والتحليل داخل فى ملك اليمين على الاقوى لشمول الملك العين والمنفعة على الاصح ، فالتحليل تمليك منفعة ، ولذلك قال : « أوماملكت أيمانهم » إذ لا يشترط فى مدلولها العقل، ولوأراد ملك العين لقال : « ومن ملكت أيمانهم »فملك المنفعة أعم من أن يكون تابعاً لملك الاصل أو منفرداً .

ان قلت : فعلى هذا تلزم إباحة الفروج بالاجارة وغير ذلك من العقود المملكة للمنافع ؟

تجيب : وذلك خارج بالاجماع .

ثانيها ـ يحرم نكاح العبد لمالكته لقوله تعالى : « الا على أزواجهم أو ما ملكت . . الخ » لتذكير الضمير فيحمل على الحقيقة .

فالقول بتغليب المذكر ـ ويلزم حينئذ جوازنكاح العبد لمالكته بحكم الاستثناء فيحتاج المنع إلى دليل ـ فلابد من الحمل على المجاز ولادليل عليه.

فرع : يظهرمما تقدم ان البضع لايتبعّض ، فلوملك بعض أمة لم يحل له العقد على باقيها ، والا لزم التبعيض ، فيستبيح بعضها بالملك وبعضها بالعقد وهو باطل .

واختلف الفقهاءفى تحليل الشريك له حصته هل يبيحه الوطىء أم لا؟فقال جماعة منهم: لا يبيح والا لزم التبعيض . ومنهم من قال : يبيح كابن ادريس والشهيد، ولكن الاحتياط لايترك .

ثالثها - يحرم كل ايلاج فى غير زوج أوملك يمين لقوله تعالى : « فمن ابتغى وراءذلك فاولئكهم العادون » حتى جلد غيره و كشف الفروج عندغيرهما والاستمتاع بغيرهما حتى الاستمناء باليد وسائر البدن وبالحيوانات وغيرها لان كل ذلك مما وراء ذلك .



﴿بحث مذهبي﴾

و استدلت الأشاعرة و أذنابهم المجبرة بقوله تعالى: « ان الانسان خلق هلوعاً » على سبق قضاء الله الكفر والضلال في الكافر والضال كسبق قضائه تعالى الايمان والاهتداء في المؤمن والمهتدي، فكفر الكافر وضلالة الضال فمن مشيئة الله كما ان ايمان المؤمن و هداية المهتدي فبارادته.

في تفسير النيسابوري: ما لفظه « قال أهل السنة: الحالة النفسانية التي هي مصدر الافعال الاختيارية كالجزع والمنع لاشك انها بخلق الله تعالى بل الجزع والمنع أيضاً من خلقه، و لا اعتراض لاحد عليه خلق بعض الناس هلوعاً وخلق المستثنين منهم غير هلوع بل مشغولي القلب بأحوال الاخرة، و كل ذلك تصرف منه في ملكه، و قالت المعتزلة: ليس المراد انه مخلوق على هذا الوصف لانه تعالى ذكره في معرض الذم، والله تعالى لا يذم فعله و لانه تعالى استثنى منهم جماعة جاهدوا أنفسهم و ظلفوها عن الشهوات ولو كانت ضرورية لم يقدروا على تركها، والجواب: ان الذين خلقهم كذلك لم يقدروا على الترك والذين تركوها هم الذين خلقوا على هذا الوصف وهم أصناف ثمانية ـ و هم المصلون المتصفون بثمان صفات ـ ».

و في الكشاف: قال: ان في الكلام إستعارة، والمعنى أن الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه كأنه مجبول مطبوع عليهما، و كأنه أمر مخلوق فيه ضروري غير اختياري، فالكلام موضوع على التشبيه لا لافادة كونه مخلوقاً

لله حقيقة لان الكلام مسوق للذم والله سبحانه لا يذم فعل نفسه ، و من الدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم ، فنجوا عن الجزع والمنع جميعاً .

و اجيب عنه : بان الصفة مخلوقة نعمة وفضيلة والانسان هوالذى يخرجها من الفضيلة إلى الرذيلة ، ومن النعمة إلى النقمة ، والذم راجع إلى الصفة من جهة سوء تدبيره لا من حيث انها فعله تعالى ، و استثناء المؤمنين ليس لأجل أن الصفة غير مخلوقة بهم بل لأجل انهم أبقوها على كمالها و لم يبدّلوها رذيلة و نقمة .

فصفة الهلع هى التى اقتضت الحكمة الالهية كسائر الصفات أن يخلق الانسان عليها ليهتدى بها إلى ما فيه خيره و سعادته غير أن الانسان يفسدها على نفسه و يسيىء استعمالها فى سبيل سعادته ، فتسلك به إلى هلكة دائمة الا ّ المصلين الذين اتصفوا بصفات ثمان . . .

فالحرص الشديد الذى جبل عليه الانسان ليس حرصاً منه على كل شيء خيراً كان أم شراً ، و نافعاً كان أم ضاراً بل حرصاً على الخير والنافع ، ولا حرصاً على كل خير أو نافع سواء ارتبط به أو لم يرتبط ، وكان له أو لغيره بل حرصاً منه على ما يراه خيراً لنفسه أو نافعاً فى سبيل الخير ، و لازم هذا الحرص أن يظهر منه التزعزع والاضطراب عند مسّ الشر و هو خلاف الخير ، و أن يمتنع عن ترك الخير عند مسّه ، و يؤثر نفسه على غيره الا ّ أن يرى الترك أكثر خيراً و أنفع بحاله ، فالجزع عند مسّ الشر والمنع عند مسّ الخير من لوازم الهلع و شدة الحرص .

فليس الهلع الذى طبع عليه الانسان - و هو من فروع حب الذات - فى حدّ نفسه من الرذائل المذمومة كيف ؟ وهى الوسيلة الوحيدة التى تدعو الانسان إلى بلوغ سعادته و كمال وجوده ، و انما تكون رذيلة مذمومة اذا أساء الانسان فى تدبيرها فاستعملها فيما ينبغى ، و فيما لا ينبغى و بالحق وبغير حق كسائر الصفات النفسانية التى هى كريمة ما لزمت حدّ الاعتدال واذا انحرفت إلى جانب

الافراط أو التفريط عادت رذيلة مذمومة .

فالانسان فى بدء نشأته وهو طفل يرى ما يراه خيراً لنفسه أو شراً لنفسه بما جهّز به من الغرائز العاطفة ، و هى التى تهواه نفسه و تشتهيه قواه من غير أن يحدّه بحدّ أو يقدّره بقدر فيجزع اذا مسّه ألم أو أى مكروه ، و يمنع من يزاحمه فيما أمسك به بكل ما يقدر عليه من بكاء و نحوه .

و هو على هذه الحال حتى إذا رزق العقل والرشد أدرك الحق و الباطل والخير والشر و اعترفت نفسه بما أدرك و حينئذ يتبدّل عنده كثير من مصاديق الحق والباطل والخير والشر فعاد كثير مما كان يراه خيراً لنفسه شراً عنده و بالعكس .

فان أقام على ماكان عليه من اتباع أهواء النفس والعكوف على المشتهيات و اشتغل بها عن اتباع الحق و غفل عنه طبع على قلبه فلم يواجه حقاً الأدحضه ولا ذاحق الأاضطهده و ان أدركته العناية الالهية عاد ما كان عنده من الحرص على ما تهواه النفس حرصاً على الحق ، فلم يستكبر على حق واجهه و لا منع ذاحق حقه .

فالانسان فى بادىء أمره وهو عهد الصبى قبل البلوغ والرشد مجهّز بالحرص الشديد على الخير ، وهو صفة كمالية له بحسب حاله بها ينبعث إلى جلب الخير و اتقاء الشر قال تعالى : « و انه لحب الخير لشديد » العاديات : ٨) .

ثم اذا رزق البلوغ والرشد زاد تجهيزاً آخر و هو العقل الذى بها يدرك حقائق الامور على ما هى عليها ، فيدرك ما هو الاعتقاد الحق ، و ما هو الخير فى العمل ، و يتبدّل حرصه الشديد على الخير و كونه جزوعاً عند مس الشر و منوعاً عند مسّ الخير من الحرص الشديد على الخير الواقعى من الفزع والخوف اذا مسّه شر اخروى وهو المعصية والمسابقة إلى مغفرة ربه اذا مسّه خير اخروى، وهو مواجهة الحسنة ، و أما الشر والخير الدنيويان فانه لايتعدّى فيهما ما حدّه

لله له من الصبر عند المصيبة والصبر على الطاعة والصبر عن المعصية وهذه الصفة صفة كمالية للانسان .

وأما اذا أعرض الانسان عما يدركه عقله ويعترف به فطرته و عكف على اتباع الهوى و اعتنق الباطل ، و تعدّى إلى حق كل ذى حق ولم يقف في حرصه على الخير على حدّ فقد بدّل نعمة الله نقمة و أخذ صفة عزيزية خلقها الله تعالى وسيلة له يتوسل بها إلى سعادة الدارين وسيلة إلى الشقوة والهلكة تسوقه إلى الادبار والتولى والجمع والايعاء كما فى الايات . . .

فظهر مما ذكر : انه لاضير في نسبة هلع الانسان إلى الخلقة والكلام مسوق للذم و قد قال الله تعالى : « الذى أحسن كل شىء خلقه » السجدة : ٧) .

و ذلك ان ما يلحقه من الذم انما هو من قبل الانسان و سوء تدبيره لامن قبله تعالى ، فهو كسائر نعمه تعالى على الانسان التى يصيّرها نقماً بسوء اختياره .

واجيب عنه ايضاً : بان الاستثناء منقطع ، ولكن المتقدم يغنينا عن القول به .

ويستدل بقوله تعالى : « أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم كلا » المعارج : ٣٨ - ٣٩) على عدم دخول الكفار و أذنابهم الجنة رداً على من توهم بجواز دخول المؤمن فى النار ، و دخول الكافر فى الجنة .

«أنواع العذاب وطوائف المعذبين وأشدهم عذاباً»

قال الله تعالى : «سأل سائل بعذاب واقع - يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه - ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر و تولى وجمع فاوعى» المعارج : ١ - ١٨)

وقد وجدت المقام مناسباً للبحث حول العذاب وهو فى الاصل : الاستمرار بالشيء يقال : عذبه تعذيباً إذا استمر به الألم ، والعذاب إسم بمعنى التعذيب ، و حمار عاذب و عذوب : اذا استمرّ به العطش فلم يأكل من شدة العطش ، ومنه العذاب : الايجاع ، فرس عذوب إذا استمرّ جوعه ، والعذوب : الذى ليس بينه و بين السماء ستر .

قال بعض الاعلام : ان الفرق بين العقاب والعذاب : ان العقـاب ما يلزم سبق الجرم من المجرم نفسه فيعاقب به على سبيل المجازاة والعذاب أعم من سبيل المجازاة فيعذّب الانسان إما بجرم نفسه و إما بجرم غيره اذا كان راضياً بفعله كاليهود الذين قتلوا زمن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بسبب قتل آبائهم الانبياء وقد كانوا هم راضين عنه وهم يعذبون الاخرة و ضربت على من بقى منهم الذلة والمسكنة

قال الله تعالى فيهم : «ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون بغير حق - فبشرهم بعذاب أليم - ضربت عليهم الذلة أين ماثقفوا الا بحبل من الله وحبل من

الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون - قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » آل عمران: ٢١ - ١١٢ - ١٨٣)

ولا يخفى ان العذاب لايقصر فى نار جهنم كما يتوهم كثيراً ، و انما هو على أنواع حسب درجات الكفر وأنواع المعصية . . . فمنها عذاب دنيوى و هذا أيضاً على ضروب : منها - أخلاقى سلبى وايجابى : معيشة ضنكاً قال الله تعالى : «ومن أعرض عن ذكرى فان له معشية ضنكاً » طه : ١٢٤)

والذلة والخزى قال : « ان الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا » الاعراف : ١٥٢)

وقال : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا» البقرة:٨٥)

عذاب الهون وقت الموت قال : « ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون» الانعام : ٩٣) ومن أنواع العذاب ما يقع على مستحقيه بعد موته إلى يوم القيامة ، ومنها من حين البعث إلى أن يدخلوا فى النار من حبوط أعمالهم : « اولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة » البقرة : ٢١٧) وخيبة أملهم فى الاوثان التى أشركوها مع الله سبحانه : « و ما نرى معكم شفعاء كم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » الانعام : ٩٤) ومن يأسهم من رحمة الله تعالى : « اولئك يئسوا من رحمتى » العنكبوت : ٢٣)

و حرمانهم من مغفرة الله تعالى : « ان الذين كفروا و ظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً الا طريق جهنم خالدين فيها أبداً » النساء :١٦٨-١٦٩)

ومن الرحمة الالهية : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون »المطففين:١٥)

و من النظر والتزكية : « ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم » آل

عمران : ٧٧)

و من النور الذى يبحثون عنه لدى المـؤمنين بلا جدوى : « يـوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور » الحديد : ١٣)

وحرمانهم من السمع والبصر والكلام حين البعث : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً » الاسراء : ٩٧)

ومن كل اشتهاءاتهم : « وحيل بينهم وبين ما يشتهون » سباء : ٥٤)

ويأسهم من الحياة الاخرة : « قد يئسوا من الآخرة » الممتحنة : ١٣)

حيث لانصيب لهم فيها : « ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها و ماله فى الاخرة من نصيب » الشورى : ٢٠)

ويخذلون : « لاتجعل مع الله الهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً » الاسراء:٢٢)

وحيث ينسون : « اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا » الاعراف:٥١)

وهم ناكسو رؤسهم : « ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم » السجدة:١٢)

و هم سواد الوجوه : « و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » الزمر : ٦٠)

وهم عابسة الوجوه تعلوها ظلمة وغبار : « وجوه يومئذ باسرة » القيامة:٢٤)

و« ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة» عبس: ٤٠ _ ٤٢)

وانهم فى ذلك اليوم يودون أن يباعد الله بينهم وبين أعمالهم السيئة : « و ما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً » آل عمران : ٣٠)

وهم يودّون أن يفتدوا من عذاب يوم الاخرة بكل من في الارض : « يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه و صاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه و من فى الارض جميعاً ثم ينجيه كلا » المعارج : ١١ _ ١٥)

وتحصى عليهم الاعمال صغيرها وكبيرها رغم إخفائهم اياها وهم يقولون « يا ويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الاأحصاها» الكهف : ٤٩)

وأكثر من ذلك هنالك فى أبدانهم وحواسهم شهود يشهدون ضدّهم : «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بماكانوا يعملون » النور : ٢٤)

و « حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء » فصلت : ٢٠ ـ ٢١)

فلابدلهم من حمل أوزارهم : « قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم » الانعام : ٣١)

وهم : « سيطوّقون مابخلوا به يوم القيامة » آل عمران : ١٨٠)

وهم مذمومون : « جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً »الاسراء:١٨)

وملومون : « ولاتجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى ملوماً مدحوراً»الاسراء:٣٩)

وممقوتون : « انالذين كفروا ينادون لمقتالله أكبر من مقتكم أنفسكم» غافر : ١٠)

وهم يحسّون تقطّع كل العلائق التى تربطهم بسادتهم وأتباعهم : «اذتبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب »البقرة :١٦٦)

وهم يجدون أنفسهم عاجزين عن أن يرجعوا مجرى الزمن ويعودوا إلى الارض : « ياليتنانردّ ولا نكذّب بآيات ربنا و نكون من المؤمنين بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل » الانعام : ٢٧ ـ ٢٨)

وليس أمامهم الآن أن يعضوا أصابعهم مع زفرات الأسى : « ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلنى عن الذكر بعد اذجاءنى وكان الشيطان للانسان خذولاً »الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩)

وهذه هي الايات التي تتعلق بعذاب روحي للكافرين وأذنابهم . . .

وفي الكتاب الكريم آيات كثيرة تتعلق بعذاب جسمي للكافرين وأضرابهم لايسعها المقام ، فنشير إلى نبذة منها :

« انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً » الانسان : ۴)

«اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون» غافر : ۷۱ - ۷۲)

و هم موثوقو القيود : « وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد » الفرقان : ۱۳)

و هم يسمعون للنار من بعيد زمجرة و هدير : « اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً » الفرقان : ۱۲)

حتى كأنها بركان ثائر: « اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور» الملك:۷)

وهي تقذف شراراً كالقصور الرفيعة : « انها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر » المرسلات : ۳۲ - ۳۳)

وهم يسحبون على وجوههم: «يوم يسحبون في النار على وجوههم» القمر:۴۸)

فيطرحون في النار على وجوههم: « فكبّت وجوههم في النار» النمل:۹۰)

وهي نار متقدة : « تصلى ناراً حامية » الغاشية : ٤)

وهم يعذبون فيها بانواع من العذاب منها في مسكنهم : « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار » النساء : ۱۴۵)

وهي نار محكمة الانسداد عليهم : « عليهم نار مؤصدة » البلد : ۲۰)

نار تطلع على أفئدتهم : « نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة » الهمزة : ۶ - ۹)

ومسكنهم - على خلاف مساكن المؤمنين - سجن : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » الاسراء : ۸) « واذا القوا منها مكاناً ضيقاً » الفرقان : ۱۳)

سجن زبانيته من الملائكة الاشداء القساة : « عليها ملائكة غلاظ شدادلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » التحريم : ٦)

ومنها بعطاش وجياع : «لايذوقون فيها برداً ولاشراباً الا حميماً وغساقاً» النبأ : ٢٤ ـ ٢٥)

« تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع» الغاشية : ٥ ـ ٧)

وهم غذاء جهنم : « فكانوا لجهنم حطباً » الجن : ١٥)

و كلما أحس الكافرون بالعذاب والألم حاولوا الهروب منه ، فتدفعهم الزبانية فى النار يضربونهم بهراوات من الحديد : « و لهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها و«ذوقوا عذاب الحريق »الحج : ٢١ ـ ٢٢)

و يحيط بهم النكال من كل صوب : « انا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » الكهف : ٢٩)

و « لهم من جهنم مهاد و من فوقهم غواش و كذلك نجزى الظالمين » الاعراف : ٤١)

و يضرب اللهيب وجوههم : « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون » المؤمنون : ١٠٤)

وهى التى تسلخ جلودهم و تقلع أطرافهم :« انها لظى نزاعة للشوى» المعارج: ١٥ ـ ١٦)

و كلما سلخت الجلود كان لهم غيرها حتى يذيقهم الله تعالى العذاب مضاعفاً وهكذا إلى الابد : « سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء : ٥٦)

ولن يقتصر أمرهم على عذاب الحريق بل سيكونون كذلك فى عذاب الحميم يغمسون فى هذا الماء المغلى ، ثم يقذفون فى النار ، وهكذادواليك : «يسحبون

في الحميم ثم في النار يسجرون » غافر : ٧١ ـ ٧٢)

ويصبّ هذا الماء الحميم على رؤسهم ، فيذيب جلودهم وأحشاء هم : « يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود » الحج : ١٩ ـ ٢٠)

فاذا شربوا منه انشوت وجوههم، وتمزقت أمعاؤهم : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب » الكهف : ٢٩)

« وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٥)

ولا يكتفى بهذا الماء الحميم ، بل يسقون شراباً آخر أكثر قيحاً بحيث لا يطيقون إساغته : « ويسقى من ماء صديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت » ابراهيم :١٦ ـ ١٧)

وهنا لك أيضاً طعام الزقوم يغلى في بطونهم كرصاص يذاب : « ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى في البطون كغلى الحميم » الدخان : ٤٣ ـ ٤٦)

وأطعمة اخرى ذات غصّة وعذاب كلّه ألم : « وطعاماً ذاغصة وعذاباً أليماً » المزمل : ١٣)

ومن صنوف العذاب الريح المحرقة والظل من دخان خادع : « في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم » الواقعة : ٤٢ ـ ٤٤) « انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لاظليل ولا يغني من اللهب » المرسلات : ٣٠ ـ ٣١)

وغير ذلك من أنواع العذاب الروحية والجسمانية ، الدنيوية والاخروية ، السلبية والايجابية . . .

في روضة الكافي : عن الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : ان الله يعذّب الستة بالستة : العرب بالعصبية ، والدهاقين بالكبر ، والامراء بالجور ، والفقهاء بالحسد ، والتجار بالخيانة ، وأهل الرساتيق بالجهل .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أشد الناس حسرة يوم القيامة : رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه ، و رجل علّم علماً فانتفع به من

سمعه منه دونه »

وفي رواية: : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة : إمام جائر »

و في رواية: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة : من يرى الناس أن فيه خيراً ولاخير فيه »

و في رواية: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه »

و في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أشد الناس عذاباً للناس في الدنيا، أشد الناس عذاباً عندالله يوم القيامة »

ومن كلام بعض الظرفاء: «ليس في النار عذاب أشد على أهلها من عملهم بانه ليس لكربهم تنفيس ولالفيقتهم ترفيه ، ولالعذابهم غاية ، وليس في الجنة نعيم أبلغ من علم أهلها بان ذلك الملك لايزول عنهم » وأما شدة العذاب و تعدده فبشدة قبح السيئات و كثرتها ، وجزاء سيئة سيئة مثلها .

قال الله تعالى : « وجزاؤا سيئة سيئة مثلها » الشورى : ٤٠)

وفي تفسير روح البيان: رؤي الحجاج في المنام بعد وفاته ، فقيل : مافعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتيل قتلته قتلة وبسعيد بن جبير سبعين قتلة .

اقول: ان الايات القرآنية والروايات الصحيحة الواردة في العذاب الجسماني يوم القيامة غير العذاب الروحي فيها أكثر من أن تحصى ، فتوهم بعض المتوهمين و تشكيكه في العذاب الجسمي يوم الاخرة توهم لا شأن له ، و شك لا يعتنى به.

﴿عذاب الاستئصال و تأخيره عن هذه الامة﴾

قال الله تعالى : « فاصبر صبراً جميلا انهم يرونه بعيداً و نراه قريباً يوم تكون السماء كالمهل » المعارج : ٥ ـ ٨) .

وقدجاء بمواضع من الكتاب الكريم ذكر فى عذاب الاستئصال على الكفرة من الامم السابقة كقوم نوح و لوط و عاد و ثمود . . . و قد منع هذا عن كفرة هذه الامة المسلمة و فجرتهم ، و قد كانوا هم أشد كفراً و نفاقاً ، و أكثر ايذاء و استهزاءاً على نبيهم ﷺ و أكثر فجوراً . . . و قد كانوا هم يسئلون ذلك عن النبى ﷺ و لكن الله تعالى كان يأمره ﷺ بالصبر صبراً جميلاً ، و ينهاه عن التعجيل و ينهاهم عن الاستعجال بقوله تعالى : « فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل و لا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون » الاحقاف : ٣٥) .

وقال : « و يستعجلونك بالعذاب ـ وان جهنم لمحيطة بالكافرين » العنكبوت : ٥٣ ـ ٥٤) .

و إن كان يهددهم بذلك ليلفت أعناقهم و أنظارهم وقلوبهم و أعصابهم إلى مصارع المكذبين من قبلهم ، فليتوقعوا فى كل لحظة أن تأتيهم أنباء ما كانوا يستهزؤن .

و يعدهم بان العذاب واقع عليهم يوم القيامة و ذلك لامور :

منها : ان الله تعالى أراد أن لا يستأصل هذه الامة بعذاب بعث فيهم رسوله

صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين إذ قال: «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» الانبياء : ١٠٧).

و تمّت به صلى الله عليه وآله الرحمة على العالمين كما ختمت به الرسالة و قال :

« وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » الانفال: ٣٣).

و منها : لكون أصحاب الايمان والاطفال والذين لم يلحقوا بهم من الذين سيؤمنون فيهم بخلاف الامم السالفة . . .

فى العيون : باسناده عن الهروى عن الرضا عليه السلام قال : قلت له : لأىّ علة أغرق الله عزوجل الدنيا كلها فى زمن نوح عليه السلام وفيهم الاطفال وفيهم من لاذنب له ؟ فقال عليه السلام : ماكان فيهم الاطفال لان الله عزوجل أعقم أصلاب قوم نوح عليه السلام و أرحام نسائهم أربعين عاماً ، فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم ، وماكان الله عزوجل ليهلك بعذابه من لا ذنب له ، و أما الباقون من قوم نوح عليه السلام فاغرقوا لتكذيبهم لنبى الله نوح عليه السلام و سائرهم اغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين ، و من غاب عن أمر فرضى به كان كمن شهده و أتاه .

و فى العلل : باسناده عن مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام : ان رسول صلى الله عليه وآله قال : ان الله عزوجل اذا رأى أهل قرية قد أسرفوا فى المعاصى، وفيها ثلاث نفر من المؤمنين ناداهم جل جلاله وتقدست أسماءه ياأهل معصيتى لولافيكم من المؤمنين المتحابين بجلالى العامرين بصلاتهم أرضى ومساجدى والمستغفرى بالاسحار خوفاً منى لانزلت بكم عذابى ثم لاابالى.

وفيه : باسناده عن على بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عن على عليه السلام قال: ان الله تعالى إذا أراد أن يصيب أهل الارض بعذاب ، قال : لولا الذين يتحابون بجلالى و يعمرون مساجدى و يستغفرون بالاسحار لأنزلت عذابى .

وفيه : باسناده عن الاصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ان الله تعالى ليهمّ بعذاب أهل الارض جميعاً حتى لا يريد أن يحاشى منهم أحداً إذ عملوا بالمعاصى و أجترحوا السيئات ، فاذا نظر إلى الشيب ناقلى أقدامهم إلى الصلوات

والولدان يتعلّمون القرآن رحمهم و أخّر عنهم ذلك .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلّم - في كلام له مع أبي جهل - : يا أبا جهل : أما علمت قصة ابراهيم الخليل ؟ لما رفع في الملكوت قوّى الله بصره - لمارفعه دون السماء - حتى أبصر الارض و من عليها ظاهرين و مستترين، فرأى رجلاً و امرأة على فاحشة فدعا عليهما فهلكا ، ثم رأى آخرين فدعا عليهما فهلكا ، ثم رأى آخرين فدعا عليهما فهلكا ، فأوحى الله إليه :

يا ابراهيم ! اكفف دعوتك عن عبيدي و إمائي، فاني أنا الله الغفور الرحيم، لا تضرّني ذنوب عبادي ، كما لا تنفعني طاعتهم ، و لست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك ، فاكفف دعوتك عن عبيدي و إمائي ، فانما أنت عبد نذير لا شريك في المملكة ، و لا مهيمن عليّ و لا على عبادي ، و عبادي بين خلال ثلاث : إما تابوا إليّ فتبت عليهم و غفرت ذنوبهم و سترت عيوبهم ، أو كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون، فأرفق بالآباء الكافرين وأتأنّى بالامهات الكافرات ، و أرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم ، فاذا تزايلوا حلّ بهم عذابي وحاق بهم بلائي ، و إن لم يكن هذا و لا هذا ، فان الذي أعددته له من عذابي أعظم مما تريده به ، فان عذابي لعبادي على حسب جلالي و كبريائي .

يا ابراهيم ! فخلّ بيني و بين عبادي ، فانّي أرحم بهم منك ، و خلّ بيني وبين عبادي ، فاني أنا الله الجبار الحليم العلام الحكيم ، أدبّرهم بعلمي، وأنفذ فيهم قضائي و قدري .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلّم : قال الله تعالى: « لولا شيوخ ركّع ، و شباب خشّع ، و صبيان رضّع ، و بهائم رتّع لصببت عليكم العذاب صباً » .

و في رواية : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « إن أحبّ العباد إليّ المتحابون بجلالي ، المتعلّقة قلوبهم بالمساجد ، والمستغفرون بالاسحار ، اولئك الذين إذا أردت بأهل الارض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم » .

تمت سورة المعارج والحمد لله رب العالمين
و صلوات الله على محمد و آله الطاهرين

سورة نوح مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ١ قال يا قوم إني لكم
نذير مبين ٢ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ٣ يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل
الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ٤ قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ٥ فلم يزدهم دعائي إلا فرارا
٦ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ٧

ثم إني دعوتهم جهارا ٨ ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا ٩ فقلت استغفروا ربكم إنه
كان غفارا ١٠ يرسل السماء عليكم مدرارا ١١ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم
أنهارا ١٢ ما لكم لا ترجون لله وقارا ١٣ وقد خلقكم أطوارا ١٤ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا
١٥ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ١٦ والله أنبتكم من الأرض نباتا ١٧ ثم يعيدكم
فيها ويخرجكم إخراجا ١٨ والله جعل لكم الأرض بساطا ١٩ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ٢٠ قال
نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ٢١ ومكروا مكرا كبارا ٢٢
وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ٢٣ وقد
أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا ٢٤ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا
لهم من دون الله أنصارا ٢٥ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ٢٦
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ٢٧ رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا ٢٨

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن الحسين بن هاشم عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من كان يؤمن بالله ويقرأ كتابه لايدع قراءة سورة : « انا أرسلنا نوحاً إلى قومه » فأي عبد قرأها محتسباً صابراً في فريضة أو نافلة أسكنه الله تعالى مساكن الابرار، و أعطاه ثلاث جنان مع جنته كرامة من الله ، و زوّجه مأتي حوراء و أربعة آلاف ثيّب إن شاء الله .

أقول : رواه الطبرسي في المجمع مع زيادة « واليوم الآخر » بعد « يؤمن بالله » و « فلا يدع أن يقرأ » مكان « لا يدع قراءة » .

و روى البحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين ، والمجلسي في البحار مثل ما في ثواب الاعمال .

و لا يخفى : ان هاشم أبا الحسين هو هاشم بن حيان أبوسعيد المكاري و هو واقفي ورد عن طريقه روايات عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

وعلى أيّ تقدير فمن قرأ السورة متدبراً فيماجاءت به من دعوة نوح عليه السلام قومه إلى الايمان بالله والعبادة له وحده و إلى التقوى و صالح الاعمال ، و بيان مآلها ، و نهيهم عن الاستكبار والكفر والعصيان والمكر ، و ذكر و بال أمرها ، فآمن بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعبدالله جل وعلا و اتقى فمن غير ريبة انه من جملة الذين قال الله تعالى حكاية عنهم : « ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفّر عنا سيئاتنا و توفّنا مع

الابرار- لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزولاً من عند الله و ما عند الله خير للابرار » آل عمران : ١٩٣ ـ ١٩٨) .

وقال: « إن الابرار لفي نعيم ـ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » المطففين: ٢٢ ـ ٢٦) .

و فى المجمع : أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال : ومن قرأ سورة « نوح » كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح .

و فى الكافى : باسناده عن أحمد ابن الفضل أبي عمرو الحذاء قال : سائت حالى فكتبت إلى أبي جعفر عليه السلام فكتب إلي : أدم قرائة : « إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه » قال : فقرأتها حولاً ، فلم أرشيئاً ، فكتبت إليه أخبره بسوء حالى ، و أني قد قرأت : « انا أرسلنا نوحاً إلى قومه » حولاً كما أمرتني ولم أرشيئاً ،قال: فكتب إلي : قد وفى لك الحول فانتقل منها إلى قراءة : « إنا أنزلناه » الحديث

وفى البرهان : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : من قرأها و طلب حاجة سهل الله قضاء ها .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : من أدمن قرائتها ليلاً أو نهاراً لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة ، و إذا قرأت في وقت طلب حاجة قضيت باذن الله تعالى .

﴿الغرض﴾

تستهدف السورة لرسالة نوح عليه السلام إلى قومه وإنذارهم بالعذاب ودعوتهم إلى العبادة والتقوى، والطاعة ووعدهم بالغفران، والسعة في الرزق والآمان في الحياة الدنيا إجمالاً.

وفيها تقرير لمواقفهم من تلك الرسالة والانذار والدعوة والوعد، وإستكبارهم وعصيانهم ومكرهم وضلالتهم وصميمهم على البقاء على الكفر والعصيان، وإشارة إلى شكوى نوح عليه السلام إلى ربه منهم و دعائه عليهم، فحل بهم العذاب و ذاقوا وبال أمرهم بالغرق في الحياة الدنيا، وفي الاخرة بدخولهم النار و ذوقهم عذابها من دون ولي ولا نصير لهم إجمالاً ثانياً.

وفيها تماثل غير يسير بين مواقف كفار قوم نوح وتصاممهم على بقاء الكفر والعصيان ومكر زعمائهم وتحريضهم الناس على عدم الاستماع له، وبين ماحكته آيات كثيرة في سور عديدة عن مواقف كفار العرب وزعمائهم.

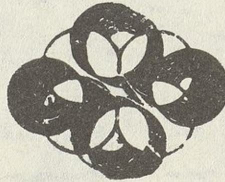
وفيها عظة وتذكير وترغيب لهذه الامة في قبول دعوة نبيهم صلى الله عليه وآله و وعد بهم بما وعد نوح عليه السلام قومه، و وعيد بهم بما حل على قوم نوح عليه السلام و تنديد بالكافرين، ودعوتهم إلى الاعتبار بقوم نوح عليه السلام وتأنيبهم على مواقفهم المماثلة لمواقفهم وتسلية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله إجمالاً ثالثاً بان مواقف كفار العرب ليست بدعاً، فان قوم نوح عليه السلام أيضاً وقفوا نفس الموقف، فكانت عاقبتهم الهلاك والنار.

﴿النزول﴾

سورة « نوح » مكية ، نزلت بعد سورة « النحل » وقبل سورة « ابراهيم » وهى السورة الواحدة والسبعون نزولاً ومصحفاً .

وتشتمل على ثمان وعشرين آية ،سبقت عليها /٣٨٠٣ آية نزولاً ، و/٥٤١٩ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على /٢٢٤ كلمة ، وقيل : /٢٢١ كلمة ، و على / ٧٥٠ حرفاً ، و قيل : /٩٢٩ حرفاً وقيل : /٩٩٩ حرفاً على مافى التفاسير .



﴿القراءة﴾

قرأ عاصم وحمزة من القراء السبعة «أن اعبدوا الله» بكسر النون، والباقون بضمها ، وقرأ أبو جعفر ونافع وإبن كثير وإبن عامر وأبو عمرو « دعائى » بفتح الياء والباقون بسكونها .

وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وإبن كثير «انى أعلنت» بفتح الياء والباقون بسكونها ، وقرأ إبن كثير وأبو عمرو وحمزة « ولده » بضم الواو و سكون اللام ، وهى لغة فى الولد ، ويجوز أن يكون جمعاً للولد كالفلك ، فانه واحد و جمع أو كالاسد ، والباقون بفتحهما .

وقرأ نافع وأبو جعفر « وداً » بضم الواو والباقون بفتحها ، و قرأ أبو عمرو « مما خطاياهم » بجمع التكسير ، والباقون « خطيئاتهم » بجمع السلامة ، وقرأ حفص وهشام « بيتى » بفتح الياء : والباقون بالاسكان .

﴿الوقف والوصل﴾

« مبين لا » لتعلق مابعده بما قبله ، و « أطيعون لا » لان « يغفر » بمنزلة الجزاء لما قبله ، و « مسمى ط » لقطع الكلام بالجملة التالية و « لايؤخر م » لتمام التعليل ، و « نهاراً لا » لمكان الفاء للنتيجة ، و « استكباراً ج » لان « ثم » لترتيب الاخبار مع إتحاد القائل ، و « جهاراً لا » و « إسراراً لا » و « غفاراً لا » و « مدراراً لا » لاتصال الكلام ، و « أنهاراً ط » لتمام الكلام وللابتداء بالاستفهام .

« وقاراً ج » لان مابعده يحتمل الحال والاستئناف ، و « طباقاً لا » للعطف و « نباتاً لا » لعطف مقصود الكلام ، و « بساطاً لا » لتعلق ما بعده بما قبله ، و « فجاجاً ع » و « ى » علامة العشر توضع عند انتهاء عشر آيات ، و « ع » علامة انتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن في عامين .

« خساراً ج » للآية مع العطف وإتحاد الكلام ، و « كباراً ج » كالمتقدم ، و « سواعاً لا » و « نسراً ج » و « كثيراً ج » كالسابق ، و « ناراً لا » لمكان الفاء الآتية ، و « المؤمنات ط » لتمام الكلام ، واستئناف مابعده .

﴿اللغة﴾

١٠٠ - نوح - ١٥٧٥

ناح ينوح نوحاً ونواحاً ونياحاً ومناحاً ـ من باب نصر نحو : قال ـ :صاح بعويل .

ناحت المرأة الميت وعليه : بكت عليه بصياح وعويل وجزع .

وأصل النوح: إجتماع النساء فى المناحة ، وهومن التناوح أى التقابل .

والاسم : النياحة والحمامة : سجعت فهى نائحة ونواحة .

نوح ـ بالضم ـ : علم أعجمى منصرف ، وهو إسم نبى عليه السلام .

قال الله تعالى : « إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه » نوح : ١) وإذا جعلته إسماً لسورة « نوح » لم تصرفه لاجتماع علل ثلاث فيه .

إستناحت المرأة : بكت حتى أبكت غيرها ، إستناح : إستبكى .

وفى حديث خديجة : قالت : سمعت عمى محمد بن على عليه السلام : يقول انما تحتاج المرأة فى المأتم إلى النوح لتسيل دمعتها ، فلاينبغى أن تقول هجراً يعنى باطلاً . وفيه إذن به مالم تهجر ، ويؤيده ما روى انه سئل عن أجر النائحة؟فقال : لا بأس .

ناوحه مناوحة : قابله ، وأصله من النياحة لان النساء يقابل بعضهن بعضاً فى المناحة ، والمناحة ـ بالفتح ـ : موضع النوح ، يقال : كنا فى مناحة فلان، جمعها : مناحات ومناوح .

النواتح : إسم يقع على النساء اللاتى يجتمعن فى مناحة للحزن .

تناوح الجبلان تناوحاً : تقابلا ، وتناوح الرياح : هبّت صباً مرّة وشمالاً مرة ، وجنوباً مرة .

تنوّح الشيء تنوّحاً : تحرّك وهومتدلّ .

١٣ - الدروالمدرار - ٤٧٢

درّت ذات اللبن تدرّ درّاً ودروراً - من باب ضرب ونصر - : نزل من ضرعها اللبن غزيراً ، ودرّت الدنيا على أهلها : كثر خيرها عليهم و درّت السماء أو السحابة : نزل منها المطر غزيراً متتابعاً ، فهى مدراراً أى كثيرة الدر ، و تسكاب المطر عند الحاجة .

قال الله تعالى : « يرسل السماء عليكم مدراراً » نوح : ١١)

سماء مدرار : تدرّ بالمطر ، وعين مدراراً : تدرّ بالدمع ، و ديمة مدرار : غزيرة السيلان ، ومدرار : مفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث كمفضال .

وفى الدعاء : « اجعل رزقى داراً » أى يتجدد شيئاً فشيئاً من قولهم :«درّ اللبن » إذازاد و كثر جريانه فى الضرع ، وفى الخبر : « نهى عن ذبح ذوات الدر » أى اللبن ، درّ العرق : سال كمايدرّ اللبن ، ودرّ الشيء : لان ، ودرّ السراج:اذا أضاء ، ودرّ وجهك : اذا حسن بعد العلة ، و استدرّت المعزى : أرادت الفحل .

الدّرّ - بالفتح - : النفس ، يقال : دفع الله عن درّه أى عن نفسه ، و « لله درك » أى لله ماخرج منك من خير ، وقال أهل اللغة : الاصل فيه : ان الرجل اذا كثر خيره و عطاؤه وأنالته الناس قيل : « لله درّه » أى عطاءه و ما يؤخذ منه فشبهوا عطاؤه بدرّ الناقة ثم كثر إستعماله حتى صاروا يقولونه لكل متعجب منه، ويقال : لادرّ درّه أى لازكاعمله .

درر الطريق : قصده ومتنه ، يقال : هو على درر الطريق أى على قصده ، و

يقال : دارى درر دارك أى بحذائها : اذا تقابلتا ، ودرر الريح : مهبها ، والدرور حرب تدرّ بالدم ، و الدرير : السراج المضيىء ، و السريع العدو من الدواب ، والدرة - بالكسر - : التى يضرب بها ، والجمع : درر مثل سدرة وسدر ، و منه الحديث : «كان مع على عليه السلام درة لهاسبابتان » أى طرفان .

ويقال للمضيء : درّىّ لان الدر صافى البياض شديد البريق يضيىء و من هذا قيل : كوكب درّىّ أى مضيىء مشرق .

قال الله تعالى : « الزجاجة كأنها كوكب درّىّ »النور : ٣٥) فشبّه بالدر فى الحسن والبياض والصفاء ، وهومنسوب إلى الدر ، وإن كان أكثرضوء منه .

وفى الحديث : « كماترون الكوكب الدرّىّ فى افق السماء » أى الشديد الانارة كأنه نسب إلى الدر ، فيل : هوأحد الكواكب الخمسة السيارة .

درّىّ السيف : تلألؤه وإشراقه .

الدّرّ - بالضم - : اللآلىء العظيمة ،واحدتها درة .

١٢ - يعوق - ١٧٢٤

يعوق : هوصنم لقوم نوح عليه السلام وقد ذكرناه فى باب الياء باعتبار علميته بها، وإن كانت زائدة ، وهومن العوق ، وقد أوردنا معانيه فىسورة الاحزاب ، فراجع

١٣ - يغوث - ١٧٢٥

يغوث : اسم صنم كان لمذحج ، قيل : هذا قول الزجاج وذكرناه فى هذا الباب لما تقدم ، وهومن الغوث ، وقد تقدم معانيه .

٣٤ - نسر - ١٥٠٩

نسرالشيء ينسره نسراً - من باب نصر - : كشطه .

نسر الجرح اللحم : نقضه ، ونسر فلاناً : وقع فيه و قذفه ، يقال : « ما زال ينقر زيداً وينسره ويخذله ولا ينصره »

نسر الطائر الشيء بمنسره : نقره ، ويقال : نسرت كذا : تناولته قليلاً قليلاً تناول الطائر الشيء بمنسره .

النسر : إسم صنم كان لذى الكلاع بأرض حمير .

وفى شعر العباس يمدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً و أهله الغرق .

يريد الصنم الذى كان يعبده قوم نوح عليه السلام وهو المذكور فى قوله تعالى :«و لا يغوث ويعوق ونسراً » نوح : ٢٣)

النسر : كوكب وهما إثنان ، يقال لاحدهما ـ النسر الواقع ، و للاخر : النسر الطائر ، ويقال : طلع النسران ، وجمعه : نسور بكثرة ، وأنسر بقلة .

النسر ـ بالتثليث والفتح أفصح وأشهر ـ طاير حادّ البصر وأشدّ الطيور و أرفعها طيراناً وأقواها جناحاً تخافه كل الجوارح ، وهو شره نهم رغيب ، و ليس فى سباع الطير أكبر جثة منه ، و يقال له : أبو الطير ، وسمّى نسراً لانه ينسر الشيء وينتقصه ويبتلعه ، ولا مخلب له ، وإنما له ظفر كظفر الدجاجة والغراب .

والنسر : لحمة صلبة فى باطن الحافر كأنها نواة أو حصاة .

المنسر ـ كمجلس ـ : من الطير الجارح مثل المنقار لغير الجارح ، والمنسر : قطعة من الجيش من المأة إلى المأتين تمرّون قدام الجيش الكبير جمعه : مناسر . قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « كلما اظلّ عليكم منسر من مناسر أهل الشام اغلق كل رجل منكم بابه » .

المنسر : قطعة من الخيل ، قيل : من الثلاثين إلى الاربعين ، و قيل : أكثر

نسّر الحبل : نشره ، وتنسّرت النعمة عنه : تفرّقت ، استنسر الطائر : صار كالنسر قوة ، و فى المثل : « ان البغاث بأرضنا يستنسر » أى ان الضعيف يصير قوياً .

النسار - بالكسر - : ماء لبني عامر له يوم بني أسد ، والنسارية - بالفتح - : العقاب . الناسور : العرق الغبر الذى لا ينقطع .

والناسور : علة تحدث حوالى المقعدة ، وعلة أيضاً فى اللثلة قلّ ماتندمل .

١٠ - الغرق - ١٠٧٩

غرق فى الماء يغرق غرقاً - من باب علم - : غار فيه و رسب فهو غرق - بكسر الراء - و غارق و غريق .

الغرق : غمر الماء الشخص حتى يملأ منافذه فيموت .

قال الله تعالى : « اغرقوا فادخلوا ناراً » نوح : ٢٥) .

وفى حديث الامام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر مسجد الكوفة : « فى زاويته فار التنور و فيه هلك يغوث و يعوق وهو الغاروق » هو فاعول من الغرق لان الغرق فى زمان نوح عليه السلام كان منه . وفى الحديث: « أعوذبك من الغرق » وهو بالتحريك: غرق الماء وفى الحديث: « الحرق شهيد ، والغرق شهيد » الغرق - بكسر الراء - : الذى يموت بالغرق ، و منه الحديث : « يأتى على الناس زمان لاينجو منه الاّ من دعاء الغرق » .

وعن الخليل : الراسب فى الماء من غير موت ، فان مات غرقاً ، فهو غريق .

الغريق : الغارق فى الماء و من المجاز : « انه غريق أياديك » أى نعمك جمعه : غرقى كقتيل و قتلى .

وقيل : فى المعنوى للغرق فى الدين - بفتح الدال - و ورد فى الكتاب من المادة للحسّى مصدر الثلاثى فقط .

قال الله تعالى: « حتى إذا أدركه الغرق » يونس : ٩٠) وقال: « والنازعات غرقاً » النازعات : ١) على إختلاف القول فى النازعات ، والغرق : إسم اقيم مقام المصدر. وفى حديث وحشى: « انه مات غرقاً فى الخمر » متناهياً فى شربها والاكثار

منه ، مستعار من الغرق . والغرق فى الرمى بشدة النزع .

أغرق غيره فهومغرق - بفتح الراء قال الله تعالى: « ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » هود : ٣٧) وأغرق : جاوز الحد ، والاستغراق : الاستيعاب ومنه قول النحاة : « أل لاستغراق الجنس » ومنه حديث الامام على عليه السلام : « لقد أغرق فى النزع » أى بالغ فى الامر و انتهى فيه ، و أصله من نزع القوس وترها فاستعير لمن بالغ فى كل شيء . ومنه حديث ابن عباس : « فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله » أى أضاع أعماله الصالحة بما ارتكب من المعاصى .

اغتراق النفس : استيعابه فى الزفير ، والاغراق المباعدة فى السهم من شدة النزع . غرّقه فى الماء : جعله يغرق . غارقه كذا : ناداه و شارفه ، تقول : غارقتنى المنية .

فى المفردات: الغرق : الرسوب فى الماء وفى البلاء ، و فلان غرق فى نعمة فلان تشبيهاً بذلك .

٣ - التبر و التبار - ١٧٤

تبر الشيء يتبر تبراً و تباراً - من باب ضرب و علم - : هلك .

التبار : الهلاك قال الله تعالى: « و لا تزد الظالمين الاّ تباراً » نوح : ٢٨) .

التبر - بكسر التاء وسكون الباء - : ماكان من الذهب غير مضروب ، فاذا ضرب دنانير فهو عين .

و فى الحديث : « ليس فى التبر زكاة » .

التابور : جماعة العسكر جمعه : توابير .

المتبور : الهالك والناقص ، والتبراء : الحسنة اللون من النوق .

تبّر الشيء تتبيراً : أهلكه و دمّره ، و إسم المفعول منه متبّر .

قال الله تعالى : « و كلاً تبّرنا تتبيراً » الفرقان : ٣٩) .

وقال: « ان هؤلاء متبّر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون » الاعراف: ١٣٩)
و كل شيء كسره و فتّته فقد تبّرته.

و فى حديث الامام على عليه السلام: « عجز حاضر و رأى متبّر » أى مهلك.

فى المفردات: التبر: الكبير والاهلاك، يقال: تبره و تبّره.

و فى اللسان: التبر: الذهب كله، وقيل: هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الارض من النحاس والصفر والشبه والزجاج وغير ذلك مما استخرج من المعدن قبل أن يصاغ و يستعمل.



﴿النحو﴾

١ـ (انا ارسلنانوحا الى قومه ان أنذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم)

«ان» حرف تأكيد ، و «نا» ضمير المتكلم المتصل مع غيره فى موضع نصب إسم لحرف التأكيد ، و «أرسلنا» فعل تكلم مع الغير من الماضى من باب الافعال فى موضع رفع خبرها ، و «نوحاً» مفعول به ، وهو إسم منصرف مع العلمية والعجمة لسكون وسطه كلوط ، إذ كل إسم ثلاثى أوسطه ساكن فهو ـ مع كون السببين فيه لمنع الصرف ـ منصرف لان خفته عادلت أحد الثقلين ، و ان نوحاً مع هذا إذا صار علماً لسورة صار غير منصرف لاجتماع علل ثلاث لاتعادلها الخفة، و «إلى قومه» متعلق بفعل الارسال .

و فى «أن» وجوه : أحدها ـ أن تكون مفسّرة بمعنى «أى» فلا يكون لها موضع من الاعراب لأن فى الارسال معنى الامر ، فلا حاجة إلى إضمار حرف ثانيها ـ أن تكون فى موضع نصب بنزع الخافض ، فالتقدير: بأن أنذر فلما سقطت الباء افضى الفعل . ثالثها ـ فى موضع جرّ ، و ان سقطت الباء . و «أنذر» فعل أمر من باب الافعال ، و «قومك» مفعول به ، و «من قبل» متعلق بفعل الانذار ، واعرب «قبل» للاضافة لفظاً .

والضمير فى «يأتيهم» فى موضع نصب مفعول به ، و «عذاب» فاعل الفعل ، و «أليم» نعت من «عذاب» .

٢ـ (قال يا قوم انى لكم نذير مبين)

«قال» فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى نوح ، و «يا» حرف نداء و «قوم» منادى على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرة عليها، فالتقدير: ياقومى. و «انى» حرف تأكيد مع إسمها ، و كسرت ألفها لوقوعها بعد القول ، و «لكم» متعلق بـ«نذير» و هو فعيل بمعنى فاعل ، و هنا بمعنى : منذر ، وهو خبر لحرف التأكيد ، و «مبين» وصف لـ«نذير».

٣ ـ (أن اعبدوا الله و اتقوه و أطيعون)

«أن» تفسيرية و«اعبدوا» فعل أمر لجمع الخطاب و «الله» مفعول به و«اتقوه» عطف على ماقبله ، والضمير فى موضع نصب مفعول به، راجع إلى«الله» و «أطيعون» فعل أمر من باب الافعال ، والنون للوقاية فى موضع نصب ، مفعول به ، على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرة عليها .

٤ـ (يغفرلكم من ذنوبكم و يؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لايؤخرلو كنتم تعلمون)

« يغفر » فعل مضارع ، مجزوم بجواب الامر ، و « لكم » متعلق بفعل الغفران وفى « من » وجوه : أحدها ـ زائدة جيئت للتأكيد . ثانيها ـ للتبعيض وهو بعض الذنوب ، وهو مالا يتعلق بحقوق المخلوقين . ثالثها ـ لبيان الجنس . رابعها ـ لابتداء الغاية .

و « يؤخر » فعل مضارع من باب التفعيل عطف على « يغفر » و « كم » فى موضع نصب ، مفعول به ، و « إلى أجل » متعلق بفعل التأخير و « مسمى » نعت من « أجل » و « ان » حرف تأكيد و « أجل الله » إسمها ، و « اذا » شرطية و « جاء » فعل الشرط ، و«لايؤخر» فعل مضارع ، مبنى للمفعول من باب التفعيل ، منفى بحرف النفى ، والجملة جزاء الشرط ، والجملة الشرطية مع جزائها فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، والجملة معترضة تعليلية .

« لو كنتم تعلمون » متعلق بأول الكلام ، و « تعلمون » فى موضع نصب ،

خبرلـ « كنتم » ، ومفعول « تعلمون » محذوف أى تعلمون ذلك .

٥- (قال رب انى دعوت قومى ليلاً ونهاراً)

« قال » فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجـع إلى نوح ، و « رب » منصوب بحرف النداء المحذوفة مع حذف ياء التكلم على تقدير: يا ربى ، و «دعوت» فعل تكلم وحده من الماضى فى موضع رفع ، خبـر لحرف التأكيد ، والجملة مقولة للقول ، و « قومى » مفعول به ، و « ليلا » مفعول فيه و « نهاراً » عطف على « ليلاً » .

٦- (فلم يزدهم دعائى الافراراً)

الفاء للنتيجة ، ومدخولها حرف جحد ، و « يزد » فعل مضارع ، مجزوم بحرف الجحد مع حذف عين الفعل ، وضمير « هم » فى موضع نصب ، مفعول به و «دعائى » فاعل الفعل و «إلاّ» حرف استثناء ، و « فراراً » منصوب على الاستثناء

٧- (وانى كلما دعوتهم لتغفرلهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم و استغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً)

الواو للعطف ، و « انى » حرف تأكيد مع إسمها ، و « كل» فى « كلما » منصوب على الظرفية ، و ناصبها جوابها فى المعنى و هو « جعلوا » فى الاية ، و ظرفيتها من جهة « ما » نابت عن الوقت ، و فى « ما » و جهان : أحدهما ـ أن تكون حرفاً مصدرياً ، والجملة بعدها لامحل لها ، والاصل : كل وقت دعوتهم ثم عبّر عن معنى المصدر بـ « ما » والفعل ثم انيباعن الزمان ثانيهما ـ أن تكون إسماً نكرة بمعنى وقت ، فلايحتاج على هذا إلى تقدير « وقت » والجملة بعدها فى موضع جرّ على الصفة على حذف العائد أى فيه .

« لتغفر » اللام تعليلية ، ومدخولها فعل مضارع ، منصوب بـ « أن » مقدرة، خطاب لله تعالى ، و « لهم » متعلق بفعل الغفران ، و « جعلوا » جـواب للظرف المتقدم و « أصابعهم » : جمع إصبع ، اضيف إلى ضمير قوم نوح عليه السلام مفعول به

و« فى آذانهم » : جمع اذن : متعلق بـ « جعلوا » و « استغشوا » فعل ماض من باب الاستفعال ، على حذف لام الفعل . فان الاصل : « استغشيوا » فنقلت الضمة على الياء فحذفتا معاً ، و « ثيابهم » : جمع ثوب مفعول به ، و « أصرّوا » فعل ماض لجمع الغيبة من باب الافعال ، و « استكبروا » فعل ماض من باب الاستفعال ، و « استكباراً » منصوب على المصدرية .

٨- (ثم انى دعوتهم جهاراً)

« ثم » حرف عطف للتراخى ومدخولها عطف على « انى دعوت قومى » و فى « جهاراً » وجوه : أحدها - أن يكون صفة لمصدر محذوف أى دعوتهم دعاءً جهاراً أى مجاهراً به . ثانيها - منصوب على المصدرية بـ « دعوتهم » لان الدعاء أحد نوعيه الجهار ، فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لانه أراد بـ « دعوتهم » جاهرتهم . ثالثها - مصدر وضع موضع الحال أى دعوتهم مجاهراً لهم بالدعوة إلى التوحيد والتقوى والطاعة .

٩- (ثم انى أعلنت لهم واسررت لهم اسراراً)

« أعلنت » فعل ماض للتكلم وحده من باب الافعال ، و « لهم » متعلق بـ « أعلنت » على حذف المصدر أى إعلاناً ، والباقى ظاهر .

١٠- (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً)

الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل تكلم وحده من الماضى ، و « استغفروا » فعل أمر لخطاب الجمع المذكر من باب الاستفعال ، و« ربكم » مفعول به ، و « انه » حرف تأكيد ، والضمير فى موضع نصب إسمها ، راجع إلى « ربكم » و« كان » فعل ماض من أفعال الناقصة ، وإسمها ضمير مستتر فيها راجع إلى « ربكم » و« غفاراً » خبر لفعل الناقص ، والجملة فى موضع رفع لحرف التأكيد .

١١- (يرسل السماء عليكم مدراراً)

« يرسل » فعل مضارع من باب الافعال ، مجزوم لوقوعه جواباً عن الامر

بتقدير « إن » الشرطية فالتقدير: « إن تستغفروا ربكم يرسل السماء عليكم مدراراً» و« السماء » منصوب بنزع الخافض أى من السماء ، أو مفعول به بناء على ان المراد بالسماء السحاب ، و « عليكم » متعلق بـ« يرسل » و « مدراراً » منصوب على الحال من « السماء » ولم تثبت الهاء فى « مدراراً » لان المفعال يكون فيه المذكر والمؤنث سواء .

١٢- (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً)

الواو للعطف ، و « يمدد » فعل مضارع من باب الافعال ، مجزوم عطفاً على « يرسل »و« كم »فى موضع نصب ،مفعول به ، و « بأموال » جمع مال بقلة ،متعلق بـ« يمدد » و « بنين »جمع ابن بسلامة ،عطف على « باموال » و« يجعل » كلاهما عطفان أيضاً ، و « جنات» جمع جنة ، منصوب على المفعولية ، و «أنهاراً »جمع: نهر، منصوب على المفعولية .

١٣ - (مالكم لا ترجون لله وقاراً)

«ما» إسم نكرة متضمنة لمعنى الحرف وهو الاستفهام ، فموضعه رفع على الابتداء ، و «لكم» متعلق بمحذوف وهو الخبر فالتقدير : أىّ سبب حصل لكم ، و «لاترجون» فعل مضارع لجمع الخطاب ، منفى بحرف النفى، والجملة فى موضع نصب على الحال من ضمير «لكم» والعامل ما فى المجرور من معنى الفعل ، و «لله» متعلق بـ«لاترجون» و ««وقاراً» مفعول به .

١٤ - (و قد خلقكم أطواراً)

الواو للحال ، ومدخولها حرف تحقيق ، و «خلق» فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى«لله» و « كم» فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة فى موضع نصب على الحال من «لله» و «أطواراً» جمع طور حال من ضمير الجمع المخاطب فى «خلقكم» و قيل : من فاعل «لاترجون» .

١٥ - (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً)

الهمزة للاستفهام ، و مدخولها فعل مضارع لجمع المخاطب المذكر ، مجزوم بحذف النون للرفع بحرف الجحد «لم» و « كيف» إستفهامية محلها نصب على الحالية ، و«خلق» فعل، وفاعله «الله» و«سبع» مفعول به، اضيف إلى «سموات» : جمع سماء و «طباقاً» جمع طبقة كرحبة و رحاب ، أوجمع طبق كجمل وجمال.

و فى نصب «طباقا» وجوه : أحدها ـ منصوب لكونه و صفاً من «سبع» . ثانيها ـ منصوب على المصدرية أى مطابقة طباقاً . ثالثها ـ منصوب على الحال بمعنى ذات طباق ، فحذف «ذات» و اقيم «طباقاً» مقامه . رابعها ـ أى طوبقت طباقاً . و قيل : على تقدير : خلقهن طباقاً . خامسها ـ وصف بالمصدر مبالغة أى مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا طارقها .

١٦ ـ (و جعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجاً)

الواو للعطف، و «جعل» عطف على «خلق» و«القمر» مفعول أول ، و«فيهن» متعلق بـ «جعل» وقيل : على تقدير : فى إحداهن ، و قيل : أى فى سماء الدنيا ، و قيل : «فى» بمعنى «مع» و «نوراً» مفعول ثان ، والباقى ظاهر .

١٧ ـ (والله أنبتكم من الارض نباتاً)

«الله» مبتداء و «أنبت» فعل ماض من باب الافعال خبره و «كم» فى موضع نصب ، مفعول به ، و «من الارض» متعلق بـ «أنبتكم» و فى «نباتاً» وجوه : أحدها ـ مصدر على غير المصدر لان مصدره : أنبت إنباتاً ، فجعل الاسم الذى هو النبات فى موضع المصدر : الانبات والنبت والتنبيت . ثانيها ـ مصدر محمول على المعنى أى جعلكم تنبتون نباتاً .

ثالثها ـ أى أنبت لكم من الارض النبات و «نباتاً» منصوب على المصدر الصريح. رابعها ـ على تقدير إنبات النبات . خامسها ـ مصدر من باب التفعيل مثل سلام و كلام ، فيكون مصدراً متعدياً قريباً من لفظ الفعل . سادسها ـ يكون ثلاثياً لازماً على تقدير: والله أنبتكم من الارض فنبتم نباتاً، فقدر له فعل ثلاثى يكون

جارياً عليه .

١٨ - (ثم يعيدكم فيها و يخرجكم اخراجاً)

«ثم» حرف عطف للتراخي ، و «يعيد» فعل مضارع من باب الافعال ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «الله» و «كم» في موضع نصب ، مفعول به ، و «فيها» متعلق بـ«يعيدكم» والضمير راجع إلى «الارض» و «يخرجكم» عطف على «يعيدكم» والكلام فيه هو الكلام فيه مع حذف الجار لقوله تعالى : «وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم» طه : ٥٥) و «إخراجاً» منصوب على المصدر .

١٩ - (والله جعل لكم الارض بساطاً)

«الله» مبتداء و «جعل» خبره و «الارض» مفعول أول ، و «بساطاً» مفعول ثان أى مبسوطة .

٢٠ - (لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً)

اللام للتعليل ، ومدخولها فعل مضارع لجمع المخاطب المذكر ، منصوب بـ «أن» مقدرة ، و «منها» متعلق بـ«لتسلكوا» و قيل : متعلق بمحذوف و هو حال ، والضمير راجع إلى «الارض» و «سبلا» جمع سبيل ، و «فجاجاً» جمع فج ، نعت من «سبلاً» .

٢١ - (قال نوح رب انهم عصوني و اتبعوا من لم يزده ماله و ولده الا خساراً)

«رب» منادى منصوب على حذف حرف النداء والمضاف إليه ، والتقدير : يا ربي ، و«انهم» حرف تأكيد، وضمير الجمع في موضع نصب إسمها، و«عصوني» فعل ماض في موضع رفع خبر لحرف التأكيد ، والنون للوقاية ، والياء للتكلم ، و «اتبعوا» فعل ماض من باب الافتعال ، عطف على «عصوني» و «من» موصولة في موضع نصب ، مفعول به ، و «لم يزده» صلة الموصول ، والضمير في موضع نصب ، مفعول به ، و هو عائد الصلة ، و «ماله» فاعل الفعل ، و «ولده» عطف على «ماله»

و «الا» حرف استثناء و «خساراً» منصوب على الاستثناء.

٢٢ - (و مكروا مكراً كباراً)

الواو للعطف قيل «ومكروا» عطف على «عصوني» وقيل: عطف على «اتبعوا» وقيل: عطف على « لم يزده » لان المتبوعين هم الذين مكروا و «مكراً» منصوب على المصدر ، و « كباراً» إسم مبالغة من الكبر صفة لـ «مكراً».

٢٣ - (و قالوا لا تذرن آلهتكم و لا تذرن وداً و لا سواعاً و لا يغوث و يعوق و نسراً)

الواو للعطف ، و «قالوا» عطف على « لم يزده ماله » على حذف الجار أي قالوا هؤلاء المتبوعون لاتباعهم: « لاتذرن » فعل مضارع مجزوم بحرف النهي ، مؤكد بنون الثقيلة، و «الهتكم» : جمع إله اضيف إلى ضمير جمع الخطاب « كم» منصوب على المفعولية، و «لاتذرن» عطف على ماقبله و «وداً» مفعول به، و «لاسواعاً» عطف على «وداً» و « يغوث و يعوق » غير منصرفين للتعريف و وزن الفعل.

٢٤ - (و قد أضلوا كثيراً و لا تزد الظالمين الا ضلالاً)

الواو للحال و «قد» حرف تحقيق إذا دخلت على الماضي ، و «أضلوا» فعل ماض لجمع الغائب المذكر من باب الافعال ، والجملة في موضع نصب من الضمير في «مكروا» و قيل : عطف عليه ، و « كثيراً» مفعول به، و «لا» ناهية ومدخولها فعل مضارع للمفرد المخاطب ، مجزوم بحرف النهي ، و «الظالمين» مفعول به ، والباقي ظاهر مما تقدم .

٢٥ - (مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً)

«من» لابتداء الغاية متعلق مع مجرورها بـ «اغرقوا» وفي «ما» وجوه : أحدها- زائدة جيئت لتأكيد أمر الخطيئات و تفخيمه . ثانيها- تعليلية أي من أجل خطيئاتهم. ثالثها - نكرة بمعنى شيء و «خطيئاتهم» بدل منه ، والخطيئات : جمع خطيئة ،

و «اغرقوا» فعل ماض مبنى للمفعول من باب الافعال ، و «فادخلوا» الفاء للتعقيب ، ومدخولها فعل ماض مبنى للمفعول من باب الافعال ، و «ناراً» مفعول به و يحتمل مفعول فيه أى فى نار .

« فلم يجدوا » الفاء تفريعية ، و مدخولها حرف جحد و «يجدوا» مجزوم بحرف الجحد ، و «لهم» متعلق بـ «يجدوا» و « من دون الله » متعلق بـ « أنصاراً » و هو جمع نصير ، مفعول به لفعل الوجدان .

٢٦ - (و قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً)

الواو للعطف على طريق عطف موقف على موقف فالكلام عطف على الكلام المتقدم من نوح عليه السلام والكلام فى «رب» هو الكلام فيما تقدم ، و «لاتذر» فعل مضارع ، مجزوم بحرف النهى خطاب لله تعالى ، و «على الارض» متعلق بـ «لاتذر» و «من الكافرين» متعلق بـ «دياراً» و يجوز أن يتعلق بـ «لاتذر» و «دياراً» : فيعال من دار يدور ، وأصل «ديار» : ديوار فاجتمعت الياء والواو ، والسابق منهما ساكن، فقلبت الواو ياءاً ، و جعلت ياء مشددة ، و ذلك اذا وقعت واو بعد ياء ساكنة ، قبلها فتحة قلبت الواو ياء و ادغمت كأيام أى : ما بها أحد ، فلا يكون «فعالاً» كما توهم بعض لانه لو كان كذلك لوجب أن يقال : «دواراً» كما قيل : الدهر دوّار بالانسان أى دائر به على إضافة الشيء إلى نفسه ، و له فيه أحوال . . .

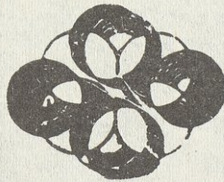
٢٧ - (انك ان تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا الا فاجراً كفاراً)

«انك» حرف تأكيد ، و ضمير الخطاب فى موضع نصب ، إسمها ، و «إن» حرف شرط، و «تذرهم» فعل مضارع خطاب من نوح عليه السلام لله تعالى ،وضمير الجمع الغائب فى موضع نصب، مفعول به ، والجملة شرطية ،و«يضلوا» فعل مضارع من باب الافعال مجزوم بحرف الشرط و «عبادك» مفعول به والجملة جزاء الشرط ، والجملتان فى موضع رفع، خبر لحرف التأكيد ، و «لايلدوا» عطف على «يضلوا» و « الا» حرف استثناء ، و «فاجراً» مفعول به ، و « كفاراً» مبالغة من الكفر، صفة

ا «فاجراً» .

٢٨ - (رب اغفرلی ولوالدی ولمن دخل بیتی مؤمناً وللمؤمنین والمؤمنات و لا تزد الظالمین الا تباراً)

و قد تقدم الکلام فی « رب » و «اغفر» فعل أمر لخطاب المفرد ، و «لی» متعلق بـ«اغفر» و «لوالدی» عطف علی «لی» و أصله : والدین ، و لما اضیف إلی یاء التکلم حذفت نون الرفع ، ثم ادغمت إحدی التائین فی الاخری و «لمن» عطف علی «لی» و «من» موصولة ، و «دخل» فعل ماض صلة الموصول ، و «بیتی» مفعول به ، والیاء یاء تکلم ، و «مؤمناً» حال من الموصول ، «للمؤمنین والمؤمنات» عطف علی «لی» و «لاتزد» فعل مضارع لخطاب المفرد ، مجزوم بحرف النهی ، و «الظالمین» مفعول به ، و «تباراً» منصوب علی الاستثناء .



﴿ البيان ﴾

١ - (انا أرسلنا نوحاً الى قومه ان انذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم)

تقرير ربانى بارسال نوح عليه السلام إلى قومه لدعوتهم إلى الله تعالى على سبيل التأكيد والتعظيم حسب إقتضاء جو الشرك ، و أهمية الارسال .

و قوله تعالى : « أن أنذر قومك الخ » بيان لغرض الارسال ، ووظيفة الرسول ، و إشارة إلى أن هؤلاء القوم كانوا على مشارف الهاوية التى تهوى بهم إلى الهلاك والعذاب بسبب شركهم وعصيانهم، وان نوحاً عليه السلام انما بعث اليهم لينذرهم بهذا الخطر الذى يهدّدهم ، و يوشك أن يحيط بهم لولا تحذّرهم منه .

وفى تنكير «عذاب» و وصفه بـ «أليم» من التهويل وشدة التخويف والتفزيع ما لا يخفى .

٢ - (قال يا قوم انى لكم نذير مبين)

مستأنف مبنى على سؤال نشأ من حكاية إرساله عليه السلام بالوجه المذكور فكأنه قيل : ما فعل نوح عليه السلام حين أمر بانذار قومه ؟ فقيل : « قال - لهم - : يا قوم . . . » ففيه بيان إجمالى لامتثال نوح عليه السلام ما أمره الله تعالى به ، وتبليغه رسالته، وإشارة إلى أن الامر يقتضى المبادرة بانذار القوم قبل أن يحلّ بهم العذاب الذى هو وشيكة الوقوع .

و فى كلمات قليلة ألقى نوح عليه السلام إلى قومه بهذا الانذار : « انى لكم نذير مبين » انه لاوقت للحديث و قد اشتعلت النار على القوم ، و تكاد تعلق بهم

بسبب الكفر والطغيان . . انها كلمة واحدة : أن اطلبوا وجهاً للنجاة من هذا البلاء ! ! و فى إضافة القوم إلى نفسه : «ياقوم» إظهار إشفاق و رحمة منه عليه السلام بهم أى انكم قومى ، و أنا منكم ، فيجمعنى و إياكم مجتمعنا القومى تسوؤنى ما أساءكم فلا اريد لكم بهذا الانذار الآخير كم و سعادتكم ، وفى ايثار الفعيل «نذير» مكان «منذر» و وصفه بـ «مبين» دلالة على الاستمرار والثبات .

٣ - (ان اعبدوا الله و اتقوه و أطيعون)

تقرير لما فيه خيرهم و سعادتهم و نجاتهم مما أنذرهم من العذاب الواقع بهم لولا تحذرهم منه .

فى قوله تعالى : « أن اعبدوا الله » ايماء على أن نوحاً عليه السلام دعاهم إلى التوحيد فى الالوهية أولاً للفظ الجلالة «الله» و يدلّ عليه قوله تعالى حكاية عنهم : «وقالوا لاتذرن آلهتكم» : ٢٣) وهذه الدعوة تشمل لدعوتهم إلى التوحيد فى العبادة .

وفى قوله تعالى: «واتقوه» دلالة على أنه عليه السلام كان ينهاهم عما يخلّ بالتوحيد من الشرك ، و بالعبادة لله تعالى وحده من المعاصى والمآثم والخطيئات وتبعاتها . . . ثانياً .

و قوله : «واطيعون» دعوة لهم إلى طاعة نفسه المستلزم لتصديق رسالته عليه السلام و أخذ معالم دينهم مما يعبد به الله تعالى ويستنّ به فى الحياة الدنيا منه عليه السلام و قد أضاف الطاعة إلى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة ، و ان طاعة الرسول هى طاعة الله تعالى .

ولعلّ فى الاوامر الثلاثة : « اعبدوا الله و اتقوه و اطيعون » ندباً إلى اصول الدين الثلاثة : التوحيد المشار إليه بقوله: « اعبدوا الله » ، وتصديق المعاد الذى هو أساس التقوى إذ لولا المعاد بما فيه من الحساب والجزاء لم يكن للتقوى الدينى وجه ، و تصديق النبوة المشار اليه بالدعوة إلى الطاعة المطلقة .

٤ - (يغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا

جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون)

وعد بالغفران لهم من الذنوب ، و بتأخيرهم إلى أجل مسمى معلقين على عبادة الله تعالى والتقوى وطاعة الرسول فكأنها شروط فى تحقق الوعدين ، وفى الجملتين الاولىين ترغيب منه فى مغفرة الله جل و علا و أفضاله ، و تحذير من عذابه و نقمته .

وفى « و يؤخركم إلى أجل مسمى » دلالة على ثبوت أجلين : أجل معلق يعبّر عنه بأجل أدنى و للايمان والاعمال الصالحة دخل فيه ، فلما لم يقع ذلك منهم اقتطعوا بعذاب الاستيصال قبل الاجل الاقصى بالاجل الادنى و أجل محتوم يعبّر عنه بأجل أقصى و بأجل مسمى لادخل لشيء فيه ، وفيه تنبيه على أن وقت الفرصة والامهال يجب أن يغتنم قبل حلول ما لا حيلة فيه .

و قوله : « ان أجل الله إذا جاء لا يؤخر » تعليل للامر بالعبادة والتقوى والطاعة المستتبعة للمغفرة وتأخير الاجل ، وفيه بشارة لمن آمن واتقى وأطاع فيؤخر إلى الاجل المسمى ليكمل ويسعد ، وليس بمؤخره لولا إرادة الله تعالى فان أجل الله لايؤخر لامحتومه إطلاقاً ، ولا معلقه إذاجاء ،فلا مؤخر له إلاّ الله ، وليس هو بمؤخره رحمة الاّلمن آمن و اتقى و أطاع و فيه إنذار لمن بقى على الكفر و عصى الله تعالى و رسوله ، فان أجله المعلق إذا جاءبسبب الكفروالمعصية لا يؤخر إلى المسمى .

اضيف الاجل إلى الله تعالى فى «ان أجل الله» لانه الذى يثبته ، وفيه إشارة إلى الاجل المسمى ، وتنبيه على أن الاجل المعلق قديؤخر بتقدير الايمان والعبادة فالايمان والطاعة والبر و صلة الرحم . . . يزاد بها فى العمر حقيقة كما جاء فى الخبر : « صلة الرحم تزيد فى العمر » و ذلك لان العبادة و صالح الاعمال تؤثر هذا الاثر ، فان طهارة الارواح ، و نقاء الاشباح تطيل العمر ، فبها تحفظ الامن وتكتسب الفضائل وتجتلب المنافع المادية كما ان للاستغفار أثراً فى زيادةالرزق

و قد يضاف إلى القوم كقوله تعالى : « فاذا جاء أجلهم » الاعراف : ٣٤) لانه مضروب لهم .

و قوله : « لو كنتم تعلمون » توبيخ على أن إمهالهم فى امور الدنيا بلغ إلى حيث صيّرهم شاكين فى وقوع الموت .

٥ - (قال رب انى دعوت قومى ليلاً و نهاراً)

تقرير لمناجات نوح ربه و إدامة دعوته قومه إلى العبادة والتقوى والطاعة من غير توان و فتور ، فدعائه ليلا و نهاراً كناية عن دوامه من غير إنقطاع و لا ملل و لا سملل .

٦ - (فلم يزدهم دعائى الا فراراً)

بيان لما استنتجه نوح عليه السلام من دعائه المستمر ، و مواقفهم من رسالته و شكواه مما كان من قومه من الاعراض والتباعد والاستكبار التى هى عكس غرضه، فان المراد بالفرار هو تمردهم وتأبيهم عن قبول الدعوة على طريق الاستعارة ، و إسناد زيادة الفرار إلى الدعاء لشائبة السببية فيه ، فان الخير اذا وقع فى محل غير صالح قاومه المحل بما فيه من الفساد فأفسده ، فانقلب شراً و قال الله تعالى فى وصف القرآن الكريم : « وننزّل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين و لا يزيد الظالمين الاّ خساراً » الاسراء : ٨٢) .

٧ - (و انى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى اذانهم و استغشوا ثيابهم و أصروا و استكبروا استكباراً)

حكاية عن أحوال اخرى لهم ، و هى تدل على شدة الفظاظة و جفاء قلوبهم، و فى ذكر ما هو المقصود - وهو المغفرة - و ترك ما هو الوسيلة - وهو العبادة والتقوى والطاعة - دلالة على أن الله تعالى لا يريد بها إلاّ خيرهم و سعادتهم و كما لهم والمعنى : انى كلما دعوتهم إلى العبادة والتقوى والطاعة التى هى وسيلة لغفرانك لهم وعنايتك ورحمتك الخاصة بهم ...

وقوله تعالى : « جعلوا أصابعهم فى آذانهم » كناية عن إستنكافهم عن استماع إلى دعوته ونصحه لهم و ترغيبه بمغفرة الله تعالى وأفضاله و تحذيره من عذابه ونقمته وانهم كلما سمعوا صريخ هذا النذير ، جعلوا أصابعهم فى آذانهم كأنما يسمعون منكراً يسدّون عليه المنافذ أن يصل إلى آذانهم .

وقوله تعالى : « و استغشوا ثيابهم » كناية عن أخفى الحالات ، وتأكيد لعدم سماع الدعوة والتنفر عنها أو لئلا يبصروا وجهه ، بأنهم لم يقفوا عند سدّ منافذهم للسماع بل غطّوا وجوههم لئلا ينظروا فى وجه هذا النذير حتى لايروا منه أية إشارة تشير إليهم وتحذرهم من الخطر الزاحف عليهم .

وقوله تعالى : « و أصرّوا واستكبروا استكباراً » تقرير لالحاحهم على تأبيهم عن الاستماع ، و ايماء إلى ما يوجب الامتناع عن الاستماع و عن قبول الدعوة .

و فى الجمل الثلاث الاخيرة إشارة إلى ماوقع فى نفوسهم من جفاء لهذا النذير وإلى ما أضمروا من عناد و عداوة له عليه السلام ، وتصوير لشدة إنصرافهم عن الدعوة ، و شدة تصاممهم بالرغم مما كان منه من إستمرار الدعوة ، و فى الختام تعليل لما قبله من رذائل الاوصاف ...

٨- (ثم انى دعوتهم جهاراً)

تقرير لطرق الدعوة ومراتبها ، وبيان لأساليب مختلفة اتخذها نوح عليه السلام لينفذ بدعوته من هذهالحجب الصفيقة التى أقامها القوم على أسماعهموأبصارهم.. فبدأ بالمناصحة فى السر ليلاً و نهاراً فعاملوه بما ذكر ثم ثنى بالمجاهدة لان النصح بين الملأ تقريع و تغليظ ، فهو يدعوهم تارة جهاراً صارخاً صراخ من يتحدث إلى أصم لايسمع حتى يخترق بصراخه العاصف ، هذا السدّ الذى أقاموه على أذانهم . . فلما لم تنفع هذه الوسيلة معهم أمسك لسانه ، وضمّ شفتيه حتى اذا اطمأنّ القوم إلى انه قد كف عن الحديث إليهم همس إليهم همساً خافتاً

لايكاد يسمع لعل كلمة عابرة تصل إلى أسماعهم من هذه النذر التى ينذرهم بهذا ، فهذا إعلان فى أسرار .

٩- (ثم انى أعلنت لهم واسررت لهم اسراراً)

وفى العطف بـ « ثم » فى الآيتين اشارة إلى أن كل حال من تلك الاحوال الثلاث كانت تستغرق وقتاً طويلاً ، يقف فيه نوح عليه السلام حتى يمل الوقوف، وحتى يستيئس من أن أحداً يسمعه .. انه ينادى أمواتاً ويهتف بعوالم من الجماد، وانه عليه السلام لم يترك سبيلاً للدعوة الا فعلها ، فاستعمل طرقاً ثلاثة ، و سلك فى كل مذهب ممكن ، وسار فيها كل مسير مرجو .

١٠ (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً)

تقرير لما يدعو نوح عليه السلام قومه إليه ، ويهتف به فيهم ، و فى ايثار لفظ « رب » وإضافته إلى ضمير القوم مالايخفى .

قوله : « انه كان غفاراً » تعليل للامر بالاستغفار ، وترغيب منه فى التوبة، وفى المبالغة « غفاراً » دلالة على أنه جل وعلا كثير المغفرة ، وهى مضافاً إلى كثرتها منه سنة مستمرة له تعالى .

١١- (يرسل السماء عليكم مدراراً)

شروع بذكر آثار الاستغفار الدنيوية تطميعاً و ترغيباً لهم فيه لما كانوا حريصاً عليها و هى خمسة أشياء : أولها - إرسال المطر الكثير الذى تخصب به الارض و تكثر به الثمرات و الخيرات ، فحيث كان الماء كان الخصب و الخير الكثير فى الاموال والانفس ...

١٢- (ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)

تقرير للاشياء الاربعة الاخرى من آثار الاستغفار ، و هى التى تستتبع مدار السماء من الاموال والبنين اللتين يتقوى بهما الممد على حوائجه، فانهما أقرب الاعضاد الابتدائية التى يستعين بها المجتمع الانسانى على حوائجه الحيوية،

ومن الجنات التى تضمن لهم حياة هنيئة والانهار التى هى دائمة الجريان تسقى هذه الجنات ، و الاخيران و إن كانا من قسم الاموال غير انهما خصّا بالذكر لكونهما من أبسط ضروريات المعاش . وفى الآيتين الاخيرتين وعد بتوافر النعم و تواترها عليهم ان استغفروا ربهم فلمغفرة الذنوب أثر بالغ فى رفع المصائب والنقمات العامة ، وانفتاح أبواب النعم من السماء والارض أى ان هناك ارتباطاً خاصاً بين صلاح المجتمع الانسانى و فساده و بين الاوضاع العامة الكونية المربوطة بالحياة الانسانية وطيب عيشه ونكده

١٣- (مالكم لاترجون لله وقاراً)

إستفهام إنكارى وتبكيت و توبيخ عليهم ماهم فيه من غفلة عن الله تعالى وإستخفاف بجلاله وعظمته .. انهم لايوقرون له ولاينظرون إليه نظر من يرجو ثوابه ويخشى عقابه ، وانهم لايعرفون الله جل وعلا ، ولايقدرونه قدره !

قيل : نفى الرجاء كناية عن اليأس ، فكثيراً مايكنّى به عنه ، يقال : لا أرجو فيه خيراً أى أنا آئس من أن يكون فيه خير .

و فى تخليص البيان للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه : فى قوله تعالى : « مالكم لاترجون و قاراً » قال : و هذه إستعارة لأن الوقار ههنا وضع موضع الحلم مجازاً ، يقال : رجل وقور يعنى حليم ، وأما حقيقة الوقار الذى هو الرزانة والثقل ، فلا يجوز أن يوصف به القديم تعالى لانه من صفات الاجسام ، وإنما يجوز وصفه تعالى بالوقار على معنى الحلم كما ذكرناه ، والمعنى انه يؤخر عقاب المذنبين مع الاستحقاق إمهالاً للتوبة ، و إنتظاراً للفيئة ، والرجعة لان الحليم فى الشاهد إسم لمن يترك الانتقام عن قدرة ، ولايسمى غير القادر إذا ترك الانتقام حليماً للغة التى ذكرهانا .

وقوله تعالى : « لاترجون لله » ههنا أى لايخافون فكأنه سبحانه قال: مالكم لاتخافون الله حلماً ، وانما أخّر عقوبتكم إمهالاً لكم و ايجاباً للحجة عليكم ، والا

فعذابه من ورائكم وإنتقامه قريب منكم .

١٤ - (و قد خلقكم أطواراً)

لفت نظر إلى مشاهد قدرة الله تعالى و عظمته فى أنفسهم ليروا فيها قدرة الخالق و عظمته و حكمته ، فتخشع لجلاله الابصار ، و تعنوا لقدرته الجباه . . . و تذكير لهم بنعم الله تعالى عليهم .

١٥ - (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً)

لفت نظر إلى دليل آخر على عظمة الله تعالى و قدرته فى العالم العلوى ، و دعوة إلى ايقاظ هذه العقول النائمة ، و فتح تلك العيون المغلقة التى لا ترى شيئاً فيماحولها من هذا الوجود ، ومافى الاية من مشاهد قدرة الله تعالى وحكمته ، و فى ذلك دلالة على أن حديث السموات السبع ليس حديث عهد بل كان من أقدم العهود ، و دلالة على أنه كان هناك وحى قبل نوح عليه السلام .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى هنا « ألم تروا » مع أن الناس لاترى ولا تشاهد سبع سماوات ، و هذا إنما يوجه لمن يرى سبع سماوات طباقاً ، و نحن لا نرى ذلك ، و لم كانت سبع سماوات ؟

تجيب : ان هذا كلام نوح عليه السلام لقومه فقد وجههم إلى كتاب الكون المفتوح بهذه الايات ، والسماوات السبع لايمكن حصرها فى مدلول ، مما تقول به الفروض العلمية فى التعريف بالكون ، فهى كلها مجرد فروض ، انما وجه نوح قومه إلى السماء و أخبرهم - كما علمه الله - انهم سبع طباق فيهن القمر نور ، و فيهن الشمس سراج ، و هم يرون القمر و يرون الشمس ، و يرون ما يطلق عليه إسم السماء . و هو هذا الفضاء ذواللون الازرق ، أما ما هو فلم يكن ذلك مطلوباً منهم ، ولم يجزم أحد إلى اليوم بشىء فى هذا الشأن ، وهذا التوجيه يكفى لاثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعة .

١٦ - (و جعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجاً)

قيل : شبه الشمس بالسراج لان نوره ذاتي كهي أو لأن الليل عبارة عن ظل الارض والشمس سبب لزواله .

١٧ - (والله أنبتكم من الارض نباتاً)

لفت نظر دليل آخر من أنفسهم على التدبير الالهي في خلق الانسان ، و ما أفاض عليه حتى تثبت الوهيته فتجب عبادته .

قيل : استعير الانبات للانشاء ليكون أدل على الحدوث .

و قال بعضهم : إن تسئل : كيف قال الله تعالى : « والله أنبتكم من الارض نباتاً » والحيوان ضد النبات ؟ و كيف يطلق على الحيوان انه نبات ؟ تجيب: ان هذا إستعارة للانشاء ، والاخراج من الارض بواسطة آدم عليه السلام .

و في تلخيص البيان : قال : وهذه إستعارة لان حقيقة الانبات إنما تجرى على ما تطلعه الارض من نباتها ، وتخرجه عند إزدراعها ، ولما كان تعالى يخرج البرية من مضايق الاحشاء إلى مفاسح الهواء و يدرجهم من الصغر إلى الكبر ، و ينقلهم من الهيئات والصور و كل ذلك على وجه الارض جاز أن يقول تعالى: « والله أنبتكم من الارض نباتاً » .

و قال بعضهم : قد يجوز أن يكون المراد بذلك خلق آدم عليه السلام من الطين، و هو أصل الخليقة ، فاذا خلقه تعالى من طين الارض كان نسله مخلوقين منها لرجوعهم إلى الاصل المخلوق من طينها فحسن أن يقول تعالى : « والله أنبتكم من الارض نباتاً » أي إستخرجكم من طين الارض .

ومن غير بعيد أن يكون الكلام مسوقاً سوق الحقيقة من غير تشبيه وإستعارة بأن يكون بصدد بيان أن الانسان تنتهي خلقته إلى عناصر أرضية تركبت تركباً خاصاً به يغتذي و ينمو ، و يولد المثل ، و هذه حقيقة النبات .

١٨ - (ثم يعيدكم فيها و يخرجكم اخراجاً)

وفي تاكيد الجملة الاخيرة بالمفعول المطلق «إخراجاً» دون الجملة الاولى

وعطف الثانية بحرف الواو على الاولى دون «ثم» مع التراخى بين الاعادة والاخراج ايذان بتحقق الاعادة كالبدء، و ايماء إلى أن الاعادة والاخراج كالصنع الواحد، وان الاعادة مقدمة للاخراج، والانسان فى حالتى الاعادة والاخراج فى دار الحق.

١٩ - (والله جعل لكم الارض بساطاً)

لفت نظر إلى دليل آخر من العالم السفلى على كمال قدرة الله تعالى وعظمته و حكمته.

ان تسئل : ان الاية الكريمة تدل على أن الارض مسطحة غير كروية، والمعروف انها كروية؟

تجيب : ان الاية لاتنفى كرويتها، فان البساط غير مستنكر لعظم حجمها، و إتساع جرمها و تباعد أطرافها، و إذا كان ذلك متسهلا فى الجبل، و هو من أوتاد الارض، فهو من الارض ذات الطول والعرض أسهل لانها لم تستو عر كلها على ساكنيها بتضاريس الحزون، و أسنمة الجبال، و ان مدّ الارض و بسطها بهذا المعنى لا ينافى كرويتها التى لا تدرك إلا بدقة الرصد و كلفة البرهان.

و فى تلخيص البيان : قال: وهذه إستعارة، والمراد بالبساط ههنا المكان الواسع المستوى شبه بالبساط، وهو النمط الذى يمدّ على الاستواء فيجلس عليه، و تصيير الارض بساطاً كتصيرها فراشاً و مهاداً، و هذه الالفاظ الثلاثة ترجع إلى معنى واحد.

٢٠ - (لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً)

تقرير لحكمة جعل الارض بساطاً. ولايخفى ان الايات الثمان : ١٣-٢٠) لفت نظر قوم نوح عليه السلام إلى مشاهد قدرة الله تعالى و عظمته و حكمته فى الآفاق من العوالم العلوية والسفلية، وفى الانفس، تذكيراً لهم بما أفاض الله تعالى عليهم من النعم و امتناناً بها عليهم، وتنبيهاً لهم على أنه جل و علا وحده يليق للعبادة فانه خالقهم و مدبر لهم، و عالم بمصالحهم و مفاسدهم، و معطيهم و منعمهم،

فعليهم أن يعبدوه وحده و لا يشرك به شيئاً .

٢١- (قال نوح رب انهم عصونى و اتبعوا من لم يزده ماله و ولده الا خساراً)

بيان من نوح عليه السلام على طريق الشكوى الضارعة إلى ربه لموقف قومه عليه السلام من الدعوة إلى العبادة لله تعالى وحده والتقوى والطاعة ، ومن الادلة الواضحة والبراهين القاطعة على توحيد الربوبية ، و على كمال قدرة الله تعالى و عظمته و غاية حكمته موقف العناد والكفر والعصيان ، و اتباعهم زعماؤهم الخاسرين و اغنياءهم إذ كانوا يصدونهم عن قبول دعوته ، ويحرّضونهم على مخالفته وايذائه ، و تأبيهم عن إستماع مواعظه و نصحه . . .

٢٢ - (و مكروا مكراً كباراً)

تقرير لمكر المتبوعين الخاسرين ، و مبالغتهم فيه بطرق شتّى اذ كانوا يصدون الناس عن سبيل الله تعالى و يحرّضونهم على أذى نوح عليه السلام وتكذيبه . و على بقاء الكفر والعصيان .

٢٣ - (و قالوا لا تذرن الهتكم و لا تذرن وداً و لا سواعاً و لا يغوث و يعوق و نسراً)

بيان لبعض ما كان من مكرهم ، وهذا أفظع أنواع المكر ، فانه دعاء إلى الشرك و هو من أعظم الكبائر ، و انما سمى مكراً لانهم دلسوا عليهم بانه دين آبائكم والاباء أعرف من الابناء وتدبيرهم فيما بينهم، وتوصيتهم اتباعهم بمعبوداتهم و بقاؤهم على تقاليدهم السابقة إذ أضافوا الآلهة إلى أنفسهم إثارة للنخوة الكاذبة والحمية الحمقاء كأنهم يدعون إلى إله غريب عنهم دخيل فى آلهتهم ، فلينكروه حفاظاً على الكرامة ، و ليتمسكوا بآلهتهم ابقاء للقديم على قدمه ، و إستدامة لعادة الآباء والاجداد . . . ففى تخليهم عنها، والايمان باله نوح رفض لكيانهم ، و خروج عن كونهم حملة التراث ، انهم أبناء آبائهم . . .

وخصّوا الاصنام بالذكر لانها كانت عندهم أكبر، ولما لها من مكانة خاصة في نفوسهم . . . ولعل تصدير ودّ وذكر سواع ويغوث بلا المؤكدة للنفى لكونها أعظم امراً عندهم من يعوق و نسر .

٢٤ - (و قد أضلوا كثيراً و لا تزد الظالمين الا ضلالاً)

تقرير لنتائج مكر المتبوعين الخاسرين، وحكاية عن دعاء نوح عليه السلام على الكفار بالضلال لتمردهم و عنادهم و كفرهم و إضلالهم .

قوله تعالى : « و لا تزد الظالمين » فى وضع الظاهر موضع ضمير «هم» تسجيل عليهم بالظلم المفرد ، وتعليل للدعاء عليهم به ، وخص هذا بالضلال دون التبار لموافقة قوله : « و أضلوا » .

ان تسئل : كيف جاز أن يريد نوح عليه السلام لهم الضلال ؟ و كيف جاز أن يطلب من الله تعالى زيادته لهم ؟

تجيب : ان المراد بالضلال منع الالطاف مجازاة لتصميمهم على الكفر ، و ذلك حسن جميل لان نوحاً عليه السلام نفض يده منهم ، و يئس من ايمانهم بل علم انهم لا يؤمنون .

٢٥ - (مماخطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً)

تقرير لاذاقة قوم نوح عليه السلام وبال أمرهم بالغرق والنار على طريق تعليق الحكم على الوصف للاشعار بالعلية و تأكيدها إذ قدّم الجار والمجرور « مما » على متعلقه أى بسبب ما ارتكبوه من آثام و خطايا هلكوا بالغرق ، و عذّبوا بالنار ، و فى الاية ايذان من أول الامر بان ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الّا لاجل خطيئاتهم التى عدّدها نوح عليه السلام و أشار إلى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا أنها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ماجرى بينه عليه السلام و بين قومه من الاحوال والاقوال . . .

وفى تعقيب الفاء و دخولها على الماضى دلالة على إستمرار العذاب ، وعدم

الفصل بين العذابين : الهلاك والنار ، وتنكير «ناراً» إما تعظيم وتهويل وتفزيع و إما لانه تعالى أعدّ لهم على حسب خطيئاتهم نوعاً من النار .

وفي قوله تعالى : «فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً» تهكم بهم وبآلهتهم، و تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى ، و بأنها غير قادر على نصرتهم .

ان تسئل : كيف أغرق قوم نوح عليه السلام و فيهم الصبيان ، و لا ذنب لهم ؟ فلما ذا اغرقوا مع آبائهم ، و مثلها أطفال قوم لوط ؟

اجيب عنه بوجوه ثلاثة :

أحدها ـ ان الله تعالى أغرق الاباء بسبب كفرهم وخطيئاتهم ، و أما الصغار فانما أهلكهم لعلمه تعالى بانهم سيكونون أشقياء فجاراً كما قال نوح عليه السلام : «انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً» وهذا لطف منه بالاطفال لان موتهم في عهد الصغر ، و هم خلو من الذنوب خير لهم من موتهم كباراً ، و قد تحملوا مسئولية الكفر والضلال يوم القيامة .

ثانيها ـ ان الله تعالى لما أخرج كل مؤمن من أصلابهم و أرحام نساءهم أعقم أرحام النساء و أصلاب الرجال قبل العذاب بأربعين سنة أو سبعين سنة ، فلم يكن فيهم صبي وقت العذاب على ما ورد .

ثالثها ـ ان الله تعالى عذّب الاطفال ليكون زيادة في عذاب الآباء والامهات إذا ابصروا أولادهم يغرقون ، و منه قول الامام علي عليه السلام : «يهلكون مهلكاً واحداً ، و يصدرون مصادر شتى» وقد سئل الحسن بن علي عليه السلام عن ذلك ،فقال : علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب .

٢٦ ـ (و قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً)

هذا موقف آخر يقف نوح عليه السلام فيناجي ربه بعد يأسه من قومه ، ويدعوا على الكفار بالهلاك وعدم إبقاء أحد منهم لانهم بلغوا من العناد واللجاج والجحود إلى درجة لا أمل فيها لصلاحهم و صلاح نسلهم الذي سوف يسير على غرارهم

بدعوتهم وتلقينهم ، وهذا موقف بلغ به غاية المطاف مع قومه ينهى موقفه معهم و يقطع صلته بهم ، ويطوى صفحة رسالته فيهم بهذا الدعاء الذى يدعو به عليهم، غير موقف كان يقفه بين يدى ربه و يشكو إليه قومه و ما صنعوا معه .

و « لاتذر . . الخ » كناية عن القضاء على كل كافر ، و ما يضمّ بيته من مال و متاع . .

٢٧ - (انك ان تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا الا فاجراً كفاراً)

تعليل لهذا الدعاء من سؤال إهلاكهم عن آخرهم بامور ثلاثة : أحدها- لعدم النفع فى بقاءهم لا فى وجودهم لصميمهم على بقاء الكفر والمعصية . ثانيها- ان لا فائدة فى بقاءهم لغيرهم من المؤمنين بل إضرار عليهم و على من يرجى منه الايمان بالاغواء والاضلال ، وصدهم عن سبيل الله تعالى . ثالثها- لعدم نفعهم فيمن يلدونه من أولادهم لانهم لا يلدون إلاّ فاجراً كفاراً و هم الذين يبالغون فى الكفر ليس بعده كفر فهم أشد كفراً من آبائهم .

ففيه إشعار بان لو كان فى أولادهم نفع لما هلكوا إذ قد لا يهلك الكافر لولادة المؤمن منه كما ان فى الاشعار بان لولا إضلالهم الناس وإغوائهم وصدّهم عن سبيل الله تعالى لما هلكوا .

ان تسئل : كيف وصفهم نوح عليه السلام بالفجور والكفر فى حال ولادتهم وهم أطفال ؟ وبم علم عليه السلام انهم لا يلدون إلاّ فاجراً كفاراً ؟

تجيب : و صفهم بما يؤلون إليه من الفجور والكفر أى انهم لا يلدون الاّ من يفجر و يكفر إذا بلغ ، وعلم ذلك باعلام الله تعالى إياه ، مع انه لبث فيهم يدعوهم إلى العبادة والتقوى و الطاعة ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ، فقد عجنهم وخبزهم و خبرهم و عاشر أجيالاً منهم ، و كانوا كلما دخلت امة لعنت اختها ، فلقد كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح عليه السلام و يقول له : احذر هذا فانه كذاب ، و ان أبى حذرنى منه ، فيموت الكبير ، و ينشاء الصغير على ذلك ، و قد أخبره الله

تعالى : إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن .

٢٨- (رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات و لا تزد الظالمين الا تباراً)

دعاء لنفسه ولابويه و لاهل الايمان من قومه ولكافة المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة بالمغفرة على طريق عطف العام على الخاص لافادة التعميم، وأفرد الاول بالذكر إهتماماً بشأنه ثم الاقرب فالاقرب، وهذا وسط دعائه على الظالمين مرة بعد اخرى فختم كلامه بالدعاء على الكافرين الذين تلبسوا في الظلم بأقسامه...

إن ظلموا على الله تعالى بالشرك الذى هو ظلم عظيم ،وعلى أنفسهم بالاغراق والاحراق ، وعلى الناس بالاضلال والاغواء . . . لغيظه منهم بما استحقوا به هذا الدعاء ، وهو بقية من المرارة والألم الذى كان يجده من قومه وهو الذى لم يذهب به كل ما دعا عليهم به من مهلكات فلم ينس ـ وهو يطلب لنفسه و لوالديه وأهل الايمان من قومه وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة بالمغفرة من الله تعالى ـ أن يجعل خاتمة دعائه أن يرمى القوم الظالمين بآخرسهم معه حتى بعد أن صاروا جثثاً هامدة .

«الاعجاز»

وقد ورد ذكر نوح عليه السلام و قصته على طريقى الاجمال والتفصيل فى ثمان و عشرين سورة فى ثلاثة و اربعين موضعاً من القرآن الكريم ، مختلف اللفظ بحسب ما تكون العناية موجهة نحوه من البيان ، وقد اشير إليها فى هذه السورة إجمالاً : من إرسال الله تعالى نوحاً عليه السلام إلى قومه ، و إجتهاده فى دعوته ودعائه عليهم، ووعدهم ووعيدهم، وإختلاف الطبقات بينهم، وإضلال المترفين المستضعفين، و يأسه من هدايتهم ، و قصّة غرقهم . . .

فمن تأمل فى هذه السورة يجدها مجملة من التفاصيل الواردة فى السور القرآنية فى أعلى منزلة من الفصاحة والبيان ، وهذا مما يشهد ان القرآن وحى إلهى فوق مستوى البشر، ثم تأمل فى أسلوب آياتها كيف يتحدر الكلام بسهولة لفظ ، و عذوبة سبك ، و تأمل فى إطراد الفاصلة فى آخر الايات على نسق معين مما يعطى القرآن قوة فى التعبير و تأثيراً فى النفس ، و خاصة ختم أكثر آياتها بالتنوين والراء .

وهذه قصة ما كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها ولا قومه قبل ذلك ، وهذا من أعظم الادلة على أن القرآن الكريم وحى إلهى ، و ان بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حق وصدق ، فانها من امور غيبية أخبر الله تعالى عنها ، و لا يعلم الغيب إلاّ الله تعالى .

كما قال : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت و لا قومك من قبل هذا » هود : ٤٩) .

مضافاً إلى ما فيها من حقائق علمية :

منها : ان القرآن الكريم فى وصفه قدرة الله تعالى فى هذا الكون يسبغ على الوصف المراد تعبيراً دقيقاً فهمه العرب منذ أربعة عشر قرناً فهماً ينسجم مع ما وصلت إليه عقولهم من الادراك ، كما يفهمه الرجل المتمدن اليوم فهماً جديداً بما تسلح به من علم ومعرفة ، و بما توصل إليه من مكتشفات علمية فى مجال هـذا الكون قال الله تعالى : « و جعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجا » نوح : ١٦) .

و ذلك ان الله تعالى يعلن بان الشمس تشبه السراج الوهاج : أى السراج المضيىء المتقد بلهب، وهو الذى يضاء بالزيت أو الكحول، والسراج له ضوء ذاتى.

و قد بيّن العلم ان الشمس كتلة غازية ملتهبة ، و أنها تستمد طاقتها من تفاعلات و إنفجارات نورية ، فاتفق العلم مع القرآن من حيث ان الشمس مكونة من لهب ، و ان هذا اللهب يستمد طاقته من مركزها الداخلى .

كما وصف القرآن القمر بانه « نور » فهو إذن كتلة مظلمة، وضوءه مكتسب ومعكوس منه، وهذا ما أثبته العلم من أن القمر جرم مظلم يستمد نوره من الشمس.

و منها : ماجاء فى هذه السورة من لسان نوح عليه السلام لقومه : « والله أنبتكم من الارض نباتاً » نوح : ١٧) .

وهذه الاية تعلن بان الله سوّانا من النبات ، و ان إستمرار حياتنا يتوقف على النبات .

و من المدهش ان هذه الاية هى حقيقة علمية و قد قرر علماء الاحياء انه لابد لجميع الحيوانات ـ وضمنها أنا وأنت أيها القارىء و كذلك جميع البكتيريا ـ أن تعيش عن طريق أكل النباتات أو المنتجات النباتية أو الحيوانات التى اكلت هذه النباتات، فقد نأكل سمكة كانت تعيش على أكل أسماك أصغر ، وهذه بدورها كانت تعيش على أسماك ما زالت أصغر أو على ديدان او غيرها من الحيوانات...

ولكن اذا تتبعنا هذه السلسلة حلقة حلقة، فلابد ان نجد نباتات فى نهايتها... فالنباتات إنما هى قاعدة وأساس هرم الحياة الذى يحتل الجنس البشرى قمته ، وهكذا نرى ان القرآن الكريم أوجز وصف غذاء الانسان والعناصر التى يعيش منها كما قرره العلم حديثا .



«التكرار»

و فى المقام امور سبعة :

أحدها ـ ثلاث سور من القرآن الكريم ينطبق رقم ترتيبها النزولى على رقم ترتيبها المصحفى :

١ ـ سورة «ص» : ٣٨ نزولاً و مصحفاً .

٢ ـ سورة «نوح» : ٧١ نزولاً و مصحفاً .

٣ ـ سورة «الانفطار» : ٨٢ نزولاً و مصحفاً .

ثانيها ـ سورتان يشتمل كل واحد منهما على ثمان وعشرين آية و هما سورتا نوح والجن .

ثالثها ـ قوله تعالى : « قال نوح رب انهم عصونى » : ٢١) ثم قال : « وقال نوح رب لاتذر » : ٢٦) بزيادة الواو لان الاول ابتداء دعاءه والثانى عطف عليه .

رابعها ـ قوله تعالى: « ولاتزد الظالمين الاّضلالاً » : ٢٤) وبعده : « الاّ تباراً » : ٢٨) لان الاول وقع بعد قوله تعالى : « وقد أضلوا كثيراً » والثانى بعد قوله: «لاتذر على الارض من الكافرين دياراً» فذكر فى كل مكان ما اقتضاه معناه .

خامسها ـ إشارة إلى صيغ سبع لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ الصيغ التى جائت فى هذه السورة و فى غيرها من السور القرآنية :

١ ـ جائت كلمة (نوح) بصيغها فى القرآن الكريم نحو : ٤٣ مرة :

٢ ـ « « (مدرار) « « « « : ٤ مرات :

١ ـ سورة الانعام : ٦) ٢ ـ سورة هود : ٥٢) ٣ ـ سورة نوح : ١١) .

٤ ـ سورة النور : ٣٥) .

٣ ـ « « (يعوق) بصيغتها « « : مرة واحدة :

و هی فی سورة نوح : ٢٣) .

٤ ـ « « (يغوث) « « « : مرة واحدة :

و هی فی سورة نوح : ٢٣) .

٥ـ « « (النسر) » « « : مرة واحدة :

و هی فی سورة نوح : ٢٣) .

٦ ـ « « (الغرق) بصيغها « « : ٢٣ مرة :

٧ ـ « « (التبار) « « « : ست مرات :

١ ـ سورة الاعراف : ١٣٩) ٢ و ٣ـ سورة الفرقان : ٣٩) ٤ و ٥ ـ سورة لاسراء : ٧) ٦ ـ سورة نوح : ٢٨) .

سادسها ـ و قد ورد ذكر نوح عليه السلام فی ثلاثة و اربعين موضعاً فی ثمان عشرين سورة من القرآن الكريم على الترتيب الآتی :

١ ـ سورة آل عمران : ٣٣) ٢ ـ سورة النساء : ١٦٣) .

٣ ـ « الانعام : ٨٤) ٤ ـ « الاعراف:٥٩و٦٩).

٥ ـ « التوبة : ٧٠) ٦ ـ « يونس : ٧١) .

٧ ـ « هود : ٢٥ و ٣٢ و ٣٦ و٤٢ و ٤٥ و٤٦ و٤٨ و٨٩) .

٨ـ « ابراهيم : ٩ ٩ـ « الاسراء : ٣و١٧)

١٠ـ « مريم : ٥٨) ١١ـ « الانبياء : ٧٦) .

١٢ـ « الحج : ٤٢) ١٣ـ « المؤمنون : ٢٣).

١٤ـ « الفرقان: ٣٧) ١٥ـ « الشعراء : ١٠٥ و١٠٦ و١١٦) .

١٦ ـ « العنكبوت : ١٤) ١٧ ـ « الاحزاب : ٧).
١٨ ـ « الصافات : ٧٥و٧٩) ١٩ ـ « ص : ١٢) .
٢٠ ـ « غافر: ٥ و ٣١) ٢١ ـ « الشورى : ١٣).
٢٢ ـ « ق : ١٢) ٢٣ـ « الذاريات : ٤٦).
٢٤ ـ « النجم : ٥٢) ٢٥ ـ « القمر : ٩) .
٢٦ ـ « الحديد : ٢٦) ٢٧ ـ « التحريم : ١٠).
٢٨ ـ « نوح : ١ و ٢١ و ٢٦).

سابعها ـ و قد جاءت قصة نوح عليه السلام تفصيلاً فى القرآن الكريم بأساليب متنوعة و ألفاظ مختلفة على ما اقتضته العناية والحال فى ست سور :

١ ـ سورة الاعراف . ٢ ـ سورة هود . ٣ ـ سورة المؤمنون .

٤ ـ سورة الشعراء . ٥ ـ سورة القمر . ٦ ـ سورة نوح .



﴿التناسب﴾

ان البحث فی المقام علی جهات ثلاث :

أحدها ــ التناسب بین هذه السورة و ما قبلها نزولاً .

ثانیها ــ التناسب بینها و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها ــ التناسب بین آیات هذه السورة نفسها .

اما الاولی : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «النحل» فمناسبتها لها بامور:

أحدها ــ لما أشار تعالی فی سورة النحل إلی إرسال الرسل و إنذارهم الناس و دعوتهم إلی التوحید والتقوی واختلاف الناس فی قبول الدعوة و تحزّبهم بحزبین: حزب الله تعالی و هم أهل الایمان وصالح العمل وأهل التقوی والمغفرة ، وحزب الشیطان و هم أهل الکفر وفساد العمل و هم الکفرة الفجرة أخذ بذکر رسول من الرسل و دعوته قومه إلی التوحید والعبادة لله وحده و إلی التقوی والطاعة و انذارهم، و کونهم حینئذ علی طائفتین: الطائفة المؤمنة الصالحة والطائفة الکفرة الباغیة الطاغیة فی هذه السورة .

ثانیها ــ لما فصّل الله تعالی خلق السموات والارض وخلق الانسان والحیوان والنبات و ما أنعم علی الناس من نعمه أجمل ذلک فی هذه السورة لما یقتضیه الأسالیب والبیان و أن لا یغفل عنها الانسان فی حال من الاحوال . . .

ثالثها ــ لما ذکر الله تعالی فی سورة النحل آلهة کان المشرکون یعبدونها ذکر فی هذه السورة بعضها بأسمائها . . .

و أما الثانية : فمناسبتها لسورة المعارج فبامور : أحدها ـ لما ختمت سورة المعارج كما بدئت بوعيد أهل الكفر والطغيان ، و مآل أمرهم إلى النار والهوان بدئت هذه السورة بذكر قصة نوح عليه السلام و كفرة قومه و بما آل أمرهم إلى الطوفان ، وختمت بما دعا عليهم نوح عليه السلام من الهلاك والنيران تسلية للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ،فتواخى مطلع السورتين وختامهمافى ذكر العذاب الموعود به الكفار.

ثانيها ـ لماختمت سورة «المعارج» بعرض هذا الموقف الذى يقفه المشركون من النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و بدعوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الله تعالى أن يتركهم فيماهم فيه ليخوضوا ويلعبواحتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ، بدئت هذه السورة بذكر موقف قوم نوح منه ، وتأبّيهم عليه ، وانه لبث فيهم عمراً طويلاً امتدّ ألف سنة الا خمسين عاماً ، يغدو و يروح بينهم بدعوته ، يعرضها عليهم فى كل معرض ، و يلقاهم بها على كل وجه ، فما استجابوا له . . ثم كانت عاقبتهم هذا العذاب الذى أخذهم الله تعالى به فى الدنيا ، و ان لهم فى الاخرة لعذاباً أشد و أنكى .

ثالثها ـ لما قال الله تعالى فى سورة «المعارج» :«انا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم » ذكر فى هذه السورة قصة قوم نوح عليه السلام المشتملة على إغراقهم الا من قد آمن ، و إبدالهم بمن هم خير منهم ، فكأنها وقعت موقع الاستدلال على تلك الدعوى .

رابعها ـ ان الله تعالى لما ختم سورة «المعارج» المتضمنة لسؤال الكفار العذاب عليهم ، و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها بالصبر على تكذيب المكذبين ، وبيّن فيهاقدرته على إهلاك جميع الخلق بالطوفان وغيره ، أردفها بسورة «نوح» المتضمنة لشكاية نوح عليه السلام من تكذيب المكذبين تسلية لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسؤال نوح عليه السلام العذاب على الكفار و اهلاكهم بالطوفان .

و ان التدبر فى السورتين يلهمنا بفضل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على نوح عليه السلام .

و أما الثالثة : فلما أخبر الله تعالى بارسال نوح عليه السلام إلى قومه مع الاشارة

إلى علته على طريق الامر بان ينذرهم بأسه قبل حلوله بهم أخبر بانه امتثل الامر بقوله تعالى : « قال يا قوم انى لكم نذير مبين » : ٢) ثم أشار إلى ما دعاهم إليه نوح عليه السلام من امور ثلاثة بقوله : « أن اعبدوا الله » و «واتقوه» و «وأطيعون» ثم أشار إلى جزاء من أجاب الدعوة وهو أمران بقوله تعالى: « يغفر لكم من ذنوبكم » و « و يؤخركم إلى أجل مسمى » .

ولما دعا نوح عليه السلام قومه إلى التوحيد والعبادة والتقوى والطاعة ولم يجيبوا دعوته أشار تعالى إلى شكواه إلى ربه ، و سعيه فى الدعوة ليلاً و نهاراً و إلى ما رآه من عكس الغرض مع الاشارة إلى سبب تمردهم وهو الاستكبار بقوله تعالى: « قال رب انى دعوت قومى - إلى - و استكبروا استكباراً » ٥ - ٧) على طريق الاخبار عن أحوالهم التى تدل جفاء طبعهم و فظاظتهم و بأنه عليه السلام دعاهم بكل وسيلة يمكن أن يدعوهم بها .

ولما لم يؤثر فيهم الوعيد والانذار والوعد بالمغفرة وتأخير الأجل لشدة حبهم العاجلة دون الآجلة غيّر طريق الدعوة ، فوعدهم بما كانوا يحبونه من الاموال والبنين والبساتين و ما اليها ... بقوله تعالى : « فقلت استغفروا ربكم - إلى - و يجعل لكم أنهاراً » ١٠ - ١٢) .

بعد أن بيّن نوح عليه السلام لقومه فائدة الاستغفار، وما يترتب عليه من السعادة الدنيوية ، ولما أدّبهم بآداب خلقى بها تهذيب نفوسهم وفيها مكارم أخلاقهم أدّبهم بآداب علمية يدرسهم علم التشريع وعلم النفس و دراسة أحوال العوالم العلوية والسفلية و وجّه أنظارهم إلى قدرة الله تعالى لعلهم يؤمنون فقال لهم : كيف لا تخافون عظمة الله و سلطانه وقد خلقكم طوراً بعد طور بطريقة التدرج من نطفة إلى علقة إلى مضغة ثم كسا هذه المضغة عظاماً و لحماً بقوله تعالى : « مالكم لا ترجون لله وقاراً و قد خلقكم أطواراً » : ١٣ - ١٤) .

لما وجّههم بالنظر إلى أنفسهم على طريق الخطاب لفت أنظارهم إلى الآفاق

والعالم العلوي من آثار قدرةالله تعالى فوقهم إذ خلق الكواكب السيارة وجعل القمر يسير في مداراتها لينير لكم الارض ليلاً ، و جعل الشمس سراج النهار بقوله تعالى : « ألم تروا - إلى - و جعل الشمس سراجاً » : ١٥ - ١٦) .

ثم أخذ بذكر ما نشأ به الانسان من النبات المتولد من الارض ثم عوده فيها بالدفن بعدالموت مع الاشارة إلىالنعم التي أعدّها للانسان منالارض بانه تعالى هيّأ وسخّر الارض كتسخيرالبساط للرجل يتقلب عليه كما يشاء ويظهر مواهبه لاستخراج ما في بطنها من المعادن المختلفة و خيراتها المتنوعة و إلى حكمة ذلك بقوله تعالى : « والله أنبتكم - إلى - سبلاً فجاجاً » : ١٧ - ٢٠) .

بعد أن دعا نوح عليه السلام قومه إلى التوحيد والتقوى بكل وسيلة و أساليب مختلفة مشتملة على الترغيب طوراً والترهيب طوراً آخر ، و جهراً تارة ، و سراً اخرى و كلاهما ثالثة فلم يستجيبوا له أخذ بذكر تكذيبهم وعصيانهم و اتباعهم أبناء الدنيا لشدة حبهم بها اذ احتالوا في الدين وجعلوهم أرقاء للاصنام وصدوهم عن سبيل الله بشتى الأساليب . . . علىطريق الشكوى بهم والدعاء عليهم بالضلال لعنادهم و تمردهم بقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام : « قال نوح رب انهم عصوني - إلى - الاّ ضلالاً » : ٢١ - ٢٤) .

انالله تعالى لما ذكر مقالة نوح عليه السلام وشكواه إلى ربه من قومهالكافرين أردفه بذكر سبب ما جازاهم به من الغرق والهلاك في الحياة الدنيا ، ومنالنار والعذاب بعد الموت إلى يوم القيامة من غير ناصر لهم في ذلك و لا دافع عنهم العذاب، ثمدعا عليهمبالهلاك والدمار معللاً له بامرين: إفسادهمفيالارض باضلال الناس، وفساد نسلهم بالكفر والفجور ثمدعا لنفسه ولمن اتبعه ولجميعالمؤمنين والمؤمنات : السابقين والحاضرين واللاحقين بالمغفرة إلى يوم الدين ، ثم دعا على الظالمين بالتبار والهلاك ، و بالنار والعذاب أبد الأبدين و دهر الداهرين إلى لقاء يوم الدين بقوله تعالى: « مما خطيئاتهم اغرقوا - إلى - ولاتزدالظالمين الاّ تباراً » : ٢٥ - ٢٨) فتدبر و اغتنم جداً .

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد كلاماً من الباحثين يدل على أن في السورة ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهاً ، فآياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١ - (انا أرسلنا نوحاً الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم)

فى « من قبل أن ياتيهم عذاب أليم » أقوال : ١ - عن ابن عباس : أى من قبل أن يأتيهم عذاب النار فى الاخرة . ٢ - عن الكلبى : هو ما نزل عليهم من الطوفان . وقال الحسن : ان الله تعالى أمر نوحاً عليه السلام أن ينذر قومه عذاب الدنيا قبل عذاب الاخرة . ٣ - قيل : أى أنذرهم بعذاب مؤلم على الجملة ان لم يؤمنوا بالله تعالى، وذلك كان نوح عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد والعبادة والتقوى والطاعة، و ينذرهم بالاغراق فى الدنيا ، والاحراق فى الاخرة ما لم يستجيبوا له ، فلا يرى منهم مجيباً و كانوا يضربونه حتى يغشى عليه و هو يقول : « رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » .

اقول : والاول هو المؤيد بالايات الكريمة الآتية فى التفسير والتأويل فانتظر ، من غير تناف بينه و بين كون القوم عرضة للعذاب بالشرك والعصيان فتدبراً جيداً .

٤ - (يغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون)

فى « يغفر لكم من ذنوبكم أقوال : ١- عن السدى : أى يغفر لكم ذنوبكم. و «من» زائدة . ٢ - قيل : أى يغفر لكم بعض ذنوبكم ، و هو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين . و «من» للتبعيض على أن لا تصح زيادة «من» فى الايجاب . و قيل :

أي يغفر ما تقدم من ذنوبكم على ايمانه ، وأما المتأخر عنه فلا يصير بذلك السبب مغفوراً . وقيل : يغفر لكم ذنوبكم السالفة وهى بعض الذنوب التى تضاف إليكم ، ولما كانت ذنوبهم التى يستأنفونها لايجوز الوعد بغفرانها على الاطلاق إن يكون فى ذلك منا الاغراء بالقبيح ، فان الاسلام يجبّ ما قبله .

٣ - عن زيد بن أسلم : أى يخرجكم من ذنوبكم . ٤ - قيل : «من» لبيان الجنس ، وقيل : هذا بعيد لعدم تقدم جنس يليق به . ٥ - عن إبن شجرة أى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفر تموه منها . ٦ - قيل : أى يغفر لكم كل ما كان من ذنوبكم، فلا يؤاخذكم بمجموع الذنوب لابكل فرد من أفراده لصدق قول القائل: لا اطالبك بمجموع ذنوبك لكننى اطالبك بهذا الذنب الواحد .

٧ - قيل : أى يغفر لكم من ذنوبكم ما قد وعد كم العقوبة عليه ، فاما ما لم يعد كم العقوبة عليه فقد تقدم عفوه لكم عنها .

أقول : و على الثانى أكثر المفسرين ، و هو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى: « و يؤخر كم إلى أجل مسمى » أقوال : ١- عن إبن عباس: أى ينسىء فى أعمار كم و ذلك ان الله تعالى كان قضى قبل خلقهم : انهم إن آمنوا بارك فى أعمارهم ، و ان لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب ف «أجل مسمى» عند الله تعالى. ٢- عن مقاتل : أى يؤخر كم إلى منتهى آجالكم فى عافية ، فلا يعاقبكم بالقحط و غيره . والمعنى : يؤخر كم عن العقوبات والشدائد إلى آجالكم . قيل : هذا حكاية عن قول نوح عليه السلام لقومه بانه إخبار من الله تعالى عن نفسه . ٣- عن الزجاج والفراء : أى يؤخر كم عن العذاب ، فتموتوا غير موتة المستأصلين بالعذاب ، و على هذا قيل: « أجل مسمى » عند كم تعرفونه لا يميتكم غرقاً ولا حرقاً ولا قتلاً .

٤ - قيل: أى يؤخر محاسبتكم وعقابكم على ما قد تقترفونه من ذنوب . و عن الحسن : اريد باجل الله : يوم القيامة جعله آجلاً للبعث .

أقول : و على الثانى أكثر المفسرين .

و في قوله تعالى : « لو كنتم تعلمون » أقوال : ١ ـ قيل : أى لو كنتم تعلمون صحة ان العبادة والتقوى والطاعة توجب غفران الذنوب ، وتأخير الأجل إلى وقته المسمى لامنتم . ٢ ـ قيل : أى لو كنتم تعلمون : ان الاجل لا يتأخر و لا يتقدم لأنبتم إلى طاعة ربكم . ٣ ـ قيل : أى لو كنتم تعلمون ما يحلّ بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم . ٤ ـ قيل : أى لو كنتم تعلمون ان الشرك والعصيان والطغيان توجب تقدم الاجل قبل وقته المسمى .

٥ ـ قيل : أى لو كنتم تعلمون ان للانسان أجلين : معلق بان الانسان لو كفر وعصى لما نال بعمره الطبيعى ، فلا يموت بأجله المحتوم، و أجل محتوم، و هو الاجل الذى اذا جاء لا يؤخر . لآمنتم بالله و عبد تموه وحده و اتقيتموه و أطعتمونى . ٦ ـ قيل : أى لو كنتم تعلمون ان أجل الله تعالى اذا جاء لا يؤخر فسارعتم إلى الطاعة والتقوى والايمان ، وبادرتم إلى ما أمركم به لانكم لاتدرون متى يجىء . ٧ ـ عن الحسن : أى لو كنتم تعلمون لعلمتم ان أجل الله اذا جاء كم لا يؤخر فجواب «لو» متعلق بآخر الكلام .

٨ ـ قيل : أى لو كنتم من أهل العلم لاستجبتم دعوتى وآمنتم بالله تعالى و اتقيتموه و اطعتمونى، فقوله : «تعلمون» منزّل منزلة الفعل اللازم ، و جواب «لو» متعلق بأول الكلام . ٩ ـ قيل : أى لو كنتم تعلمون ان لله تعالى أجلين ، و ان أجله اذا جاء لا يؤخر استجبتم دعوتى و عبدتم الله تعالى وحده و أتقيتموه و أطعتمونى، فالجملة متعلق باول الكلام ، ومفعول «تعلمون» محذوف يدل عليه الكلام السابق .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر فتدبر .

٥ ـ (قال رب انى دعوت قومى ليلاً و نهاراً)

فى «ليلاً ونهاراً» أقوال : ١ ـ قيل : أى سراً و جهراً . ٢ ـ قيل : أى واصلت

الدعاء . ٣ ـ قيل : أى دائماً متصلاً من غير فتور و لا توان .

اقول: و على الاخير أكثر المفسرين .

٨ ـ (ثم انى دعوتهم جهاراً)

فى « دعوتهم جهاراً » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس : أى دعوت قومى بأعلى صوتى . ٢ـ قيل: أى دعوتهم مظهراًلهم الدعوة . ٣ـ عن مجاهد : أى دعوتهم معلناً لهم الدعوة . ٤ـ قيل: أى جاهرتهم جهاراً . ٥ـ أى دعوتهم مجاهراً لهم بالدعوة . ٦ ـ قيل : أى دعوتهم دعوة مجاهرة يرى بعضهم بعضاً أى ظاهراً غير خفى .

اقول : والثالث هوالانسب بمعنى الجهار، يقال : جاهرهم بالامر مجاهرة و جهاراً : عالنهم . و بالآية التالية .

٩ ـ (ثم انى اعلنت لهم و اسررت لهم اسراراً)

فى الاية أقوال : ١ـ قيل : أى دعوتهم حيناً انفرد ببعضهم علانية ، و ببعض الآخرين سراً . ٢ ـ عن مجاهد : أعلنت : صحت ، و أسررت لهم اسراراً بالدعاء عن بعضهم من بعض . ٣ ـ قيل : دعوتهم و هم مجتمعون و منفردون . ٤ ـ قيل : أسررت لهم : أتيتهم فى منازلهم ، و كل هذا من نوح عليه السلام مبالغة فى الدعاء لهم و تلطّف فى الاستدعاء . ٥ ـ قيل : اى انى سلكت معهم فى الدعوة كل مذهب و تلطّفت لهم فى ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا . وذلك انى دعوتهم سراً و علانية ، فتارة علانية وتارة اخرى سراً سالكا فى دعوتى كل مذهب ممكن ، و سائراً فيها كل مسير مرجو .

٦ـ قيل : أى صرخت لهم و صحت بالذى أمرتنى به من الانذار . ٧ـ قيل: اى دعوتهم فى العلانية و فى السرّ . ٨ ـ قيل : أى انى أعلنت جماعة بالدعوة و أسررت جماعة ثم أعلنت للذين أسررت ، و أسررت للذين أعلنت لهم .

أقول : والخامس هو الانسب بالسياق .

١٠ـ (مالكم لاترجون لله وقاراً)

في الاية أقوال : ١- عن مجاهد والضحاك : أى مالكم لاترجون لله تعالى عظمة ، ولاتبالون له عظمة ، إذ كانوا لايبالون عظمة الله تعالى .

٢- عن إبن عباس : أى لاتعظمون الله حق عظمته فتوحّدوه و تطيعوه ٣- عن ابن عباس أيضاً : مالكم لاتعلمون لله عظمة . ٤- عن قتادة و الزجاج : أى مالكم لاترجون لله عاقبة الايمان وتوحّدون الله جل وعلا .

٥- عن إبن زيد : أى مالكم لاترجون لله طاعة . ٦- قيل : الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة إسم من التوقير وهو التعظيم ، والمعنى : مالكم لاتخافون لله عظمة ، و أىّ عذرلكم في ترك الخوف من قدرة الله على أحدكم بالعقوبة .

٧- عن إبن عباس أيضاً و سعيد بن جبير وأبى العالية و عطاء : أى مالكم لا ترجون لله ثواباً ولاتخافون لله عذاباً ولاتخشون لله عقاباً . وقال إبن عباس : الوقار هو الثبات من وقر إذا ثبت واستقر . ومنه قوله تعالى : «وقرن في بيوتكن» فوقاره تعالى ثبوته وإستقراره في الربوبية المستتبع لالوهيته ومعبوديته .

٨- عن إبن زيد : مالكم لاتؤدّون لله تعالى طاعة . ٩- عن ابن كيسان : قال أى مالكم لاترجون في عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيراً .

١٠- عن الحسن : مالكم لاتعرفون لله حقاً ولاتشكرون له نعمة . ١١- قيل: أى مالكم لاتوحّدون الله تعالى لان من عظمه فقد وحّده .

١٢- عن إبن بحر : أى مالكم لاتثبتون و حدانية الله تعالى ، و انه الهكم لا اله لكم سواه .

١٣- عن أبى مسلم : أى مالكم لاتعتقدون لله ثباتاً وبقاء فانكم لورجوتم ذلك لما أقدمتم على الاستخفاف برسوله. وقيل : أى مالكم لاتعترفون لله بالعظمة ولا تحسبون حساب قدرته ولا تقدرونه حق قدره . ١٤ - قيل : مالكم لاتأملون وقار الله اياكم بان تؤمنوا . وقيل : مالكم لاتطمعون في عاقبة لعظمة الله تعالى

١٥ـ قيل : الرجاء : مقابل الخوف و هو الظن بما فيه مسرّة والمراد به في الآية مطلق الاعتقاد ، و قيل : المراد به الخوف للملازمة بينهما ، والمعنى: أيّ سبب حصل لكم حال كونكم لاتعتقدون أو لاتخافون لله عظمة توجب أن تعبدوه و أن تتقوه و تطيعوا رسوله .

أقول : والسادس هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

١٤ ـ (وقد خلقكم أطواراً)

و في الاية أقوال : ١ ـ عن مجاهد : أي و قد خلقكم تارات : تارة تراباً و اخرى منياً، وثالثة نطفاً، و رابعة علقاً ، ثم خامسة مضغاً ثم أجنة إلى أن كساه عظاماً و لحماً . ٢ ـ عن إبن عباس وقتادة والضحاك : على أحوال و أطوار مختلفة بطريق التدرج : إذ كنتم نطفة في الارحام ثم أمشاجاً ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسى عظامكم لحماً ثم أنشأكم خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ٣ـ قيل: أي كنتم صبياً ثم صرتم شاباً قوياً ثم كهلاً ثم شيخاً كبيراً ضعيفاً إلى أرذل العمر.

٤ ـ قيل : أي و قد خلقكم نواعاً : صحيحاً و سقيماً ، بصيراً و ضريراً ، زمنياً و قويماً ، غنياً و فقيراً و طويلاً و قصيراً . . .

٥ ـ قيل : و قد خلقكم على إختلاف في الاخلاق والافعال والصفات . . .

٦ ـ قيل : أي على أشكال و ألوان و ألسنة مختلفة . . .

أقول : والتعميم غير بعيد .

١٥ ـ (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً)

في «طباقاً» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس والسدى : أي بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الاخرى كالقباب . ٢ـ عن الحسن : أي خلق الله تعالى سبع سماوات طباقاً على سبع أرضين بين كل أرض و أرض وسماء وسماء خلق وأمر . ٣ـ قيل: أي طوبقت طباقاً . ٤ ـ قيل : أي ذات طباق . ٥ ـ قيل : أي يشبه بعضها بعضاً في الاتقان والاحكام والاتساق والانتظام .

اقول : والثانى هو المؤيد لكثير من الروايات التى أوردناها فى تفسير سورتى الذاريات والملك فراجع .

١٦ - (و جعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجاً)

فى الاية أقوال : عن الاخفش والسدى : أى جعل القمر فى سماء الدنيا نوراً لاهل الارض وجعل الشمس فى سماء الدنيا مصباحاً لاهل الارض . وقال ابن كيسان: اذا كان فى إحداهن فهو فيهن ، و قيل : أى فى مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا. و قيل : أى فى حيّزهن و ان كان فى واحدة منها .

٢ـ عن الكلبى وقطرب: أى خلق القمر والشمس مع خلق السموات والارض.

٣ ـ عن عطاء : أى نوراً لاهل السماء والارض ، و قال إبن عباس و إبن عمر وجه القمر والشمس يضيىء لاهل الارض ، و ظهرهما يضيىء لاهل السماء . و قيل : على العكس .

٤ ـ قيل : أى و جعل فى كل سماء قمراً منيراً لسكانها ، و جعل فى كل سماء شمساً مصباحاً لاهلها ، وهذا بناء على إرادة الجنس من القمر والشمس فهنا أقمار و شموس لمن سوانا من سكنة الارضين الست الاخرى .

أقول : والاخير غير بعيد .

١٧ - (والله أنبتكم من الارض نباتاً)

فى الاية أقوال : ١ ـ عن إبن جريج : أى خلق أباكم آدم عليه السلام من أديم الارض كلها . قيل : أى أنبت أباكم آدم عليه السلام من الارض نباتاً كقوله تعالى : « ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب » وقوله : « و بث منهما رجالاً كثيراً و نساء » ٢ ـ عن خالدبن معدان : أى خلق الانسان من طين ، فانما تلين القلوب فى الشتاء .

٣ ـ قيل : أى أنشأكم من الارض إنشاءاً ، و ذلك لان الله خلق الانسان من نطفة متولدة من أغذية متولدة من النبات التى نمت بتراب الارض ، فتنتهى خلقة

الانسان إلى عناصر أرضية تركبت تركباً خاصاً به يغتذى و ينمو و يولد المثل، وجعله نباتاً لانه ينمو كما ينمو النبات ويلد ويولد ويموت ، و ان يديه و رجليه كفروع النبات ، و عروق الانسان المتشعبة فى الجسم والتى يجرى فيها الدم و ينتشر فى الاطراف تشبه ما فى الشجر ، و أحوال الانسان كأحوال النبات فمنه المرّ والحلو ، و منه الطيب والخبيث . . . و إستعداد الانسان مختلف كخواص النبات المختلفة . . .

٤- عن إبن جريج أيضاً : أى أنبتكم فى الارض بالكبر بعد الصغر ، و بالطول بعد القصر .

أقول : و على الثالث جمهور المفسرين .

٢٠- (لتسلكوا منها سبلا فجاجاً)

فى « سبلا فجاجاً » أقوال : ١- عن إبن عباس : أى طرقاً صعاباً مختلفة .
٢ - عن الفراء : « فجاجاً » : جمع فج و هو الطريق الواسعة . فالمعنى : طرقاً واسعة . ٣- قيل : أى سبلاً فى الصحارى وفجاجاً فى الجبال .

٤- عن قتادة : أى طرقاً وأعلاماً . ٥- قيل : « فجاجاً » جمع وهو مسلك بين الجبلين ، والمعنى : ان هذه السهولة الممتدة بين الجبال هى طرق ومسالك للعمل فى الحياة ، وللتغلب فى وجوه الارض .

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين ، وهو الانسب بمعناه اللغوى .

٢٢- (ومكروا مكراً كباراً)

فى « ومكروا » أقوال : ١- قيل : أى ومكر هؤلاء الرؤساء المتبوعون .
٢- قيل : أى ومكر التابعون وهم الاكثرون . ٣- قيل : أى ومكر المتبوعون والتابعون كلهم ..

أقول : والسياق يؤيد الاول فتدبر جيداً .

وفى « كبّاراً » أقوال : ١- عن إبن عباس : أى قالوا قولاً عظيماً . ٢- قيل :

مكرهم كباراً هو كفرهم . ٣ـ عن الضحاك : أي اجترؤا على الله و كذبوا رسله .
٤ـ قيل : أي متناهياً في كبرهم . ٥ ـ عن الكلبي : هو ماجعلوه لله سبحانه من الصاحبة والولد .

٦ـ قيل : أي كبيراً و الكبار : هو المكر البالغ غاية السوء و هو مبالغة من المكر الكبير ، و ذلك فان الملا من الاغنياء المترفين من قوم نوح عليه السلام إحتالوا في الدين و صدّوا الناس عن الهدى و الرشاد بأساليب شتّى و أغروهم بأذى نوح عليه السلام وخاصة سفلتهم على قتل نوح عليه السلام ويحرصون الناس فيمااوتوا من الاموال و الاولاد حتى قالت الضعفاء : لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم ... وقال مقاتل: هو قول كبرائهم لاتباعهم : « لاتذرن الهتكم ولاتذرن وداً »

٧ـ قيل أي شديداً . ٨ـ عن إبن زيد: أي كثيراً . ٩ـ عن مجاهد والحسن: أي مكراً عظيماً ، و ذلك لان رأس الخيرات هو الارشاد إلى التوحيد ، و نقيضه هو الدعاء إلى الشرك و هو يكون أعظم الكبائر و أفظع أنواع المكر .

أقول : والسادس هو الانسب بظاهر السياق .

٢٣ ـ (و قالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولاسواعاً ولايغوث و يعوق و نسراً)

في « وداً و لا سواعاً . . . الخ » قولان : أحدهما ـ عن إبن عباس و عطاء ومقاتل والضحاك: هي أصنام وصور كان قوم نوح عليه السلام يعبدونها ثم عبدتها العرب ، فالكلام مسوق إلى قوم نوح عليه السلام .

ثانيهما ـ قيل: انها للعرب لم يعبدها غيرهم ، وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، فلذلك خصّوها بالذكر بعدالوصية بمطلق الآلهة ، فيكون معنى الكلام: كما قال قوم نوح لاتباعهم : لا تذرن آلهتكم ، قالت العرب لاولادهم و قومهم : لا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث و يعوق و نسراً . ثم دعا بالذكر بعد ذلك إلى قوم نوح عليه السلام .

أقول : و ع الاول جمهور المفسرين .

٢٤ - (و قد أضلوا كثيراً و لا تزد الظالمين الا ضلالاً)

فى « قد أضلوا كثيراً » أقوال : ١ ـ عن مقاتل و أبى مسلم : أى وقد أضل هؤلاء الاغنياء المستكبرون خلقاً كثيراً ، فاستمالوهم إلى موقفهم الضال ليكون لهم منهم قوة و دولة . . . ٢ـ قيل: أى وقد أضل الاصنام كثيراً من الناس كقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : «رب انهن أضللن كثيراً من الناس» ابراهيم: ٣٦) وقيل : أى ضل بعبادة تلك الاصنام كثير من الناس . ٣ ـ قيل : أى و انهم ضلوا أنفسهم ضلالاً كثيراً لا يرجى لهم معه رجعة إلى الله تعالى . . .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق و عليه أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : «ضلالاً» أقوال : ١ ـ قيل : أى هلاكاً و عذابا كقوله تعالى : « ان المجرمين فى ضلال و سعر » ٢ ـ قيل : أى إلاّ فتنة بالمال والولد . ٣ ـ قيل : أى الاّ ذهاباً عن الجنة والثواب . ٤ ـ عن البلخى : أى لا تزدهم الاّ منعاً من الطاعات عقوبة لهم على كفرهم ، فانهم اذا ضلوا استحقوا منع الالطاف التى تفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها ويمتثلون ، ولايجوز أن يفعل بهم الضلال عن الحق والايمان لان ذلك لايجوز فى صفة الحكيم تعالى الله عن ذلك ، فالمراد بالضلال : هو الخذلان و منع الالطاف منهم . و انما دعا نوح عليه السلام على قومه بالضلال غضباً عليهم حين عرف بالقرائن المفيدة للجزم انهم لايكادون يؤمنون .

٥ ـ عن إبن بحر : أى عذاباً . ٦ ـ قيل: أى خسراناً . ٧ ـ قيل : أى ضلال طريق الجنة . ٨ ـ قيل : أى ضلال مكرهم المذكور و عدم ترويجه . ٩ ـ قيل : أى و لا تزد الظالمين أنفسهم بسبب كفرهم بآياتنا إلاّ ضلالاً إلاّ طبعاً على قلبه حتى لا يهتدى للحق .

أقول : و على الرابع أكثر المفسرين .

٢٥ - (مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً)

فى «مما خطيئاتهم» أقوال : ١ـ عن الفراء : أى من أجل خطاياهم كقولك :

جئتك من أجل كذا. والمراد بالخطيئات: جمع الذنوب صغيرها و كبيرها.

٢ - قيل: أى من خطاياهم على زيادة «ما» فجيئت للتأكيد، و «من» للتبعيض، والمراد بالخطيئات: الشرك بالله تعالى.

٣- قال إبن زيد: أى فبخطيئاتهم، و «من» سببية كالباء والمراد بالخطيئات: الكفر بالله و رسوله وأنواع ايذائهم نوحاً عليه السلام بمدة ألف سنة إلا خمسين عاماً.

٤ - قيل: اريد بالخطيئات: الكبائر من الذنوب، و «من» لابتداء الغاية تفيد التعليل، والمعنى من أجل ارتكابهم الكبائر من الذنوب اغرقوا بالطوفان فادخلوا ناراً فى القبر.

٥ - قيل: أى من جهة تلك الخطيئات كان غرقهم، و من هذه الخطيئات طلع عليهم الهلاك، فكأن خطاياهم هى هذا الطوفان الذى أغرقهم.

أقول: و على الاول أكثر المفسرين و قريب منه الرابع.

و فى قوله تعالى: «فادخلوا ناراً» أقوال: ١- قيل: أى فادخلوا ناراً بعد إغراقهم و هذا يدل على عذاب القبر. ٢ - قال المنكرون بعذاب القبر: انهم استحقوا دخول النار أو عرض عليهم أماكنهم من النار كقوله تعالى: «النار يعرضون عليها غدواً و عشياً» غافر: ٤٦).

٣ - قيل: فى الآية إشارة إلى ما جاء فى الخبر من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «البحر نار فى نار» ٤- قيل: أى فادخلوا نار جهنم فى الاخرة ٥- عن الضحاك: أى عذبوا بالنار فى الحياة الدنيا مع الغرق فى الدنيا فى حالة واحدة إذ كانوا يغرقون فى جانب، و يحترقون فى الماء من جانب، و هكذا حال من مات من المجرمين فى ماء أو فى نار أو فى جوف سبع أصابه ما يصيب المقبور من العذاب العقلى.

٦ - قيل: أى فادخلوا عذاباً فى القبر و ناراً فى الآخرة.

أقول: و على الاول أكثر المفسرين و لكن السادس غير بعيد.

٢٦ - (و قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً)

فى دعاء نوح عليه السلام على قومه أقوال : ١ ـ عن إبن زيد و مقاتل والربيع و عطية و محمدبن كعب : ان نوحاً عليه السلام دعا عليهم حينما أخرج الله تعالى كل مؤمن من أصلابهم و أرحام نسائهم و أعقم أرحام النساء و أصلاب الرجال قبل العذاب بسبعين سنة ، و قيل : باربعين سنة ، فلم يكن فيهم صبى وقت العذاب .

٢ ـ عن قتادة : دعا نوح عليه السلام على قومه الكافرين منهم بعد أن أوحى الله تعالى إليه : « انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » فأجاب الله جل و علا دعائه ، فأغرقهم ، وهذا كقول النبى صلى الله عليه و آله وسلم : «اللهم منزل الكتاب، وهازم الاحزاب، أهزمهم و زلزلهم» .

و دعا نوح عليه السلام على الكافرين من قومه كلهم لما كشف له عليه السلام من الغطاء عن حالهم ، و دعا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم على من تحزّب على المؤمنين و ألبّ عليهم ، إذ دعا على عتبة و شيبة و أذنابهما لما كشف له صلى الله عليه و آله وسلم من الغطاء عن حالهم .

٣ ـ قيل : ان نوحاً عليه السلام دعا على قومه حين ان رجلاً منهم حمل ولداً صغيراً على كتفه فمرّ بنوح عليه السلام فقال : « احذر هذا فانه يضلك » فقال : يا أبت أنزلنى فأنزله فرماه ، فشجّه فغضب نوح عليه السلام حينئذ فدعا عليهم .

أقول : والثانى هو المروى فانتظر .

وفى «دياراً» أقوال : ١ـ عن السدى : الديار : من يسكن الديار ويعمرها، و يعنى بالديار من يدور فى الارض فيذهب و يجيىء فيها . و قيل : ان المراد بالارض هنا ليس مطلق الارض ، بل المراد بالارض هى التى كان يسكنها قومه ، فان نوحاً عليه السلام أرسل إلى قومه ، و لم يرسل إلى الناس جميعاً لقوله تعالى : « انا ارسلنا نوحاً إلى قومه » نوح : ١) و لو كان مرسلاً إلى أهل الارض كلهم لقال : انا أرسلنا نوحاً إلى بنى آدم . .

٢ ـ قيل : الديار : صاحب الدار .

٣ـ عن القتبى وإبن قتيبة : أى نازل بالدار، يقال : ما بالدار ديار أى أحد .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق .

٢٨- (رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تباراً)

فى «والدى» أقوال : ١ - عن سعيد بن جبير : اريد بهما أبوه و جدّه إذ كاناهما مؤمنين. ٢- قيل: اريد بهما أبوه و امه . ٣- قيل: اريد بهما آدم وحواء . و عن إبن عباس : لم يكفر لنوح عليه السلام والد فيما بينه و بين آدم عليه السلام و قال : الكلبى : كان بينه عليه السلام و بين آدم عشرة آباء كلهم مؤمنين .

أقول : والثانى هو الظاهر من غير تناف بينه و بين الاول والثالث من الاقوال.

وفى «بيتى» أقوال : ١- عن إبن عباس والضحاك : أى فى مسجدى ومصلاى مصلياً مصدقاً بالله تعالى و نبوتى و بما فرضته علىّ و نهيتنى عنه . قيل : وذلك انما كان يدخل بيوت الانبياء من آمن منهم، فجعل المسجد سبباً للدعاء بالمغفرة . ٢- قيل : أى بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ٣ - عن إبن عباس أيضاً : أى فى منزلى ، يعنى صديقى الداخل إلى منزلى ، و هذا دعاء منه لكل من دخل منزله وهو مؤمن .

٤ - قيل : أى فى سفينتى . ٥ - قيل : أى فى دارى . ٦ - عن إبن عباس أيضاً : أى و لمن دخل دينى ، فالبيت بمعنى الدين .

أقول : والاول هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

و فى « للمؤمنين والمؤمنات » أقوال : ١ - عن الضحاك : ان هذا الدعاء يعم لجميع المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة. ٢- عن الكلبى: اريد بهم المؤمنون والمؤمنات من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ٣- قيل: اريد بهم المؤمنون والمؤمنات من قومه عليه السلام .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : « الا تباراً » أقوال : ١ - عن السدى : أى الا هلاكاً و دماراً ، و هذا الدعاء عام لكل كافر و مشرك فى جميع طوال الاعصار . والتبار :

الهلاك. ٢ـ عن السدى أيضاً و مجاهد : أراد مشر كى قومه ، والتبار: الخسران لقوله تعالى : « ان هؤلاء متبّر ماهم فيه» ٣ ـ قيل : اريد بالتبار ما يوجب عذاب الاخرة ، و هو الضلال و هلاك الدنيا بالغرق .

اقول : والاول هو الانسب بمعناه اللغوى بسياق التعميم .



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (انا أرسلنا نوحاً الى قومه أن انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم)

إنا أرسلنا نوحاً رسولاً إلى قومه، وأوحينا إليه أن خوّف قومك بشركهم بالله سبحانه وعصيانهم من قبل أن يأتيهم عذاب مولم، وذلك لئلايكون لهم على الله حجة إن لم يؤمنوا بالله تعالى بعد الرسل.

قال الله تعالى: « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » الاعراف: ٥٩)

وقال: « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه انى لكم نذير مبين أن لاتعبدوا إلاّ الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم » هود: ٢٥ ـ ٢٦)

وقال: « انا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ـ رسلاً مبشرين و منذرين لئلايكون للناس على الله حجة بعد الرسل » النساء: ١٦٤ ـ ١٦٥)

و ان نوحاً عليه السلام أوّل اولى العزم الخمسة من الرسل الذين ارسل كثير منهم إلى كافة الناس وأما القول بانه عليه السلام أول رسول فمدفوع بقوله تعالى « كذبت قوم نوح المرسلين » الشعراء: ١٠٥)

وقوله: « وقوم نوح لما كذّبوا الرسل أغرقناهم » الفرقان: ٣٧)

ففيهما إشارة إلى رسل قبل نوح عليه السلام، و لو لم يكن رسل لما صدق تكذيبهم لجمع الرسل أقله ثلاثة، وما يأتى فى الرواية: انهم كانوا عشرة.

٢- (قال ياقوم انى لكم نذير مبين)

فأطاع نوح عليه السلام أمر ربه من غير تردد ولا توان، فقال لقومه بلين وشفقة: يا قوم ! انى لكم من الله تعالى مخوّف من سوء عاقبة الشرك والعصيان ، مظهر لكم بلسانكم الذى تعرفونه ، موضح لكم ما ارسلت به ببيان يفهمه كل أحد ، ومبيّن لكم وجوه أدلة التوحيد ، وطريق النجاة :

٣- (أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون)

بان أقول لكم : اعبدوا الله تعالى وحده ولا تشركوا به شيئاً إذ ما لكم من إله غيره واتقوه وحده ، واحذروه من مخالفته بالشرك وترك أوامره ، وإرتكاب نواهيه ومحارمه ، وخافوه من سوء عاقبة الشرك والمعاصى و أطيعونى فيما أنصح لكم و أعظكم به مما آمركم به وأنهاكم عنه فانى رسول الله إليكم ، وان طاعة الرسول هى طاعة الله جل وعلا بخلاف العبادة والتقى .

قال الله تعالى : « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره - ابلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم و لتتقوا و لعلكم ترحمون » الاعراف : ٥٩ - ٦٣)

وقال : « إذقال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله و أطيعون » الشعراء : ١٠٦ - ١٠٨) .

٤- (يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون)

فان قبلتم قولى و استجبتم دعوتى ، وآمنتم بالله تعالى ، وعبدتموه وحده واتقيتموه وأطعتمونى يغفر الله لكم ماسلف من ذنوبكم جميعاً ، فان الايمان يجب ماقبله ، ويؤخركم إلى أجل محتوم فى ام الكتاب فلا يعاجلكم بأجل معلق عقوبة، فلا يعذبكم بالاغراق فى الدنيا، ولا بالاحراق فى الاخرة، فيكمل عمركم المقدر و

هوالامد الاقصى المعلوم الذى قدره الله تعالى ، فان أجل الله تعالى و هو الاجل المحتوم إذاجاء لايؤخرلو كنتم تعلمون ذلك .

قال الله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين » الانفال : ٣٨)

وقال : « ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون » الزمر : ٥٣ ـ ٥٤)

وقال : « ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم » الاحقاف : ٣١)

وقال : « وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله » هود : ٣)

وقال : « هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون » الانعام : ٢) .

٥- (قال رب انى دعوت قومى ليلاً ونهاراً)

بعد أن بذل نوح عليه السلام غاية الجهد ، وضاقت عليه الحيل فى تلك المدد الطوال لجأ إلى ربه مستغيثاً به مما يلاقى من قومه من إعراض فقال : رب انى دعوت قومى إلى التوحيد والعبادة والتقوى والطاعة وصالح العمل، وأنذرتهم من تبعات الشرك والطغيان ، ولم اترك دعاءهم ليلاً ولا نهاراً إمتثالاً لامرك بلا فتور ولاتوان .

٦- (فلم يزدهم دعائى الافراراً)

فلم يزدهم دعائى لهم إلى التوحيد والعبادة لله وحده والتقوى والطاعة الا فراراً من إجابة دعوتى . وتباعداً عن الايمان ، وإعراضاً عن الحق الذى أرسلتنى به وهرباً منه ، اذ كلما دعوت ليتقربوا من الحق أدبروا وحادوا عنه لصميمهم على بقاء الكفر والعصيان استكباراً .

نظير قوله تعالى فى كفار هذه الامة : « فلما جاءهم نذير مازادهم إلاّ نفوراً إستكباراً فى الارض و مكر السيّىء ولايحيق المكر السيّىء الاّ باهله » فاطر : ٤٢ - ٤٣)

وقوله : « وإذاقيل لهم اسجدوا للرحمن قالواوما الرحمن أنسجدلماتأمرنا وزادهم نفوراً » الفرقان : ٦٠)

وقوله : « ولقد صرّفنا فى هذا القرآن ليذّكروا ومايزيدهم إلاّ نفوراً - واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً » الاسراء: ٤١-٤٦)

و قوله : « فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة » المدثر: ٤٩ - ٥١)

٧- (و انى كلما دعوتهم لتغفرلهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم و استغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً)

وانى كلما دعوت قومى إلى التوحيد والعبادة و التقوى والطاعة والبراءة من عبادة كل ماسواك لتغفرلهم بذلك ذنوبهم وتجاوزعن سيئاتهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، فسدّوا مسامعهم حتى لايسمعوا دعائى ولا يستمعوا كلامى ، و تغطّوا بثيابهم كراهة النظر إلىّ ، وعزموا على ماهم عليه من الشرك والعصيان و ثبتوا عليه وبالغوافيه وألحّوا على الامتناع من الاستماع وقبول الدعوة ، وتعاظموا عن الاذعان للحق ، وعن إتباعى ، وقبول ما دعوتهم إليه إستكباراً عظيماً ، إذ كانوا يقولون : أنؤمن لك واتبعك الارذلون .

قال الله تعالى : « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم - إن هو إلاّ رجل به جنة » المؤمنون : ٢٤ - ٢٥)

وقال : « فقال الملا الذين كفروا من قومه مانراك إلاّ بشراً مثلنا ومانراك اتبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادى الراى ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » هود : ٢٧)

وقال : « قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون » الشعراء : ١١١)

٨- (ثم انى دعوتهم جهاراً)

ثم انى يارب دعوت قومى إلى الايمان والعبادة والتقوى والطاعة مرّة بعد اخرى بأساليب مختلفة فحيناً أدعوهم علانية فى مجتمعاتهم . . . من غير خفاء فى دعائى .

٩- (ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً)

فكنت أدعوهم باطوار أجمع بين الاعلان والاسرار ، فلم اترك سبيلا للدعوة الاّ فعلته ، فدعوتهم مرة بعد مرّة بلاتوان ولافتور على وجوه متنوعة ما بين إجهار بلاخفاء ، واعلان بلاتستر ، وما بين إسرار فيما بينى وبينهم فى خفاء ، وهذه المراتب أقصى ما يمكن لقادة الدين والآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ، و لمن يجادل فى الدعوة الحقة . . .

قال الله تعالى : « قالوا يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا » هود : ٣٢)

وقال : « قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن ّمن المرجومين » الشعراء:١١٦)

١٠- (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً)

فقلت لهم : يا قوم ! استغفروا ربكم و اطلبوا منه العفو والمغفرة عما سلف منكم من الشرك بالله تعالى والعبادة لما سواه ، و من المعصية والطغيان بالتوبة النصوح ، وآمنوا بالله تعالى واعبدوه وحده واتقوه واطيعونى لانه جل و علا كان كثير المغفرة يغفر الذنوب لمن تاب وآمن وأصلح واهتدى ، وما يغفر الذنوب إلاّ الله تعالى ، والسنة مستمرة .

قال الله تعالى : « و انى لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى » طه : ٨٢) .

و قال : « فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذنوب إلاّ الله و لم يصرّوا على ما فعلوا و هم يعلمون » آل عمران : ١٣٥) .

١١ - (يرسل السماء عليكم مدراراً)

أن تستغفروا ربكم وتتوبوا إليه ، وآمنتم به وعبدتموه وحده واتقيتموه- مضافاً إلى أن يغفر لكم ذنوبكم - يرسل بركاته من السماء عليكم منها المطر متتابعاً، كثير التهطال الغزير يخصب أرضكم بعدجدبها بحيث ينفعكم لايضر ّكم، فتزرعون ما تحبونه ، وتكثر الثمرات والغلات والخيرات ، وما هو سبب السعادة و وسيلة الهدى .

قال الله تعالى: « استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً و يزدكم قوة إلى قوتكم » هود : ٥٢) .

وقال : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليكم بركات من السماء والارض » الاعراف : ٩٦) .

وقال: « ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما انزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم » المائدة : ٦٦) .

وقال في يونس عليه السلام وقومه: « و أرسلناه إلى مأة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين » الصافات ١٤٧ - ١٤٨) .

و لا يخفى ان تلك البركات الموعودة على المؤمنين المستغفرين التائبين المتقين غيرماينزل على الكفار والمنافقين فانه وبال عليهم يعذ ّبون به، فيؤتونه ليزدادوا إثماً .

قال الله تعالى : « أيحسبون انما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » المؤمنون : ٥٥ - ٥٦) .

وقال : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذ ّبهم فى الحياة الدنيا و تزهق أنفسهم و هم كافرون » التوبة : ٥٥) .

و قال : « أولم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنّاهم فى الارض مالم نمكّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم

فاهلكناهم بذنوبهم و أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين » الانعام : ٦) .

١٢ - (و يمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً)

و يرزقكم أموالاً و يكثر لكم الخيرات و يقوّيكم بها على إختلاف أنواعها تتنعمون بها ، و يمنحكم بنين يشدّون أزركم ، ويجعل لكم حدائق غناء ترفه عيشكم و أنهاراً تضمن الري لارضكم .

وقد ورد كثير من الروايات عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام : إذا استتب في امة أمن و ارتفع منها الظلم ، و ساد بينهم العدل يكثر فيهم النسل وتوافر لهم وسائل الرزق ، ويوجد الله لهم بساتين عامرة يأخذون من ثمارها ما به ينتفعون ولن يطمعوا في فاكهة إلا و هم يجدونها لديهم ، وتكثر فيهم الاقوات والغلات ، و يجعل الله تعالى لهم أنهاراً جارية يكثر بها الخصب والزرع بمختلف ألوانه و أشكاله و أنواعه . . . و قد ثبت ذلك لدى علماء الاجتماع .

قال الله تعالى : « و أن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى و يؤت كل ذي فضل فضله » هود : ٣) .

١٣ - (مالكم لا ترجون لله وقاراً)

مالكم يا معشر الكفار لاتخافون لله تعالى عظمة مطلقة فتوحّدوه وتعبدوه وحده و تتقوه وتطيعوني ، و أي عذر لكم في ترك الخوف من قدرته على أحدكم بالعقوبة الرجاء : نقيض اليأس ، و قد يكون بمعنى الخوف و لكنه مع الجحد تقول : ما رجوتك أي ما خفتك و لا تقول : رجوتك بمعنى خفتك .

وقد فسّر الرجاء بالخوف بمواضع عديدة من الكتاب الكريم : منها قوله تعالى : « و قال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم و عتوا عتواً كبيراً - بل كانوا لا يرجون نشوراً » الفرقان : ٢١ - ٤٠) .

وقوله : « ان الذين لايرجون لقائنا و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها »

يونس : ٧) .

و قوله : « ان جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً - انهم كانوا لا يرجون حساباً و كذّبوا بآياتنا كذاباً » النبأ : ٢٢ - ٢٨) .

الوقار : ما يكون به الشيء عظيماً من العلم والحلم والرزانة والسكينة والطمأنينة والقدرة و ما إليها مما يثقل به الكائن و يخرجه عن الخفة ، و يؤمن معه الخرق والجهل والعجز و ما إليها . . .

قال الله تعالى : « لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزّروه و توقّروه و تسبّحوه بكرة و أصيلاً » الفتح : ٩) .

والاية الكريمة فى معنى قوله تعالى : « كلا بل لا يخافون الاخرة » المدثر : ٥٣) .

و قوله : « و كيف أخاف ما اشركتم و لا تخافون انكم أشركتم بالله » الانعام : ٨١) .

١٤ - (و قد خلقكم أطواراً)

والحال ان الله تعالى خلقكم أطواراً ولم تكونوا شيئاً « أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً » مريم : ٦٧) .

أطواراً جمادية من تراب و طين و سلالة و صلصال من حمأ مسنون . . .

قال الله تعالى : « و من آياته أن خلقكم من تراب » الروم : ٢٠) .

و قال : « و بدأ خلق الانسان من طين » السجدة : ٧) .

و قال : « و لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » المؤمنون : ١٢) .

وقال : « و لقد خلقنا الانسان من صلصال من حماء مسنون » الحجر : ٢٦) .

و أطواراً نباتية من عناصر أرضيّة تركّبت تركباً خاصاً بكم تغتذون و تنمون وتولّدون المثل . قال الله تعالى : « والله أنبتكم من الارض نباتاً » نوح : ١٧) .

و أطواراً جنينية من نطفة فى بطون امهاتكم بعد خروجها من بين الصلب والترائب ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسيت هذه العظام لحماً إلى أن تخرجوا من بطون امهاتكم .

قال الله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٥ ـ ٧) .

وقال : « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون : ١٣ ـ ١٤) .

و قال : « يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقاً بعد خلق فى ظلمات ثلاث » الزمر : ٦) .

ثم لبستم خارج أرحام امهاتكم أطواراً من الحياة ، فتنقّلتم من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة و إلى أرذل العمر . . .

قال الله تعالى : « ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل و لتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون » المؤمن:٦٧).

و قال : « ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » الحج : ٥) .

وأطواراً جسمية ونفسية، وإختلافكم فى الالوان والاشكال والالسن والعادات والاحوال . . . لتتعارفوا بها .

قال الله تعالى : « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً و شيبة » الروم : ٥٤) .

و قال : « أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هو أشد منهم قوة و آثاراً فى الارض » المؤمن : ٢١) .

و قال : « ومن آياته خلق السموات والارض و اختلاف السنتكم والوانكم

ان فى ذلك لايات للعالمين » الروم : ٢٢) .

وقال: «الذى خلقك فسوّاك فعدلك فى أىّ صورة ماشاء ركبك» الانفطار:٨).

و قال : « والله فضّل بعضكم على بعض فى الرزق » النحل : ٧١) .

و قال : « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض » الاسراء : ٢١) .

و قال : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم » الحجرات : ١٣) .

و ان يدالقدرة القادرة تنتقل بكم من طور إلى طور وبين طور وطور مراد فسيح لذوى الابصار يرون فيه قدرة الخالق و عظمته و علمه و حكمته و رحمته و تدبيره ... فتخشع الابصار لجلاله وتخشى القلوب لعظمته وتعنوا الجباه لقدرته... والنظر فى الخلق و أطواره يوجب الايمان والعبادة والتقوى والطاعة .

قال الله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الافاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » فصلت : ٥٣) .

١٥ - (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً)

قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام لقومه محتجاً عليهم بحجج الله تعالى فى وحدانيته ولا فتاً أنظارهم إلى قدرةالله جل و علا فوقهم و إلى حكمته البالغة فى الصنع والامر و إلى إحسانه العظيم و رحمته بعباده : ألم تروا معاشر الكفار كيف خلق الله سبع سماوات بعضها فوق بعض من غير مماسّة . وهذا على طريق الاخبار لا المعاينة كما تقول : ألم ترنى كيف صنعت بفلان كذا ؟

كقوله تعالى: «أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده» العنكبوت:١٩).

فليس المراد بالرؤية المعاينة لقوله تعالى : « ما أشهدتهم خلق السموات والارض و لا خلق أنفسهم » الكهف : ٥١) .

١٦ - (و جعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجاً)

وجعل الله تعالى القمر فى تلك السموات - فى كل سماء قمراً - نوراً ينير

وجه الارض ، و جعل الشمس - فى كل سماء - مضيئاً لاهل الارض ليتوصلوا إلى التصرف لمعايشهم .

ان الله تعالى قدّر القمر منازل وفاوت نوره ، فجعله يزداد حيناً حتى يتناهى ثم يبتدىء ينقص حتى يستسرّ ليدل ذلك على مضى الشهور والاعوام . . . وجعل الشمس تجرى لمستقر لها يزيل بها ظلمة الليل ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار .

قال الله تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً و قدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » يونس : ٥) .

و قال : « و سخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » ابراهيم : ٣٣) .

وقال: « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار و كل فى فلك يسبحون » يس : ٣٨ - ٤٠) .

و قال : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً » الفرقان : ٦١ - ٦٢) .

١٧ - (والله أنبتكم من الارض نباتاً)

والله تعالى هو الذى أنشأكم من الارض إنشاءاً بان غذّاكم من النبات المتولد منها باغتذاء ما تنبته الارض و نما فيها .

قال الله تعالى : « هو أنشأكم من الارض و استعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه » هود : ٦١) .

و قال : « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض و إذ أنتم أجنة فى بطون امهاتكم » النجم : ٣٢) .

و قال: « يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالاً طيباً» البقرة: ١٦٨).
وقال: « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبافمنه يأكلون»
يس: ٣٤).
وقال: « أولم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم أفلا يبصرون » السجدة: ٢٧).
و قال: « هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه » الملك: ١٥).
و قال: « الذى جعل لكم الارض مهداً و يسلك لكم فيها سبلاً و أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا و ارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى » طه: ٥٣ - ٥٤).

١٨ - (ثم يعيدكم فيها و يخرجكم اخراجاً)

ثم يعيدكم الله تعالى فى الارض فتدفنون فى بطنها بعد الموت كما خلقكم منها ويخرجكم من قبوركم فيها متى شاء إخراجاً بالنشور يوم القيامة للحساب والجزاء كما كنتم بشراً أحياء فى الحياة الدنيا.
وان الاية والتى قبلها فى معنى قوله تعالى: « منها خلقناكم وفيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى » طه: ٥٥).
و قال: « يوم يخرجون من الاجداث سراعاً » المعارج: ٤٣).
و قال: « قتل الانسان ما أكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره » عبس: ١٧ - ٢٢).
وقال: « يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب - و ان الله يبعث من فى القبور » الحج: ٥ - ٧).
و قال: « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين - ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون »

المؤمنون : ١٢ ـ ١٦) .

و قال : « و نفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون إن كانت إلاّ صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون فاليوم لاتظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلاّ ما كنتم تعملون » يس : ٥١ ـ ٥٤) .

١٩ ـ (والله جعل لكم الارض بساطاً)

والله تعالى جعل لكم الارض مبسوطة ممدودة ممهدة سهلة يمكنكم المشى عليها والتقلب من جانب إلى جانب والانتقال من قطر إلى قطر والاستقرار فيها، و صالحة لسكنى الانسان والحيوان .

قال الله تعالى : « الذى جعل لكم الارض فراشاً » البقرة : ٢٢) .

و قال : « و هو الذى مدّ الارض ـ ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الرعد : ٣) .

و قال : « أمن جعل الارض قراراً ـ ءإله مع الله » النمل : ٦١) .

و قال : « والارض فرشناها فنعم الماهدون » الذاريات : ٤٨) .

و قال : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه » الملك : ١٥) .

و قال : « الله الذى جعل لكم الارض قراراً ـ و رزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » غافر : ٦٤) .

٢٠ ـ (لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً)

لتتخذوا فى الارض طرقاً واسعة مختلفة ، ومسالك بين الجبال، و لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها و أقطارها المختلفة لتحصيل رزقكم و بلوغ مآربكم .

قال الله تعالى : « و ألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم و أنهاراً و سبلاً

لعلكم تهتدون » النحل : ١٥) .

و قال : « و جعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم و جعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون » الانبياء : ٣١) .

وقال: « الذى جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون » الزخرف : ١٠) .

٢١- (قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخساراً)

قال نوح عليه السلام على سبيل التضرع والدعاء والشكوى من قومه : رب ان أكثر قومى الكافرين عصونى و خالفوا ما دعوتهم إليه من الايمان والعبادة لله وحده والتقوى والطاعة، واتبعوا الملأ المترفين من كبراءهم و أغنياءهم المغترين بالاموال والاولاد ، و لم تزدهم أموالهم و لا أولادهم إلاّ خسراناً فى الحياة الدنيا بالاغراق ، و فى الاخرة بالاحراق ، و هؤلاء القليلون يصدون اولئك الاكثرين عن قبول دعوة النبى نوح عليه السلام و يعللون بامور واهية . . .

قال الله تعالى: « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلاّ بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين إن هو إلاّ رجل به جنة فتربّصوا به حتى حين » المؤمنون : ٢٤ - ٢٥) .

و قال : « قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين - فكذّبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك و أغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمين » الاعراف : ٦٠ - ٦٤) .

و قال : « و مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً » نوح : ٢٥) .

٢٢ - (و مكروا مكراً كباراً)

و من دأب الاغنياء المترفين ، والرؤساء الطغاة المستكبرين أن يحتالوا فى الدين و يصدّوا الناس والمستضعفين عن الهدى والرشاد بأساليب شتى و من هؤلاء الملأ أغنياء قوم نوح عليه السلام إذ كانوا يصدون الناس عن سبيل الله تعالى و

يغرونهم بأذى نوح عليه السلام و يحرصون سفلتهم على قتله عليه السلام ...

قال الله تعالى : « و كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها » الانعام : ١٢٣) .

و قال : « وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولايصلحون ـ و مكروا مكراً ـ انا دمّرناهم و قومهم أجمعين » النمل : ٤٨ ـ ٥١) .

و قال : « و اذيمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك و يمكرون » الانفال : ٣٠) .

٢٣ ـ (و قالوا لا تذرن آلهتكم و لا تذرن وداً و لا سواعاً و لا يغوث و يعوق و نسراً)

وقال هؤلاء الرؤساء المكّار لمرؤسيهم السفلة، قال هؤلاء الطغاة المتبوعون لاتباعهم المردة ، وقال هؤلاء الاشراف المستكبرون لهؤلاء الاغبياء المستضعفين: لا تتركوا عبادة آلهتكم التى كنتم تعبدونها من الكواكب السيارة والهياكل المنحوتة ، ولا تتركون سيما تلك الاصنام التى هى أكبر المعبودات وأعظمها: من ودّ و سواع و يغوث و يعوق و نسر .

و هذا هو دأب الاغنياء المترفين فى طوال الاعصار اذ يصدون عامة الناس عن التوحيد و سواء السبيل ، و يقيمونهم على الشرك والضلالة .

قال الله تعالى : « و انطلق الملأ منهم أن امشوا و اصبروا على آلهتكم ان هذا لشىء يراد » ص : ٦) .

وقال : « و اقبل بعضهم على بعض يتساءلون ـ فأغويناكم انا كنا غاوين ـ و يقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » الصافات : ٢٧ ـ ٣٦) .

وقال : « قالوا حرّقوه و انصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين » الانبياء : ٦٨) .

٢٤ ـ (وقد أضلوا كثيراً ولاتزد الظالمين الاضلالاً)

والحال ان أكابر مجرمى قوم نوح عليه السلام أضلوا كثيراً من الناس بتلك

الاصنام والشرك بالله تعالى عن سواء السبيل وطريق الرشاد ، و لاتزد الظالمين إلاّ ضلالاً جزاءاً عن إضلالهم الناس، فليس إضلالهم إلاّ ضلالاً لانفسهم و طبعاً على قلوبهم حتى لايهتدوا إلى الحق ولايميلوا إلى رشد .

قال الله تعالى : « وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله » ابراهيم : ٣٠)

وقال : « ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً » النساء : ١١٦)

وقال : « ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّو نكم و ما يضلون إلاّ أنفسهم ومايشعرون » آلعمران : ٦٩)

وقال : « وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل » المائدة : ٧٧)

وقال : « وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلاّ نا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكو نامن الاسفلين » فصلت: ٢٩)

وقال : « فمن كفر فعليه كفره ولايزيد الكافرين كفرهم عندربهم الاّ مقتاً ولايزيد الكافرين كفرهم إلاّ خساراً » فاطر : ٣٩)

٢٥- (مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً)

من أجل كفر التابعين والمتبوعين بالله تعالى وطغيانهم وإرتكابهم الذنوب والآثام اغرقوا بالطوفان في الحياة الدنيا ، فادخلوا بسبب الكفر والمعاصي ناراً في القبر قبل البعث ، وناراً في الاخرة بعده لايقدّر عذابها بقدر ليعا قبوابها ، فلم يجدوا لانفسهم من دون الله أعواناً من آلهتهم التى كانوا يعبدونها ، وكانوا يخضعون لديها خضوع الارقاء عند الموالى، والعبيد إلى السادة ، فيد فعون عنهم ما نزل بهم من العذاب بسبب الكفر والطغيان .

قال الله تعالى : « فاما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا و الاخرة وما لهم من ناصرين » آلعمران : ٥٦)

و قال : « وأما الذين استنكفوا و استكبروا و افيعذبهم عذاباً أليماً

ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولانصيراً » النساء : ١٧٣)

وقال : « ان الله لعن الكافرين و أعدّ لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً و لا نصيراً يوم تقلّب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلّونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » الاحزاب : ٦٤ ـ ٦٨) .

٢٦ ـ (و قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً)

بعدأن بذل نوح عليه السلام غاية جهده فيسبيلهداية قومه ، و بعد أن ضاقت فى وجهه كل السبل لاصلاحهم ، و بعد أن بلغ درجة اليأس من ايمانهم بعد أن دعاهم تسعمأة و خمسين سنة أقامها فيهم يدعوهم ولايألوهم نصحاً اذ قال تعالى: « و أوحي إلى نوح انه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » هود : ٣٦) .

و قال : « و لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة الاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان و هم ظالمون » العنكبوت : ١٤) .

توجّه نوح عليه السلام إلى ربه بالدعاء عليهم بالهلاك والدمار، و قال نوح : يا ربى لا تدع و لا تبق على وجه الارض أحداً من الكافرين والطغاة .

٢٧ ـ (انك ان تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا الا فاجراً كفاراً)

دعا نوح عليه السلام ربه أن لايترك على وجهالارض أحداً منالكافرين، و ذلك لانك إن تتركهم أحياء ولم تهلكهم و تبقى منهم أحداً يضلوا عبادكالمؤمنين عن طريق الحق والصراط المستقيم بالاغواء والدعوة إلى خلاف الحق لتماديهم فى ضلالهم ، فيضلون غيرهم وينشرون آثامهم وينقلون فسادهم إلىذريتهم بالوراثة، فهم لايلدون إلا من كان على شاكلتهم فى الكفر والفجور، ولا يلدون إلاّ فاجراً فى دينك ، كفاراً لنعمتك على ما أوحى إليه عليه السلام فعلم بأحوالهم . .

٢٨ ـ (رب اغفرلى و لوالدى و لمن دخل بيتى مؤمناً و للمؤمنين

والمؤمنات و لا تزد الظالمين الا تباراً)

دعا نوح عليه السلام ربه أن يغفر له و لابويه لكونهما مؤمنين ، و لمن اتبعه و أن يغفر للمؤمنين والمؤمنات ، و أن يزيدالكافرين من قومه و لجميع الكفار في طوال الاعصار دماراً و هلاكاً في الحياة الدنيا ، و عذاباً في الاخرة . هذا دعاء منه عليه السلام على الطائفتين من أهل الايمان و أهل الكفر على سبيل التعميم أمواتاً كانوا أم أحياء ، فينبغي لنا أن نقتدي بنوح عليه السلام في دعائه الخير على المؤمنين والدعاء بالشر على الظالمين .

نظير قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : « ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » ابراهيم : ٤١) .

و قوله تعالى : « ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً و هم بالاخرة هم كافرون » هود : ١٨ ـ ١٩) .

و قوله تعالى حكاية عن الملائكة : « فاغفر للذين تابوا و اتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ـ وقهم السيئات و من تق السيئات يومئذ فقد رحمته » غافر : ٧ ـ ٩) .

وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين : « يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » الحشر : ١٠) .

وقوله تعالى: « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين و لو كانوا اولي قربى من بعد ما تبيّن لهم انهم أصحاب الجحيم » التوبة : ١١٣) .

﴿ جملة المعانى ﴾

٥٤٢٠ - (انا أرسلنا نوحاً الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم)

انا أرسلنا نوحاً رسولاً إلى قومه ، وأوحينا إليه أن خوّف قومك بشر كهم بالله سبحانه و عصيانهم من قبل أن يأتيهم عذاب مؤلم .

٥٤٢١ - (قال يا قوم انى لكم نذير مبين)

فاطاع نوح عليه السلام أمر ربه من غير تردد وتوان ، فقال لقومه بلين وشفقة : يا قوم ! انى لكم من الله تعالى مخوّف من سوء عاقبة الشرك والطغيان ، مظهر لكم بلسانكم الذى تعرفونه .

٥٤٢٢ - (ان اعبدوا الله و اتقوه و اطيعون)

بأن أقول لكم : اعبدوا الله تعالى وحده و لا تشركوا به شيئاً ، و اتقوه وأطيعونى فيما أنصح لكم و أعظكم به .

٥٤٢٣ - (يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون)

فان تعبدوا الله وحده و تتقوه و تطيعونى يغفر الله لكم ماسلف من ذنوبكم جميعاً فان الاسلام يجبّ ما قبله ، ويؤخركم إلى أجل محتوم فلا يعاجلكم بأجل معلق عقوبة ، فان أجل الله تعالى المحتوم إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ذلك .

٥٤٢٤ - (قال رب انى دعوت قومى ليلاً و نهاراً)

قال نوح عليه السلام : يا ربي اني دعوت قومي إلى التوحيد والتقوى والطاعة و صالح الاعمال بلا توان و لا فتور .

٥٤٢٥ - (فلم يزدهم دعائي الا فراراً)

فلم يزدهم دعائي لهم إلى التوحيد والطاعة إلاّ فراراً من إجابة دعوتي .

٥٤٢٦ - (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم و أصروا و استكبروا استكباراً)

و اني كلما دعوت قومي إلى الايمان بالله وصالح العمل لتغفر لهم بذلك ذنوبهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، فسدّوا مسامعهم حتى لا يسمعوا دعائي ، وتغطّوا بثيابهم كراهة النظر إليّ ، و عزموا على بقاء ما هم عليه من الشرك والطغيان ، و تعاظموا من الاذعان للحق إستكباراً عظيماً إذ تعاظموا على من خلقهم و بيده حياتهم و مماتهم . . .

٥٤٢٧- (ثم اني دعوتهم جهاراً)

ثم اني يارب دعوت قومي إلى الايمان وصالح العمل علانية في مجتمعاتهم من غير أن يعرض لي يأس باستكبارهم .

٥٤٢٨- (ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً)

ثم اني أعلنت لهم دعوتي وأسررت لهم إسراراً ، فلم اترك سبيلاً للدعوة الا فعلته .

٥٤٢٩- (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً)

فقلت لهم : يا قوم ! استغفروا ربكم واطلبوا منه العفو والغفران عما سلف منكم من الكفر والطغيان ان الله تعالى كان غفاراً يغفر لكم ذنوبكم .

٥٤٣٠- (يرسل السماء عليكم مدراراً)

إن تستغفروا ربكم وتتوبوا إليه وتؤمنوا به وتعبدوه وتتقوه يرسل من السماء بركاته عليكم متتابعاً .

٥٤٣١- (و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهاراً)

ويقوّيكم بالاموال، ويمنحكم بنين يشدّون أزركم، ويجعل لكم حدائق كثير ثمارها ، ويجعل لكم أنهاراً تضمن الريّ لارضكم .

٥٤٣٢- (مالكم لاترجون لله وقاراً)

مالكم يامعشر الكفار ! لاتخافون لله تعالى عظمة مطلقة ، وأيّ عذرلكم في ترك ذلك .

٥٤٣٣- (وقد خلقكم أطواراً)

والحال ان الله تعالى خلقكم أطواراً، ولم تكونوا شيئاً .

٥٤٣٤- (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً)

ألم تروا أيها المشركون كيف خلق الله تعالى سبع سماوات بعضها فوق بعض من غير مماسّة .

٥٤٣٥- (وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً)

وجعل الله تعالى القمر في تلك السموات السبع نوراً ينير وجه الارض ، وجعل الشمس مضيئاً لأهل الارض ليتوصلوا إلى التصرف لمعايشهم

٥٤٣٦- (والله أنبتكم من الارض نباتاً)

و الله تعالى هو الذي أنشأكم من الارض إنشاءاً بأن غذّاكم من النبات المتولد منها باغتذاء ماتنبته الارض ونما فيها .

٥٤٣٧- (ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجاً)

ثم يعيدكم الله تعالى في الارض ، فتدفنون في بطنها بعد الموت كما خلقكم منها ، ويخرجكم من قبوركم فيهامتى شاء إخراجاً بالنشور يوم القيامة للحساب والجزاء .

٥٤٣٨- (والله جعل لكم الارض بساطاً)

والله تعالى جعل لكم الارض مبسوطة سهلة يمكنكم المشى عليها .

٥٤٣٩- (لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً)

لتتخذوا فى الارض طرقاً واسعة مختلفة ، ومسالك بين الجبال .

٥٤٤٠- (قال نوح رب انهم عصونى و اتبعوا من لم يزده ماله و ولده الاخساراً)

قال نوح عليه السلام على سبيل التضرع والشكوى من قومه : رب ان اكثر قومى عصونى وخالفوا مادعوتهم إليه من الايمان وصالح العمل واتبعوا الثراة المترفين المغترين بالاموال والاولاد ، ولم تزدهم أموالهم ولا أولادهم الا خسراناً فى الدنيا والاخرة .

٥٤٤١- (ومكروا مكراً كباراً)

واحتالوا وصدوا الناس بشتى الأساليب حيلة بالغة غاية السوء .

٥٤٤٢- (وقالوالاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً)

وقال هؤلاء الرؤساء المكارلاتباعهم السفلة : لاتتركوا عبادة آلهتكم التى كنتم تعبدونها وخاصة وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً .

٥٤٤٣- (وقدأضلواكثيراً ولاتزد الظالمين الاضلالاً)

وحالكون هؤلاء الرؤساء الماكرين أضلوا كثيراً من الناس بأساليب شتى، ولاتزد الظالمين الا ضلالاً جزاء عن إضلالهم الناس .

٥٤٤٤- (مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوالهم من دون الله انصاراً)

من أجل كفر التابعين والمتبوعين وطغيانهم اغرقوا بالطوفان فى الحياة الدنيا ، فادخلوا بسبب الكفر والعصيان ناراً فى القبر بعد الموت ، وناراً فى الاخرة بعدالبعث ، فلم يجدوا لهم من دون الله أعواناً من آلهتهم التى كانوا يعبدونها .

٥٢٤٥- (وقال نوح رب لاتذرعلى الارض من الكافرين دياراً)

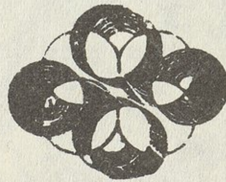
وقال نوح عليه السلام - داعياً على قومه - : يارب لاتترك على وجه الارض أحداً من الكافرين والطغاة .

٥٢٤٦- (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الا فاجراً كفاراً)

لانك إن تتركهم أحياء ولم تهلكهم، وتبقى منهم أحداً يضلوا عبادك المؤمنين عن طريق الحق ، وانهم لايلدون إلا من كان على شاكلتهم فى الكفر والفجور .

٥٢٤٧- (رب اغفرلى و لوالدى و لمن دخل بيتى مؤمناً و للمؤمنين والمؤمنات ولاتزد الظالمين الا تباراً)

قال نوح عليه السلام : يارب اغفر لى ولوالدى المؤمنين ولمن اتبعنى وللمؤمنين والمؤمنات أمواتاً كانوا أم أحياء ، ولاتزد الظالمين إلا هلاكاً فى الدنيا ، وعذاباً فى الاخرة .



﴿ بحث روائي ﴾

في اكمال الدين : باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال في حديث : كان بين آدم ونوح عشرة آباء كلهم أنبياء - إلى أن قال - : وان الأنبياء بعثوا خاصة وعامة ، فأما نوح فانه ارسل إلى من في الارض بنبوة عامة ورسالة عامة

وفي الكافي : عن إبن أبي عمير عن بعض أصحابه قال : شكى الأبرش الكلبي إلى أبي جعفر عليه السلام انه لا يولد له فقال له : علّمني شيئاً قال : استغفر الله في كل يوم أو في كل ليلة مأة مرّة فان الله يقول : « استغفروا ربكم انه كان غفاراً - إلى قوله - ويمدد كم بأموال وبنين » .

وفيه : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام انه وفد إلى هشام ابن عبد الملك فأبطأ عليه الاذن حتى إغتمّ ، وكان له حاجب كثير الدنيا ولا يولد له فدنا منه أبو جعفر عليه السلام فقال له : هل لك أن توصلني إلى هشام و اعلمك دعاء (دواء خ) يولد لك ؟ قال : نعم فأوصله إلى هشام ، و قضى له جميع حوائجه قال : فلما فرغ قال له الحاجب: جعلت فداك الدعاء الذي قلت لي؟ قال له: نعم قل في كل يوم اذا أصبحت وأمسيت : « سبحان الله سبعين مرة وتستغفر عشر مرات وتسبّح تسع مرات وتختم العاشرة بالاستغفار ثم تقول قول الله عز وجل : « استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمدد كم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً »

فقال الحاجب فرزق ذرية كثيرة وكان بعد ذلك يصل أباجعفر و أباعبدالله

عليهما السلام فقال سليمان : فعلمتها ـ وقدتزوّجت ابنة عمّ لى ، فأبطأ عليّ الولد منها ـ وعلّمتها أهلى ، فرزقت ولداً وزعمت المرأة انها متى تشاء أن تحمل حملت إذا قالتها و علّمتها غيرواحد من الهاشميين ممن لم يكن يولد لهم ، فولد لهم ولد كثير والحمدلله .

و فى وسائل الشيعة : عن الحسن بن على عليهما السلام انه وفد على معاوية، فلما خرج تبعه بعض حجّابه وقال: انى رجل ذومال ولايولدلى فعلّمنى شيئاً لعل الله أن يرزقنى ولداً ، فقال : عليك بالاستغفار، فكان يكثرمن الاستغفار حتى ربما استغفرفى اليوم سبعمأة مرة ، فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية ، فقال: هلاّ سئلته مم قال ذلك ؟ فعاد إليه فوفده وفدة اخرى فسئله الرجل فقال : ألم تسمع قول الله عزوجل فى قصّة هود : « و يزدكم قوة إلى قوتكم » و فى قصّة نوح : « ويمددكم بأموال وبنين » .

و فى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام - فى خطبة الاستسقاء : « وقد جعل الله سبحانه الاستغفارسبباً لدرور الرزق و رحمة الخلق فقال سبحانه : « استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً » .

وفى المجمع : وروى عن إبن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن أبيه قال : سئل رجل أباعبدالله عليه السلام وأنا عنده فقال له : جعلت فداك انى كثير المال وليس يولدلى فهل من حيلة ؟ قال : نعم استغفر ربك سنة فى آخر الليل مأة مرة ، فان ضيعت ذلك بالليل فاقضه بالنهار فان الله يقول : « استغفروا ربكم . . . » .

و فى الفقيه : قال الامام على بن الحسين عليهما السلام لبعض أصحابه : قل فى طلب الولد : « رب لاتذرنى فرداً وأنت خيرالوارثين واجعل لى من لدنك ولياً يرثنى فى حياتى ويستغفرنى بعد موتى واجعله لى خلقاً سوياً ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً

اللهم انى استغفرك وأتوب اليك انك أنت الغفور الرحيم سبعين مرة فانه من أكثر من هذا القول رزقه الله ما تمنى من مال وولد ، ومن خير الدنيا والاخرة ، فانه يقول : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً »

وفى تفسير القمى : وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : « لاترجون لله وقاراً » قال: لاتخافون لله عظمة .

وفيه . فى قوله تعالى : « وقد خلقكم أطواراً » قال : على إختلاف الاهواء والارادات والمشيات . . .

وفيه : فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : « سبع سموات طباقاً » يقول : بعضها فوق بعض .

وفيه : فى قوله تعالى : « رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً » قال : اتبعوا الاغنياء ، وفى « ومكروا مكراً كباراً » قال : أى كبيراً.

و فى بصائر الدرجات: عن سليمان ابن جعفر الجعفرى قال : كنت عند الرضا عليه السلام بالحمراء فى مشربة مشرفة على البر والمائدة بين أيدينا ، فراى عليه السلام رجلاً مسرعاً ، فرفع يده عن الطعام فمالبث ان جاء فصعد إليه ، فقال : مات الزبيرى فاطرق إلى الارض وتغير لونه ، فقال : انى لاحسبه قد ارتكب فى ليلته هذه ذنباً ليس بأكبر من ذنوبه قال الله تعالى : « مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً » ثم مد يده ، فأكل فمالبث أن جاء مولى له فقال : مات الزبيرى قال : فما سبب موته ؟ قال : شرب الخمر البارحة فغرق فيها فمات .

وفى العلل : باسناده عن حنان بن سدير عن أبيه قال : قلت لأبى جعفر عليه السلام : أرايت نوحاً عليه السلام حين دعا على قومه فقال : « رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الا فاجراً كفاراً » ؟ قال عليه السلام : علم انه لاينجب من بينهم أحد قال : قلت : وكيف علم ذلك ؟ قال : أوحى الله

إليه انه لايؤمن من قومك إلا من قدآمن ، فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء .

وفي روضة الكافي : باسناده عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال في حديث - : ولبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عزوجل ، فيهزؤون به و يسخرون منه ، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال : « رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً فانك ان تذرهم يضلوا عبادك و لايلدوا الا فاجراً كفاراً » الحديث .

وفيه : باسناده عن إسمعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث - قال : فلبث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم سراً وعلانية ، فلما أبوا وعتوا قال : « رب اني مغلوب فانتصر » فأوحى الله جل و عز إليه : « انه لن يؤمن من قومك إلا من قدآمن فلاتبتئس بماكانوا يفعلون » فلذلك قال نوح عليه السلام : « ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » فأوحى الله عزوجل اليه : « أن أصنع الفلك » .

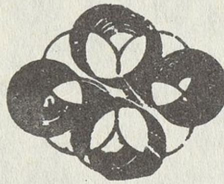
وفي تفسير القمي : باسناده عن صالح بن ميثم قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : ماكان علم نوح حين دعا على قومه انهم « لايلدوا الا فاجراً كفاراً » ؟ قال : أما سمعت قول الله عزوجل لنوح : « انه لن يؤمن من قومك إلا من قدآمن »

وفيه : باسناده عن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : « رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً » انما يعني الولاية من دخل فيها دخل في بيوت الانبياء .

وفي المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه عن إبن عباس في قوله تعالى : « رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا » وقدكان قبر علي بن أبيطالب عليه السلام مع نوح في السفينة ، فلما خرج من السفينة ترك قبره خارج الكوفة ، فسئل نوح ربه المغفرة لعلي وفاطمة عليهما السلام وهو قوله : « وللمؤمنين والمؤمنات » ثم قال : « ولاتزد الظالمين » يعني الظلمة لاهل بيت محمد صلوات الله عليهم أجمعين « إلا تباراً »

وفى تفسير القمى : وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : « ولاتزد الظالمين إلاّ تباراً » التبار : الخسار .

وفى المجمع : قال أهل التحقيق : دعا نوح عليه السلام دعوتين : دعوة على الكافرين ، ودعوة للمؤمنين ، فاستجاب الله دعوته على الكافرين ، فاهلك من كان منهم على وجه الارض ، ونرجو أن يستجيب أيضاً دعوته للمؤمنين فيغفر لهم .



﴿ بحث فقهي ﴾

واستدل بعض المحققين من الفقهاء على جواز الدعاء بالشر على الكفار والظالمين بقوله تعالى: حكاية عن نوح عليه السلام «و لا تزد الظالمين الا ضلالاً» و بقوله: «و قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً» و بقوله: «و لا تزد الظالمين إلا تباراً» نوح: ٢٤ و ٢٦ و ٢٨).

و استدل على إستحباب الدعاء بالخير والمغفرة للمؤمنين والمؤمنات على طريق العموم من السابقين والحاضرين واللاحقين بقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: «رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات» نوح: ٢٨).

و استدل بعض الفقهاء على جواز استغفار الولد لابويه مطلقاً سواء كانا مؤمنين أم لا بقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: «رب اغفر لي ولوالدي» للاطلاق.

اقول: ولو لم يكن السياق مقيداً للاطلاق فهو يقيد بقوله تعالى: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين و لو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه» التوبة: ١١٣ و ١١٤).

و قوله تعالى: «قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم - الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك» الممتحنة: ٤).

فلا يجوز الاستغفار لغير المؤمنين سواء كانوا كفاراً أم منافقين أمواتاً كانوا أم أحياء لقوله تعالى: «ان الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله ثم ماتوا

و هم كفار فلن يغفر الله لهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٣٤) .

وقوله : « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » طه : ٨٢).

و قوله : « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم » المنافقون : ٦) .

وقوله: « استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله و رسوله » التوبة : ٨٠) .



﴿ بحث مذهبى ﴾

قال الفخر فى تفسيره فى قوله تعالى: « فلم يزد دعائى إلاّ فراراً » ما لفظه: « إعلم أن هذا من الايات الدالة على أن جميع الحوادث بقضاء الله و قدره، و ذلك لانا نرى إنسانين يسمعان دعوة الرسول فى مجلس واحد بلفظ واحد، فيصير ذلك الكلام فى حق أحدهما سبباً لحصول الهداية والميل والرغبة، و فى حق الثانى سبباً لمزيد العتو والتكبر ونهاية النفرة، وليس لأحد أن يقول: ان تلك النفرة والرغبة حصلتا باختيار المكلف، فان هذا مكابرة فى المحسوس، فان صاحب النفرة يجد قلبه كالمضطر إلى تلك النفرة، وصاحب الرغبة يجد قلبه كالمضطر إلى تلك الرغبة.

و متى حصلت تلك النفرة وجب أن يحصل عقيبه التمرد والاعراض، وإن حصلت الرغبة وجب أن يحصل عقيبه الانقياد والطاعة، فعلمنا أن إفضاء سماع تلك الدعوة فى حق أحدهما إلى الرغبة المستلزمة لحصول الطاعة والانقياد، و فى حق الثانى إلى النفرة المستلزمة لحصول التمرد والعصيان لا يكون الاّ بقضاء الله و قدره » انتهى كلامه ودنى مقامه.

اقول: وهذا مذهب أصحاب الجبر والفخر هو من أساطينهم فيه، وسخافة هذا المذهب ظاهرة لكل ذى لبّ سليم القلب، وفساده أبين من الشمس فى رائعة النهار لكل ذى فضل.

فاشتبه على أصحاب الجبر المقتضى بالمانع، وتوهموا انهما ذاتيان للانسان

فزعموا : ان الايمان والكفر ، والطاعة والطغيان فبقضاء الله تعالى و قدره .

وليس كذلك لقوله تعالى : « ولا يرضى لعباده الكفر و إن تشكروا يرضه لكم » الزمر : ٧) .

و ذلك لان المقتضى للايمان والكفر، والطاعة والعصيان ذاتى لكل انسان لقوله تعالى : « و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها » الشمس: ٧و٨) .

و قوله : « انا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً » الانسان : ٣) .

و قوله : « فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر » الكهف : ٢٩) .

و أما المانع إطلاقاً فيوجد باختيار الانسان ، فان المانع عن قبول الحق، والاعراض عن صالح العمل فيوجد باتباع الهوى ، وأما المانع من الكفر والطغيان فيوجد باتباع العقل ، والانسان فيهما مختار قال الله تعالى : « قد أفلح من زكاها و قد خاب من دسّاها » الشمس : ٩ و ١٠) ومن البديهى: ان الامتناع بالاختيار لا ينافى الاختيار .

و استدلت الأشاعرة المجبرة بقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : « ولا تزد الظالمين الا ضلالاً » نوح : ٢٤) على مذهبهم : ان لا سبيل للعبد إلى اختيار طرق الهداية أو الضلال إطلاقاً ، و انما هى إرادة الله تعالى يهدى من يشاء بلا سبب ذاتى، و يضل من يشاء بلا استحقاق موجب لانه تعالى يفعل ما يريد ولا يسئل عما يفعل و هم يسئلون .

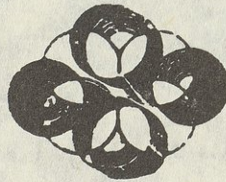
اقول : وقد تقدم ان المراد بالضلال هو الخذلان والخيبة والضلال مجازاة دون الضلال الابتدائى لانه بعد إتمام الحجة عليهم بالتبليغ والدعوة ، فالجملة دعائية من نوح عليه السلام على الظالمين أن يجازيهم الله تعالى ويمنعهم الالطاف عقوبة لهم على كفرهم و تمرّدهم و فسقهم و طغيانهم ، مضافاً إلى ما سيحكى عنه من دعائه عليه السلام عليهم بالهلاك والدمار، فانهم إذا ضلّوا وأضلّوا الناس استحقوا منع الالطاف التى تفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها و يمتثلون ولا يجوز أن يفعل بهم

الضلال عن الايمان بالله و عن الحق لان ذلك لا يجوز فى صفة الحكيم تعالى الله عن ذلك .

و أما الضالون المضلون فيتركهم يعمهون فى ظلمات غيّهم جزاء وفاقاً مع عنادهم وإصرارهم على الجهالة والكفر والطغيان، فالخذلان والحرمان مما استوجبه العبد على نفسه لقوله تعالى : « مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً » نوح : ٢٥).

و هم الذين حقت عليهم الضلالة إن سدّوا على أنفسهم المنفذ إلى الهدى والنجاة ، و من ثم تمكن الضلال من قلوبهم فأصمهم و أعمى أبصارهم فلا يفقهون شيئاً و لا يعقلون .

ويستدل على عذاب القبر والبرزخ بقوله تعالى : « فادخلوا ناراً » نوح : ٢٥) فان المراد بالنار نار البرزخ التى يعذّب بها المجرمون بين الموت والبعث دون الاخرة ، إذ ليس المراد انهم اغرقوا و سيدخلون النار يوم القيامة فالجملة من أدلة البرزخ .



﴿نوح عليه السلام و تسميته﴾

قال الله تعالى : « انا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم » نوح : ١) .

وقد جاء إسم نوح عليه السلام فى ثلاثة و أربعين موضعاً من الكتاب العزيز فى ثمان و عشرين سورة من السور القرآنية ، و قد جاءت قصته تفصيلاً بأساليب متنوعة فى ست سور :

منها : سورة نوح هذه فلتسميتها باسمه عليه السلام وجدناها مناسبة لذكر ما حققنا من قصته :

و قد ورد فى كتب التاريخ ، و فى التوراة فى سفر التكوين : ان نوحاً هو ابن لامك بن متو شالح بن اخنوخ ـ و هو إدريس ـ بن يارد بن مهلئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبى البشر .

و فى بعض التفاسير : نوح عليه السلام هو ابن لمك بن متوشلخ ، و إسم امه : سمحاء بنت أنوش ، و كاناهما مؤمنين . و قيل : اسم امه : شمخى بنت أنوش و قيل : اسم امه : منجل .

و فى بعضها : نوح عليه السلام : هو إبن لامك إبن متوشلخ بن اخنوخ و هو إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام .

و فى بعضها : هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوع و هو إدريس عليه السلام .

وفى الدر المنثور : اخرج اسحق بن بشر وابن عساكر عن مقاتل وجويبر:

ان آدم حين كبر ورق عظمه قال : يارب متى أكد وأسعى ؟

قال : ياآدم حتى يولدلك ولد مختون ، فولد له نوح بعدعشرة أبطن، وهو يومئذ ابن ألف إلا ستين عاماً ، فكان نوح بن لاملك بن متوشلخ بن إدريس وهو اخنوخ بن يردبن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، وكان إسم نوح السكن ، و انما سمى نوح السكن لان الناس بعدآدم سكنوا إليه ، فهوأبوهم و انما سمى نوحاً لانه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله فاذا كفروا بكى وناح عليهم .

و فى تفسير الصافى : عن القمى روى فى الخبر : ان إسم نوح عبد الغفار وسمى نوحاً لانه كان ينوح على نفسه .

وفى العلل : عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال :كان إسم نوح عليه السلام عبدالغفار . وانما سمى نوحاًلانه كان ينوح على نفسه .

وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال :كان إسم نوح عبدالملك ، و انما سمى نوحاًلانه بكى خمسمأة سنة .

وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال :كان إسم نوح عبدالعلى ، وإنماسمى نوحاً لانه بكى خمسمأة عام .

ثم قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه : الاخبار فى إسم نوح عليه السلام كلهامتفقة غير مختلفة تثبت له التسمية بالعبودية ، وهوعبدالغفار، والملك والاعلى .

وفيه : باسناده عن محمدبن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : إن نوحاً إنما سمى عبداً شكوراًلانه كان يقول إذا أمسى وأصبح : اللهم انى اشهدك انه ما أمسى وأصبح بى من نعمة أوعافية فى دين ، أودنيا فمنك وحدك لاشريك لك ، لك الحمد ولك الشكر بها على حتى ترضى وبعدالرضا إلهنا .

﴿أكان نوح عليه السلام أبا البشر الثانى﴾

وقد اختلفت كلمات المفسرين وغيرهم فى كون نوح عليه السلام أبا ثان للبشر فذهبت طائفة الى أنه أبو ثان، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: «و جعلنا ذريته هم الباقين» الصافات: ٧٧) إذلم يبق بعد هلاك قومه بالطوفان باقية إلاّ بنوه الثلاث وهم: سام وحام ويافث، ومات من كان معه فى السفينة من المؤمنين بلا بقاء نسل منهم.

و سام: هو أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى.

وحام: هو أبو السودان من المشرق و المغرب: السند و الهند والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم...

و يافث: هو أبو الصقالب والترك والخزر ويأجوج ومأجوج وغيرهم...

و قيل: انه كان لمن مع نوح عليه السلام ذرية كما يدل عليه قوله تعالى: «ذرية من حملنا مع نوح» الاسراء: ٣) وأما قوله تعالى: «قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسّهم منا عذاب أليم» هود: ٤٨)

فيكون على هذا معنى: «وجعلنا ذريته هم الباقين» فذريته و ذرية من معه دون ذرية من كفر، فان الله تعالى أغرقهم، فلم يبق لهم ذرية، و قوله تعالى: «وتركنا عليه فى الاخرين» الصافات: ٧٨)

يعنى فى الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة من الامم.

فكان مع نوح عليه السلام فى السفينة من قومه الذين لم يكونوا من أولاده، فهم نجوا من الغرق، فكثر النسل منهم ومن بنيه عليه السلام حام وسام ويافث فالنسل بعد الغرق كان من قومه ومن بنيه معاً.

وقال بعض المفسرين: ان قوم نوح الذين هلكوا وبقوا ما بقوا كانت رسالته عامة للناس ومن هنا سمى أباثان للبشر، أو كانت رسالته فى مملكة واحدة وهلك قومه الذين كانوا فيها، فلم يهلكوا ما سواهم من الذين كانوا فى سائر الممالك ولم يكونوا من قومه، فعلى هذا كان الطوفان بين النهرين لما ورد انه استقرت سفينته بجودى، والجودى: فرات كوفة، فعلى هذا يرجع ضمير «فأخذهم الطوفان وهم ظالمون» العنكبوت: ١٤)

إلى قومه الذين كانوا يعيشون بين النهرين، لا الذين كانوا يعيشون فى غيره من الممالك الاخرى، فليس هو أباثان بالنسبة إلى غير ما نجوا، وانه هو أبو ثان بالنسبة إلى الناجين.

وفى تفسير القمى: عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى: «و جعلنا ذريته هم الباقين» يقول الحق والنبوة والكتاب والايمان فى عقبه، وليس كل من فى الارض من بنى آدم من ولد نوح، قال الله فى كتابه: «احمل فيها من كل زوجين إثنين و أهلك إلاّ من سبق عليه القول و من آمن و ما آمن معه إلاّ قليل» هود: ٤٠)

فالمؤمنون بنوح عليه السلام ما كانوا جميعهم من أولاده، وإنما كانوا معه فى الفلك ونجوا من الطوفان، فعاشوا وتناسلوا بعد ذلك.

وفى روح البيان: فى قوله تعالى: «قيل يا نوح اهبط بسلام منا و بركات عليك وعلى امم ممن معك» قال: والمراد بالامم المؤمنة المتناسلة ممن معه من أولاده إلى يوم القيامة، فهو من إطلاق العام وإرادة الخاص هذا على رواية من قال: كان معه عليه السلام فى السفينة أولاده وغيرهم مع الاختلاف فى العدد، فمات غير الاولاد

أي بعدالهبوط ، ولم ينسل وهو الارجح ، وأما على رواية من قال : ما كان معه في السفينة إلا أولاده و نساؤهم على أن يكون المجموع ثمانية ، فلا يحتاج إلى التأويل .

وأياما كان فنوح عليه السلام أبوالخلق كلهم ، و لذا سمى آدم الثاني ، و آدم الاصغر لانه لم يحصل النسل الا من ذريته ، وقدأخرج الله الكثير من القليل بقدرته كما أخرج من صلب زين العابدين الكثير الطيب و ذلك انه قتل مع سلطان الشهداء الحسين رضى الله عنه عامة أهل بيته ، ولم ينج الا إبنه زين العابدين على انه رضى الله عنه أصغرهم فانمى الله تعالى ذريته السادة .

وفى العلل : باسناده عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى قال : سمعت على بن محمد العسكرى عليه السلام يقول : عاش نوح عليه السلام ألفين و خمسمأة سنة ، و كان يوماً فى السفينة نائماً ، فهبت ريح فكشفت عن عورته فضحك حام ويافث ، فزجر هما سام عليه السلام ونهاهما عن الضحك ، وكان كلماغطى سام شيئاً تكشفه الريح كشفه حام ويافث ، فأنتبه نوح عليه السلام فرآهم وهم يضحكون ، فقال : ماهذا ؟ فأخبره سام بماكان ، فرفع نوح عليه السلام يده إلى السماء يدعو و يقول :اللهم غيّر ماء صلب حام حتى لايولدله إلاالسودان اللهم غيّر ماء صلب يافث فغيّر الله ماء صلبهما ،فجميع السودان حيث كانوا من حام وجميع الترك والسقالبة ويأجوج ومأجوج والصين من يافث حيث كانوا ، وجميع البيض سواهم من سام .

وقال نوح عليه السلام لحام ويافث : جعل الله ذريتكما خولاً لذرية سام إلى يوم القيامة لانه برّبى وعققتمانى ، فلازالت سمة عقوقكما لى فى ذريتكما ظاهرة وسمة البرّبى فى ذرية سام ظاهرة مابقيت الدنيا .

أقول : رواه الطبرسى فى المجمع .

وقوله عليه السلام : «خولاً» أى عبيداً .

وفى المجمع : قال الشيخ ابوجعفر بن بابويه القمى رحمه الله : ذكر يافث

فی هذا الخبر غریب لم اروه إلاّ من هذا الطريق وجميع الاخبار التی رویتها فی هذا المعنی فیها ذکر حام وحده وانه ضحك لما انکشفت عورة أبيه وان ساماً و یافث کانا فی ناحية فبلغهما ماصنع فاقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان و القیا علیه الثوب وهو نائم فلما استیقظ أوحی الله عزوجل الیه الذی صنع حام فلعن حاماً ودعا علیه .



﴿ عمر نوح عليه السلام قبل رسالته و بعد الطوفان ﴾

وقد جاء فى القرآن الكريم : ان نوحاً عليه السلام مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى التوحيد والعبادة لله وحده ، وإلى التقوى والطاعة فى قوله تعالى : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً» العنكبوت : ١٤) من غير إشارة إلى عمره قبل الرسالة ، ولا بعد الطوفان .

وقد وردت روايات ، وجائت كلمات فى عمر نوح عليه السلام قبل رسالته و بعد الطوفان على إختلاف :

فمنها : انه عاش ألفى سنة وخمسمأة عام : منها ثمان مأة و خمسون سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً وهوفى قومه يدعوهم ، ومأتا سنة فى عمل السفينة وخمسمأة عام بعد الطوفان .

و منها : انه عاش ألفى سنة و ثلاثمأة سنة : منها ثمان مأة و خمسين سنة قبل أن يبعث ، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهوفى قومه يدعوهم وخمسمأة عام بعد مانزل من السفينة .

وفى التوراة : ان الطوفان إبتدأ فى السنة الاولى بعد ستمأة من ولادة نوح عليه السلام .

و قيل : ان الله تعالى أرسل نوحاً وهو إبن خمسين سنة وكان نجاراً .

و قيل : ان نوحاً عاش بعد الطوفان تسعين سنة .

وغيرها من الاقاويل التى لم نجد فائدة لذكرها .

فى أمالى الصدوق : باسناده عن هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال عاش نوح عليه السلام ألفى سنة و خمسمأة سنة : منها ثمان مأة و خمسون سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً ، وهوفى قومه يدعوهم ،ومأتاسنة فى عمل السفينة ، وخمسمأة عام بعد ما نزل من السفينة ، و نضب الماء ، فمصر الامصار واسكن ولده البلدان ثم ان ملك الموت جائه وهو فى الشمس ، فقال : السلام عليك فرد عليه نوح و قال له : ماجاء بك يا ملك الموت ؟ فقال : جئت لاقبض روحك فقال له: تدعنى ادخل من الشمس إلى الظل ؟ فقال له : نعم فتحول نوح عليه السلام ثم قال : يا ملك الموت فكان مامرّ بى فى الدنيا مثل تحوّلى من الشمس إلى الظل فامض لما امرت به قال : فقبض روحه عليه السلام .

وفى مدارك التنزيل : ورد انه قال لنوح عليه السلام ملك الموت : يا أطول الانبياء عمراً كيف وجدت الدنيا ، قال: كدار لها بابان دخلت من باب ،وخرجت من اخر .

وفى البرهان : عن عدّة ذكرهم عن أبى عبدالله عليه السلام عاش نوح عليه السلام ألفى سنة وخمسمأة سنة ثم أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يانوح قدانقضت نبوتك، واستكملت أيامك ، فانظرالاسم الاكبر، وميراث العلم وآثارعلم النبوة التى معك، فادفعها إلى ابنك سام فانى لااترك الارض إلاّ وفيها عالم تعرف طاعتى به ويعرف به هواى، ويكون نجاة فيهما بين مقبض النبى ومبعث النبى الاخر، و لم اترك الناس بغير حجة لى وداع إلىّ وهاد إلى سبيلى وعارف بأمرى ، فانى قدقضيت ان اجعل لكل قوم هادياً اهدى به السعداء ، ويكون الحجة على الاشقياء قال : فدفع نوح عليه السلام الاسم الاكبر، وميراث العلم وآثار النبوة إلى سام .

وأما حام ويافث لم يكن عندهما علم ينتفعان به قال : وبشرهم بهود عليه السلام وأمرهم باتباعه وأمرهم أن يفتحوا الوصية فى كل عام وينظروا فيها ويكون عهداً (عيداً خ) لهم .

وفى الكافى : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : عاش نوح عليه السلام ألفى سنة وثلاثمأة سنة : منها ثمان مأة وخمسين (خمسون ظ) سنة قبل أن يبعث ، وألف سنة إلاّ خمسين عاماً وهوفى قومه يدعوهم ، وخمسمأة عام بعد مانزل من السفينة و نضب الماء فمصّر الامصار وأسكن ولده البلدان ثم ان ملك الموت جاءه وهوفى الشمس فقال : السلام عليك فردّ عليه نوح عليه السلام قال : ماجاء بك يا ملك الموت ؟ قال : جئتك لاقبض روحك قال : دعنى أدخل من الشمس إلى الظل ، فقال له : نعم فتحوّل ثم قال : يا ملك الموت كل مامرّ بى من الدنيا مثل تحويلى من الشمس إلى الظل، فامض لما امرت به فقبض روحه عليه السلام .

وفى الكشاف : كان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث فى قومه تسعمأة وخمسين ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة .

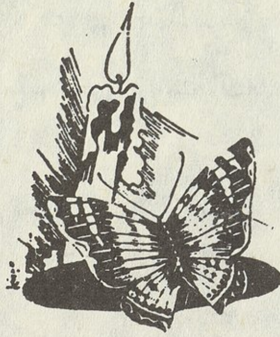
وفى الدر المنثور : عن إبن عمر لبث نوح عليه السلام فى قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ، فان من كان قبلكم كانوا أطول أعماراً ثم لم يزل الناس ينقصون فى الاخلاق والآجال والاحلام والاجسام إلى يومهم هذا .

وفى المجمع : وقيل : انه كان نجاراً و ولد فى العام الذى مات فيه آدم عليه السلام قبل موت آدم فى الالف الاولى ، وبعث فى الالف الثانية ، وهوابن أربعمأة . وقيل: بعث وهوإبن خمسين سنة ولبث فى قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وكان فى تلك الالف ثلاثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهاراً فلايزيدهم دعاؤه إلاّ فراراً ، وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه فاذاأفاق قال: اللهم أهدقومى فانهم لايعلمون ثم شكاهم إلى الله تعالى فغرقت له الدنيا وعاش بعدذلك تسعين سنة، روى أكثر من ذلك أيضاً .

اقول : ونحن لانجد معمراً يعمّر مثل هذا العمر الطويل عادة إذ لوكان هذا معجزة لكان غيرعادىّ لن ينال به أحد الاّ من أراده الله تعالى به خاصة على طريق الاعجاز .

فقول بعض الاطباء بامكان هذا العمر الطويل وأطول منه وقول بعضهم بعدم محدودية العمر للانسان إذا اتبع نظاماً خاصاً ، و لم يحمل هموماً ، و لم تعتوره الامراض المختلفة ، ولم تنهك قوته الاطعمة التى لايقدر على هضمها غير وجيه بل مردود جداً .

نعم : ان رعاية الاطعمة والاشربة والالبسة والامكنة و الآداب الدينية و حفظ الصحة لها دخل فى نيل الانسان إلى أجله المحتوم، ولكنها لاتؤخره إذاجاء، ولكل أجل مسمى أشار تعالى إليه فى قوله : « ويؤخركم إلى أجل مسمى ان أجل الله إذاجاء لايؤخر » نوح : ٤)



﴿ في رسالة نوح عليه السلام وعمومها ﴾

وقد اختلفت الكلمات فى كون نوح عليه السلام أوّل رسول ، وفى عموم رسالته لاهل الارض كلهم :

فذهبت طائفة من المفسرين إلى أنه أول رسول أرسله الله تعالى بالرسالة الالهية إلى قومه خاصّة عند ما تحوّلوا إلى عبادة الاصنام ، و امعنوا فى الضلالة والكفر والطغيان . . .

فى تفسير القرطبى : ان نوحاً أول رسول أرسله ، و انه لم يلق نبى من قومه ما لقى نوح لما ورد عن أنس: ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أول نبى أرسل نوح ».

و فى صحيح مسلم : فى حديث الشفاعة عن أبى هريرة : « يا نوح أنت أول الرسل إلى الارض » .

و فى تفسير ابن كثير : قال : ان نوحاً عليه السلام أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض من المشركين : عبدة الاصنام ، و قومه أول قوم أشركوا بالله سبحانه و اتخذوا له الانداد .

و قال بعض المتاخرين : «اولى الرسالات الفذة الالهية يحملها أول الخمسة من اولى العزم من الرسل نوح عليه السلام » .

و قال بعضهم : ان نوحاً عليه السلام نبى ثان و أوّل النبى هو جدّه الاكبر إدريس .

و قال بعضهم : انه أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الارض كلهم .

و ذهبت طائفة منهم إلى انه عليه السلام ليس أول رسول من المرسلين ولكنه أول رسول ارسل إلى كافة الناس .

و أما المحققون من المفسرين والمحدثين فيقولون برسالة آدم وشيث وإدريس عليهم السلام قبل رسالة نوح عليه السلام ويقولون بعموم رسالته لما يستفاد ذلك من الايات القرآنية والروايات الواردة عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين:

قال الله تعالى : « وقوم نوح لما كذّبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية » الفرقان : ٣٧) فتوهم بعض المفسرين : ان المراد بالرسل واحد منهم فان تكذيب الواحد تكذيب لجميعهم فليس بشيء . و قال : « و اذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً » مريم : ٥٦) وقد كان إدريس عليه السلام قبل نوح عليه السلام من غير خلاف .

و قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرّقوا فيه » الشورى : ١٣) .

اذ لو لم تكن شريعة نوح عليه السلام لكافة الناس لكان هناك اما نبي آخر ذو شريعة اخرى لغير قومه و إما أهمل الناس غير قومه في زمنه وبعده إلى أن بعث الله تعالى اليهم رسولاً آخر ، وما اشير إلى الوجهين في الكتاب العزيز ولا جاء به الرواية .

و قال الله تعالى : « و جعلنا ذريته هم الباقين » الصافات : ٧٧) .

و قال حكاية عن نوح عليه السلام : « رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً » نوح : ٢٦) بشمول الطوفان لاهل الارض كلهم .

و في فروع الكافي : باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث آدم مع الشجرة - قال : « فلما انقضت نبوّة آدم عليه السلام و استكمل أيامه أوحى الله عزوجل اليه أن يا آدم قد انقضت نبوتك و استكملت أيامك - إلى أن قال - : وكان بين آدم وبين نوح عليهما السلام عشرة آباء أنبياء و أوصياء كلهم و أوصى

آدم عليه السلام إلى هبة الله أن من أدركه منكم فليؤمن به و ليتبعه و ليصدّق به - إلى أن قال - : و كان من بين آدم و نوح من الانبياء مستخفين و لذلك خفى ذكرهم فى القرآن ، فلم يسمّوا كما سمّى من استعلن من الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وهو قول الله عزوجل : « و رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل و رسلاً لم نقصصهم عليك» يعنى لم اسمّ المستخفين كما سميت المستعلنين من الانبياء.

فمكث نوح عليه السلام فى قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، لم يشاركه فى نبوته أحد ، و لكنه قدم على قوم مكذبين للانبياء الذين كانوا بينه و بين آدم عليه السلام و ذلك قول الله عزوجل : « كذبت قوم نوح المرسلين » يعنى من كان بينه وبين آدم عليه السلام إلى أن انتهى إلى قوله عزوجل : « و ان ربك لهو العزيز الرحيم » .

و فى معانى الاخبار : باسناده عن أبى ذر رحمه الله قال: دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى المسجد جالس وحده فاغتنمت خلوته - إلى أن قال - : قلت: من كان أول الانبياء ؟ قال: آدم ، قلت: وكان من الانبياء مرسلاً؟ قال: نعم خلقه الله بيده و نفخ فيه من روحه ، ثم قال : يا أباذر أربعة من الانبياء سريانيون : آدم و شيث و اخنوخ وهو إدريس عليه السلام وهو أول من خطّ بالقلم - إلى أن قال - أنزل الله على شيث خمسين صحيفة و على إدريس ثلاثين صحيفة . الحديث .

و فى العلل : فى - حديث طويل - : فأوحى الله عزوجل إلى إدريس عليه السلام و نبأه ودلّه على عبادته ، ومن آمن معه فلم يزالوا يعبدون الله عزوجل لا يشركون به شيئاً ، حتى رفع الله عزوجل إدريس إلى السماء ، و انقرض من تابعه على دينه إلاّ قليلاً ، ثم انهم اختلفوا بعد ذلك ، و احدثوا الاحداث و أبدعوا البدع حتى كان زمان نوح عليه السلام .

﴿شريعة نوح ودعوته عليه السلام﴾

في فروع الكافي : باسناده عن اسمعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : كانت شريعة نوح عليه السلام أن يعبد الله بالتوحيد والاخلاص و خلع الانداد ، و هي الفطرة التي فطر الناس عليها ، وأخذالله ميثاقه على نوح عليه السلام وعلى النبيين عليهم السلام أن يعبدوا الله تبارك وتعالى ، ولا تشركوا به شيئاً و أمر بالصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام ، ولم يفرض عليه أحكام حدود ولا فرض مواريث فهذه شريعته ، فلبث فيهم نوح ألف سنة إلاخمسين عاماً يدعوهم سراً وعلانية ، فلماأبوا وعتوا قال : « رب اني مغلوب فانتصر » فاوحى الله جل و عزإليه : « انه لن يؤمن من قومك الأمن قدآمن فلاتبتئس بماكانوايعلمون »

فلذلك قال نوح عليه السلام : « ولا يلدوا الأفاجراً كفاراً » فأوحى الله عزوجل إليه : « أن اصنع الفلك » .

ان الله تعالى اختار نوحاً عليه السلام من بين قومه لينذرهم والناس كلهم من عذاب الله جل وعلا ، ويحذّرهم من نقمه اذاتمادوا في غيّهم وضلالهم و كفرهم وطغيانهم ، وليبين لهم طريق النجاة ، ويرشدهم إلى مافيه السعادة والصلاح ، إلى مافيه العزة والفلاح ، إلى مافيه الخير والسيادة ، وإلى مافيه الرحمة الالهية والنعمة الابدية . فعتوا عن أمر ربهم ، ولم يستجيبوا لنصيحته ، ولم يتعظوا بمواعظه ، ولم يتذكروا بذكراه ، ولم يهتدوا بهداه ، بل اجتمع ملاقومه و كبراؤهم ومترفوهم ، و أهل الثراء منهم على تكذيبه واحتقاره هو ومن معه ، وصدّوا الناس عن قبول دعوته ،

عن الايمان بالله تعالى ، وعن العبادة لله وحده .

ولم يأبهوا الانذار الله تعالى لهم ، واستبعدوا أن يكون واحد منهم -لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء- يأتي لهدايتهم دون أن يكون ملكاً أو يمتاز عليهم بفضل من الغنى والثروة، وأنفوا أن يكونوا مثل الذين اتبعوا نوحاً من الضعفاء فانكروا عليه ﷺ أن يكون نبياً لاسباب ثلاثة :

أحدها - انه انسان يأكل و يشرب مثلهم فكيف يكون نبياً من كان بشراً مثلهم، فالنبي -في نظرهم- يجب أن يكون ملكا لا بشراً، ومن عجيب سفاهتهم وغباوتهم انهم كانوا ينكرون أن يكون الانسان نبياً ، وهم يتخذون الأحجار والاخشاب آلهة لهم يعبدونها .

ثانيها - ان الذين اتبعوه هم المستضعفون ، و يقصدون بذلك الفقراء من العمال والمزارعين، وأصحاب المهن الوضيعة وهؤلاء -في نظرهم- قد اتبعوا نوحاً من غير روية ولا إحكام رأى ، ومن هنا كانوا يطلبون منه أن يطرد الذين آمنوا به تقززاً من أن يجتمعوا معهم في دين .

ثالثها - ان المترفين والاغنياء يظنون ان الرسالة الالهية لو كانت فجدير أن يتصف بها غنى وذو ثراء منهم لا من فقد المال والثراء .

ومن هنا كانوا يتهمون نوحاً ﷺ ومن آمن به بالكذب، ولم يكونوا متأكدين في اتهامهم هذا بل كانوا يبنونه على الظن ، وكانوا يتهمونه بالضلالة والجنون : قال الله تعالى : « فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك إلاّ بشراً مثلنا و ما نراك اتبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادى الرأى و ما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين - وما أنا بطارد الذين آمنوا» هود : ٢٧ - ٢٩)

و قال : « قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين - أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم و لتتقوا و لعلكم ترحمون » الاعراف : ٦٠ - ٦٣) .

و قال: « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الابشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولوشاءالله لأنزل ملائكة ـ إن هوإلا رجل به جنة » المؤمنون: ۲۴ ـ ۲۵)،

بذل نوح عليه السلام منتهى وسعه، و اجتهد بغاية إمكانه، و استمر في دعوته محاولاً إقناع قومه أن يتبعوه في الايمان بالله تعالى، و أن يقلعوا عن عبادة تلك الاصنام، و أخذ يحاورهم و يجادلهم، و يقول لهم: ما أراكم في حالى معكم إن كنت على أدلة ظاهرة، و براهين واضحة، و حجج قاطعة من ربى الذى أعطاني النبوة بفضله والرسالة برحمته، وقدحجبكم عن الاهتداء إليهاجهلكم وغروركم بأموالكم و جاهكم، فهل يصح أن اكرهكم على اعتناقها و أنتم لها كارهون؟ وأنا لا اطلب منكم على هدايتى لكم مالاً ولاجاهاً، و إنما أجرى على الله تعالى.

قال الله تعالى: « قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربى و آتاني رحمة من عنده فعمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون وياقوم لا أسئلكم عليه مالاً إن اجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون ـ قالوا يانوح قدجادلتنا فاكثرت جدالنا » هود: ۲۸ـ۳۲).

و يبدو ان خطاب نوح عليه السلام لقومه أثّر فيهم ولكنهم وجدوا ان اتباعهم من الفقراء والضعفاء، ويفصل بين هؤلاء واولئك فوارق ضخمة مالية وإجتماعية، فاشترطوا عليه كى يؤمنوا به أن يبعدهم عنه ويطردهم من الدعوة، فأجابهم نوح عليه السلام: انى لست بطارد أحداً من الذين آمنوا إستجابة لطلبكم و بسبب إحتقاركم إياهم، فانهم مقربون عندالله تعالى وسيلاقون ربهم يوم القيامة، فيتولى حسابهم و جزاءهم، ولكنكم قوم تجهلون ما يتميز به البشر عندالله تعالى، تجهلون ما به كرامة الانسان عند الله جل و علا، و تجهلون ما فيه العزة والسعادة والنجاة والفلاح من الايمان، والعبادة والتقوى و صالح العمل لا ما ترونه من الاموال والاولاد والجاه...

فللضعفاء والفقراء كرامة عند الله تعالى بعد ايمانهم ، لا يستطيع أحد أن ينصرني و يمنع عني عقاب الله تعالى إن طردتهم فان ربهم ينصرهم .

« ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون - ولا اقوم للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين » هود : ٣٠ - ٣١) .

فطال الزمن و هو يغاديهم بالنصح و يراوحهم بالعظة سراً و علانية ، وهم لايزدادون إلا إعراضاً ونأياً عن طريقته مع بيان المسرات المترتبة على الايمان، والنعم التي تنتظرهم في عاجل حياتهم من إرسال المطر لسقياهم و سقيا أرضهم، و وفرة الاموال و كثرة الذرية و يضرب لهم الامثال ، و يوجه نظرهم إلى صنع الله تعالى بخلقهم أطواراً مختلفة وعنايته بهم في أدوار حياتهم الجنينية وحياتهم في الدنيا ، و خلقه السموات والارض ، و ان من بدأهم قادر على إعادته ذلك ان من خلق لهم الارض و متعهم بما خلق فيها قادر على إعادتهم و مجازاتهم . . .

و لم تؤثر كلمات نوح عليه السلام في نفوس قومه إلا أثراً ضئيلاً : « و ما آمن معه الا قليل » هود : ٤٠) .

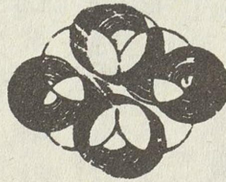
أما الاكثرون فقد تبرموا من دعوته و كذبوه و ردوا عليه عليه السلام في عناد، و وصموه بالجنون : « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا و قالوا مجنون و ازدجر » القمر : ٩) .

وحاولوا بينه وبين تبليغ رسالته بأنواع التخويف والأذى وهددوه بالرجم: « قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين » الشعراء : ١١٦) .

ولكن نوحاً عليه السلام لم يبال بهذا التهديد بل جابههم بايمانه الراسخ قائلاً لهم : ياقوم إن كان وجودي فيكم لتبليغ رسالة ربي قد أصبح شديداً عليكم فاني مستمر مثابر على دعوتي متوكل على الله تعالى ، فاحزموا أمركم و افعلوا بي ما بدالكم مستعينين بشركائكم الذين يؤمنون بالآلهة الباطلة، ولا يكن في عدائكم

لى و ايذائى أى خفاء ، بل كاشفونى به و لا تمهلونى فيما تريدون بى من سوء ، إن كنتم تقدرون على ايذائى ، و لكنكم لن تقدروا على تنفيذ غايتكم لان ربى يرعانى برحمته ، فان اعرضتم عن دعوتى، فان ذلك لن يضيرنى لانى لم أقم بهذا الأمر لأتقاضى أجراً ، انما أجرى على الله وحده ، و قد أمرنى أن أكون خاضعاً له وحده قال الله تعالى : « و اتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون فان توليتم فما سئلتكم عليه من أجر إن أجرى إلاّ على الله و امرت أن اكون من المسلمين » يونس : ٧١ ـ ٧٢) .

فلدعاة الاسلام وقادة الدين المبين اسوة حسنة فى نوح عليه السلام و بذل جهده فى دعوته ، و إستقامته فى تبليغ رسالته ، و ثباته فى وظيفته ، و تقديم الفقراء والضعفاء المؤمنين على الاغنياء وذوى الجاه المترفين ... وأما الاغنياء المؤمنون الصالحون فلهم فضل و كرامة بايمانهم وصالح أعمالهم ...



﴿قوم نوح عليه السلام قبل بعثته وطبقات الاغنياء والفقراء﴾

فى بعض التفاسير : « انه كان قبل بعثة نوح قوم عرفوا الله تعالى و عبدوه خصوصاً فى عائلة شيث عليه السلام ثم فسد نسل شيث أيضاً ، و اختلطوا مع الاشرار و امتلأت الارض من جرائمهم ، وزاغوا عن الصراط المستقيم ، وصاروا يعبدون الاوثان والاصنام ، فأرسل الله تعالى إليهم نوحاً عليه السلام ليدلّهم على سبيل الرشاد »

اقول : وما يظهر من قصة نوح عليه السلام فى القرآن الكريم بأساليب مختلفة على طريقى الاجمال والتفصيل وفى الروايات الواردة . . . انه شاع فى زمن نوح عليه السلام الفساد فى الارض ، وأعرض الناس عن التوحيد إلى الشرك ، عن الحق إلى الباطل ، عن الطاعة الى الطغيان ، عن العبادة لله وحده إلى العبادة للآلهة ، عن طريق الهدى والرشاد إلى الضلالة والفساد، وعن سنة العدل الفردى والاجتماعى إلى الظلم النفسى والاجتماعى . . .

وقد انقسم المجتمع الانسانى يوم ذاك إلى طبقات متباعدة :

طبقة الاشراف المترفين ، والاغنياء الطاغين ، وهم يعرفون حالياً باسم : الاقطاعيين والبورجوازيين . . .

وطبقة العمال المستضعفين ، والفقراء العيّالين ، وهم يعرفون باسم طبقة: البروليتاريا .

وصار الاقوياء بالاموال والاولاد والثراء يضيعون حقوق الضعفاء ، ويستعبدونهم ويستثمرونهم بشتى الطرق ، ويمتصّون دمائهم كالعلقة . . .

وصارت الجبابرة يستضعفون من دونهم ويحكمون عليهم بما تهواه أنفسهم.

فبعث الله تعالى نوحاً عليه السلام إليهم بالكتاب والشريعة يدعوهم إلى التوحيد والعبادة لله وحده وإلى التقوى وصالح الاعمال، وإلى خلع الانداد ورفض الشركاء لله سبحانه، وإلى المساواة بينهم، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصلاة والعدل وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الامانة إلى صاحبها على طريقى التبشير والانذار، والوعد والوعيد.

ويدعوهم إلى الاصول والفروع ليلاً ونهاراً، إعلاناً وإسراراً، فلا يجيبونه إلاّ بالعناد والاستكبار، وكلما زاد فى دعائهم زادوا فى عتوهم وطغيانهم، فى كفرهم وضلالتهم، وفى إعراضهم وإفسادهم الحرث والنسل، ولم يؤمن به إلاّ قليل من الطبقة الفقيرة العاملة الاحرار لما رأوا فى الدعوة من عدالة ومواساة ورحمة تسوى بينهم وبين الاغنياء، وتنصفهم من ظالميهم ومستغليهم.

وأما طبقة الاشراف والاغنياء فتمردت على دعوة نوح عليه السلام وخاطبته بهذا الكلام وأمثاله: «ما نراك إلاّ بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادى الرأى» هود: ٢٧) «فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا إلاّ بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة» المؤمنون: ٣٤)

هذا القول يصف نسق تفكيرهم الذى إمتزج بالكبرياء والبطر كما يخاطبون الطبقة الفقيرة المؤمنة الحرة: «وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين» هود: ٢٧) «قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون» الشعراء: ١١١)

فكانوا يرون أنفسهم أفضل من هؤلاء الاحرار المؤمنة، فلا مجال لان يلتقوا معهم عند أى معتقد أو كفاح مشترك، ويظهر ان طبقة الاشراف والاغنياء قد وعدوا نوحاً عليه السلام بان تجتمع به و تتقبل دعوته إذا طرد هؤلاء العمال والفقراء من مجلسه ومعيته، ولكن نوحاً عليه السلام أبى ذلك وجابههم قائلاً:

«وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون

ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون » هود : ٢٩ - ٣٠)

ثم يتابع نوح عليه السلام تفنيد مزاعمهم : « ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين » هود : ٣١)

فالقرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً عمل على تحطيم هذا التفاوت الاجتماعي بما جاء فيه من آيات تحث على العدل بين الناس ، فقد أراد الله تعالى أن يبين في قصة نوح عليه السلام ان ليس للاغنياء والاشراف أي إمتياز على غيرهم فالمجتمع الانساني الذي يريده الله هو مجتمع العدل بين الناس في الحقوق و الواجبات ، و جعل التفاضل بينهم على أساس من العلم والتقوى وما يقدمه كل فرد من خير لمجتمعه .

قال الله تعالى : « أن أكرمكم عند الله اتقاكم » الحجرات : ١٣)

وقال : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » الزمر : ٩)

وقال : « أفمن كان مؤمناً كمن فاسقاً لا يستوون » السجدة : ١٨)

فالقرآن الكريم يرى انه لو أصغى رجال المال إلى صوت الحق لما كان هناك صراع بين الطبقات .

و كان هؤلاء الاشراف الفاسقون و اولئك الاغنياء الطاغون يصدون عامة الناس عن قبول الدعوة والرسالة الالهية ، ويحثونهم على عبادة الالهة كل ذلك ليستثمروهم ويستغلوهم ويستعبدوهم وإلا لم يكن لتلك الالهة شأن عندهم حقيقة وهذا دأب المستثمرين والمستحمرين في كل وقت ومكان .

قال الله تعالى : « ومكروا مكراً كباراً وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » نوح : ٢٢ - ٢٣)

﴿قوم نوح وآلهتهم﴾

قال الله تعالى : « وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً » نوح : ٢٣)

وقدكان لقوم نوح آلهة اخرى - كما اشير إليها فى صدر الاية - غير الاصنام الخمسة التى كانوا يعبدونها بماجاء أسمائها على لسان أشرافها فى هذه الاية ،فهى بعض آلهتهم ذوات الشأن والمقام لديهم، هذا إلى آلهة كثيرة لهم ولكنهم اختصوا هذه الالهة بالذكر ،وعينوها بالاسم لمالها من مكانة خاصة فى نفوسهم ، ولهم اهتمام تام بعبادتهن إما لكونها أكبر جثة أوأحسن صنعة وهيئة وإما لكونها أقدم أوغير ذلك . . ولذا خصّوها بالذكر مع الوصية بمطلق الآلهة وإضافتها إلى أنفسهم .

فى العلل : باسناده عن حريزابن عبدالله السجستانى عن جعفر بن محمد عليهما السلام فى قول الله عزوجل . « وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداًولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً » قال :كانوا يعبدون الله عزوجل فماتوا ، فضجّ قومهم و شق ذلك عليهم ، فجاء هم إبليس لعنه الله فقال لهم : اتخذلكم أُصناماً على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم و تعبدون الله فاعدلهم أصناماً على مثالهم ، فكانوا يعبدون الله عزوجل و ينظرون إلى تلك الاصنام ، فلما جاءهم الشتاء والامطار أدخلوا الاصنام البيوت ، فلم يزالوا يعبدون الله عزوجل حتى هلك ذلك القرن و نشأ أولادهم ، فقالوا :ان آبائنا كانوا يعبدون هؤلاء فعبدوهم من دون الله عزوجل، فذلك قول الله تبارك وتعالى : « ولاتذرن وداً ولاسواعاً » الاية .

وفي تفسير القمي : قال :كان قوم مؤمنون قبل نوح عليه السلام فماتوا فحزن عليهم الناس ، فجاء إبليس فاتخذ لهم صورهم ليأنسوا بها ، فانسوا فلما جاءهم الشتاء ادخلوهم البيوت ، فمضى ذلك القرن وجاءهم القرن الاخر ، فجاءهم إبليس فقال لهم :ان هؤلاء الآلهة كانوا آباءكم يعبدونهم فعبدوهم، وضلّ منهم بشر كثير فدعاهم نوح عليه السلام حتى أهلكهم الله .

وقيل : ان وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً أسماء قوم كانوا صالحين من بني آدم من بين آدم عليه السلام ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم كانوا يقتدون بهم لوصوّرناهم كان لنا أشوق إلى العبادة إذا ذكرناهم : فصوّرهم ، فلما ماتوا ، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال : انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم .

وعن محمد بن كعب : ان إبليس قال لهم : لوصوّرتم صورهم كان أنشط لكم و أشوق إلى العبادة ففعلوا فنشأ بعدهم قوم ، فقال لهم ابليس : ان الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فمبدأ عبادة الاوثان كان من ذلك الوقت .

وعن إبن عباس : هذه أسماء أصنام قوم نوح كانت تعبد في زمانه .

وفي روضة الكافي: باسناده عن المفضل بن عمر قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بالكوفة - إلى أن قال - : فقام أبو عبدالله عليه السلام - عند زوال الشمس - فصلّى الظهر والعصر، ثم انصرف من المسجد فالتفت عن يساره و أشار بيده إلى موضع دار الدّاريّين وهو موضع دار ابن حكيم وذاك فرات اليوم ، فقال لي : يا مفضل وههنا نصب أصنام قوم نوح عليه السلام : « يغوث ويعوق و نسراً » ثم مضى حتى ركب دابته . الحديث .

قوله عليه السلام : « الداريين » باليائين أي العطارين .

وفي الكافي : باسناده عن اسمعيل بن زيد مولى عبدالله بن يحيى الكاهلي عن أبي عبدالله عليه السلام قال :قال أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث -: كان فيه - في مسجد

الكوفة - نسر ويغوث ويعوق . الحديث .

وعلى أي تقدير كانت أسماء معبودات قوم نوح المذكورة في هذه السورة عربية في صيغها ومعانيها ، وإن كانت تدل على أنها أقدم طوراً من العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم حيث تبدو الصلة ملموحة بين يغوث والغوث والغيث والاغاثة : ويعوق والاعاقة والتعويق، وسواع والسعة ، وودّ والمودة ، و نسر الذى هو إسم الطير الجارح المشهور .

قيل : وقد وورث مشركو العرب هذه الآلهة ، فبعثوها من مرقدها بعد ان غرقت فيما غرق بالطوفان ، وجعلوها آلهة يعبدونها من دون الله كما كان يعبدها قوم نوح . . ولهذا كان من الاسماء المعروفة عند مشركي الجاهلية التي يسمّون بها أبناءهم :عبد يغوث وعبد ودّ ، فما أشبه هؤلاء المشركين بقوم نوح ، وما أجدرهم بأن يلقوا المصير الذى صار إليه القوم ، ومع هذا فانهم وان لم يغرقوا بالطوفان فقد غرقوا فعلاً من طوفان ضلالهم و كفرهم وطغيانهم بآيات الله تعالى .

وقد ورد : انه كان لبعض قبائل العرب في عصر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أصنام بهذه الاسماء ، وكانت قبيلة هذيل تسمى صنمها سواعاً وكان موضعه في رهاط من أرض ينبع ، وورد : ان سواعاً إسم صنم لهمدان ، و ورد : انه إسم صنم لآل ذى الكلاع ، ولعل كل هذا كان ، وكان على صورة إمراة . وورد : انه كان لمذحج و أهل جرش في اليمن صنم إسمه يغوث ، وان من عبدته بني غطيف من مراد، وانه ابن سواع و كان على صورة أسد . وورد :انه كان لهمدان وخولان ومن والاهما صنم في أرحب إسمه يعوق ، و ورد : ان قبيلة خيوان كانت تعبده وانه من أصنام آل ذى الكلاع وانه على شكل فرس .

و ورد : ان حمير كانت تعبد صنماً إسمه نسر، و ورد : انه صنم آل ذى الكلاع من حمير، وهو على شكل طير، و ورد : انه كان لقبائل بني كلب صنم إسمه ود، و كان على صورة رجل .

فكانت العرب في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قبله بقليل كانوا يتداولون بينهم ان

هذه الاسماء هي أسماء معبودات قوم نوح ثم اقتبسوها و ربما عربوها و سموابها أصنامهم .

في الكافي : باسناده عن عبدالرحمن بن الاشل بياع الانماط عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كانت قريش تلطخ الاصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر ، وكان يغوث قبال الباب ، وكان يعوق عن يمين الكعبة ، وكان نسرعن يسارها ، و كانوا اذا دخلوا خرّوا سجداً ليغوث ، ولاينحنون ثم يستدبرون بحيالهم إلى يعوق ثم يستدبرون عن يسارها بحيالهم إلى نسر ، ثم يلبون . الحديث .

وفي الدر المنثور : أخرج البخاري وابن المنذر و ابن مردويه عن إبن عباس قال : صارت الاصنام والاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد .

أما ودّ فكانت لكلب في دومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل و أما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع .

و كانوا أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً و سمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذ هلك اولئك ونسخ العلم عبدت .

قيل : لعل المراد بصيرورة تلك الاصنام التي كانت لقوم نوح إلى العرب مطابقة ما عند العرب لما كان عندهم في الاسماء أوفي الاوصاف والاسماء ، و أما إنتقال تلك الاصنام بأشخاصهن إلى العرب فبعيد غايته .

وفي تفسير الجلالين: ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كنيسة رأينها بالحبشة تسمى مارية فيها تصاوير ، فقال: ان اولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات ، بنوا على قبره مسجداً وصوروافيه تلك الصوراولئك شرار الخلق عندالله يوم القيامة .

وفي تفسير القمي : قال : كان ودّ صنماً لكلب ، وسواع صنماً لهذيل ، و كان يغوث لمراد ، و كان يعوق لهمدان ، و كان نسر لحصين .

﴿ معجزات نوح عليه السلام في نبوته ﴾

في العلل : باسناده عن أبي بصير « قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : لأي علة اعطى الله عزوجل أنبيائه و رسله ، و أعطاكم المعجزة ؟ فقال : ليكون دليلاً على صدق من أتى به ، والمعجزة علامة لله لايعطيها الا أنبياءه و رسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب » .

أقول : ان التدبر فيما جاء من نبوات الانبياء و رسالاتهم في القرآن الكريم ، و في الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين يلهمنا بصلة وثيقة بين النبي والمعجزة التي يحملها بين يديه إلى الناس، صلة لاتنفصل أبداً في نظر الناظرين إلى المعجزة، وفي تصورهم لها ومشاعرهم نحوها.

قال الله تعالى: « لقد أرسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » الحديد: ٢٥) على أن البينات هي المعجزات الباهرات والدلائل الواضحة والحجج البالغة لابد لكل نبي أن يثبت بها نبوته الصادقة .

و كيف يكون الامر على غير هذا فيما بين النبي ومعجزته ؟ والناس انما يرون النبي والمعجزة كياناً واحداً ، بل انهم ليرون المعجزة في ظل النبي ، ويشهدونها على مسرح أفعاله وأقواله .. فلا تكون المعجزة الا مع نبي أو ولي ولاتتخلق أو تظهر في الحياة إلا على يديه و في صحبته !

هكذا شهدت الحياة معجزات الانبياء والمرسلين . . . نوح وابراهيم وهود و صالح و لوط و موسى و داود و سليمان و ايوب و يعقوب و يوسف و عيسى ،

ومحمد وغيرهم من أنبياء الله و رسله صلوات الله عليهم أجمعين حيث يقوم كل نبي وولي على معجزته، يجلّي عنها، ويتحدّى بها ثم يجمع الحصاد الذي يجيىء منها..

و ان معجزة كل نبي تأتي من النوع الساعد في عصره ليكون التحدي أبلغ في الحجة ، و قاطعاً لكل عذر ، فموسى أبطل السحر لرواجه في عصره ، و عيسى أحيى الموتى ، و محمد صلى الله عليه وآله وسلم أخرس البلغاء للغاية نفسها من المشابهة.

في العلل : باسناده عن أبي يعقوب البغدادي قال : قال إبن السكيت لابي الحسن الرضا عليه السلام : لما ذا بعث الله عزوجل موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء و آلة السحر ، و بعث عيسى بالطب ، و بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالكلام والخطب ؟ فقال : أبو الحسن عليه السلام : ان الله تبارك و تعالى لما بعث موسى عليه السلام كان الاغلب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله عزوجل بما لم يكن في وسع القوم مثله ، و بما أبطل به سحرهم ، و أثبت به الحجة عليهم ، و ان الله تبارك و تعالى بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات و احتاج الناس إلى الطب ، فأتاهم من عند الله عزوجل بما لم يكن عندهم مثله ، و بما أحيى لهم الموتى و أبرء لهم الاكمه والأبرص باذن الله عزوجل و أثبت به الحجة عليهم، وان الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في وقت كان الاغلب على أهل عصره الخطب والكلام ـ واظنه قال : والشعر ـ فأتاهم من كتاب الله عزوجل ومواعظه و أحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم فقال إبن السكيت :

تالله ما رأيت مثلك اليوم قطّ ، فما الحجة على الخلق اليوم ؟ فقال عليه السلام : العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه، فقال إبن السكيت: هذا هو والله الجواب .

واما معجزة نوح عليه السلام :

ففي المجمع : ان نوحاً كان أطول الانبياء عمراً ، و كانت معجزته في نفسه لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً لم يسقط له سنّ ، و لم تنقص قوته ، و لم

يشب شعره ، و لم يبالغ مثله أحد فى الدعوة ، و هو أول من عذّبت امته بسبب ردّتهم دعوته .

اقول : و لعل أعمار قوم نوح عليه السلام كانت قصيرة فكان طول عمره معجزة لهم كما يظهر من قوله تعالى : « و إلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ـ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح و زادكم فى الخلق بصطة » الاعراف : ٦٥ ـ ٦٩) .

اقول : و من معجزاته عليه السلام سفينته التى صنعها هو بيده ، و أعدّها ليوم الطوفان المنتظر ، و لو لم يجىء هذا اليوم لما كان لسفينة نوح عليه السلام حديث فى الناس و لا أثر فى الحياة .

قال الله تعالى : « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا و وحينا ـ ان فى ذلك لايات و إن كنا لمبتلين » المؤمنون : ٢٧ ـ ٣٠) .

و قال : « وقوم نوح لما كذّبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية » الفرقان : ٣٧) .

وقال : « فأنجيناه و من معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعدالباقين ان فى ذلك لاية وما كان أكثرهم مؤمنين » الشعراء : ١١٩ ـ ١٢١) .

وقال: «فانجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين» العنكبوت:١٥).

فحين جاءت ساعة العسرة كانت السفينة أشبه بعصا موسى عليه السلام حين ضرب بها البحر ، فأقام له و لقومه طريقاً يبساً فيه !

ان السفينة من صنع يد النبى نوح عليه السلام رآها الناس تبنى بيد نوح و من معه . . لم تكن شيئاً نزل من السماء ، أوخرج على مألوف الحياة فى قليل أو كثير.

و كان طوفان نوح مفاجئاً ، كما كانت ريح عاد مفاجئة أيضاً و من غير مراء ان للمعجزة أثراً فى سير الحياة الانسانية، وفى تقدم خطا الانسان نحو النضج العقلى و بلوغ الرشد ، فكلما تقدّم الزمن بالانسان زادت معارفه ، و ارتقت

مفاهيمه . . ومن معجزات الرسل نرى الشواهد التى تشهد للعقل الانسانى والمنزلة التى بلغها من الادراك، والفهم فى سيره مع الزمن، وتقدمه إلى الأمام خطوة خطوة .

فهذا نوح عليه السلام يتحدث إلى قومه بهذه المواد التى يصنع منها سفينته . . و ينذرهم بعذاب الله تعالى إن لم يستجيبوا له ، فلا يجد منهم أذناً صاغية ولا قلباً واعية . . ثم لكى يريهم ان الامر جدّ لا هزل يأخذ فى الاعداد لصنع سفينة كما أمره الله تعالى بذلك، ويظل هكذا زمناً طويلاً يقيم بناء السفينة ويسوّى أجزاءها . . و يمرّ به قومه هازئين ساخرين .

قال الله تعالى : « و يصنع الفلك و كلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منافانا نسخر منكم كما تسخرون ـ قيل يا نوح اهبط بسلام منا و بركات عليك و على امم ممن معك » هود : ٣٨ ـ ٤٨) .

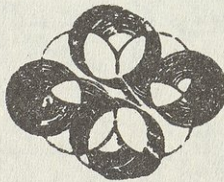
فهم يسخرون من نوح عليه السلام إذ يشغل نفسه ويكدّها بالعمل فى صنع السفينة التى يقول عنها انها ستكون مركب النجاة له ولمن يدخل معه فى الايمان بالله تعالى و ان الذين يتخلفون عن إجابة دعوته سيهلكهم الله ويهلك حرثهم ونسلهم بطوفان عظيم ، يأتى على كل شىء ! فلا يزيدهم ذلك إلاّ عناداً وضلالاً وسخرية به ، انه عقل ما زال فى دور الطفولة هذا العقل الذى تمثّل له العبر والعظات فى هذه الصور المادية التى تصدم حواسه ، غادية رائحة ثم لا ينتفع بها ، ولا يمرّ بها الاّ عابثاً لاهياً « و كأىّ من آية يمرون عليها وهم عنها معرضون لاهية قلوبهم » .

وان معجزة نوح عليه السلام : السفينة التى صنعها نوح عليه السلام لم تكشف عن وجهها ، ولم تبن عن آثارها الاّ حين تطلع طلعتها المباغتة ، لتأتى على القوم الظالمين . . . انها تجارب فى حقل الانسانية غايتها تنقية المجتمع الانسانى من هذه البثور الخبيثة التى تنجم بين حين وحين ، و فى أماكن متفرقة فى جسد هذا المجتمع الكبير . . ولهذا كان من تدبير الحكيم الخبير أن يقتلع هذه البثور إقتلاعاً ، و أن يجتثها من اصولها ، بعد أن يبعث اليها بالدواء الذى ينجع فى علاجها فلا تتقبله ، ولا

تستجيب له، فلم يكن بعد هذا إلاّ جسم الداء ببتره واقتلاعه من جذوره، ليكون في ذلك وقاية للجسد كله، من أن يستشرى فيه الداء و يفتك به . .

و من أجل هذا كانت دعوات الرسل ـ و هم اساة الانسانية و اطباؤها ـ متناثرة في أجزاء متفرقة من الجسد الانساني، و في أزمان مختلفة من الحياة الانسانية، حيث تظهر هذه البثور الخبيثة . . و من أجل ذلك أيضاً كانت معجزات الرسل في تلك المرحلة المبكرة من حياة الانسانية تحمل الابادة الجماعية التي تأتي على القوم المنذرين الذين هم تلك البثرة الخبيثة التي ظهرت في الجسد البشري، والتي هي ليست شيئاً في هذا الجسد الكبير، و في القضاء عليها صلاح هذا الجسد و سلامته.

فسفينة نوح عليه السلام معجزة سلبية لايتعامل معها الناس كمعجزات إلاّ في اللحظة الاخيرة من حياتهم، حين توردهم موارد الهلاك، فلا ينتفعون بها، ولا يتلقّون عنها العبرة والعظة . . فان الانسان في هذا الدور من حياته لم يجاوز الطفولة بعد، وهيهات أن ينتفع بمواقع العظات والعبر . . ولكنها معجزة للعالمين في طوال الاعصار . . .



﴿القرآن الكريم وقصة سفينة نوح عليه السلام﴾

بعد أن بذل نوح عليه السلام غاية جهده فى سبيل هداية قومه ، وضاق فى وجهه كل السبل لاصلاحهم ، وبلغ درجة اليأس من ايمانهم بعد خمسين وتسعمأة سنة بالوحى : « واوحى إلى نوح انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن »هود:٣٦)

لجأ عندئذ إلى ربه يشكو قومه ،ويدعو عليهم بالهلاك، ويدعو لنفسه ولمن آمن به بالنجاة إذ قال : «رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحاً ونجنى ومن معى من المؤمنين » الشعراء : ١١٧ ـ ١١٨)

وقال : « رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً » نوح : ٢٦)

فاستجاب الله تعالى لدعائه ، وأراد سبحانه أن يهيّىء له ولمن معه أسباب النجاة قبل أن يهلك قومه الكفرة الفجرة ، فأمره أن يصنع سفينة النجاة فقال له : « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » هود : ٣٧)

فأخذ نوح بصنع السفينة ، فصار قومه اذا مرّوا به سخروا منه ، ولعل ذلك لتحوله عليه السلام من داع إلى الله تعالى إلى نجار ، ولوعيده إياهم بالاغراق ونجاته و من آمن به بما يصنعه ، إستبعاداً منهم لوقوعه أو لانه كان يصنع السفينة العظيمة فى فلاة من الارض ولم يكن فى أرجائها ماء وكان نوح عليه السلام أيضاً يسخر منهم لغفلتهم عن الحق ، وبلادتهم عن أخذ الحيطة لانفسهم باتباعه باحسان وتنجية أنفسهم، وصار يتهددهم بذلك العذاب .

قال الله تعالى : « ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأمن قومه سخروا منه قال ان تسخروا منافانا نسخرمنكم كماتسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم » هود : ٣٨-٣٩)

فلما أتم نوح عليه السلام صنع سفينة النجاة ، و جاء الموعد و ظهرت الأمارة التى بينه عليه السلام وبين ربه على ابتداء أمر الطوفان وهوتفجّرالماء من الارض ، و نزول المطرمن السماء لم تعهده الارض من قبل ، فاجتمع المائين أمره الله تعالى أن يجمع من كل صنف من الاحياءوالحيوانات زوجين : ذكراً وانثى ليحملهما معه فى السفينة لأجل أن تبقى بعد غرق سائرالاحياء ،فتتناسل ويبقى نوعهاعلى الارض ، وأمره أن يحمل معه فى السفينة كل من آمن به من أهله ومن قومه،وهم قليلون ـ على ما اختلف فى عددهم من ستة إلى ثمانين نفراً ـ أقل من مأة إجماعاً ، أمرهم نوح عليه السلام بركوبها متيمنين بذكرإسم الله تعالى وابتغاء الوسيلة إليه جل وعلا حين سيرها ووقوفها لان السفينة ليست سبباً لحصول النجاة بل يجب عليهم أن تتجه قلوبهم إلى الله جل وعلا فانه هو المجرى والمرسى للسفينة .

قال الله تعالى: « حتى إذاجاء أمرناوفارالتنورقلنااحمل فيها من كل زوجين إثنين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الاّ قليل»هود:٤٠)

وقال : « ففتحنا أبواب السماء بماءمنهمروفجّرنا الارض عيوناً فالتقى الماء على أمرقدقدر » القمر : ١١ ـ ١٢)

وقال : « وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفوررحيم» هود : ٤١)

ولماجرت السفينة ثارت الشفقة فى قلب نوح عليه السلام على إبنه ودفعته عاطفة الابوة تذكرابنه فناداه ليركب سفينة النجاة مع سائرأهله ، وقدكان بعيداًعنها بسبب إصراره على الكفروالطغيان فقال له : يابنى اركب معنالتنجو من الغرق العتيد : ولاتكن مع الكفرة الفجرة ، ولكن الولد لم يستجب لنداء أبيه،وأصرّ

على كفره وعصيانه وظن ان ما يجرى عوارض طبيعية عادية ، و كان يأمل أن ينجو بدون ركوب السفينة ، فقال لأبيه :سألجاء إلى جبل لايصل إليه الماء فانجو من الغرق ، فردّ عليه أبوه : ليس هناك أية قوة تحول بين أحد وبين الغرق الذى قدّره الله جزاء للكافرين وأبى الابن أن يستجيب لنداء أبيه ، وظن ان محاولته لبلوغ قمة الجبل تنجيه من الغرق ، ولكن قوة المياه و هياج الامواج جرفت الابن الضال الكافر :

« وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى إركب معنا ولاتكن مع الكافرين قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » هود: ٤٢ ـ ٤٤)

ولما أبى إبن نوح عليه السلام أن يلبى نداء والده المشفق لانه لايثق بصدق والده من أن كل من كان خارجاً عن السفينة فهو هالك ثارت الشفقة فى قلب نوح عليه السلام على إبنه ، فسئل ربه متضرعاً أن ينجى ابنه لان الله تعالى وعده بنجاة أهله وابنه من أهله ، فردّ الله تعالى عليه عليه السلام بانه وعد بنجاة من آمن به و ابنه ليس بمؤمن فليس من أهله ، فاعتذر نوح عليه السلام حينئذ عن ذلك فكان إبنه من المغرقين :

« ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت خير الحاكمين قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلاتسئلن ماليس لك به علم انى اعظك أن تكون من الجاهلين قال رب انى أعوذبك أن اسئلك ماليس لى به علم وإلاّ تغفرلى وترحمنى أكن من الخاسرين » هود : ٤٥ ـ ٤٧)

لماهلك كفرة قوم نوح عليه السلام بالطوفان أمر الله تعالى الارض بابلاع مائها، والسماء باقلاع مائها و كفّ مطرها ،فانحسر الماء عن الارض بعدأن قضى الله تعالى بهلاك الظالمين واستقرت السفينة عند الجبل المسمى بالجودى ، فعندئذ نودى على الكفار الهالكين بلسان القدرة الالهية : بعداً لهؤلاء الظالمين عن رحمة الله

جل وعلا ومغفرته ، فنزل نوح عليه السلام ومن معه بسلام من الله تعالى محفوفين ببركات من الله جل وعلاهم وذرياتهم إلى أن يمسّ من كفر منهم عذاب أليم .

قال الله تعالى : « وقيل ياأرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين ـ قيل يانوح اهبط بسلام منا و بركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم مناعذاب أليم » هود: (٤٤ ـ ٤٨)



﴿ بحث روائي في سفينة نوح عليه السلام ﴾

في روضة الكافي : باسناده عن المفضل بن عمر قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بالكوفة أيام قدم على أبي العباس فلما انتهينا إلى الكناسة قال : ههنا صلب عمّي زيد رحمه الله ثم مضى انتهى إلى طاق الزياتين وهو آخر السراجين فنزل و قال : أنزل فان هذا الموضع كان مسجد الكوفة الذي خطّه آدم عليه السلام و أنا اكره أن أدخله راكباً قال : قلت : فمن غيّره عن خطّته ؟ قال : أما أول ذلك الطوفان في زمن نوح عليه السلام ثم غيّره أصحاب كسرى و نعمان ثم غيّره بعد زياد بن أبي سفيان ، فقلت : وكانت الكوفة ومسجدها في زمن نوح عليه السلام فقال لي :

نعم يا مفضل وكان منزل نوح وقومه في قرية على منزل من الفرات مما يلي غربي الكوفة قال : وكان نوح عليه السلام رجلاً نجاراً فجعله الله عزوجل نبياً و انتجبه ونوح عليه السلام أوّل من عمل سفينة تجري على ظهر الماء ، قال : ولبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عزوجل فيهزؤن به و يسخرون منه ، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال : « رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلاّ فاجراً كفاراً » فأوحى الله عزوجل إلى نوح أن اصنع سفينة وأوسعها وعجّل عملها فعمل نوح سفينة في مسجد الكوفة بيده فأتى بالخشب من بعد حتى فرغ منها .

قال المفضل ثم انقطع حديث أبي عبدالله عليه السلام عند زوال الشمس ، فقام أبو عبدالله عليه السلام فصلّى الظهر والعصر ثم انصرف من المسجد فالتفت عن يساره و أشار

بيده إلى موضع دار الداريّين وهو موضع دار ابن حكيم وذاك فرات اليوم فقال لى : يامفضل وههنا نصبت أصنام قوم نوح عليه السلام : « يغوث ويعوق ونسراً » ثم مضى حتى ركب دابته ، فقلت : جعلت فداك فى كم عمل نوح سفينة حتى فرغ منها ؟ قال : فى دورين قلت : وكم الدورين ؟ قال : ثمانين سنة ، قلت : و ان العامة يقولون : عملها فى خمسمأة عام ، فقال : كلا كيف والله يقول : « ووحينا » ؟

قال : قلت فأخبرنى عن قول الله عزوجل : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور » فأين كان موضعه ؟ وكيف كان ؟ فقال : كان التنور فى بيت عجوز مؤمنة فى دبر قبلة ميمنة المسجد ، فقلت له : فان ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم ، ثم قلت له : وكان بدء خروج الماء من ذلك التنور ؟ فقال : نعم ان الله عزوجل أحب أن يرى قوم نوح آية ، ثم ان الله تبارك وتعالى أرسل عليهم المطر يفيض فيضاً وفاض الفرات فيضاً والعيون كلهن فيضاً فغرقهم الله عز ذكره وأنجى نوحاً ومن معه فى السفينة .

فقلت له : كم لبث نوح فى السفينة حتى نضب الماء و خرجوا منها؟ فقال : لبثوا فيها سبعة أيام ولياليها وطافت بالبيت اسبوعاً ثم استوت على الجودى وهو فرات الكوفة ، فقلت له : ان مسجد الكوفة قديم ، فقال : نعم وهو مصلّى الانبياء عليهم السلام و لقد صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اسرى به إلى السماء فقال له جبرئيل عليه السلام : يا محمد هذا مسجد أبيك آدم عليه السلام ومصلّى الانبياء عليهم السلام فأنزل فصل فيه، فنزل فصلى فيه ثم ان جبرئيل عليه السلام عرج به إلى السماء .

قوله عليه السلام : « أبى العباس» يعنى السفاح أول خلفاء بنى العباس ، و«الكناسة» محلة مشهورة بالكوفة ، و « نعمان » : هو النعمان بن المنذر أحد ملوك العرب ، و « الداريّين » أى العطارين ،و « نضب الماء » : غار فى الارض و «فرات الكوفة» أى قريب الكوفة .

و فى تفسير القمى : باسناده عن إبن أبى عمير عن ابن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام قال : بقى نوح فى قومه ثلاث مأة سنة يدعوهم إلى الله فلم يجيبوه فهم أن

يدعو عليهم فوافاه عند طلوع الشمس اثنى عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدينا ، وهم العظماء من الملائكة ، فقال لهم نوح : ماأنتم ؟ فقالوا : نحن اثنى عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدنيا، وان مسيرة غلظ سماء الدنيا خمسمأة عام ومن سماءِ الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمأة عام وخرجنا عند طلوع الشمس، ووافيناك فى هذا الوقت فنسئلك ان لاتدعو على قومك فقال نوح : قد احتملتهم ثلاثمأة سنة ، فلما أتى عليهم ست مأة سنة و لم يؤمنوا هم أن يدعو عليهم فوافاه اثنى عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية ، فقال نوح : من أنتم ؟ قالوا نحن اثنى عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية ، وغلظ السماء الثانية ، مسيرة خمسمأة عام ، ومن السماءِ الثانية إلى سماءِ الدنيا مسيرة خمسمأة عام ، و غلظ سماء الدنيا مسيرة خمسمأة عام، ومن سماءِ الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمأة عام خرجنا عند طلوع الشمس ووافيناك ضحوة نسئلك أن لاتدعو على قومك فقال نوح :

قد احتملتهم ثلاثمأة سنة فلما أتى عليه تسعمأة سنة ولم يؤمنوا فهم أن يدعو عليهم ، فأنزل الله عزوجل : « لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلاتبتئس بما كانوا يعملون » فقال نوح : « رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجراً كفاراً» فأمره الله عزوجل أن يغرس النخل، فأقبل يغرس النخل فكان قومه يمرون به ويسخرون منه ، ويستهزؤن به ويقولون شيخ قد أتى له تسعمأة سنة يغرس النخل ، فكانوا يرمونه بالحجارة ، فلما أتى لذلك خمسون سنة بلغ النخل واستحكم أمر بقطعه ، فسخروا منه و قالوا بلغ النخل مبلغه وهو قوله تعالى :

«وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وقال ان تسخروا منافانا نسخر منكم كما تسخرون » منا « فسوف تعلمون » فأمره الله عزوجل أن يتخذ السفينة و امر جبرئيل أن ينزل عليه و يعلمه كيف يتخذها ، فقدر طولها فى الارض

ألف ومأتى ذراع وعرضها ثمان مأة ذراع وطولها في السماء ثمانون ذراعاً، فقال: يارب من يعينني على اتخاذها ، فأوحى الله تعالى إليه ناد في قومك من أعانني عليها ونجر منها شيئاً صار ما ينجره ذهباً وفضة فنادى نوح فيهم بذلك فأعانوه عليه وكانوا يسخرون منه ويقولون يتخذ سفينة في البر .

وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لما أراد الله عزوجل هلاك قوم نوح عقم أرحام النساء أربعين سنة فلم يلد فيهم مولود ، فلما فرغ نوح من إتخاذ السفينة أمره الله أن ينادي بالسريانية لا يبقى بهيمة و لا حيوان إلاّ حضر ، فادخل من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين من السفينة ، و كان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثلاثون رجلاً فقال الله عزوجل : « احمل فيها من كل زوجين اثنين و أهلك إلاّ من سبق عليه القول ومن آمن و ما آمن معه إلاّ قليل » .

وكان نجر السفينة في مسجد الكوفة فلما كان في اليوم الذي أراد الله تعالى هلاكهم كانت إمرأة نوح تخبز في الموضع الذي يعرّف بفار التنور في مسجد الكوفة و كان نوح اتخذ لكل ضرب من أجناس الحيوان موضعاً في السفينة و جمع لهم فيها ما يحتاجون من الغذاء فصاحت امرأته لما فار التنور فجاء نوح إلى التنور فوضع عليها طيناً و ختمه حتى ادخل جميع الحيوان في السفينة ثم جاء إلى التنور ففص الخاتم ، و رفع الطين و انكسفت الشمس و جاء من السماء ماء منهمر صبّ بلاقطر ، و تفجّرت الارض عيوناً ، وهو قوله عزوجل : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر و فجرنا الارض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر و حملنا على ذات ألواح و دسر » .

فقال الله تعالى: «اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرسيها» مجراها : مسيرها و مرسيها : موقفها ، فدارت السفينة ، و نظر نوح إلى إبنه يقع و يقوم ، فقال : « يا بني اركب معنا و لا تكن مع الكافرين - إلى - فكان من المغرقين » .

وفيه : قال أبوعبدالله عليه السلام : فدارت السفينة وضربتها الامواج حتى وافت مكة وطافت بالبيت وغرق جميع الدنيا إلا موضع البيت ، وانما سمى البيت العتيق لانه أعتق من الغرق فبقى الماء ينصب من السماء أربعين صباحاً ومن الارض العيون حتى ارتفعت السفينة فمسحت السماء قال: فرفع نوح يده فقال يارهمان وتفسيرها رب أحسن (احبس خ) فأمرالله تعالى الارض أن تبلع مائها و هو قوله تعالى : « و قيل يا أرض ابلعى ماءك و يا سماء اقلعى » أى امسكى « وغيض الماء وقضى الامر و استوت على الجودى » فبلعت الارض مائها فأراد ماء السماء أن يدخل فى الارض فامتنعت الارض من قبولها وقالت : إنما أمرنى الله عزوجل : ان ابلع مائى فبقى ماء السماء على وجه الارض و استولت السفينة على جبل الجودى و هو بالموصل جبل عظيم ، فبعث الله تعالى جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدنيا وأنزل على نوح : « يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك و على امم ممن معك و امم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .

فنزل نوح بالموصل من السفينة مع الثمانين وبنوا مدينة الثمانين ، وكان لنوح بنت ركبت معه السفينة فتناسل الناس منها و ذاك قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : نوح أحد الابوين ثم قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت و لا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » .

و فى الكشاف : روى ان نوحاً عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين .

وفيه : عن قتادة : استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت فى الماء خمسين و مأة يوم ، و استقرت بهم على الجودى شهراً ، و هبط بهم يوم عاشوراء .

وفيه : روى انها مرت بالبيت فطافت به سبعاً و قد اعتقه الله من الغرق .

و فى تفسير العياشى : عن عيسى بن عبدالله العلوى عن أبيه قال : كانت السفينة طولها أربعين فى أربعين سمكها ، وكانت مطبقة بطبق ، وكان معه خرزتان تضىء إحداهما بالنهار ضوء الشمس وتضيىء إحداهما بالليل ضوء الشمس ، وكانوا

يعرفون وقت الصلاة ، و كان عظام آدم معه فى السفينة ، فلما خرج من السفينة صير قبره تحت المنارة التى بمسجد منى .

و فى روضة الكافى : باسناده عن أبى رزين الأسدى عن أمير المؤمنين عليه‌السلام انه قال : ان نوحاً عليه‌السلام لما فرغ من السفينة و كان ميعاده فيما بينه و بين ربه فى إهلاك قومه أن يفور التنّور ، ففار فقالت إمرأته : ان التنور قد فار فقام إليه فختمه فقام الماء ، و أدخل من أراد أن يدخل و أخرج من أراد أن يخرج ثم جاء إلى خاتمه فنزعه ، يقول الله عزوجل : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر و فجّرنا الارض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر و حملناه على ذات ألواح ودسر » قال : وكان نجرها فى وسط مسجد كم ولقد نقص عن ذرعه سبعمأة ذراع .

قوله : « فقام الماء » : جمد ، و « لقد نقص عن ذرعه » لعل المراد رفع الاستبعاد عن عمل السفينة فى المسجد مع ما اشتهر من عظمها أى نقصوا المسجد عما كان عليه فى زمن نوح سبعمأة ذراع ، و يدل على أصل النقص أخبار اخر . و يحتمل أن يكون قبل بناء المسجد .

وفيه : باسناده عن اسمعيل الجعفى عن أبى جعفر عليه‌السلام قال: ان نوحاً عليه‌السلام لما غرس النوى مرّ عليه قومه ، فجعلوا يضحكون ويسخرون و يقولون قد قعد غرّاساً حتى إذا طال النخل و كان جباراً طوالاً قطعه ثم نحته ، فقالوا : قد قعد نجاراً ثم ألّفه فجعله سفينة، فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد ملاّحاً فى فلاة من الارض حتى فرغ منها .

وفيه : باسناده عن الحسن بن صالح الثورى عن أبى عبدالله عليه‌السلام قال: كان طول سفينة نوح عليه‌السلام ألف ذراع و مأتى ذراع ، وعرضها ثمانمأة ذراع وطولها فى السماء ثمانين ذراعاً وسعت بين الصفا والمروة و طافت بالبيت سبعة أشواط ثم استوت على الجودى .

وفيه : باسناده عن عبدالحميد بن أبى الديلم عن أبى عبدالله عليه‌السلام قال: حمل

نوح عليه السلام فى السفينة الازواج الثمانية التى قال الله عزوجل : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز إثنين ومن الابل إثنين و من البقر إثنين » فكان من الضأن إثنين زوج داجنة يربيّها الناس والزوج الاخر الضأن التى تكون فى الجبال الوحشية أحل لهم صيدها ، و من المعز إثنين زوج داجنة يربيّها الناس والزوج الاخر الظبى التى تكون فى المفاوز ، ومن الابل اثنين النجاتى والعراب ، و من البقر اثنين زوج داجنة للناس والزوج الاخر البقر الوحشية ، وكل طير طيّب وحشى وانسى ثم غرقت الارض .

وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ارتفع الماء على كل جبل و على كل سهل خمسة عشر ذراعاً .

و فى التفسير العياشى : عن المفضل قال : قلت لابى عبدالله عليه السلام : أرأيت قول الله : « حتى إذا جاء امرنا وفار التنور » ما هذا التنور ؟ و أين كان موضعه؟ و كيف كان ؟ فقال : كان التنور حيث وصفت لك ، فقلت : فكان بدو خروج الماء من ذلك التنور ؟ فقال : نعم إن الله أحب أن يرى قوم نوح الاية ثم ان الله بعده أرسل عليهم مطراً يفيض فيضاً و فاض الفرات فيضاً أيضاً ، والعيون كلهن عليها ، فغرقهم الله و أنجى نوحاً و من معه فى السفينة ، فقلت له : فكم لبث نوح و من معه فى السفينة حتى نضب الماء و خرجوا منها ، فقال : لبثوا فيها سبعة أيام و لياليها ، و طافت بالبيت ثم استوت على الجودى و هو فرات الكوفة ـ أى قرب الكوفة ـ فقلت له : ان مسجد الكوفة لقديم ؟ فقال :

نعم و هو مصلى الانبياء و لقد صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث انطلق به جبرئيل على البراق فلما انتهى به إلى دار السلام ، و هو ظهر الكوفة و هو يريد بيت المقدس قال له : يا محمد هذا مسجد أبيك آدم ومصلّى الانبياء فأنزل فصلّى فيه منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلّى ثم انطلق به إلى بيت المقدس ، فصلّى ثم ان جبرئيل عرج به إلى السماء .

و فيه عن علي عليه السلام في قوله تعالى : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور» فقال : أما والله ماهو تنور الخبز ثم أو مأ بيده إلى الشمس فقال طلوعها .

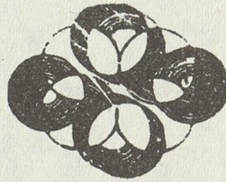
وفيه : عن أبي عبدالله عليه السلام ان نوحاً حمل الكلب في السفينة ولم يحمل ولد الزنا .

وفيه : عن عبيدالله الحلبي عنه قال : ينبغي لولد الزنا أن لاتجوزله شهادة ولايؤم بالناس لم يحمله نوح في السفينة ، وقد حمل فيها الكلب و الخنزير .

وفيه : عن حمران أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «وما آمن معه إلاقليل » قال : كانوا ثمانية .

وفي تفسير القرطبي : عن إبن عباس : جعل السفينة ثلاث بطون: البطن الاسفل للوحوش والسباع والدواب ، والاوسط للطعام والشراب ، وركب هوفي البطن الاعلى ، وحمل معه جسد آدم عليه السلام معترضاً بين الرجال والنساء ثم دفنه بعد ببيت المقدس ، وكان إبليس معهم في الكوثل .

اقول : « الكوثل » : مؤخر السفينة وفيه يكون الملاحون ومتاعهم ، و قيل : هو السكان .



﴿ عموم الطوفان لاهل الارض كلهم ﴾

وقد اختلفت الكلمات قديماً وحديثاً في عموم الطوفان لاهل الارض جميعهم كما اختلفت في عموم رسالة نوح عليه السلام فذهب كثير من العلماء إلى أن الطوفان لم يكن عاماً لأنحاء الارض ، بل هو خاص بالارض التي كان بها قوم نوح عليه السلام و انه بقى ناس في أرض الصين لم يصبهم الغرق ، فدعاء نوح عليه السلام بهلاك الكافرين لم يكن عاماً بل كان خاصاً بكفار قومه لانه لم يكن مرسلاً إلاّ إلى قومه لما صحّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »

و أما قول الله عزوجل حكاية عن نوح عليه السلام : « رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً » نوح : ٢٦) وقوله تعالى : « وجعلنا ذريته هم الباقين » الصافات: ٧٧) وما ورد بان نوحاً عليه السلام كان أبا الثاني كآدم عليه السلام وغير ذلك من الروايات الدالة على عموم رسالته عليه السلام و هلاك أهل الارض كلهم فقابلة للتأويل بانه لم يرد في القرآن الكريم نص قاطع على عموم الطوفان ، ولا على عموم رسالة نوح عليه السلام ، وما ورد من الاحاديث على فرض صحته وصحة سندها فآحاد لا يوجب اليقين والمطلوب في تقرير مثل هذه الحقائق هو اليقين لا الظن ، وما ذكره المفسرون والمحدثون والمورخون لا يوجب اليقين والقطع بعموم الرسالة ولا عموم الطوفان.

فمسئلة عموم الطوفان في نفسها موضوع نزاع بين أهل الاديان وأهل النظر في طبقات الارض ، وموضوع خلاف بين مورخي الامم .

وأما المحققون من العلماء فعلى ان الطوفان كان عاماً لكل الارض ، ووافقهم

على ذلك كثير من أهل النظر، واحتجوا على رأيهم بوجود بعض الاصداف والاسماك المتحجرة في أعالي الجبال لان هذه الاشياء ممالاتتكون إلاّ في البحر، فظهورها في رؤس الجبال دليل على أن الماء صعد إليها مرّة من المرات، ولايكون ذلك حتى يكون قدعمّ الطوفان لجميع الارض وأما تأويل الايات القرآنية والروايات الصحيحة فيحتاج إلى دليل متقن ولادليل، والاجتهاد في مقابل النص قبيح و بلا دليل أقبح، فنظر القائلين بالخاص لايبتني على علم ودليل فهو خرص وتخمين.

وقال المحققون: لولم يكن دليل على العموم غير هذه الاية الكريمة لكفانا في القول بالعموم: «قلنا احمل فيها من كل زوجين إثنين» هود: ٤٠)

وذلك انه لو كان الطوفان خاصاً بصقع من أصقاع الارض، وناحية من نواحيها كالعراق كماقيل لم يكن أيّ حاجة إلى حمل كل جنس من أجناس الحيوان زوجين إثنين في السفينة.

وأما الدليل فكثير لابد من القبول:

في العلل: باسناده عن عبدالسلام بن صالح الهروي عن الرضا عليه السلام قال: قلت: لأيّ علة أغرق الله عزوجل الدنيا كلها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الاطفال و من لاذنب له؟ فقال: ماكان فيهم الاطفال لان الله عزوجل أعقم أصلاب قوم نوح و أرحام نساءهم أربعين، فانقطع نسلهم فغرقوا ولاطفل فيهم ماكان الله تعالى ليهلك بعذابه من لاذنب له وأما الباقون من قوم نوح عليه السلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبي الله نوح عليه السلام وسائرهم أغرقوا برضاهم تكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شاهده وأتاه.

وفي تفسير القمي: عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «فدارت السفينة وضربتها الامواج حتى وافت مكة وطافت بالبيت، وغرق جميع الدنيا إلاّ موضع البيت وانما سمى البيت العتيق لانه أعتق من الغرق». الحديث.

اقول: واذاثبت عموم الطوفان ثبت عموم رسالة نوح عليه السلام فان الله تعالى

لا يعذّب قوماً قبل أن يبعث فيهم رسولاً إذ قال: « و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » الاسراء: ١٥) وقال: « وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلاّ وأهلها ظالمون» القصص: ٥٩) وقال: « وماأهلكنا من قرية إلاّ لها منذرون » الشعراء: ٢٠٨)

وقال: « ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى » طه: ١٣٤)

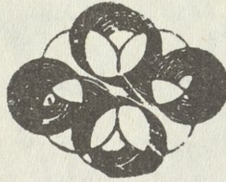
وفي العلل: - و انما سمي الطوفان طوفاناً لان الماء طفا فوق كل شيء. فلما هبط نوح عليه السلام من السفينة أوحى الله عزوجل إليه يا نوح انني خلقت خلقي لعبادتي، و أمرتهم بطاعتي، فقد عصوني وعبدوا غيري و استوجبوا بذلك غضبي فغرقتهم، واني قد جعلت قوسي أماناً لعبادي وبلادي وموثقاً مني بيني وبين خلقي. يأمنون به إلى يوم القيامة من الغرق، ومن أوفى بعهده مني ففرح نوح عليه السلام بذلك وتباشر، وكانت القوس فيها سهم ووتر، فنزع الله عزوجل السهم والوتر من القوس وجعلها أماناً لعباده وبلاده من الغرق.

أقول: وعند ماقصد السير ليونارد وولي إلى العراق في أوائل سنة: ١٩٢٠م وهو يرأس البعثة التي إشترك فيها المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الاميركية لم يكن بالتأكيد يفكر في الطوفان، فقد كان الغرض من البعثة التنقيب عن آثار جزء من التاريخ من الماضي.

وقد أدت الحفريات التي قام بها في الروابي التي تقع على أربعة أميال شمالي (اور) في مكان يعرف باسم (تل العبيد) والحفريات التي قام بها في مدينة (اور) في المكان الذي كانت فيه المقابر الملكية، أدّت هذه الحفريات إلى اكتشاف طبقات من الطمي على عمق كبير طمرت فيها كميات من الأواني الفخارية والادوات الصوانية مما كان يستعمل في العصر الحجري، وكذلك تماثيل من الفخار و أجزاء من الملاط لاتزال منطبعة عليها آثار أعواد البوص التي كانت مضغوطاً عليها.

وقد دلّ الفحص المجهرى على أن المياه هى التى رسبت هذا الطمى ، وانه يتكون من مواد جرفتها المياه من المنطقة الوسطى لنهر الفرات ، و هذا كله دليل لا ينقض على وجود طوفان غمر تلك المناطق من زمن بعيد ، وقد دلت بحوث السير ليونارد على أن إرتفاع الفيضان لم يكن أقل من خمس وعشرين قدماً .

وقد سجل سكان الوادى بعد الطوفان قصة الطوفان على إثنى عشر لوحاً ذكروا فيها غرق سكان هذه المنطقة باستثناء رجل ورع بنى سفينة ركب فيها وأخذ معه أفراد أسرته المؤمنة ومن آمن به من قومه وبعض الحيوانات والدواب ، وهؤلاء وحدهم هم الذين كتبت لهم النجاة .



﴿نجاة نوح عليه السلام ومن معه وهلاك ابنه والكافرين﴾

وقد صرّح القرآن الكريم بنجاة نوح عليه السلام ومن آمن به، وبهلاك إبنه ومن كفر به وما يظهر من الايات الكريمة والروايات الواردة ان ابن نوح كان إبناً له حقيقة، وانما نفى الله تعالى كونه من أهله ولم ينف بنوته له عليه السلام إذ أخذ نوح بظاهر قوله تعالى: «انا منجوك و أهلك» فقال: «ان ابنى من أهلى» فرد الله تعالى عليه بقوله تعالى: «يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح» وان النجاة انما تكون للمؤمن: فغفل نوح عليه السلام عن شرط النجاة وهو الايمان بنبوته وماجاء به من الحق، وان الاهلية الحقيقية تكون معدومة الثمرة مع الكفر، و مجانبة الايمان ومخالفة الداعى إليه فهى وسيلة لاغية وسبب منقضب.

وليس في ذلك بعد ولاغضاضة منه على نوح النبى المرسل، كيف و هؤلاء اليهود الجحود أبناء يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قد كفر بعضهم ولعنهم الله تعالى وهو بنو الانبياء في قوله تعالى: «لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم» المائدة: ٧٨)

وهذا إبن آدم يقتل أخاه فيكون من أصحاب النار: «واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق - فأصبح من الخاسرين» المائدة: ٢٧ - ٣٠)

فى العلل: باسناده عن الحسن بن على الوشا عن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: قال أبى عليه السلام: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عزوجل قال لنوح: «انه ليس من أهلك» لانه كان مخالفاً له وجعل من اتبعه من أهله، قال: و سئلنى

كيف تقرؤن هذه الاية في إبن نوح ؟ فقلت :تقرؤها الناس على وجهين : انه عمل غير صالح ، فقال : كذبوا هو ابنه ولكن الله عزوجل نفاه عنه حين خالفه في دينه .

اقول : وقد ذهب بعض المفسرين من العامة إلى أن إبن نوح عليه السلام ما كان إبنه حقيقة ، وإنما كان إبن إمرأته من غيره ، ولم يكن إبناًله حقيقة ، بل كان ربيباً على أن يناديه نوح عليه السلام بلفظ إبنه وكان كافراً ، وظن نوح عليه السلام ان وجوده في حجره يدخله في أهله الذين وعدالله تعالى بنجاتهم ولعلهم استبعدوا أن يكون ابن النبي المرسل كافراً ، فأنكروه عنه بكل وسيلة .

وذهب بعضهم : إلى أنه كان من الزنا ، و نوح عليه السلام لايعلم بذلك و يستأنسون لذلك بقوله تعالى : «انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح »وبقوله تعالى : «ضرب الله مثلاً للذين كفروا إمرأة نوح وإمرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتا هما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » التحريم : ١٠)

وذلك لان الله تعالى قدضرب إمرأة نوح مثلاً في الكفر، وان الكفر أشد من الزنا ومن أتى الذنب الاكبر يهون عليه أن يأتي بما هو أصغر منه .

وردّهم بعضهم واستبعدوا أن تكون إمرأة أحد الانبياء المرسلين زانية لما في ذلك من الهجنة على النبي.وقيل: اسم ابن نوح: كنعان والعرب تسميه: يام.

وقال بعضهم : ان قوله تعالى : « يا نوح انه ليس من أهلك » تكذيب لقول نوح عليه السلام : » ان ابني من أهلي » .

اجيب عنه: ان نفي الاهل لايستلزم نفي النسب، والمراد من الاهلية أهليته في الدين لانفي النسب حتى يلزم ما زعمه بعض الطعان من نسبة الزنا إلى نوح عليه السلام كما يدل على ذلك قوله تعالى: «قلنا احمل من كل زوجين إثنين وأهلك»فالمعنى ليس من أهل دينك أومن دينك ، فلا تشمله أحكام النجاة عليه، فحكم عليه الغرق

كغيره من الكفار ، ففى الآية تثبيت الكفر على ولده .

وان التدبر فى قصة نوح عليه السلام ودعائه على الكافرين يلهمنا . ان إبن نوح قد هلك بدعاء أبيه نوح عليه السلام ، فانه لما دعا على قومه بقوله : « رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً » ولم يستثن إبنه وقدكان كافراً وكان يعلم نوح عليه السلام ذلك قطعاً ، فدخل إبنه فى عموم من دعا عليهم نوح بالهلاك هذا أولاً .

و ثانياً : ان نوحاً عليه السلام دعا ربه فقال : « رب اغفرلى و لمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين و المؤمنات » لم تشمل هذه الدعوة إبن نوح عليه السلام ، فانه كان قد دخل بيته و لكنه لم يكن مؤمناً ، فكأنه استثنى من هذه الدعوة .

ثالثاً : انه قال بعد ذلك : « و لا تزد الظالمين إلا تباراً » فكان إبنه داخلاً فى عداد الظالمين ، لانه كان كافراً والظلم هو الكفر .

وقدكانت رابطة القربى وماتزال من أهم الحوافز التى ينقاد إليها الانسان ويخصها بقسط كبير من تضحيته وميله الشخصى ، وان الاسلام اعطى لصلة القرابة حظاً كبيراً من العناية والرعاية لأن طبيعة الانسان و مصلحته تقوم على مراعاتها والقيام بواجباتها ، ولكن مراعاة القربى لها شرط أساسى للقيام بحقها ألا و هو الايمان بالله والسير بموجب شرعته ، فالمسلم عليه أن لايخص بالود من يكفر بالله و يعصيه و لو كان من أقرب الناس إليه نسباً .

و نعم ما قال الشاعر :

كانت مودة سلمان لهم رحما		ولم تكن بين نوح وابنه رحم

قال الله تعالى : « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان و أيدهم بروح منه » المجادلة : ٢٢) .

و فى قصة نوح عليه السلام يعرض لنا القرآن الكريم مثلاً حياً على ذلك ، فنوح تأخذه عاطفة الشفقة على ولده فيطلب من ربه أن ينجى إبنه من الهلاك ،

فيعاتبه الله على ذلك، و يعتبر عمله من الجهل الذى لايليق أن يتصف به : «و نادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى و ان وعدك الحق و أنت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين» .

والله ينشده القرآن من وراء ذلك توجيه الانسان إلى أن أعماله الصالحة هى المعوّل عليها فى نيل السعادة فى الآخرة ولا تأثير لأىّ صلة فى نجاة المرء من عذاب الله تعالى إن كان عاصياً ، و هذا ما أكّده القرآن الكريم :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » .

ففى هلاك إمرأة نوح وإمرأة لوط بسبب ايذائهما زوجيهما ، و إنحرافهما عن الطريق المستقيم عظة قرآنية بليغة هى : ان القرابة مهما اشتدت لايمكن أن تغنى الانسان شيئاً إذا كان سيء العمل .

وكثيراً ما ضلّ البشر فى مفهوم طريق النجاة وسبيل السعادة ، فظنوا أن النجاة تكون فى صلة رجال الدين، وقرابة الصالحين، غير عابئين باصلاح نفوسهم، و محاسبة ضمائرهم ، فأدى هذا المفهوم الخاطىء إلى الاساءة إلى الدين وجعله سبباً من أسباب التأخر والجمود والفساد بدلاً من أن يكون من أهم الدوافع للاصلاح والرقى والسمو .

أسماء الخمسة الطيبة

على أنقاض سفينة نوح والنجاة بها

في جامع الاخبار : باسناده عن معمر بن راشد قال : سمعت أباعبدالله الصادق عليه السلام يقول : أتى يهودىّ النبى (إلى النبى خ) صلى الله عليه وآله وسلم فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال : يا يهودى ما حاجتك ؟ قال : أنت أفضل أم موسى بن عمران النبى الذى كلّمه الله وأنزل عليه التوراة، والعصا وفلق له البحر وأظلّه بالغمام ؟

فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : انه يكره للعبد أن يزكى نفسه ، ولكنى أقول : ان آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال : اللهم انى أسئلك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لى فغفرها الله له .

وان نوحاً لما ركب فى السفينة وخاف الغرق قال : أللهم انى اسئلك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتنى من الغرق ، فنجّاه الله عنه . الحديث .

وفى البحار : بالاسناد عن على بن الحسن بن فضال عن أبيه عن الرضا عليه السلام قال : لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقّنا ، فدفع الله عنه الغرق . الحديث .

و فيه : عن كتاب « أمان الاخطار » بالاسناد عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : لما أراد الله عزوجل أن يهلك قوم نوح عليه السلام أوحى الله إليه : أن شقّ ألواح الساج ، فلمّا شقّها لم يدر مايصنع بها فهبط جبرئيل فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت فيه مأة ألف مسمار و تسعة و عشرون ألف مسمار ، فسمّر

بالمسامير كلها السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير ...

فضرب بيده إلى مسمار منها فأشرق في يده و أضاء كما يضيىء الكوكب الدرّيّ في افق السماء ، فتحيّر من ذلك نوح ، فأنطق الله ذلك المسمار بلسان طلق ذلق ، فقال له : يا جبرئيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله؟ قال : هذا باسم خير الأولين والآخرين: محمدبن عبدالله ، أسمره في أولها على جانب السفينة اليمين، ثم ضرب بيده على مسمار ثان فأشرق وأنار، فقال نوح : وما هذا المسمار؟ فقال : مسمار أخيه وإبن عمه على بن أبي طالب فأسمره على جانب السفينة اليسار في أولها .

ثم ضرب بيده إلى مسمار ثالث فزهر و أشرق و أنار فقال : هذا مسمار فاطمة فأسمره إلى جانب مسمار أبيها، ثم ضرب بيده إلى مسمار رابع فزهر وأنار فقال : هذا مسمار الحسن ، فأسمره إلى جانب مسمار أبيه ، ثم ضرب بيده إلى مسمار خامس فأشرق و أنار و بكى فقال : ياجبرئيل ما هذه النداوة ؟ فقال: هذا مسمار الحسين بن علي سيدالشهداء فأسمره إلى جانب مسمار أخيه ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « و حملناه على ذات ألواح و دسر » قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الالواح خشب السفينة ، و نحن الدسر لولانا ما سارت السفينة بأهلها .

و غيرها من الروايات الواردة في توسل الانبياء والمرسلين في خطراتهم بتلك الاسماء الخمسة الطيبة ، وقدكانت هذه الروايات ونظيرها بعيدة عندالانظار الجامدة ، و لكن الاكتشافات الاخيرة قد أيّدتها :

في تموز عام : ١٩٥١ م حينما كان جماعة من العلماء السوفييت المختصين بالآثار القديمة ينقبون في منطقة بوادي قاف عثروا على قطع متناثرة من أخشاب قديمة متسوّسة وبالية مما دعاهم إلى التنقيب والحفر أكثر وأعمق ، فوقفوا على أخشاب اخرى متحجرة و كثيرة كانت بعيدة في أعماق الارض ، و من بين تلك الاخشاب عثروا على خشبة مستطيلة الشكل طولها ١٤ عقداً وعرضها ١٠ عقود ،

سببت دهشتهم و استغرابهم إذ بقيت سليمة غير متناثرة بين الاخشاب الاخرى !.

وفي أواخر سنة : ١٩٥٢ م أكمل التحقيق حول تلك الآثار الغريبة ، فتبين ان اللوحة المشار إليها كانت على أنقاض سفينة نوح النبي عليه السلام و ان الاخشاب الاخرى هي أخشاب جسم السفينة التى استوت على الجودى .

و قد شوهد على هذه اللوحة بعض الحروف التى تعود إلى أقدم اللغات ، وللكشف عنها ألفت الحكومة السوفييتية لجنة بعد الانتهاء من الحفر عام: ١٩٥٣ م قوامها سبعة من علماء اللغات القديمة ، و من أهم علماء الآثار هم :

١ ـ « سولى نوف » : استاذ الالسن القديمة فى جامعة موسكو .

٢ ـ « ايفاهان خنيو » : عالم الالسن القديمة فى كلية لولوهان بالصين .

٣ ـ « ميشانن لوفارنك » : مدير الآثار القديمة .

٤ ـ « تانمول غورف » : استاذ اللغات فى كلية كيفزو .

٥ ـ « دى راكن » : استاذ الآثار القديمة فى معهد لينين .

٦ ـ « ايم احمد كولاد » : مدير التنقيب والاكتشافات العام .

٧ ـ « ميجر كولتوف » : رئيس كلية ستالين .

نقلتهم مجلة البذرة النجفية فى العددين: الثاني والثالث ـ شوال وذى القعدة.

و بعد ثمانية أشهر من الدراسة لهذه اللوحة والكتابة المنقوشة عليها ، اتفقوا على أن هذه اللوحة كانت مصنوعة من نفس الخشب الذى صنعت منه سفينة نوح عليه السلام و انه وضعها في السفينة للتبرك والاستحفاظ والتوسل بأصحابها بعد أن تحققوا ان تلك الحروف كانت باللغة السامانية أو السامية : لغة نوح عليه السلام وقد ترجمها العلماء الروس المعنيون باللغات القديمة إلى اللغة الروسية ، ثم العالم البريطاني : « اين ايف ماكس » : استاذ الالسن القديمة في جامعة : «مانچستر» ترجمها إلى الانجليزية مع تعريبها كالتالى :

them.

ساعدني لاجل اسمائهم

Help me by their names

انت فقط تستطيع ان توجهني نحو

you can reform to Right

الطريق المستقيم

O my God my helper

يا إلهي ويا معيني

Keep my hands with
mercy

برحمتك وكرمك ساعدني

And with your holy
bodies :

ولاجل هذه النفوس المقدسة

Mohamed.

محمد

Alia

إيليا

Shabbar

شبر

Shabbir

شبير

Fatma

فاطمة

Thay are all Biggest and
Honourables.

الذين هم جميعهم عظماء ومكرمون

The world established for

العالم قائم لاجلهم

ولقد بقي هؤلاء العلماء فى دهشة عظيمة أمام هذه اللوحة بأسمائها الخمسة الطيبة ومنزلة أصحابها عندالله تعالى حيث توسل بها نوح عليه السلام إلى الله جل وعلا، و بقيت حتى الآن واقع التصديق للقرآن الكريم : « و جعلناها آية للعالمين » العنكبوت : ١٥) .

واللغز الاهم الذى لم يستطع تفسيره أى واحد منهم هو عدم تفسخ هذه اللوحة رغم مرور آلاف السنين عليها، وهذه اللوحة موجودة الآن فى متحف الآثار القديمة فى موسكو ، و فى خبر ان المسلمين رأوها من ذى قبل :

فى الدر المنثور : عن قتادة فى قوله تعالى : « وجعلناها آية للعالمين » قال : عبرة و آية أبقاها الله حتى نظرت اليها هذه الامة ، و كم من سفينة غير سفينة نوح صارت رمما » .

و لما اكتشفت هذه البشارة المحمدية نشرتها المجلات والجرائد المهمة العالمية : الروسية والبريطانية والقاهرية :

١ ـ مجلة روسية شهرية تصدر فى موسكو تشرين الثانى ١٩٥٣ م .

٢ ـ مجلة (ويكلى ميرر) الاسبوعية اللندنية العدد الصادر ٢٨ كانون الاول: ١٩٥٣ م .

٣ ـ مجلة (استار) اللندنية كانون الثانى : ١٩٥٤ م .

٤ ـ جريدة (سن لايت) الصادرة فى مانجستر ٢٣ كانون الثانى : ١٩٥٤ م .

٥ ـ جريدة (ويكلى ميرر) اللندنية فى اشباط : ١٩٥٤ م .

٦ ـ جريدة (الهدى) القاهرية فى ٣٠ مارس : ١٩٥٣ م .

والمصادر الاربعة الاخيرة نقلت ترجمة العالم البريطانى : (ان اف ماكس) استاذ الالسن القديمة فى جامعة مانجستر .

٧ ـ ومن المصادر كتاب ايليا من منشورات دار المعارف الاسلامية بلاهور باكستان برقم : ٤٢ ـ اللغة الاوردية .

وإليكم صورة اللوحة الفوتوغرافية باللغة الآرامية كما نشرت فى الجرائد والمجلات و بعض الكتب ككتاب ايليا ، و أصل اللوحة موجودة الآن فى متحف الآثار القديمة فى موسكو :

وقد ترجمت كما سبق كالتالي :

« يا إلهي ويا معينى ، برحمتـك وكرمك ساعدني ، ولأجل هــذه النفوس المقدسة : محمد - إيليا - شبر - شبير - فاطمة ، الذين جميعهم عظماء ومكرمون العالم قائم لأجلهم ، ساعدني بحق أسمائهم ، أنت فقـط تستطيع أن توجهـني إلى الصواب .

أقول : و لعمرى بحق أقول و بعين اليقين أعتقد ، و إن لم يؤيد ذلك إكتشاف : لولا هؤلاءِ الخمسة الطيبة عليهم صلوات الله وآلاف الثناء والتحية لما سارت السفينة ، ولانجى نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين كيف لا وقد قال الله جل وعلا مخاطباً لنبيه الخاتم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : « لولاك لماخلقت الافلاك ».

﴿ دروس وعبر من قصة نوح عليه السلام ﴾

قال الله تعالى: « فأنجيناه و أصحاب السفينة و جعلناها آية للعالمين » العنكبوت: ١٥).

وقال: « تلك من أنباءِ الغيبِ نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » هود: ٤٩).

ان التدبر فى كل خطوة من خطاء قصة نوح عليه السلام و دعوته، و فى اختلاف طبقاتى بين قومه من طبقة الاشراف المترفين، وطبقة الاغنياءِ المستغلين و ذوى الثراء المستثمرين المضلين، وطبقة الفقراء العاملين، وذوى الحاجات المستضعفين الضالين وفى دعائه على المتمردين بعد أن بذل جهده فى دعوتهم إلى التوحيد والعبادة لله تعالى وحده وإلى التقوى والطاعة، وفى هلاك قومه و ابنه و امرأته الكافرين بالاغراق فى الحياة الدنيا والاحراق فى الاخرة، و فى سفينته ونجاته ونجاة من آمن به من أهله و قومه المؤمنين القليلين، و فى توسله عليه السلام بأسماء الخمسة الطيبة وفى بقايا السفينة وألواحها . . . يلهمنا دروساً وعبراً قيمية تكون كلها أساس التعليم والمعرفة والدعوة والاستقامة والتربية فى الاسر والمجتمع البشرى فعلى القارى التدبر، فتدبر جيداً واغتنم جداً.

تمت سورة نوح والحمد لله رب العالمين
و صلى الله على محمد وآله الطاهرين

سُورَةُ الجِنِّ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ اُوحِيَ اِلَيَّ اَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا اِنَّا سَمِعْنَا قُرْاٰنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي اِلَى
الرُّشْدِ فَاٰمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا اَحَدًا ﴿٢﴾ وَاَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾
وَاَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللّٰهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَاَنَّا ظَنَنَّا اَنْ لَنْ تَقُولَ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا
﴿٥﴾ وَاَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْاِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَاَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ
اَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ اَحَدًا ﴿٧﴾ وَاَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَاَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا
مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْاٰنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَاَنَّا لَا نَدْرِي اَشَرٌّ اُرِيدَ بِمَنْ فِي الْاَرْضِ اَمْ
اَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَاَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَاَنَّا ظَنَنَّا اَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللّٰهَ
فِي الْاَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَاَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدٰى اٰمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا
﴿١٣﴾ وَاَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ اَسْلَمَ فَاُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَاَمَّا الْقَاسِطُونَ

فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن
يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٧ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨ وَأَنَّهُ لَمَّا
قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ٢٠ قُلْ
إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا
٢٢ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ٢٣ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا
٢٤ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ٢٥ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ
أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ٢٧

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن حنان بن سدير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : « من أكثر قراءة « قل اوحى إلىّ » لم يصبه فى الحياة الدنيا شىء من أعين الجن ولانفثهم ولاسحرهم ولامن كيدهم ، وكان مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقول : يا رب لا اريد به بدلاً و لا اريد أن أبغى عنه حولاً » .

اقول : رواه الطبرسى فى المجمع ، الا و فيه : « لا اريد بهم بدلاً و لا اريد بدرجتى حولاً » بدل « لااريد به بدلاً ولااريد أن أبغى عنه حولاً » و روى الشيخ المحدث الحر العاملى فى وسائل الشيعة ، والمجلسى فى البحار ، والبحرانى فى البرهان ، والحويزى فى نور الثقلين مثل ما فى ثواب الاعمال .

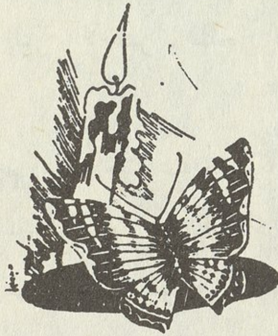
و بالتدبر فى السورة و خاصة فى قوله تعالى : « فمن يؤمن بربه فلايخاف بخساً ولارهقاً » وفى « فمن أسلم فاولئك تحرّوا رشداً » وفى « وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً » و فى « فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً » يظهر مساسها بما جاء فى الرواية فتدبر جيداً .

و فى البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : انه قال : من قرأ هذه السورة كان له من الاجر بعدد كل جنى و شيطان صدق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و كذب به عتق رقبة و أمن من الجن .

وفيه : و قال الصادق عليه السلام : قرائتها تهرب الجان من الموضع ، ومن قرأها

و هو قاصد إلى سلطان جائر أمن منه ، و من قرأها و هو مغلول سهل الله عليه خروجه ، ومن أدمن فى قرائتها وهو فى ضيق فتح الله له باب الفرج باذن الله تعالى .

اقول : و لا اظن ان من قرأ السورة متدبراً فيها ، و مؤمناً بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و بما جاء أن يعتريه ريب فى ذلك كله .



﴿ الغرض ﴾

غرض السورة تقرير لتأثير القرآن الكريم على سامعيه من طائفة الجن إذا استمعوا له، وتعظيمهم لشأنه، ولشأن ربهم بالتوحيد و رفض الانداد لله سبحانه، والايمان برسوله و كتابه و باليوم الاخر، و كفر طائفة الاخرين منهم بالله تعالى و رسوله و بكتابه و اليوم الاخر، فالجن كالانس فى الايمان و الكفر على شرع سواء.

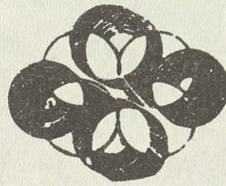
و فيها بيان لتذكيرهم اموراً متنوعة مما كانت عليه أحوالهم و عقائدهم و ظنونهم، و حكايتهم عن مقاعد للسمع فى السماء، و ما كان من تبدل الموقف و ابتداء السماء بالشهب والحرس، و صعودهم اليها، و استراقهم السمع منها.

و مما كانت عليه عقائد العرب من الجن إذ كانوا يعتقدون بوجودهم وبما هم عليه من قوة و تأثير، فكانوا يخشون شرهم و يستعيذون بهم.

و فيها إشارة إلى عاقبة الايمان والاهتداء بهدى الله تعالى والاستقامة على سواء السبيل بالخير والسعادة والعزة ونفى الخوف ممن آمن، والنصرة لهم من الله تعالى فى الحياة الدنيا، والجنة ونعيمها فى الاخرة، و إلى مآل أمر الكفر والضلالة إلى الذلة و الهوان و قلة الناصر و المعين فى الدنيا، و النار و عذابها فى الاخرة.

وان السورة تحتوى هدفاً ايجابياً بالنسبة للنبى الكريم ﷺ والمؤمنين من جهة إذ فيها تسلية بان الملائكة وبعض طوائف الجن يقفون و اياهم فى موقف

واحد من الايمان بالله تعالى و رسالته والاخلاص له و إدراك حقيقة ربوبيتها و شمولها و وحدتها، والسير فى طريق الحق و السداد ، و للكفار من جهة اخرى إذ فيها ترغيب و ترهيب لهم حيث تقصّ عليهم تلك القصص لتكون لهم عبرة و مزدجر ، و ليقتدوا بهذين الخلقين العظيمين اللذين يشغلان فى نفوسهم ذلك الخير الكثير .



﴿النزول﴾

سورة الجن مكية ، نزلت بعد سورة الاعراف ، و قبل سورة «يس» ، وهى السورة الاربعون نزولاً ، والثانى والسبعون مصحفاً .

و تشتمل على ثمان و عشرين آية ، سبقت عليها /١٠٣٤ آية نزولاً ، و /٥٤٤٧ مصحفاً على التحقيق .

وهى مشتملة على /٢٨٥ كلمة ، وقيل : ٢٣٥ كلمة ، و على /٨٧٠ حرفاً ، و قيل : /٧٥٩ حرفاً على ما فى بعض التفاسير .

قيل : سميت هذه السورة بالجن لاشتمالها على تفاصيل أقراهم فى تحسين الايمان وتقبيح الكفر مع كون أقوالهم أشد تأثيراً فى قلوب العامة لتعظيمهم إياهم.

فى السيرة النبوية: لابن هشام « و لما هلك أبوطالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الاذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف ، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه و رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزوجل ، فخرج إليهم وحده - إلى أن قال - : ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلّى فمرّ به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم - فيما ذكر لى - سبعة نفر من جن أهل نصيبين ، فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته و لّوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ماسمعوا فقصّ الله خبرهم عليه صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عزوجل :

« و إذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ـ إلى قوله تعالى ـ ويجركم من عذاب أليم » وقال تبارك وتعالى : « قل اوحى إلىّ انه استمع نفر من الجن » إلى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة .

أقول : « بنخلة » النخلة : أحد واديين على ليلة من مكة يقال لأحدهما : نخلة الشامية ، وللآخر : نخلة اليمانية ، و « نصيبين » : قاعدة ديار ربيعة .

وفى المجمع : وروى الواحدى باسناده عن سعيد بن جبير عن إبن عباس قال : ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الجن ، ومارآهم ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ! قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، ارسلت علينا الشهب قالوا : ماذاك إلاّ من شىء حدث فاضربوا مشارق الارض و مغاربها ، فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلّى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، وقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم : وقالوا : « انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به و لن نشرك بربنا أحداً » فأوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « قل اوحى إلىّ انه استمع نفر من الجن »

ورواه البخارى ومسلم أيضاً فى الصحيح . قيل : وقد كان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .

وفى أسباب النزول للسيوطى : وأخرج ابن الجوزى فى كتاب (صفوة الصفوة) بسنده عن سهل ابن عبدالله قال : كنت فى ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور فى وسطها قصر من حجارة تأويه الجن ، فدخلت فاذاً شيخ عظيم الخلق يصلى نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة فلم أتعجب من عظم خلقته كتعجبى من طراوة جبته ، فسلمت عليه فردّ علىّ السلام ، وقال : ياسهل ان الابدان لاتخلق الثياب ، وانما تخلقها روائح الذنوب ، ومطاعم السحت ، وان هذه الجبة

علىّ منذ سبعمأة سنة لقيت فيها عيسى و محمداً عليهما الصلاة والسلام ، فآمنت بهما ، فقلت له : ومن أنت ؟ قال : من الذين نزلت فيهم : « قل اوحى إلىّ انه استمع نفر من الجن » .

وفى تفسير ابن كثير : عن إبن عباس فى قوله تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » قال : لم يكن يوم نزلت هذه الاية فى الارض مسجد إلاّ المسجد الحرام ومسجد ايليا بيت المقدس .

وفيه : قال الاعمش : قالت الجن : يارسول الله إئذن لنا فنشهد معك الصلوات فى مسجدك ، فأنزل الله تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » يقول: صلّوا ولا تخالطوا الناس .

وفيه : عن سعيد بن جبير فى الاية قال : قالت الجن لنبى الله صلى الله عليه وآله وسلم : كيف لنا أن نأتى المسجد ونحن ناؤون أى بعيدون عنك ؟ و كيف نشهد الصلاة و نحن ناؤون عنك ؟ فنزلت : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » .

﴿القراءة﴾

قرأ حمزة ، وإبن عامر وحفص بفتح همزة «ان» المشددة إذا كان معها الواو في إثني عشر موضعاً متوالية وهي :

« وانه تعالى » : ٣) و « وانه كان يقول » : ٤) و «وانا ظننا» : ٥) و «وانه كان رجال » : ٦) و « انهم ظنوا » : ٧) و « وانا لمسنا » ٨) و « وانا كنا نقعد منها»:٩) و « وانا لاندرى » : ١٠) و « وانا منا الصالحون » : ١١) و « وانا ظننا » : ١٢) و « انا لما سمعنا » : ١٣) و « وانا منا المسلمون » : ١٤)

كل ذلك للعطف على قوله تعالى : « انه استمع نفر» فان « انه استمع » لا يجوز فيه إلاّ الفتح لانها في موضع إسم فاعل لـ « اوحى » فما بعده معطوف عليه .

وقيل : هذا محمول على الهاء في« آمنا به » : ٢) أى و بـ « انه تعالى جد ربنا » فحذفت حرف الجار من « ان » للكثرة . و قيل : المعنى : « و صدقنا انه جد ربنا »

وقرأ الباقون كلها بالكسر عطفاً على قوله : « فقالوا انا سمعنا » :١) على أنه كله من كلام الجن إلاّ انهم اتفقوا على فتح: « وان المساجد لله» : ١٨) لانه لا يصح أن يكون من قول الجن بل هو مما اوحى إليه صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف البواقي فانه يصح أن يكون من قولهم على نظر في بعضه ، وأن يكون مما اوحى إليه ، وهو على فتح : « انه استمع » لانه في موضع المفعول الذي لم يسمّ فاعله لـ « اوحى» .

والحاصل : ان « ان» مخففة ومشددة مع الواو ، ومجردة منها ذكرت في هذه السورة في ستة وعشرين موضعاً اختلفوا في ثلاثة عشر : الاثنى عشر المذكورة،

و « انه لماقام » واتفقوا على ثلاثة عشر : ستة على فتح الهمزة وهى : « انه استمع » : ١) و « وأن لن يبعث » : ٧) و « أن لن نعجزالله » : ١٢) و « وأن لواستقاموا » : ١٦) و « وأن المساجد لله » : ١٨) و « أن قدأبلغوا » : ٢٨)

وسبعة على الكسروهى : « انا سمعنا » : ١) و « قل انما ادعوا » : ٢٠) و « قل انى لااملك » : ٢١) و « قل انى لن يجيرنى » : ٢٢) و « فان له » : ٢٣) و « قل إن ادرى » : ٢٥) و « فانه يسلك » : ٢٧)

والمشهورعن أبى جعفر : انه كان بفتح الالف فى سبعة مواضع وهى : « انه » فى خمسة مواضع ، واثنتان : قوله : « وأن لواستقاموا » و « ان المساجد » و ما سواها بالكسر ، فتعيّن لنافع وإبن كثير وأبى عمرو بكسر الهمزة فى الجميع .

وقرأ عاصم وحمزة « يسلكه » بياء الغيبة لتقدم ذكرالغيبة فى قوله : « ومن يعرض عن ذكر ربه » والباقون « نسلكه » بالنون، كقوله تعالى : « وآتينا موسى الكتاب » بعد قوله : « سبحان الذى أسرى » وقرأ نافع « لماقام » بكسر اللام و تخفيف الميم والباقون بفتحها وتشديد الميم .

وقرأ ابن عامر « لبداً » بضم اللام والباقون بكسرها ، و قرأ أبو جعفر و حمزة وعاصم « قال انما ادعوا ربى » على الخبر أى قال رسول الله ﷺ لتقدم ذكر الغيبة أيضاً فى قوله : « وانه لما قام عبدالله » وقرأ الباقون « قل » على الامر لمابعده من قوله : « قل انى لااملك » و « قل انى لن يجيرنى » .

وقرأ نافع وابن كثير وأبوجعفر وأبوعمرو « ربى أمداً » بفتح الياء والباقون بالاسكان ، و قرأ ابن عباس ومجاهد « ليعلم » بضم الياء مبنياً للمفعول ، و قرأ القراء السبعة بفتحها مبنياً للفاعل ، و قرأ حمزة « لديهم » بضم الهاء والباقون بكسرها .

﴿الوقف والوصل﴾

« عجباً لا » لان قوله تعالى : « يهدى إلى الرشد » نعت من « قرآناً » فلا يجوز الوقف بين الصفة والموصوف ، و « فآمنا به ط » للعدول عن الماضى المثبت إلى ضدّهما ، « أحد ج » لتمام الكلام وللعطف ، و « ولا ولداً لا » للعطف إلاّ لانقطاع ضرورة النفس، و « شططالا » و « كذباً لا » و« رهقاًلا » و « أحداً لا » و « شهبا لا » كل ذلك لماتقدم من العطف الاّ لضرورة إنقطاع النفس ، ولايخفى ان الوقف الضرورى فى قراءة كسر « ان » أجوز .

« مقاعد للسمع ط » لتمام الكلام ، و « رصداً لا » للعطف ، و « رشداًلا » و « دون ذلك ط » لتمام الكلام ، و « قدداً لا » و« هرباًلا » للعطف ، و «آمنا به ط » للالتفات من التكلم إلى الغيبة ، و « رهقاًلا » للعطف ، و « القاسطون ط » للالتفات و تمام الكلام و ابتداء الشرط . و « حطباً لا » للعطف ، و « غدقاً لا » للتعليل الآتى ، و « لنفتنهم فيه ط » للابتداء بالشرط ، و « صعداًلا » و «أحداً لا» للعطف ، و « لبداً ط» لتمام الكلام ، و « ملتحداًلا» للاستثناء الآتى ، و«رسالاته ط » لتمام الكلام ، وابتداء الشرط .

« أبداً ط »لان « حتى » للابتداء بمابعدها و « أحداً لا » لمكان الاستثناء ، و « رصداً لا » .

﴿ اللغة ﴾

٣٧- الرشد- ٥٦٥

رشد يرشد رشداً ورشاداً فهوراشد و هو رشيد ـ من باب علم ـ : أصاب وجه الامر والطريق ، وانساقت تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السداد ، و يكون ذلك فى نقيض الغى والضلال ، وخلاف السفه والعمى .

رشد يرشد رشداً ـ من باب نصر ـ : اهتدى .

الرشد : الاستقامة على طريق الحق مع تصلّب فيه ، والرشد : الصلاح ، و هوإصابة الحق ، وأمر بيّن رشده : صوابه .

قال الله تعالى : «يهدى إلى الرشد ـ أرادبهم ربهم رشداً ـ فاولئك تحرّوا رشداً ـ لا املك لكم ضراً ولارشداً » الجن : ٢و١٠ و ١٤ و٢١) أى يهدى إلى المصالح الدينية و الدنيوية ، إلى النجاة والسعادة وإلى الخير والصواب والعزة والارشادإلى النواميس الالهية ...

قال الله تعالى : « قدتبين الرشد من الغىّ » البقرة : ٢٥٦) فالرشد : نقيض الغى والضلال ، والرشدة ـ بفتح الراء و كسرها ـ ضدالزنية يقال : « ولدلرشدة» وفى الحديث : « من ادعى ولداً لغير رشدة فلا يرث ولايورث » يقال : هذا ولد رشدة إذاكان لنكاح صحيح كما يقال فى ضدّه : ولد زينة بكسرفيهما .

الرشيد : ذوالرشد قال الله تعالى : « أليس منكم رجل رشيد » هود :٧٨) والرشيد من أسمائه تعالى . . .

وهو الذى أرشد الخلق إلى مصالحهم الدنيوية والاخروية وهداهم ودلّهم عليها ، فعيل بمعنى : مفعل ، و قيل : هو الذى تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سنن السداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدّد .

أرشده غيره : هداه وسدّده إلى الرشاد ، فهو مرشد قال الله تعالى : «ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً » الكهف : ١٧) أى هادياً .

الطريق الارشد : مثل الاقصد ، والابن الارشد : الافضل الأسنّ والمراشد: مقاصد الطرق بلا واحد، والاسم : الرشاد ، وإرشاد الضال : هدايته الطريق وتعريفه له ، والائمة الراشدون : الهادون إلى طريق الحق والصواب .

وفى حديث الاستخارة: « استخيروا الله يعزم لكم على رشدكم » أى على ما هو الصالح لكم .

و عن بعض المحققين : يعلم رشد الصبى باختباره بما يلائمه التصرفات و يثبت بشهادة رجلين فى الرجال والنساء .

إسترشد لأمره : إهتدى له .

فى المفردات : فى قوله تعالى :«فان آنستم منهم رشداً - ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل » قال الراغب : وبين الرشدين : أعنى الرشد المؤنس من اليتيم، والرشد الذى اوتى ابراهيم عليه السلام بون بعيد .

وقال بعضهم : الرشد - بفتح الراء والشين - أخص من الرشد - بضم الراء و سكون الشين - فان الاخير يقال فى الامور الدنيوية والاخروية ، والاول يقال فى الامور الاخروية لاغير ، والراشد والرشيد يقال فيهما جميعاً قال تعالى:«اولئك هم الراشدون - وما أمر فرعون برشيد » .

٢٤ - الشطط - ٧٩٢

شطّ يشطّ شطاً وشطوطاً - من بابى ضرب ونصر - نحو : فرّ و مدّ - : بعد

وأفرط في البعد وأبعد ، وشطّ عليه في حكمه - من باب ضرب - : جار .

الشطط : الافراط في البعد قال الله تعالى : « وانه كان يقول سفيهنا على الله شططاً » الجن :) أي قولاً بعيداً عن الحق .

والشطط : الجور وتجاوز القدر المحدود في كل شيء ، وشطّ عن الحق: تباعد عنه ، ويقال : شطته شعوب : أبعدته المنية ، وشطّ عليه : شقّ عليه و ظلمه ، و منه : « كلفتني شططاً » أي أمراً شاقاً ، و رجل شاط بين الشطاطة : بعيد ما بين الطرفين .

أشط : جاء مثل شط قال الله تعالى : « فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط » ص : ٢٢) أي لا تجر ولا تسرف .

الشطاط - بكسر الشين وفتحها - : الطول وحسن القوام ، وإعتداله .

الشط : شاطىء النهر والبحر : جانبهما الذي ينتهي إليه حدّ الماء ، جمعه: شطوط ، حيث يبعد عن الماء من حافته . وشطان: جانب السنام ، وقيل : نصفه ، يقال : أخذ شطى السنام أي شقيه ، وشط الوادي : جانبه ، والشطة - بالكسر - : بعد المسافة من شطت الدار اذا بعدت، والشطة - بالكسر - :النوع والبعد، والشطوط والشطوطى : الناقة الضخمة السنام ، جمعها : شطائط .

٢٣ - الحرس - ٣١١

حرسه يحرسه حراسة - من باب نصر - :حفظه . الحارس: حافظ المكان ،و الحرز والحرس يتقاربان معنى تقاربهما لفظاً ، لكن الحرز يستعمل في الناض والامتعة أكثر، والحرس يستعمل في الامكنة أكثر .

الحارس : الحافظ جمعه : حرس وحرّاس ، قال الله تعالى : « و انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً » الجن : ٨) أي حفظة من الملائكة شداد و منه الدعاء : « اللهم احرسني من حيث أحترس ومن حيث لا احترس » واحترست من

فلان وتحرست منه بمعنى : تحفظت منه .

أحرس بالمكان : أقام به حرساً ، تحرّس منه واحترس : توقّاه وتحفّظ منه، وحرس السلطان : أعوانه ومحافظوه .

وحرس يحرس حرساً - من باب علم - : عاش طويلاً . ويقال : « مضى عليه حرس » أي دهر جمعه : أحراس . والحرسان : الليل والنهار والحرسان: جبلان كل واحد منهما حرس ، وحارس السماء وحارس السماك : كوكبان .

و حرسه يحرسه حرساً - من باب ضرب - : سرقه ، والحارس : السارق . إحترس الشاة : سرقها ليلاً ، وفي الحديث : «لاقطع فى حريسة الجبل » أى ليس فيها يحرس بالجبل إذاسرق قطع لانه ليس بحرز ، والحريسة أيضاً : ما احترس منها .

الحريسة : جدارمن حجارة يعمل المغنم لاجل الحراسة لها ، والحفظ ،و حريسة الجبل : الشاة يدركها الليل قبل رجوعها إلى مأواها ،فتسرق من الجبل. يقال : فلان يأكل الحراسات : إذا سرق غنم الناس فأكل منها ، والحريسة : المسروقة .

وفي المثل : « محترس من مثله وهو حارس » يقال لمن يعيب الخبيث و هوأخبث منه ، وقيل لمن يؤتمن على حفظ شيء لايؤمن أن يخون فيه .

المحراس : سهم عظيم القدر .

٤٨ - الشهاب - ٨١٦

شهب يشهب شهباً و شهبة - من بابى علم و كرم - : سطع .

الشهاب : الشعلة الساطعة من النار الموقدة و من العارض فى الجو .

والشهاب : شعلة فى الجو ترى هابطة ، والجمع : شهب قال الله تعالى : « فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا - فمن يستمع الآن يجدله شهاباً »

الجن : ٨ ـ ٩) ، و هي الشعل في الجو المنقضة من السماء نحو الارض .

وفي حديث إستراق السمع : « فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها » يعني الكلمة المسترقة ، والشهب : النجوم السبعة المعروفة بالدراري .

أصل الشهاب : خشبة أو عود فيها نار ساطعة .

والشهاب: نور يمتدّ من السماء كالنار وهو الشعلة المقتبسة من نار الكوكب .

قال الله تعالى : « إذ قال موسى لأهله اني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس » النمل : ٧) و هو بمعنى العود أو الخشبة فيها النار .

و تطلق الشهب على ثلاث ليال من الشهر ، وهي الليالي البيض ، والشهاب: اللبن الضياح ، و هو الذي ثلثاه ماء ، و ذلك لتغير لونه .

شهبه البرد أو الحرّ يشهبه شهباً ـ من باب منع ـ : لوّحه و غيّر لونه .

أشهب السنة القوم : جرّدت أموالهم أي استأصلها ، سنة شهباء : مجدبة لاخضرة فيها ولامطر ، ومنه حديث حليمة : « خرجت في سنة شهباء » أي ذات قحط وجدب . والاشهبان : عامان أبيضان فيهما خضرة من النبات ، و سنة شهباء : كثيرة الثلج ، وغرة شهباء: فيها شعر يخالف البياض . والاشهب من العنبر: الجيد لونه و هو الضارب إلى الضارب .

الشهبة : لون الأشهب وهو بياض غلب على السواد أو بياض يخالطه سواد تشبيهاً بالشهاب المختلط بالدخان، يوم أشهب : ذو ريح باردة وصقيع وفي حديث الامام علي عليه السلام : « امسكت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء » و هي اسم بغلة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذاً من الشهبة في الالوان .

و الاشهب : الأسد ، والامر الصعب ، و في حديث العباس يوم الفتح : «يا أهل مكة أسلموا تسلموا فقد استبطنتم بأشهب بازل » أي رميتم بأمر صعب شديد لا طاقة لكم به .

١٢ - القدد - ١٢٠٤

قدّ الثوب يقدّه قدّاً - من باب نصر نحو: مدّ - : شقّه أو قطعه مستأصلاً و قيل: مستطيلا، و منه حديث الامام على عليه السلام: « كان إذا تطاول قدّ و إذا تقاصر قط » أى قطع طولاً و قطع عرضاً.

والماضى المبنى للمفعول منه هو قدّ، قال الله تعالى: « و استبقا الباب و قدّت قميصه من دبر » يوسف: ٢٥).

القدّة: الجماعة التى تختلف آراء أفرادها، جمعها: قدد.

قال الله تعالى: « كنا طرائق قدداً » الجن: ١١) أى كنا جماعات اختلفت أهواءهم و مشاربهم و حالاتهم...

و تقدّد القوم: تفرّقوا، و صاروا فرقاً مختلفة الآراء والاهواء...

و قدّ المسافر الفلاة: خرقها و قطعها، و قدّ الكلام: قطعه و شقّه.

و انقدّ الشىء و اقتدّ: إنشقّ، و اقتدّ فلان الامور: دبّرها و ميّزها، و استقدّ الامر: استمرّ و استوى، و استقدّت الابل: إستقامت على وجه واحد.

والقد - بضم القاف - : سمك بحرىّ، و بكسرها: إناء من جلد. والقدة: الطريقة والفرقة من الناس، ومنه الخبر: « موضع قدة فى الجنة اوقد خير من الدنيا و ما فيها » والقد - بكسر القاف - : السوط وهو فى الأصل: سير يقد من جلد غير مدبوغ، أى قدر سوط أحدكم أو قدر الموضع الذى يسع سوطه من الجنة خير من الدنيا و ما فيها.

القداد - بالفتح - : القنفذ واليربوع، و بالضم: وجع فى البطن. والانقداد: الانشقاق، والمقدّ: القاع و هو المكان المستوى.

فى اللسان: القد: القامة، و قدر الشىء و تقطيعه، و غلام حسن القدّ أى الاعتدال والجسم، و شىء حسن القد أى حسن التقطيع.

القديد - مصغراً - : إسم ماء بعينه ، وفي الصحاح : و قديد : ماء بالحجاز .

١٥ - الهرب - ١٥٩٩

هرب يهرب هرباً وهروباً ومهرباً وهرباناً - من باب نصر - : فرّ من مكروه يناله أو أذى يلحقه ، و يقال : هرب العبد من مكان كذا إلى مكان كذا : فرّ ، و يكون ذلك للانسان والحيوان .

قال الله تعالى : « و لن نعجزه هرباً » الجن : ١٢) أى لن نعجزه هاربين من الارض إلى السماء .

و هرب فلان في مشيه : أسرع ، و في الارض : أبعد ، وفي الامر : أغرق ، و يقال : جاء فلان مهرباً : جاداً في الامر ، و قيل : فزعاً .

والمهرب: الموضع الذى يهرب إليه ، ومنه : « يا ملجأ الهاربين » ويقال: فلان لنا مهرب أى نهرب إليه في الشدة .

وأهرب فلان فلاناً : إذا اضطرّه إلى الهرب ، ويقال : ماله هارب ولا رقاب أى ليس أحد يهرب منه ، ولا أحد يقرب منه أى فليس هو بشي . تهارب القوم : هرب بعضهم مع بعض .

و هرب - من باب علم - : هرم .

٣٠ - الحرى - ٣١٨

حرى الشيء يحرى حرياً - من باب ضرب نحو رمى - : قصد جانبه ، والحراة : الساحة والحرا : موضع البيض . الحراة الناحية يقال : اذهب فلا ارينك بحراى و حراتى : ناحتى و جانبى و ساحتى ، والحراة: صوت الطير . والحرا - بالفتح والقصر - : جناب الرجل ، والحراء - بالكسر والمد - : جبل من جبال مكة معروف ، و في الحديث : « كان يتحنّث بحراء » .

حرى الشيء و تحرّاه: نقص بعد الزيادة كأنه لزم الحرى و لم يمتد. يقال: يحرى فلان كما يحرى القمر: ينقص بعدالزيادة. تحرّى تحرياً: طلب ما هو أحرى بالاستعمال فى غالب الظن أو طلب أحرى الامرين و أولاهما، و تحرى الامر: توخّاه وقصده وتحرى بالمكان: تمكّث به، والتحرّى: هوالاجتهاد فى تعرّف ما هو أولى وحقّ تحرى الشيء تحرياً: تعرّف، والتحرّى والتوخى: القصد والاجتهاد فى الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول.

قال الله تعالى: «فمن أسلم فاولئك تحروا رشداً» الجن: ١٤) وفى الحديث: «تحرّوا ليلة القدر فى العشر الاواخر» أى تعمّدوا طلبها فيها، وفى الحديث: «لاتتحرّوا بالصلاة طلوع الشمس وغروبها» أى لاتقصدوا بها ذلك، وفى الحديث: «من تحرّى القصد خفّت عليه المؤن» أى من طلب القصد فى الامور كان كذلك. و فى الحديث: «التحرى يجزى عند الضرورة» أعنى طلب ما هو الاحرى فى الاستعمال فى غالب الظن و منه: «التحرى فى الانائين».

أحراه الزمان إحراء: نقّصه، ما أحراه به: ما أجدره، أحر به: أجدر به الاحرى: الاولى والاخلق والاجدر، وفى الحديث: «انك حرىّ أن تقضى حاجتك» أى جدير و خليق بذلك.

الحرى: الخليق، يقال: هو حرىّ أن يفعل كذا أى خليق جدير ولايثنى ولايجمع، والحرى - كعلى -: الجدير، و فى الحديث: «ان هذا لحرىّ إن خطب أن ينكح» يقال: فلان حرىّ بكذا و حرى بكذا.

الحارية: الافعى التى كبرت و نقص جسمها و لم يبق الا جسمها ونفسها و سمها و هى أخبث ما يكون، يقال: رماه الله بالحارية.

٥ - الغدق - ١٠٧٤

غدقت عين الماء تغدق غدقاً - من باب علم -: غزرت وعذبت، فهى غدقة.

و غدق المطر : كثر قطره فهو غادق ، و غدقت الارض : خصبت ، و غدق العيش : اتسع .

فتدور المادة على معنى الغزارة والكثرة فى ماء و عدو و عيش ، فالغدق: الماء الكثير مطراً أو غيره ، ومنه حديث الاستسقاء : « مغدقة مونقة » وفى الاخر: « اسقنا غيثاً غدقاً مغدقاً » .

قال الله تعالى : « لاسقيناهم ماء غدقاً » الجن : ١٦) أى غزيراً ، و قيل : أى لو استقام الجن والانس على طريقة الايمان لانعمنا عليهم، ولو سعنا رزقهم، و ذكر الماء لانه أصل المعاش وسعة الرزق .

ويقال : انه لغيداق الجرى والعدو ، وهم فى غدق من العيش، ومنه تجيىء النعومة والخصب ، والغدق : مصدر .

الغيداق : ما يغزر من ماء و عدو و نطق ، والغيداق : الرجل الكريم ، الغيداق : الواسع الخلق، الكثير العطية من كل شىء الغيداق : الطويل من الخيل، والغيداق من الغلمان : الذى لم يبلغ الحلم ، والغيداق : ذو الرخاصة والنعمة ، و شاب غيداق : ناعم الغياديق : الحيات .

﴿النحو﴾

١- (قل اوحى الى أنه استمع نفرمن الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً)

« قل » فعل أمر ،خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والآمر هو الله تعالى و« اوحى » فعل ماض مبنى للمفعول من باب الافعال ، والموحى هو الله جل وعلا ، و « إلى » متعلق بفعل الايحاء و « انه » حرف تأكيد ، فتحت ألفها لكونها ومعموليها فى موضع رفع ، نيابة عن الفاعل لـ« اوحى » والضمير للشأن ، فى موضع نصب إسم لحرف التأكيد ، و « استمع » فعل ماض من باب الافتعال ، و« نفر » فاعل الفعل . والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و مفعول « استمع » محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير : استمع القرآن .

« فقالوا » الفاء للنتيجة و « إن » حرف تأكيد و« نا » ضمير تكلم مع الغير فى موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، و فتحت همزتها لوقوعها بعد القول ، و « سمعنا » فعل تكلم مع غيره من الماضى، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « قرآناً » مفعول به ، و « عجبا » نعت من « قرآناً » .

٢- (يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احداً)

« يهدى » فعل مضارع فى موضع نصب ، نعت ثان من « قرآناً » أى هادياً و « إلى الرشد » متعلق بفعل الهداية ، و « فآمنا به » الفاء سببية ، والفعل ماض للتكلم مع غيره من باب الافعال ،والجار والمجرور متعلق بفعل الايمان ،والضمير راجع إلى « قرآناً » « ولن » الواو استينافية و « لن » حرف تأبيد و « نشرك »

فعل مضارع للتكلم مع غيره من باب الافعال ، و « بربنا » متعلق بفعل الاشراك و « أحداً » مفعول به .

٣- (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولاولداً)

الواو للعطف وفي فتح الهمزة في « أنه » وجوه : أحدها - انه معمول لفعل محذوف والمحذوف عطف على قول الجن : « انا سمعنا قرآناً عجبا » أي « سمعنا قرآنا عجباً » وعلمنا مما سمعنا انه تعالى جد ربنا . . الخ وهكذا كل ما جاء على لسان الجن بعد هذا، هو معمول لفعل مترتب على إستماعهم لما استمعوا من آيات الله تعالى وما كشفت لهم من حق وهدى .

ثانيها - عطف على الضمير المجرور في «آمنا به» والتقدير : « وآمنا بأنه تعالى . . الخ » فهو إخبار من الجن بالايمان بنفي الصاحبة والولد من الله سبحانه على ما يقوله الوثنيون . وهذا انما يستقيم على قول الكوفيين من النحاة بجواز العطف على الضمير المتصل المجرور، و أما على قول البصريين منهم من عدم جوازه فلا .

ثالثها - انه عطف على موضع الضمير المجرور في «آمنا به » وهو النصب فان قوله : « آمنا به » في معنى : صدّقناه ، والتقدير : وصدّقنا انه تعالى جدّ ربنا .. الخ كما عن الزجاج والفراء والزمخشري .

رابعها - عطف على «به » بتقدير حرف الجر ،وذلك مطرد في « أن وأنّ» والتقدير : آمنا به وبأنه تعالى . . الخ .

ويرد على الثلاثة الاخيرة : ان المعنى انما يستقيم حنيئذ في قوله : «وانه تعالى جد ربنا » الخ ، وقوله : « وانه كان يقول سفيهنا » الخ ، و أما بقية الآيات المصدرة بأن كقوله : « وانا ظننا أن لن تقول » الخ وقوله : « وانه كان رجال من الانس » الخ ، وقوله : « وانا لمسنا السماء » فلا يصح قطعاً إذ لا معنى لان يقال: آمنا أو صدّقنا انا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله شططا ، أو يقال : آمنا أو

صدّقنا انه كان رجال من الانس يعوذون الخ ، أو يقال : آمنا أوصدقنا انا لمسنا السماء الخ .

قال بعض الاعلام: ولايندفع الاشكال الاّ بالمصير إلى ما ذكره بعضهم : انه إذا وجّه الفتح فى الآيتين الاوليين بتقدير الايمان أو التصديق ، فليوجه فى كل من الآيات الباقية بما يناسبها من التقدير .

خامسها ـ ان قوله : « وانه تعالى » ومابعدها من الايات المصدرة بأن عطف على قوله : « انه استمع » الخ .

وفساده ظاهر ، ومحصله : ان الايات بصدد الاخبار عما اوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أقوالهم ، وقد أخبر عن قولهم : « انا سمعنا قرآنا عجبا ـ فامنا به » بعنوان انه إخبار عن قولهم ، ثم حكى سائر أقوالهم بألفاظها ، فالمعنى : اوحى إلىّ انه استمع طائفة من الجن فقالوا انا سمعنا كذا و كذا ، واوحى إلىّ أنه تعالى جدّ ربنا الخ واوحى إلىّ انه كان يقول سفيهنا إلى آخر الايات . . .

ويرد عليه . ان ما وقع فى صدر الايات من لفظة « انه » و « انهم » و « انا » ان لم يكن جزء من لفظهم المحكى كان زائداً مخلاً بالكلام ، وإن كان جزء من كلامهم المحكى بلفظه لم يكن المحكى من مجموع « أن » وما بعدها كلاماً ، تاماً ، واحتاج إلى تقدير ما يتمّ به كلاماً حتى تصح الحكاية ، و لم ينفع فى ذلك عطفه على قوله : « انه استمع » شيئاً فلا تغفل .

وعلى أىّ تقدير والضمير فى « انه » للشأن فى موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد و « تعالى » فعل ماض من باب التفاعل ، و « جدّ » فاعل الفعل اضيف إلى « رب » اضيف إلى « نا » و « ما » نافية و « اتخذ » فعل ماض من باب الافتعال و « صاحبة » مفعول ثان على حذف مفعول الاول ، والتقدير : لم يتخذ الله غيره صاحبة ، والجملة فى موضع رفع ، نعت من « جد ربنا » و قيل : فى موضع جر ، نعت من « ربنا » .

٤- (وانه كان يقول سفيهنا على الله شططاً)

« يقول » فعل مضارع ، و « سفيهنا » فاعل الفعل ، و « على الله » متعلق بـ « شططاً » وهو نعت لمصدر محذوف أى قولاً شططاً ، والجملة فى موضع رفع نابت مناب معمولى « كان » مستتر فيه ، والجملة القولية فى موضع نصب خبر لـ « كان » والجملة بتمامها فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد .

٥- (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً)

« ظننا » فعل ماض للتكلم مع غيره و « أن » مخففة من الثقيلة إسمها ضمير شأن محذوف و « لن » حرف تأبيد و « تقول » منصوب بها ، وتأنيث الفعل باعتبار معنى الجماعة فى « الانس » وهو الفاعل ، و « الجن » عطف على « الانس » و « على الله » متعلق بـ « كذباً » وهو نعت لمصدر محذوف أى قولاً كذباً ، والجملة القولية فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد المخففة والجملة المؤكدة فى موضع نصب ، ناب مناب المفعولين لفعل الظن ، والجملة بتمامها فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد المثقلة .

٦- (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً)

« رجال » إسم لـ « كان » و « الانس » متعلق بمحذوف و هو خبر لـ « كان » والجملة الناقصة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « يعوذون » فى موضع رفع ، نعت من « رجال » وقيل : فى موضع نصب ، خبر لفعل الناقص ، و « برجال » متعلق بـ « يعوذون » و « من الجن » متعلق بمحذوف ، وهو نعت من « برجال » و « فزادوهم » الفاء سببية ، والفعل ماض ، والفاعل هو الواو التى نابت مناب ضمير الجمع الراجع إلى « الجن » و « هم » فى موضع نصب ، مفعول أول ، وقيل : العكس على أن الضمير الاول راجع إلى الانس والثانى إلى الجن ، و « رهقاً » مفعول ثان ، ولايخفى : ان « زاد » يستعمل لازماً كقولك : زاد الماء ، ويستعمل متعدياً إلى مفعولين كقولك : زدته درهماً ، وعلى هذا جاء فى الاية وفى كثير من

الايات القرآنية . . .

٧- (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً)

« انهم » الضمير فى موضع نصب ، اسم لحرف التأكيد ، راجع إلى « رجال من الانس » وقيل : راجع إلى « برجال من الجن » و « ظنوا » فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد و « كما » فى موضع نصب ، مفعول ل« ظنوا » أى مثل الذى.. و « ظننتم » فعل ماض لجمع الخطاب من بعض الجن لبعضهم ، و قيل خطاب للانس ، والجملة صلة ل« ما » على حذف العائد أى ظننتموه ، و « أن » حرف تأكيد ، مخففة من الثقيلة ، وإسمها ضمير شأن ، محذوف ، و « لن » حرف تأبيد ، و « يبعث » فعل مضارع ، و« الله » فاعل الفعل ، والجملة فى موضع نصب ، مفعول ثان ل« ظننتم » وقيل : ل« ظنوا » و « أحداً » مفعول به لفعل البعث .

٨- (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً)

« لمسنا » فعل ماض للتكلم مع غيره ، و« السماء » مفعول به ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، والفاء فى « فوجدنا » سببية والفعل بمعنى : أصبنا ، وتحتمل التفريعية والفعل بمعنى : علمنا ، و « ها » فى موضع نصب ، مفعول به ، و « ملئت » فعل ماض مبنى للمفعول ، وفاعله النيابى ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « السماء » وفى موضع الفعل وجوه : أحدها - نصب ، نعت من « السماء » ثانيها - نصب ، حال من « السماء » على تقدير « قد » أى قد ملئت . ثالثها - نصب ، مفعول ثان ل« فوجدناها » على أنه بمعنى « علمناها » ولكل وجه والاوجه هو الثانى .

وفى نصب « حرسا » وجوه : أحدها - انه إسم جمع لحارس ، منصوب على التمييز . ثانيها - مفعول ثان ل « ملئت » أى ملئت ملائكة السماء شداداً ، ووحّد الشديد على لفظ الحرس . ثالثها - مصدر على معنى : حرست حراسة شديدة .

و « شديداً » نعت من « حرساً » على اللفظ و « شهبا » جمع شهاب ، عطف على « حرساً » .

٩ـ (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً)

« نقعد » فعل مضارع للتكلم مع غيره في موضع نصب ، خبر لفعل الناقص ، والجملة بتمامها في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « منها » متعلق بـ « نقعد » والضمير راجع إلى « السماء » و « مقاعد » منصوب لانه ظرف مكان ، و « فمن » الفاء تفريعية ، وتحتمل الفصيحة ومدخولها شرطية ، و « يستمع » فعل مضارع من باب الافتعال ، شرط ، و « الآن » منصوب على الظرفية ، و « يجد » جزاء و « له » متعلق به « يجد » و « شهاباً » مفعول به ، و « رصداً » أي مرصداً أو ذا رصاد ، نعت من « شهاباً » .

١٠ـ (وأنا لا ندري أشر اريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشداً)

« لا ندري » فعل مضارع للتكلم مع غيره منفي بحرف النفي ، في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « أشر » الهمزة إستفهامية و « شر » مبتداء و انما جاز أن تكون النكرة مبتداء من غير تخصيص لاجل همزة الاستفهام كما يجوز ذلك بعد حرف النفي لان كليهما يفيد معنى العموم ، و « اريد » فعل ماض من باب الافعال مبني للمفعول ، خبر المبتداء ، وقيل : « شر » فاعل لفعل محذوف يدل عليه المذكور أي أريد شر ، و « بمن » متعلق بـ « اريد » و « من » موصولة ، و « في الارض » متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول ، و « أم » متصلة قدمت عليها همزة يطلب بها وبأم التعيين ، و « أراد » فعل ماض من باب الافعال ، و « بهم » متعلق بـ « أراد » و « ربهم » فاعل الفعل و « رشداً » مفعول به .

١١ـ (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً)

« منا » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « الصالحون » مبتداء مؤخر ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « دون ذلك » صفة لموصوف محذوف أي قوم دون ذلك ، و « طرائق » جمع طريقة أي كنا قبل الاسلام فرقاً مختلفين ، ذوي مذاهب متشتتة ، وآراء مختلفة ، وأهواء متنوعة ، وقيل : « طرائق » منصوب

على الظرفية أى فى طرائق، و « قدداً » جمع قدة نحو : عدة وعدد ، نعت من « طرائق » .

١٢- (وانا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هرباً)

« ظننا » فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « أن » مخففة من الثقيلة اسمها ضمير شأن مقدر ، و « نعجز » فعل مضارع للتكلم مع غيره من باب الافعال، منصوب بحرف التأبيد ، و «الله» مفعول به ، و« فى الارض » متعلق بـ « نعجز » و قيل : متعلق بمحذوف أى كائنين. والجملة فى موضع نصب ، نابت مناب المفعولين لـ « ظننا » و « لن نعجزه » عطف على « لن نعجزالله » و « هرباً » منصوب على المصدرية فى موضع الحال أى هاربين .

١٣- (وانا لما سمعنا الهدى آمنابه فمن يؤمن بربه فلايخاف بخساًولارهقاً)

« لما » حرف تدخل على الماضى لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى نحو : لماقمت قمت، والجملة فى موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، و «فمن» الفاء تفريعية ، ومدخولها إسم شرط و « يؤمن » فعل مضارع من باب الافعال ،مجزوم باسم الشرط ، و « بربه » متعلق بـ « يؤمن » و « فلا يخاف » الفاء للجزاء والجملة المنفية جزاء للشرط ، و قد اقترنت بالفاء لوقوعها منفية ، و قيل : ان الجملة خبر لمحذوف أى فهو لا يخاف وإلاّ قيل : بالجزم وبدون الفاء ، وهذا السياق يفيد تحقيق نجاة المؤمن . فكأنها وقعت ، فاخبر انه لا يخاف ، وفيه دلالة على انه هو المختص بذلك دون غيره إذ يعلم من بناء الكلام على الضمير ان غيره خائف .

و « بخساً » منصوب على حذف المضاف أى جزاء بخس ولارهق أوكان المراد فلا يخاف بخساً من الله تعالى ولا ترهقه ذلة .

١٤- (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فاولئك تحروارشداً)

« منا » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم و« المسلمون » مبتداء مؤخر ،والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « منا القاسطون » عطف على ماقبله ، و

الفاء في « فمن » تفريعية و مدخولها إسم شرط ، و « أسلم » فعل ماض من باب الافعال ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى « من » والجملة شرطية ، و الفاء في « فاولئك » جزائية ، ومدخولها مبتداء و « تحروا » فعل ماض لجمع الغيبة من باب التفعل ، وأصله : تحرّيوا ، فثقلت الضمة على الياء ، فحذفت الياء ثم الضمة ، والجملة خبر المبتداء ، والجملة الخبرية جزاء للشرط ، و « رشداً » مفعول به .

١٥- (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)

« أما » تفصيلية ، وقد يترك تكرارها استغناء بذكر كلام بعدها في موضع ذلك القسم ، والفاء في « فكانوا » جزائية ، و« لجهنم » متعلق بـ « حطباً » وهو خبر ا « كانوا » .

١٦- (وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً)

« أن » مخففة من الثقيلة ، إسمها ضمير شأن ، عطف على « انه استمع » لانه من كلام الله تعالى ، والمعنى : اوحى إلىّ أن الشأن والحديث لو استقام الجن أو الانس أو كلتا الطائفتين على الطريقة المثلى ، و «لو» شرطية و « استقاموا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الاستفعال ، و « على الطريقة » متعلق بفعل الاستقامة ، واللام في « لاسقينا » جوابية ، ومدخولها فعل ماض للتكلم مع غيره ، و«هم» في موضع نصب ، مفعول أول ، و « ماء » مفعول ثان ، و « غدقا » وصف من « ماء » .

١٧- (لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً)

اللام تعليلية ، والفعل المضارع للتكلم مع غيره منصوب بـ « أن » مقدرة ، وضمير الجمع في موضع نصب ، مفعول به ، و « فيه » متعلق بـ « نفتن » والضمير راجع إلى « ماء غدقاً » و« من » شرطية ، و « يعرض » فعل مضارع من باب الافعال ، و « عن ذكر ربه » متعلق بفعل الاعراض ، و « يسلكه » جزاء الشرط ، وضمير الوصل في موضع نصب ، مفعول به ، و « عذاباً » منصوب بنزع الخافض ، و

تقديره : فى عذاب ، فحذف الجار ، واتصل الفعل بالمجرور ، فنصبه كقوله تعالى: « ماسلككم فى سقر» وقيل : « يسلكه » يتضمن معنى : يدخله ، ولذا عدّى إلى المفعول الثانى ، و « صعداً » مصدر بمعنى الصعود ، وصف به العذاب لانه يتصعد المعذب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه .

١٨- (وان المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحداً)

فى موضع « أن » وجوه : أحدها - فى موضع رفع ، عطف على قوله : «انه استمع » . ثانيها - فى موضع جر ، بتقدير حرف الجر ، وإعماله بعد الحذف ، و الجملة فى موضع التعليل لقوله : « فلاتدعوا مع الله » والتقدير : لاتدعوا مع الله أحداً غيره لان المساجد له تعالى . وقال الخليل النحوى : أى ولاجل ان المساجد لله خاصة ، والجار متعلق بما بعده . ثالثها - فى موضع نصب ، بتقدير حرف الجر ، فلما حذف الجار إتصل الفعل به ، فنصبه .

و « المساجد » جمع مسجد ، من صيغ منتهى الجموع إسم لحرف التأكيد، و « لله » متعلق بمحذوف ، وهو خبر لها ، والفاء فى « فلا تدعوا » تفريعية والفعل مجزوم بحرف النهى ، و « مع الله » متعلق بـ « فلاتدعوا » و « أحداً » مفعول به .

١٩- (وانه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً)

عطف على « انه استمع » والضمير للشأن ، و «لما » حرف ترد لربط جملة بمضمون اخرى ، و«قام » فعل ماض و « عبدالله » فاعله و الجملة بمنزلة الشرط لـ «لما» و « يدعوه » فعل مضارع، فاعله الضمير المستتر فيه، راجع إلى « عبدالله » وضمير الوصل فى موضع نصب،مفعول به ، والجملة فى موضع رفع ، نعت من«عبدالله» وقيل : فى موضع نصب ، حال من « عبدالله » أى داعياً إلى الله تعالى أو مصلياً له ، أوموحداً لله جل وعلا .

و «كادوا» فعل ماض من أفعال المقاربة لدنو الخبر للاسم حصولاً، جواب لـ « لما » والجملتان : الشرط والجواب فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و

« يكونون » فى موضع نصب ، خبر ا «كادوا» و « عليه » متعلق ﺑ « يكونون » و « لبداً » جمع لبدة ، خبر ا « يكونون » .

٢٠- (قل انما أدعواربى ولا اشرك به أحداً)

« قل » فعل أمر من الله تعالى للنبى الكريم ﷺ و « انما » حرف قصر، و « ادعوا» فعل مضارع للتكلم وحده ، و « ربى » مفعول به ، و«لا» حرف نفى و « اشرك » فعل مضارع للتكلم وحده من باب الافعال ، منفى بحرف النفى و «به» متعلق بفعل الاشراك و « أحداً » مفعول به .

٢١- (قل انى لا املك لكم ضراً ولا رشداً)

« قل » فعل أمر و «انى » كسرت همزتها لوقوعها بعد القول ، وياء التكلم فى موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، و « أملك » فعل مضارع للتكلم وحده ، منفى ﺑ «لا» و « لكم » متعلق ﺑ « أملك » و «ضراً » مفعول به ، والجملة فى موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، و « رشداً » عطف على « ضراً » .

٢٢- (قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً)

« لن » حرف تأبيد و « يجير » فعل مضارع من باب الافعال ، منصوب بحرف التأبيد و «نى» النون للوقاية، والياء للتكلم ، و « من الله » متعلق ﺑ «يجير» و « أحد » فاعل الفعل، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و«أجد» فعل مضارع للتكلم وحده ، منصوب بحرف التأبيد ، و « من دونه » متعلق ﺑ « أجد » وقيل : متعلق ﺑ « ملتحداً » و « ملتحداً » اسم مكان ، وقيل : مفعول به ، والجملة عطف بما قبلها .

٢٣- (الابلاغاً من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً)

« الاّ » حرف استثناء و فى نصب « بلاغاً » وجوه : أحدها ـ منصوب على الاستثناء من « ملتحداً » من غير الجنس .

ثانيها ـ مفعول به لقوله: «لاأملك» على طريق الاستثناء المنقطع، والمعنى لاأملك لكم ضراً ولا رشداً الاّ تبليغاً من الله تعالى و رسالاته، وهذا حسن لولم يكن الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بقوله: «قل لن يجبرنى الخ» موجباً لبعد ذلك.

ثالثها ـ بدل من «ملتحداً» أى لن أجد ملجأ إلاّ أن ابلغ عن الله تعالى ما أرسلنى به فهو ملجأى. رابعها ـ منصوب على المصدر، و «لا» بمعنى «لم» و «إن» للشرط، والمعنى: لن أجد من دونه ملتحداً أى إن لم ابلغ رسالات ربى بلاغاً، فيكون الاستثناء متصلاً. خامسها ـ إستثناء من مفعول أملك أى لااملك لكم إلاّ البلاغ إليكم، ومابين المستثنى والمستثنى منه إعتراض جيىء لتأكيد نفى الاستطاعة.

و «من الله» متعلق بمقدرأى كائناً من الله تعالى، وقيل: متعلق بـ «بلاغاً» و«من» بمعنى «عن» لان بلاغاً لايتعدى إلاّ بعن. و «رسالاته» جمع رسالة، عطف على «بلاغاً» والمعنى: إلاّ بلاغاً من الله وإلاّ رسالاته، وقيل: عطف على لفظ الجلالة و «من» بمعنى «عن» والمعنى: إلاّ بلاغاً عن الله وعن رسالاته، وقيل: عطف على محذوف والتقدير: الاّ بلاغاً من الله وآياته ورسالاته.

«ومن» الواو للاستيناف و «من» شرطية، و«يعص» فعل مضارع مجزوم باسم الشرط على حذف لام الفعل، و «الله» مفعول به، و «رسوله» عطف على «الله» وإفراد الضمير باعتبار لفظ «من» و «فان» الفاء جزائية، ومدخولها حرف تأكيد، كسرت ألفها لان ما بعد فاء الجزاء موضع إبتداء و «له» متعلق بمحذوف، خبر مقدم، و «نار» إسم لحرف التأكيد، اضيف إلى «جهنم» وهى غير منصرف للعلمية والتأنيث؛ والجملة المؤكدة جزاء للشرط، و «خالدين» حال مقدرة من معنى «من» والمعنى: يدخلونها مقدراً خلودهم و «فيها» متعلق بـ «خالدين» والضمير راجع إلى «نارجهنم» و «أبداً» منصوب على الظرفية.

٢٤ـ (حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً)

« حتى » إبتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أى لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا من عذاب الدنيا يوم بدر والفتح ، فما بعد « حتى » داخل فى ما قبلها . و قيل : على تقدير : هم لا يزالون يستضعفون النبى ﷺ وناصريه و يستقلّون عددهم حتى اذا رأوا ما يوعدون من نار جهنم و عذابها فما بعد « حتى » خارج من ما قبلها .

« اذا » ترد ظرفاً للمستقبل ، سواء دخلت على المضارع أم على الماضى ، و تتضمن معنى الشرط ، وتضاف إلى شرطها ، و تنصب بجوابها ، و « رأوا » فعل ماض ، شرط ، و « ما » موصولة فى موضع نصب ، مفعول به لفعل الرؤية و « يوعدون » فعل مضارع مبنى للمفعول من باب الافعال صلة للموصول على حذف العائد ، و « فسيعلمون » الفاء للجزاء والسين للتسويف و مدخولها جزاء للشرط ، وعلقت عن العمل لمكان الاستفهام التالى .

و « من » إستفهامية فى موضع رفع على الابتداء ، و « أضعف » خبره والجملة تعليقية . وقيل: موصولة فتكون فى موضع نصب ، مفعول به لـ « فسيعلمون » و « أضعف » خبر لمبتداء محذوف . تقديره : من هو أضعف : و « ناصراً » منصوب على التمييز ، وقيل : مفعول ثان لـ « فسيعلمون » بناء على كون « من » موصولة و « أقل » عطف على « أضعف » والكلام فى « عدداً » هو الكلام فى « ناصراً » . و قيل : « عدداً » مصدر فى معنى الاحصاء . وقيل : حال أى ضبط كل شىء معدوداً محصوراً .

٢٥ـ (قل ان أدرى أقريب ما توعدون ام يجعل له ربى أمداً)

« ان » حرف نفى ، وهى تدخل على الجملة الاسمية كقوله تعالى : « ان الكافرون إلاّ فى غرور » الملك : ٢٠) وعلى الجملة الفعلية كالآية ، و « أدرى » فعل مضارع للتكلم وحده علّق من العمل للاستفهام التالى ، و « أقريب » الهمزة

للاستفهام ، و « قريب » مبتداء جاء بالنكرة لتقدم الاستفهام عليها ، و « ما » موصولة ، فاعل لـ « قريب » ساد هو ومابعده مسد الخبر كقولك : أقام أخوك ، و قيل : « ما » مصدرية فلاتحتاج إلى عائد ، و « توعدون » صلة الموصول على حذف العائد أى توعدون به ، و « أم » للتسوية ، و « يجعل » فعل مضارع ، و « له » متعلق بـ « يجعل » و « ربى » فاعل ، و « أمداً » مفعول به .

٢٦- (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً)

« عالم الغيب » وصف لـ « ربى » وقيل : خبر لمبتداء محذوف ، أى هو عالم الغيب ، و « فلا يظهر » الفاء تفريعية والفعل المضارع من باب الافعال منفى بحرف النفى ، و « على غيبه » متعلق بفعل الاظهار و « أحداً » مفعول به .

٢٧- (الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً)

« إلاّ » حرف إستثناء و « من » فى موضع نصب ، استثناء منقطع من « أحد » وقيل : فى موضع رفع ، مبتداء و « فانه يسلك » خبره والضمير راجع إلى الله تعالى ، و « ارتضى » فعل ماض من باب الافتعال ، و « من رسول » فى موضع نصب ، مفعول به ، و « من بين يديه ومن خلفه » متعلق بـ « يسلك » والضميران راجعان إلى « رسول » و « رصداً » جمع راصد ، حال من الملائكة ، وقيل : مفعول به .

٢٨- (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم و أحاط بمالديهم و أحصى كل شيء عدداً)

« ليعلم » اللام تعليلية ، ومدخولها فعل مضارع ، منصوب بـ « أن » مقدرة والفاعل ضمير مستتر فيه راجع إلى « الله » وقيل : إلى « رسول » و « أن » مخففة من الثقيلة ، وإسمها ضمير شأن مقدر ، والتقدير : انه و « قد » للتحقيق و « أبلغوا » فعل ماض من باب الافعال ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « رسالات » جمع الرسالة ، مفعول به أضيف إلى « رب » اضيف إلى « هم » والضمير راجع إلى « من » باعتبار معناه أو إلى « رسول » باعتبار الجنس .

« و أحاط » الواو للعطف ، ومدخولها فعل ماض من باب الافعال ، عطف على مقدر أي فعلم ذلك وأحاط ، وقيل : عطف على « أبلغوا » وقيل : على « ليعلم » والجملة في موضع نصب ، حال من فاعل « ليعلم » و « بما » متعلق به « أحاط » و « ما » موصولة و « لديهم » متعلق بمحذوف وهو الصلة ، و « أحصى » عطف على « أحاط » و « كل شيء » مفعول به .

وفي نصب « عدداً » وجوه : أحدها ـ منصوب على المصدر لان احصى بمعنى عدّ والمعنى : وأحصى كل شيء في حال العدد ، فلم يخف عليه سقوط ورقة ولا حبة ولا رطب ولا يابس . ثانيها ـ أن يكون في موضع المصدر لان معناه : وعدّ كل شيء عدّاً . وقيل : أي أحصى كل شيء إحصاءاً . ثالثها ـ نصب على التمييز وليس بمصدر لانه لو كان مصدراً لكان مدغماً ويقال : عداً فهو محوّل عن المفعول والاصل : أحصى عدد كل شيء .

﴿ البيان ﴾

١- (قل اوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً)

أمر من الله تعالى للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخبر الناس بان الله تعالى أوحى إليه بانه استمع نفر من الجن للقرآن حينما كان يتلوه فعظموا شأن المتلو.

وفي ايثار الفعل «اوحى» مبنياً للمفعول تعظيم وتفخيم للوحي والموحى، وفي تأكيد الاخبار بحرف التأكيد مصاحباً لضمير الشأن ما لا يخفى على القارىء الخبير.

وقوله تعالى: « استمع » دلالة على أن سماع الجن كان عن قصد وإلتفات إلى المسموع، من غير دلالة على عدم سماع غيرهم منهم بلا إلتفات وعن قصد، وان كان القول بالدلالة على سماع غير هؤلاء النفر منهم بدون إلتفات إلى المسموع غير بعيد.

وقوله تعالى: « فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً » تقرير من المستمعين للسامعين وغيرهم لتأثير القرآن الكريم في النفوس إذا كان عن إستماع لا سماع كما تدل على ذلك كلمة الاستماع « استمع » لا عن سماع إذ في السماع دلالة على مجرد وقوع المسموع على اذن السامع سواء كان عن قصد والتفات أم لا، و كان السامع مقبلاً أم معرضاً، أما الاستماع ففيه إلتفات وقصد إلى المسموع.

وقوله تعالى حكاية عن الجن: « سمعنا » بدلاً من « استمعنا » يدل على أنهم خرجوا من مجلس الاستماع، وقد أصبح الذي استمعوا اليه مسموعاً لهم سماعاً متمكناً

واعياً . . وهذا كان مثار عجبهم و دهشتهم . . فسمعوا كلا مالم يسمعوا كلاماً مثله قط: كلاماً خارقاً للعادة لما فيه من التأثير والسلطان على النفوس والتمكن من القلوب . . . ولو قالوا : « استمعنا » لدلّ ذلك على أنهم تكلفوا جهداً لما سمعوا و انهم حملوا أنفسهم على ذلك حملاً طوال مجلس الاستماع والواقع غير هذا، فانهم ما ان جلسوا بين يدى مايتلى من آيات الله تعالى حتى ملك القرآن الكريم زمامهم ، و أحال وجودهم كله آذاناً صاغية ، و قلوباً خاشعة من غير معالجة أو معاناة من داخل أنفسهم أو خارجها .

و فى هذا الاخبار فوائد : التنبيه إلى عموم الرسالة المحمدية للثقلين ، و إلى أن الجن مكلفون كالانس ، و إلى أنهم يسمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا ، و إلى أن المؤمن منهم يدعو سائرهم إلى الايمان و صالح الاعمال ، و إلى انهم عقلاء و ذوو شعور و إدراك ، وإلى انهم يحاسبون يوم القيامة بأعمالهم إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً ، و إلى أنهم يميزون بين المعجز وغير المعجز إذ أخبروا باعجاز القرآن الكريم وانه كلام الله تعالى وتحريض لقريش على الايمان والتوحيد ورفض الانداد وعلى صالح الاعمال حيث ان الجن على تمرّدها لما استمعت للقرآن عرفت إعجازه و آمنت به ، فكيف الانس و «عجباً» مصدر وضع موضع النعت للمبالغة أى قرآناً عجباً بديعاً خارجاً عن حدّ أشكاله بحسن مبانيه وعلو معانيه ...

٢ - (يهدى الى الرشد فآمنا به و لن نشرك بربنا أحداً)

وصف ثان للقرآن الكريم على لسان الجن فى معانيه ومبانيه ، وفى حكمه و معارفه وفى حقائقه و تأثيره فى النفوس ، و لما اشتمل عليه نظمه العجيب من معان كريمة مضيئة بنور الحق ، نور يهدى إلى إصابة الواقع و ما خفى علينا من الحقائق، إلى الايمان وصالح الاعمال ، إلى الفلاح والنجاة ، إلى الحق والصواب، إلى المعرفة بالله القادر المتعال و ترك الانداد ، إلى الايمان والعزة وإلى الخير والسعادة . . بعد وصف وصفوه به فى نظمه و اسلوبه وانه كلام عجب لم يسمعوا

مثله بعد .

قوله تعالى : «فآمنابه» إخبار من الله تعالى عن ايمان الجن بالقرآن الكريم بعد ما استمعوا له و تصديقهم بانه حق ، و كلام خارق للعادة فى نظمه ومعناه ، وفى هدايته إلى الواقع والصواب، جابه رجل امى ماكان يقرأ ولايكتب، فايمانهم هو المسبب عن الوصفين للقرآن الكريم اللتين رآهما الجن فى القرآن ، وما وقع فى نفوسهم منه ، و لهذا فهم آمنوا بهذا القرآن ، و بانه كلام الله و نوره المرسل و هدى و رحمة للعالمين .

و قوله تعالى : « و لن نشرك بربنا أحداً » إخبار من الله تعالى عن الجن بعدم العود إلى ما كنا عليه من الشرك ، وفيه تعظيم لشأن ربهم ، وتأكيد لمعنى ايمانهم بالقرآن الكريم لان الايمان بالقرآن ايمان بالله تعالى الذى هو أنزله إلى رسوله ، و ايمان برسوله وباليوم الاخر ، فهو وحده ربهم ، وان ايمانهم بالله تعالى ايمان توحيد لايشركون به أحداً، إذ من لوازم الايمان سلبياً أن لايشرك المؤمن بالله سبحانه أحداً و لن يعبد إلهاً غيره معه .

٣ - (و انه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة و لا ولداً)

صدر الاية وصف ايجابى فى موضع التعليل لما قبله ، و تأكيد لنفى الجن الشرك و تنزيه ربهم فى الشريك وجوداً و ايجاداً ، تدبيراً و عبادة كما قال الله تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحداً » .

قيل : فى الاية دلالة على أنه كان فى الجن نصارى و يهود و مشركون .

وذيل الاية وصف سلبى لصدرها فى موضع التعليل له حيث ان اتخاذ الصاحبة والولد والانداد ينافى العظمة والعلو والجلالة المطلقة ، و «صاحبة» كناية عن الزوجة .

٤ - (و انه كان يقول سفيهنا على الله شططا)

تقرير لماكانت عليه عقائد الجن قبل ذلك ، وتأكيد فى نفى الشرك و تنزيهه

تعالى عما كان يقوله بعضهم : خفيف العقل ، و ضعيف النفس من قول بعيد عن الواقع ، مشتط عن الصواب فى حق الله سبحانه ، و فيما ينبغى أن يكون لذاته من كمال و جلال ، فخرجوا بهذا القول عن القصد والاعتدال ، و تجاوزوا الحد فى القول والعمل والعقيدة إذ جعلوا لله سبحانه أنداداً ، واتخذوا من دونه أولياء ، ونسبوا إليه سبحانه الزوج والولد و عبدوا غيره ، وغالوا فى ذلك كله .

و «شططا» وصف بالمصدر للمبالغة .

٥ - (و انا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً)

تعليل وإعتذار من مؤمنى الجن عما كانوا عليه من قبل أن يستمعوا القرآن و تكذيب منهم على السفهاء منهم و من الانس الذين كانوا يدعونهم إلى الشرك بالله سبحانه بانا أخذنا قول هؤلاء السفهاء لانا ظننا أن لا يفترى أحد على الله الكذب، فلما سمعنا القرآن الكريم عرفنا انهم قد كذبوا على الله سبحانه و أغوانا .

وفى الاية دلالة على أنهم كانوا مقلدة فى اصول الدين حتى سمعوا الحجة ، وانكشف لهم الحق، فرجعوا عما كانوا عليه من الشرك ، ودلالة على قبح التقليد فى الاصول الاعتقادية ، و حث على الاستدلال والنظر فيها .

٦ - (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً)

تصوير لما كانت عليه عقائد العرب فى الجن إذ كانوا يعتقدون بوجودهم وبما هم عليه من قوة و تأثير ، وكانوا يخشون شرهم و يستعيذون بهم ، وفى الاية دلالة على أن من الجن رجالاً و نساءاً و أن لهم ذرية كالانس، وفى تخصيص الرجال بالذكر فى طرفى الاستعاذة ايماء إلى أن ذلك كان شايعاً بين الرجال من الانس ويرونه لرجال من الجن دون نسائهم .

٧ - (و انهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً)

تقرير من مؤمنى الجن لعقيدة مشركى الطائفتين من الانس والجن فى الرسالة بعد بيان إعتقاد المشركين فى التوحيد ، و تكذيب منهم على الطائفتين،

و إستخفاف بعقولهم و إستخفاف لاحلامهم كلهم ، و تبكيت لمشركى قريش إذ عموا عن هذا الهدى الذى طلعت شمسه فى سمائهم ، فلم يهتدوا به و قد سبقهم إليه أبعد الخلق عنه و هم الجن ، و تأكيد للحجة على قريش.

قيل : ان هـذه الايـة والتى قبلها ليستا من كلام الجن ، بل إعتراض من إخبار الله تعالى بين الايات المتضمنة لكلام الجن.

٨ - (و انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً و شهباً)

إخبار من الله تعالى على طريق الحكاية عن الجن: ان من يحاول منهم التعرف السماوى كما كان يفعل سابقاً يجد حفاظاً أقوياء فى دفع من يريد الاستراق منها.

قيل : اللمس إستعارة عن الطلب لان اللمس بمعنى المس ، والماس يطلب التعرف ، والمعنى : طلبنا بلوغ السماء و إستماع كلام أهلها.

٩- (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً)

إخبار من الله تعالى على طريق الحكايـة عن تقريـر الجن لقعودهم مقاعد للسمع فى السماء قبل وحى القرآن الكريـم ، و تبدل الموقف و ابتلاء السماء بالشهاب الراصد بعد الوحى.

قيل : فى الاية إشارة إلى أن الجن كانوا يجدون بعض المقاعد خالية عن الشهب والحرس ، والآن ملئت المقاعد كلها.

١٠ - (وأنا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض أم اراد بهم ربهم رشداً)

إعتراف من الجن : بانهم لا يعلمون الغيب على الاطلاق رداً على من كان يظن : انهم يعلمونه ، و اظهار للجهل والتحيّر من الجن فيما شاهدوه من أمر الرجم ومنع لشياطين الجن من الاطلاع على أخبار السماء غير انهم تنبّهوا على أن ذلك لأمر ما يرجع إلى أهـل الارض : إما شرّ ينـزل على من استحقه كما يشعر بذلك حذف الفاعل فى جانب الشرّ إذ لا يراد شرّ من جانب الله تعالى الاّ لمن استحقه و إما خير ، وهو نوع هدى لاهل الارض وسعادة، ولذا بدّلوا الخير

و هو المقابل للشر من الرشد ويؤيده قولهم : « أراد بهم ربهم » المشعر بالرحمة و العناية .

وتنكير «شر» و « رشدا» يفيد النوع أى نوعاً منهما .

و قيل : سمى العذاب شراً لانه مضرة ، و سمى بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رشداً لانه منفعة .

١١- (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً)

إخبار من الله تعالى على طريق الحكاية عن الجن بتقسيمهم إلى طوائف ومذاهب : منهم الصالحون العقلاء الراشدون ، ومنهم القاسطون السفهاء الضالون

و « كنا طرائق قدداً » بيان وتعليل للقسمة المذكورة على سبيل الاستعارة والمعنى: كنا ضروباً مختلفة وأجناس مفترقة ، والطرائق : جمع طريقة ، وهى فى هذا الموضع : المذهب والنحلة ، والقدد : جمع قدة و هى القطعة من الشيء المقدود طولاً مثل فلذة و فلذ ، و قد غلب على ماكان مع القطع طولاً لفظ القد ، وعلى ماكان من القطع عرضاً لفظ القط ، فكأنه تعالى شبه إختلافهم فى الاقوال ، وإفتراقهم فى الآراء بالسيور المقدودة التى تتفرق عن أصلها، وتتشعب بعد ائتلافها.

١٢ - (و انا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض و لن نعجزه هربا)

إعتراف من الجن على أن الله تعالى هو الغالب على كل شيء ، وفى تكرار لفظة «لن» مرتين دلالة على إستحالة مدخولها ، و قرينة على أن المراد بالظن هو اليقين .

١٣ - (و انا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً و لا رهقاً)

تقرير منهم لشأنهم من بين قومهم ، و إعتراف منهم بما فى القرآن الكريم من هدى و رشد ، وإدراك ما كانوا عليه من سخف وضلال فى إنكار البعث ، ونسبة الصاحبة والولد إلى الله سبحانه ، وتفريع علة على معلول يفيد الحجة فى ايمانهم

بالقرآن الكريم من دون ريث و لا مهل ، و إشارة إلى ما يترتب على الايمان من خير و سعادة دنيوية و اخروية . .

١٤ - (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فاولئك تحروا رشداً)

إخبار من الله تعالى حكاية عن الجن بعودهم إلى أحوالهم و تقسيمهم إلى فريقين : فرقة مسلمة مستسلمة لما أمرهم الله تعالى به ، مستقيمة على طريق الهدى ناجية من النار والعذاب ، نائلة بالجنة و نعيمها ، و فرقة ضالة منحرفة عن طريق الحق والهدى ، مجاوزة الحد بالكفر والشرك والعصيان ، جائرة عن النهج القويم .

ثم تفريع وتفصيل لجزاء الفرقة الاولى مع الاشارة إلى سبب الاسلام وهو التحرى و هو طلب الصواب المستتبع للثواب والجزاء .

قيل : ان الفرق بين قوله : « الصالحون ـ و ـ دون ذلك » و بين قوله : « المسلمون ـ والقاسطون » ان «الصالحون» : هم رسل الجن ، و « دون ذلك » يشمل لكلا القاسطين والمتوسطين بينهما من المؤمنين بدرجاتهم ولكن قوله : «المسلمون» رسلهم والمؤمنين و «القاسطون» يخص شياطينهم .

١٥ - (و أما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)

تفصيل لمآل أمر الكافرين من الجن ، و ذمّ عليهم ، و في الجزاء إستعارة ، فان المراد ان نار جهنم يستدام و قودها بهم كما يستدام و قود النار بالحطب لان كل نار لابد لها من حشاش يحشها و وقود يمدها .

١٦ - (و أن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً)

تقرير ربانى بان الانس والجن لو اتبعوا الطريق القويم و استقاموا عليه لاسقاهم الله تعالى ماء غدقاً يكثر به رزقهم ، ودعوة من الله تعالى وحثّ وتحريص فى الاستقامة على طريق الحق والايمان بالله تعالى و رسوله واليوم الاخر ، و «الطريقة» : كناية عن طريق الحق والصواب والخير والسعادة .

و قوله تعالى : «لاسقيناهم ماء غدقاً» كناية عن طيب العيش و كثرة المنافع، لان الماء أصل المعاش و كثرة البركات والرخاء والسعة فى الرزق، وعن الكثرة والاستمرار، و فيه وعد من الله تعالى لاهل الاستقامة على الحق والايمان بعيشة راضية و سعادة غامرة.

١٧ - (لنفتنهم فيه و من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعداً)

بيان لسبب البسط : بان فى طيب العيش والسعة فى الرزق إختباراً لشكرهم و إعترافهم بفضل الله تعالى، و أما الذين يستكبرون و يبطرون و يعرضون عن ذكر ربهم و شكره يسلط الله جل و علا عليهم البلاء الشديد.

وقوله تعالى : «و من يعرض عن ذكر ربه» الخ إشارة إلى أن من يبتعد عن الله سبحانه، و يأخذ طريقاً غير طريق الهدى، فان له معيشة ضنكاً، وانه لن يجد الأمن والسلامة أبداً، وفى التعبير عن أخذ المعرض عن ذكر ربه بالعذاب، و تدرجه فيه صعداً فى التعبير عن هذا بقوله تعالى : «يسلكه» إشارة إلى اتصال هذا العذاب، و انه فى اتصاله و تعدده أشبه بحبات العقد ينتظمها سلك واحد، فالمعرض عن ذكر ربه فى دائرة مغلقة من العذاب يظل يدور فيها دون أن يستطيع الافلات منها أو الخروج عنها مع تدرجه فى العذاب، و تنقله فيه من سيّء إلى إلى ما هو أسوأ حتى يلقى به فى العذاب الاليم.

و فى قوله تعالى : «يسلكه عذابا صعداً» وعيد و تهديد على المعرضين عن عبادة الله تعالى و وحيه، و إشارة إلى أن المعرض عن ذكر ربه فى عذاب دائم متصل فى الحياة الدنيا والاخرة.

والاية و ما بعدها مصدر إلهام و تلقين جليل مستمرى المدى.

و قيل : ان الاعراض عن ذكر الله تعالى لازم عدم الاستقامة على الطريقة، و هو الاصل فى سلوك العذاب، ولذا وضع موضعه ليدل على السبب الاصلى فى دخول النار، وهو الوجه أيضاً فى الالتفات عن التكلم مع الغير إلى الغيبة فى قوله

تعالى: « ذكر ربه » وكان مقتضى الظاهر أن يقال: ذكرنا وذلك ان صفة الربوبية في المبدإ الاصلي لتعذيب المعرضين عن ذكره جل وعلا فوضعت موضع ضمير المتكلم مع الغير ليدل على المبدإ الاصلي كما وضع الاعراض عن الذكر موضع عدم الاستقامة ليدل على السبب.

١٨ - (وان المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحداً)

« وان المساجد لله » تعليل لقوله تعالى: « فلاتدعوا مع الله أحداً » على جرى الاصل من تقديم العلة على المعلول، والتقدير: لا تدعوا مع الله أحداً غيره فان المساجد لله تعالى وحده وفي إضافة «لله» تكريم وتشريف وإختصاص.

وقوله تعالى: « فلاتدعوا مع الله أحداً » دعوة ربانية بان لايدعوأحد مع الله سبحانه أحداًولا يشرك به غيره في سجوده وخضوعه، وفي عقيدته وفعاله وأقواله، وتنزيه النفس عن الدعاء والصلاة لغير الله تعالى في كل حال، وتوبيخ للمشركين في دعائهم مع الله سبحانه غيره في المسجد الحرام وفي كل مكان.

ان تسئل. كيف ينسجم هذا الامر مع ذكر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أو وليه الامام على عليه السلام مع الله تعالى في الأذان أو الصلاة أو الشهادة؟

اجيب عنه: انما يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والولي عليه السلام في الاذان والصلاة والشهادة ذكر تعظيم وتكريم وإعتراف لهما بالنبوة والولاية لاذكر عبادة، والاية انما تنهى عن أن يشرك معه سبحانه بالعبادة.

١٩ - (وانه لماقام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً)

إشارة إلى ما كان من مقابلة الجن اوالانس من مشركي قريش للدعوة النبوية من تكتل وتآمر وتآلب ومعارضة والتعبير بـ« عبدالله » كالتمهيد للآية التالية، و في تخصيص « عبد » بالمقام دون الرسول والنبي نكتة لطيفة، وهي ان ما قبله النهي عن عبادة غيرالله تعالى، ومابعده ذكر عبادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياه، مع أن المقام لم يكن بصدد رسالة النبي إليهم، فلوقال: رسول الله أو نبي الله لأوهم ذلك

قصد أداء الرسالة إليهم .

وقوله تعالى: « عبدالله » كناية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وفى إضافته صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله تعالى بصفة العبودية تكريم وتشريف له ورفع لمقامه الكريم عند ربه ، وانه عبدالله الخالص العبودية لله تعالى والمثل الكامل لهذه العبودية التى تحققت فيه وحده ، فانفرد بها فى هذا المقام ،فحيث اضيف عبد إلى « الله » من غير ذكر إسمه فالمقصود هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد اضيف من عباده المكرمين إلى «الله» بلفظ العبودية ، ولكنها لم تكن إضافة مطلقة ، بل كانت مقيدة بذكر إسم هذا العبد المضاف إلى الله كقوله تعالى : « واذكر عبدنا ايوب ـ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب » ص : ٤١ ـ٤٥)

وشتان بين إضافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعبودية إلى ربه إضافة مطلقة تكريماً وتشريفاً ، وبين قيد هذه الاضافة بالاسم الدال على صاحبها ، وإن كانت تلك الاضافة مما يلبس صاحبها تاج الكمال ، وينزله أعلى منازل الرضوان ، ولكن فوق هذا المقام الكريم العظيم ، مقام ينفرد به رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحده وقد اضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبداً لربه ، إضافة مطلقة على صور متعددة ، فتارة يضاف إلى ضمير الذات العلية فى مقام الغيبة كما فى قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده » الاسراء : ١)

وتارة اخرى يضاف إلى ضمير الذات فى مقام الحضور كما فى قوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » الانفال : ٤١) وثالثة يضاف إلى إسم الذات كما فى قوله تعالى : « وانه لما قام عبدالله » الجن : ١٩)

ومن غير ريب ان فى تنوع هذه الاضافات زيادة تكريم وتشريف : فوق هذا التشريف والتكريم ، حيث يضيف الحق تعالى عبده ، متجلياً عليه بذاته ظاهراً و باطناً . و بهذا المقام العظيم استحق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن يصلى عليه ربه، وأن تصلى عليه ملائكة ربه ، وأن يدعى كل مؤمن ومؤمنة بالله للصلاة عليه :«ان

الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً »
الاحزاب : ٥٦)

فى تلخيص البيان : للسيد الرضى رضوان الله تعالى قال فى قوله تعالى : « لبداً » : « واللبدههنا كناية عن الجماعات المتكاثرة التى تظاهرت من الكفار على النبى ﷺ أى اجتمعوا عليه متألبين وركبوه مترادفين، فكانوا كلبد الشعر وهى طرائقه وقطعه التى يركب بعضها بعضاً، و واحدتها لبدة، ومنه قيل: لبدة الأسد ، وهى الشعر المتراكب على مناكبه ، و ذلك أبلغ ماشبهت به الجموع المتعاظلة والاحزاب المتألفة » انتهى كلامه ورفع مقامه .

وفى هذا التصوير لاجتماع المشركين وتكتلهم على الوقوف فى وجه النبى الكريم ﷺ بناء على ذلك اشارة إلى امور :

احدها ـ ان هذه المجتمع الذى يضمّ المشركين بعضهم إلى بعض فى مواجهة النبى الكريم ﷺ ليس له من داعية معقولة ، وانما هو صادر عن كائنات ميتة ، ولاحسّ ولا إدراك لها، انها تجتمع وتتفرق ، بيد من يجمعها أو يفرقها، كما يجتمع الشعر ويتفرق فى يد من يجمعه أو يفرقه ، والشيطان هنا هو اليد التى تجمع هؤلاء المشركين ، أو تفرقهم حسب مشيئته فيهم . .

وثانيها ـ ان هذه الجموع الكثيفة المحيطة بالنبى الكريم ﷺ من المشركين ، انما هى على كثرتها غثاء كغثاء السيل وانها لا تلبث أن تعرمن وجه الحق اذا طلع عليها وضربها الضربة القاضية . . انها كائنات من مخلفات الحياة ، ليس لها جذور تمدها بالغذاء ، وتمسك عليها الحياة . . وانه سرعان ، ما تجف و تتطاير ، فتذهب بها الريح ، وترمى بها فى كل وجه . .

و ثالثها ـ ان هذا اللبد المجتمع حول النبى ﷺ هو أشبه باللبد المجتمع حول رقبة الأسد ، فهو شيء عارض ،لايؤثر فى ذاتية الأسد ، وانه يتطاير فى كل لحظة ليخلى مكانه لغيره .

ورابعها - ان هذا اللبد المجتمع حول النبى الكريم ﷺ وان كان فى هذا الوقت لبداًيشوكه ، ويؤذيه فانه سيتحول عماقريب إلى لبد يحميه ،ويدفع عنه كل أذى . . وهكذا فانه بعد سنوات قليلة اجتمع للنبى ﷺ من هؤلاء المشركين جند الله تعالى المدافعون عن دينه ، والمجاهدون فى سبيله وهم المهاجرون الذين كانوا مع إخوانهم الانصار الكتيبة الاولى حملت راية الاسلام ، وركزتها فى أعز وأمكن مكان ، ودافعت عنها بالارواح والاموال ، وفدّتها بالابناء والآباء . .

٢٠- (قل انما أدعوا ربى ولا اشرك به أحداً)

أمر وتوجيه من الله تعالى للنبى ﷺ بان يقول للمشركين : ان دعوتى لله سبحانه ، و انه لااشرك معه أحداً كأنما يراد بهذا أن يقال لهم أيضاً : ان هذه المقابلة منكم عدوان وبغى لانى لاأدعوا إلى منكر ، وانما أدعوا إلى التوحيد والايمان بالله تعالى ، إلى الحق والصواب ، الى الخير والسعادة ، وإلى صالح الاعمال ورفض الانداد وترك المعاصى . . .

كان رسول الله ﷺ يدعوهم، وهو يراهم قد صاروا عصباً عليه قد اجتمعوا عليه عداوته والكيد والمكر له ، وهو يقول لهم : هذه هى دعوتى . . فماذا تنكرون منها ؟ وماذا تنكرون من الذين يعبدون ما اعبد ؟ انها دعوة لا اكراه فيها ،فمن قبلها فذلك من شأنه هو، و من أعرض عنها واتخذ سبيلاً غيرها فذلك من شأنه أيضاً . . فلم إذن تصدّون الناس عن سبيل الله ؟ ولم لاتتركون الناس وما اختاروا كما تركتم أنتم وما اخترتم ؟

٢١- (قل انى لاأملك لكم ضراً ولارشداً)

أمر ربانى آخر للنبى ﷺ أن يبين للمشركين موقع نفسه بالنسبة إلى الناس بانه بشر مثلهم لاحول ولاقوة إلاّ بالله ، فلايستطيع أن يضرّ أحداً ولا ينفعه وعليه التبليغ وانما هو مأمور من الله تعالى أن يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الخير والسعادة فعليهم الامتثال كما امر فى الاية السابقة ان يبين لهم موقع نفسه بالنسبة

إلى ربه بان يدعوه وحده ولا يشرك به أحداً .

وفي الاية إعتراف بالعبودية ، وإضافة الحول والقوة إلى الله تعالى وحده .

وقيل : في مقابلة الضر بالرشد إشارة إلى أن الضر لا يكون إلاّ عن متابعة الهوى وإتباع أهل الضلال ، كما أن الخير لا يكون إلاّ من حصيلة الهدى والايمان بالله تعالى والاستقامة والتقوى و صالح الاعمال . . . و هكذا تقع المقابلة بين الضر أو الرشد وقوعاً يشمل الظاهر والباطن جميعاً .

٢٢- (قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً)

أمر ثالث من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبين لهم عجزه عن شئون نفسه بعد عجزه عن شئون غيره بانه لا يجيره من الله تعالى أحد إذا تهاون في أداء المهمة التي إنتدبه إليها ، ولا يكون لنفس ملجأ إلاّ الله تعالى .

٢٣- (الابلاغاً من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً)

تقرير لما يوجب أن يكون الله تعالى ملجأ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم على طريق الاستثناء وهو إبلاغ رسالته و وحيه ، كما ان الموجب لكون الله تعالى ملجاءاً لغير نبيه صلى الله عليه وآله وسلم هو الطاعة والايمان .

في جمع « رسالاته » مع ان رسالة الرسول واحدة لا جمعاً إشارة إلى أن كل آية من آيات الله تعالى هي رسالة من رسالات الله جل وعلا إلى الناس يرون في أنوارها مواقع الهدى والرشاد . وانه بحسب الانسان العاقل أن يتلو آية من آيات الله أو يستمع إليها فيجد طريقة إلى الايمان والهدى ، و لقد استمع الجن إلى آيات من القرآن الكريم ، فكان فيها هداهم ورشدهم .

وقوله تعالى : « ومن يعص الله ورسوله الخ » تعقيب على قوله : « إلاّ بلاغاً من الله ورسالاته » فهذا البلاغ من الله وتلك الرسالات المنزلة في آياته . . هو مما بلغه الرسول إياهم ودعاهم إلى الايمان به ، وأن من يعص الله فلم يؤمن بآياته و يعص الرسول ، فلم يستجب له فنار جهنم هي جزائه ، وفي الجملة وعيد شديد على

من قارف المعصية .

وفي عود الضمير مفرداً على إسم الشرط : « من » في قوله تعالى : « فان له نارجهنم » ثم عوده إليه جمعاً في قوله تعالى : « خالدين فيها » إشارة إلى أن العصيان لامر الله ورسوله هو عن إستجابة لهوى الانسان وحده ، وانه هو المسئول عن ركوبه هذا الطريق المهلك . . وأما المصير الذي يصير إليه هذا الانسان ، فهو مصير عام يلتقى عنده أهل الضلال جميعاً وهو النار .

٢٤- (حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً)

تصوير لما كان في نفس زعماء الكفار من إستصغار لشأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و من معه لما كانوا عليه من قلة وضعف ، ورد عليهم منددة بسخفهم ، متوعدة إياهم بيوم يظهر فيه القوى من الضعيف والقليل من الكثير ، و متحدية لهم و إنذار بهم بأن عصيانهم على الله تعالى ورسوله هو منتهى السخف والضلال والجرأة لانهم أعجز من أن يستطيعوا الانتصار على الله تعالى ، و انهم مخدوعون إذا قاسوا وقائع الحياة الدنيا على الاخرة واغتروا بقوتهم و كثرتهم لان ذلك لن يغنى عنهم من الله شيئاً .

وفي الاية تسلية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتطمئن للمؤمنين و دلالة على أن المراد بقوله : « ومن يعص الله ورسوله » الكفار وكانوا يفتخرون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة جموعهم و يصفونه بقلة العدد فبيّن سبحانه ان الامر سينعكس عليهم .

٢٥- (قل ان أدرى أقريب ماتوعدون ام يجعل له ربى أمداً)

أمر رباني للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بابلاغ الناس كذلك بانه لايدرى وقت تحقيق ما يوعدون به أيطول أم يقصر ، وهذا جواب على تساؤل المشركين عن موعد ما كانوا يوعدون به ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعلان عدم علمه به كما يشعر التعبير عن التقدير بفعل مستقبل « يجعل » بمعنى يقدر باخراج هذا التقدير من حيز العلم المكنون عند الله تعالى إلى حيّز الواقع والمشاهد حيث يبدو للناس ما وعدوا به يوم ينتهى الامد المعلوم عند الله جل وعلا لهذا اليوم .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمداً » مع أن الامد إسم للغاية ، والغاية تكون زماناً قريباً وزماناً بعيداً ويؤيده قوله تعالى : « تودلوان بينها وبينه أمداً بعيداً » آل عمران : ٣٠) ؟

اجيب عنه : أراد بالقريب الحال ، وبالمجعول له الأمد المؤجل، سواء كان الاجل قريباً أو بعيداً .

٢٦- (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً)

مستأنف سيق لتقرير ما قبله من عدم الدراية ، والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق بان ذلك من خصائص الله تعالى الذى لايطلع على غيبه أحداً مع استيعاب علمه كل غيب كما يظهر من إضافة الغيب إلى نفسه ثانياً، فقال : « على غيبه » بوضع الظاهر موضع الضمير ليفيد الاختصاص، فلو قال : « فلا يظهر عليه » لم يفد ذلك .

٢٧- (الامن ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً)

إستثناء من نفى إظهار الغيب لأحد بانه يظهر غيبه لمن ارتضاه من الرسل الذين جعلهم تحت حفظه و مراقبته و« من » فى « من رسول » بيانية ، و قيل تبعيضية .

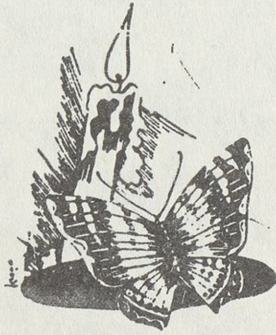
وقوله تعالى : « فانه يسلك الخ » تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان للكيفية أى فانه يسلك من جميع جوانب الرسول عند إظهاره على غيبه حرساً من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين كما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته .

وفى الاية وما قبلها ايماء إلى بطلان أقاويل الكهنة والسحرة والمدّعين من علمهم بالغيوب والاسرار السماوية ، و أما أئمة أهل البيت صلوات عليهم أجمعين فهم الذين عندهم علم الكتاب وهم الراسخون فى العلم من غير مراء وهم أبواب علم الله تعالى أودعها فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دون ريب .

٢٨- (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بمالديهم و أحصى كل شيء عدداً)

تقرير لغاية الاظهار والسلك بانه تعالى أظهر للمرسلين علم غيبه و جعلهم تحت مراقبته للتحقق من قيامهم بمهمتهم وتبليغ رسالاته التى إنتدبهم إليهاوهو يحيط بكل أمر من امورهم وهو المحيط بكل أمر والمحصى لكل شيء ، فليس علم الله تعالى مقيداً ولامعلولاً بهذا الرصد الذى يسلكه الله تعالى بين يدى مايوحى به إلى رسله ، ومن خلفهم إن علم الله تعالى ذاتى لا يتعلق بأسباب ، ولا يقول عن علل . . و انما المراد بالعلم هنا العلم بما وقع من الرسل فعلاً بعد أن كان هذا العلم واقعاً على الاحداث قبل أن تقع .

وقوله تعالى : « واحصى كل شيء » تعميم بعد تخصيص ظاهراً .



﴿الاعجاز﴾

لا يسع المقام لتعرض جميع وجوه إعجاز هذه السورة، ولكن لابد لنا من ذكر نبذة منها:

و من وجوه اعجازها: انها نزلت حين صدور قريش موغرة، ونفوس المشركين ضائقة، و قلوبهم ممتلئة غيظاً و شنآناً، والنار مؤججة ـ لتصكّ أسماع العرب بحديث متعال متشامخ، بخبر متسام متحدّ ـ بينما قريش تدبّر أمرها و تقلب وجوه رأيها في «محمد» و قرآنه الذي يدعوها إلى أن ينخلعوا عن معتقدات وعادات تمكنت من نفوسهم و سكنت في قلوبهم... والعرب بخاصة أحرص الناس على مألوف التقاليد والعادات و أشدهم حفاظاً على موروث الآباء والاجداد... «أنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون» الصافات: ۶۹ ـ ۷۰).

وهم كانوا لا ينخلعون عن تقليد من تقاليدهم إلاّ إذا انخلعت عنهم الحياة، ولا يتخلّون عن عادة من عاداتهم إلاّ إذا تخلت عنهم أرواحهم التي تسكن كيانهم ـ نزلت السورة عندئذ و تصطك آذانهم بقوله جل و علا آمراً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: «قل اوحي إليّ انه استمع نفر من الجن، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً».

فيصدع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأمر ربه تعالى، و يؤذّن في أسماع مكة و ما حولها بتلك الايات الكريمة تحمل أمراً عجيباً و شأناً أعجب.. يتلفت له الدهر و تقع منه قريش في أمر مريج!

نفر من الجن يستمعون لهذا القرآن ، ويتحدث الرسول ﷺ بهذا الخبر إلى قريش على لسان القرآن ، أهكذا يبسط «محمد» سلطانه عن الجن بعد أن أراد أن يبسطه على الانس ؟ ثم ما قرآنه الذى يستهوى الجن ، فتجتمع إليه و تستمع له ، ثم تقول فيه هذا القول الغزل ، ثم تذعن له و تؤمن به ؟

ان هذه فرصة لتشنيع قريش على « محمد » والتشهير به والتشويش على دعوته . ! و ان هذه فرصة للقرآن أيضاً . . فى تفضيح قريش و إذلال كبريائها و نبذها بالعراء ! هكذا . . تعوى و تهذى .

و قد تحفزت قريش ، و جمعت كل ما عندها من كيد لتكيد به ، بعد أن أذاع محمد ﷺ فيها هذا النباء العظيم ، هذا الحديث المتعالى ، و هذا الخبر المتسامى المتحدى . . لقد قامت لتضرب ضربتها و قد أمكنتها الفرصة . .

وجاء القرآن الكريم و كأنه يدفع بها دفعاً إلى هذه الثورة ، و كأنه يدعو من لم يوقظه هذا النبأ العظيم أن يصحو ليأخذ مكانه فى هذا الموقف العدائى لمحمد ﷺ و للقرآن الذى بين يديه . . و لكأنه أراد بهذا أن يجمع قريشاً كلها، وأن يحشرها حشراً فى هذا المشهد ليأخذ كل نصيبه من الهزيمة والخزى الراصد للقوم هناك . .لقد جرّهم القرآن جرّاً إلى حيث يلقون الفضيحة والخزى فى وضح النهار، وعلى أعين القوم، وفى مشهد منهم ومحضر.. فلم يكن الجن الذين حدّث عنهم «محمد» مجرد مستمعين له ، و هو يتلو آيات القرآن الكريم ، بل كانوا هم مستمعين مأخوذين بما سمعوا مبهورين بما تأدّى إليهم من جلاله و روعته . . « فقالوا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فامنا به »

فالجن الذين استمعوا لمحمد ﷺ قد اخذوا بما سمعوا فلم يجدوا سبيلاً إلاّ الاذعان له والايمان به و بربهم ، بل قد تحوّلوا منذ تلك اللحظة إلى دعاة . . يحملون هذه الدعوة ، ويبشرون بها فى قومهم . . هكذا يحدّث القرآن ، فتتنزل آياته هادرة مزلزلة بهذا الامر العجيب للقرآن الكريم .

ويؤذن محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرّة اخرى فى أسماع مكة وماحولها بقوله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلماحضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق و إلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله و آمنوا به ـ و من لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض و ليس له من دونه أولياء اولئك فى ضلال مبين » الاحقاف : ٢٩ ـ ٣٢) .

وليس أهون على قريش إزاء هذا الموقف من أن تسعى إلى هذا القرآن ، فتبطل دعواه وتكشف عواره وتفضح معايبه ، وتستسخف هؤلاء الجن الذين يقول عنهم «محمد» : انهم استمعوا إليه و عجبوا به . . فماذا فى القرآن يدعو الجن إلى الاستماع له ، ثم إلى هذا الاعجاب الغزل به ؟ أهناك إدعاء أكثر من هذا الا دعاء و عدوان على مشاعر قريش أكثر من هذا العدوان ؟ و اذا لم تهتبل قريش هذه الفرصة السانحة لها فى التشنيع على محمد صلى الله عليه وآله وسلم و على قرآنه و مدعياته التى يدعيها له فانها لن تجد فرصة اخرى بعد أن تفلت من يدها هذه الفرصة !

و قد كان لقريش أن تقول : هذه معلقات شعرائنا ، و هذه خطب خطبائنا و سجع كهاننا . . فهل هى دون هذا القرآن منزلة فى الفصاحة و البيان ؟ و فى النظم والاسلوب ؟ و هل فى القرآن ما ليس فيها من المعانى و الاساليب ؟ و هل عقم الشعراء والخطباء والكهان أن يتحدثوا بمثل هذا الحديث الذى يطلع عليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم به صباحاً ومساءاً ؟ فكيف جاءت الجن تسعى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتخضع لدى قرآنه ؟ و ليس قرآنه هذا إلاّ كلاماً من الكلام ، وحديثاً من الأحاديث ، فان يكن فيه ميزة فهو شعر كشعرهم ، فان كان له فى الشعر شأن فهو كبعض معلقاتهم أو كسجع كهانهم . . و هيهات أن يخرج عن شىء من هذا أو يجاوز حدوده و يرتفع عنه .

ثم كان لقريش أن تدعوا إلى سوق عامة من تلك الاسواق التى كانت تقيمها

فى كثير من المواسم و تقيم حكماً أو حكاماً للفصل فيما بينهم و بين محمد ﷺ فى قرآنه هذا وفيما عندهم من معلقات وخطب وسجع كهان كما كانوا يفعلون ذلك فيما بين شعرائهم و خطبائهم .

وفى هذه السوق يتلو محمد ﷺ ما شاء من قرآنه و تلقى قريش ومن معها ما تشاء و ما تتخيّر من معلقاتها و قصائدها و أراجيزها و خطبها وأحاديث كهانها و هنا تكون القاضية على دعوة محمد ﷺ وعلى قرآن محمد ﷺ إن قال الحكم والاحكام عن هذا القرآن انه فى درجة هذا الكلام الذى يعرضونه.. أو دونه ! ولكن قريشاً لم تفعل شيئاً من هذا . . ولن تفعله ! لقد ضربها القرآن الكريم ضربة موجعة فلم تقو على الحركة أو القول .. و متى كان ذلك العجز الفاضح والخزى المبين ؟

لقد كان والنفوس متطلعة إلى ماتلقى بههذا الادعاء الذى يدعيه القرآن الكريم لنفسه ، و الابصار كلها متجهة إلى المكان و الزمان اللذين تضربهما قريش مجالاًوموعداً للقاء محمد ﷺ وقرآنه فى معركة فاصلة بينهاوبينهما.. ولكن قريشاً لم تفعل ولن تفعل !

ولقد خرست ألسنتها واضطربت مشاعرها واختلطت أفكارها وتبلد إحساسها وطاش صوابها.. فما تدرى ماذا تقول؟ وماذا تفعل؟ حتى اذا أفاقت شيئاًمن ذهولها جعلت تضرب ضربات طائشة ، و تهذى هذياناً محموماً إذا كان عليها أن تفعل شيئاً ـ أى شىء ـ لتدفع هذا القضاء الذى لايملك أحد دفعه . . شأن الغريق و قدا حتواه الماء وجرفه التيار . . انه يضرب بيديه ورجليه ضربات طائشة يائسة، و إن كان على يقين انه من المغرقين ! .. و لقد فعلت قريش شيئاً أشبه بهذا ، فاتجهت إلى المستضعفين من المسلمين أمثال «بلال بن رباح» و «عمار بن ياسر» وغيرهما ترميهم بالعذاب وتصبّ عليهم البلاء صباً .. ولكن المعذبين المقهورين لم يزدادوا على الشدة والبلاء إلاّ ايماناً ويقيناً ..

وهنا يجن جنون قريش ، حيث لم يزدها هذا التخبط والخبال فيما كانت تفتن فيه من ضروب الايذاء و التعذيب للمستضعفين من المسلمين - إلاّ غيظاً على غيظ ، وخذلاناً وخزياً حين لم تنل بكل قوتها وبطشها وجبروتها منالاً من هؤلاء الضعاف المعزولين من كل قوة إلاّ قوة القرآن وماجاء به القرآن .

وإذن فلا مفرّ للقوم من لقاء القرآن الكريم وجهاً لوجه بعد أن هزموا هذه الهزيمة الفاضحة فى تلك المناوشات التى بينهم و بين أتباع القرآن ، بل والمستضعفين من أتباعه ... فليكن لقاؤهم إذن مباشراً مع القرآن نفسه..وليكن مايكون ، وهاهم اولاء قد راحوا إلى القرآن يديرون حوله الرأى ويحكمون له التدبير والكيد .. و كثرت الآراء وتشعبت صور الكيد وأشكال المكروطرق الخداع ... وخرجوا بها على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى القرآن الذى يتحداهم به ، و كانت فضيحة مجلجلة ! فلقد ضبطهم القرآن متلبسين بهذا الكيد الصبيانى . . فكشف تدبيرهم هذا على الملأ ، فجاء به على أعين الناس ، ثم طلع عليهم بقول الله تعالى على لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :

« و قال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون » فصلت : ٢٦)

ومن اعجاز السورة : تصدرها بلفظ «قل» وفيه دلالة على أنهاصادرة من الله تعالى وان الذى يوحى من الحق جل وعلا يملأ الوجود كله ، ويسرى فى كل ذرة من ذراته ، وهو ليس مجرد قول من شخص إلى شخص ، وانما هو من كلام رب العزة القادر المتعال الذى تبلغ كلماته أسماع الكون ، و تنفذ إلى أعماق كل ذرة موجودة فيه .

وهذا الخطاب شاهد يشهد بان هذا القرآن هو من عندالله تعالى لفظاً و معنى ، وانه ليس للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فيه كلمة واحدة، وانه كلام الله جل وعلاوان النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو اللسان الذى أنطقه الله تعالى بكلمات أوحاها إليه فسمعها

الناس منه دون أن يزيد حرفاً أو ينقص كلمة ، ومن غير أن يبدّل كلمة إلى كلمة أو يغيّر حرفاً إلى حرف ، فلابد له من نقل ما سمعه حرفاً بحرف ، و كلمة بكلمة، وجملة بجملة وآية بآية وسورة بسورة :

« واتل ما اوحى إليك من كتاب ربك لامبدّل لكلماته » الكهف : ٢٧)

« وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى علّمه شديد القوى » النجم : ٣ ـ ٥)

وهذا الاسلوب الذى جاء عليه نظم القرآن الكريم ، والذى يجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مقام الحضور ، والخطاب من الله تعالى بكلماته . . . هذا الاسلوب من شأن القرآن وحده ، ومما اختصّ به من بين الكتب السماوية المنزلة ، و على هذا ، فالقرآن خطاب مباشر من الله تعالى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، وهذا كلام الله المعجز المتحدى للانس والجن أن يأتوا بمثله !

فى المجمع : فى قوله تعالى حكاية عن الجن : « إنا سمعنا قرآناً عجباً »

قال : « والعجب ما يدعو إلى التعجب منه لخفاء سببه و خروجه عن العادة فى مثله ، فلما كان القرآن قد خرج بتأليفه المخصوص عن العادة فى الكلام و خفى سببه عن الانام كان عجباً لامحالة، وأيضاً فانه مباين لكلام الخلق فى المعنى والفصاحة والنظام لايقدر أحد على الاتيان بمثله ، وقد تضمن اخبار الاولين والآخرين ، و ما كان وما يكون اجراه الله على يد رجل امى من قوم اميين ،فاستعظموه وسمّوه عجباً »

ومن وجوه اعجازها: مافى المقابلة بين الضر والرشد فى قوله تعالى : «قل انى لااملك لكم ضراً ولارشداً » : ٢١)

وذلك لان فى مقابلة الضر بالرشد إشارة إلى أن الضرّ لايكون إلاّ عن متابعة الهوى وإتباع أهل الضلال ، كما ان الخير لايكون إلاّ من ثمرات الهدى والايمان والاستقامة والتقوى وصالح الاعمال . . وهكذا تقع المقابلة بين الضر والرشد

وقوعاً يشمل الظاهر والباطن جميعاً ،فان الضر ظاهر يخفى وراءه الهوى والضلال والشرك ، والرشد باطن يفوح منه طيب الخير والعزة والسعادة ، وتهمى من سمائه غيوث الرحمة والاحسان والكرامة . .

وبعبارة أوضح : ان الضر فرع غاب أصله ، والرشد أصل غاب فرعه ،فالضر ثمر كريه مرّ حاضر لاتكاد تقع العين عليه حتى تعرف الشجرة التى أثمرته والرشد شجرة طيبة مباركة . . يكفى أن تقع عليها العين ، فتعرف الثمر الطيب الكريم الذى تجود به . . أونقول : ان المقابلة هنا بين المسبب وهو الضر ، وبين السبب لما يقابله وهو الرشد الذى مسببه الخير . .

وفى المقابلة بين هاتين الكلمتين تتحرك المعانى المولدة منهما ، ويقابل بعضها بعضاً ، فتتآلف منها صورة معجزة للكلمة القرآنية التى لا ينفد لها عطاء .

فعلى وجه الضر تلوح معالم الشرك والكفر والضلال وتتراقص شياطين الغواية والاثم . . وعلى وجه الرشد تتألق عرائس الخير وتتهادى حور الجنان وولدانها .

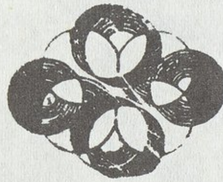
ان تسئل : لما ذا آثر النظم القرآنى المقابلة بين الضر والرشد على المقابلة بين الكفر والخير أى المقابلة بين مسبب وسبب ، دون المقابلة بين مسبب ومسبب أو بين سبب وسبب ؟

تجيب : انه فى جانب الضر أغفل السبب الوارد منه هذا الضر وهو الكفر والشرك واقيم المسبب ـ وهو الضر ـ مقامه ليرى الشرك والكفر فى ثمرتهما المرة النكدة التى أثمراها . . وأما فى جانب الرشد ، فقد أغفل المسبب عنه وهو الخير والنعمة والسلامة والعافية ، وما أشبه هذا مما يسعد به الانسان فى الدنيا والاخرة وأقام السبب مقامه ، وذلك للتنويه بالرشد فى ذاته وانه وحده خير كثير ، وانه يجب أن يكون مطلوباً لذاته ، غير منظور إلى الخير الذى يجىء منه . انه فى ذاته خير فلاحاجة إلى النظر فيما وراءه .

ومن وجوه اعجازها : ما فى قوله تعالى : « حتى اذا رأوا ما يوعدون

فسيعلمون من أضعف ناصراً و أقل عدداً » : ٢٤) من تهديد المشركين بالمهانة والذلة ، ووعد المؤمنين بالنصر والغلبة والعزة .

وذلك كان المشركون في يومهم يعتزون بقوتهم وكثرة عددهم ويتسلطون على تلك القلة القليلة المستضعفة المؤمنة ببغيهم و عدوانهم ، وكانوا يجتمعون عليهم لبداً حتى جاء نصر رب المستضعفين، فبدّل الله تعالى قوة المشركين بالضعف وعزتهم بالذلة واتحادهم بالفراق وشوكتهم بالمهانة . . . ورأوا برأى العين يوم بدرأو يوم الفتح حيث دخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم مكة على المشركين فى عشرة آلاف من أصحابه ، فانقبع المشركون وزلزلت الارض بهم ، ثم جاؤا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مقيدين بقيد المهانة والذلة ، بقيد العجز والضعف ، وبقيد الاسارة والرقية . . . حتى أطلقهم النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بكلامه الخالد : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »



﴿التكرار﴾

ومن لطائف السورة انها ثمان وعشرون آية ، وقد تكرر فيها حرف التأكيد « ان » ثمان وعشرون مرّة :

مثقلة ومخففة ، مفتوحة ومكسورة ، ظاهرة ومقدرة :

فخمس عشرة منها بالفتح والتثقيل ، وست منها بالكسر والتثقيل ، وخمس منها بالفتح والتخفيف ، وثنتان اخريان مفتوحتان مقدرتان فى « ومنا دون ذلك » و « ومنا القاسطون » بالعطف فتدبر واغتنم .

ونشير فى المقام إلى صيغ ثمان لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - الصيغ التى جائت فى هذه السورة وفى غيرها من السور القرآنية :

١- جائت كلمة (الرشد) على صيغها فى القرآن الكريم نحو : ١٩ مرة :

٢- « « (الشطط) « « « : ثلاث مرات :

١- سورة الكهف :١٤) ٢- سورة ص : ٢٢) ٣- سورة الجن : ٤)

٣- « « (الحرس) « « « : مرّة واحدة :

وهى فى سورة الجن : ٨)

٤- « « (الشهاب) « « « : خمس مرات :

١- سورة الحجر : ١٨) ٢- النمل: ٧) ٣- الصافات : ١٠) ٤و٥-الجن:٨و٩)

٥- « « (القدد) « « « : خمس مرات :

١-٤- سورة يوسف : ٢٥ - ٢٨) ٥- سورة الجن : ١١)

٦- « « (الهرب) « « « : مرة واحدة :

وهى فى سورة الجن : ١٢)

٧- « « (الحرىّ) « « « : مرة واحدة :

وهى فى سورة الجن : ١٤)

٨- « « (الغدق) « « « : مرة واحدة :

وهى فى سورة الجن : ١٦)

وقد اختلفت الكلمات فى تكرار قصة الجن على سبيل الاجمال والتفصيل فى سورتى الاحقاف والجن .

فقيل : إن النفر من الجن الذين جاء ذكرهم فى سورة « الاحقاف » هم الذين كانوا مؤمنين بموسى عليه السلام و مصدّقين للتوراة ، و أما النفر الذين جاء ذكرهم فى سورة « الجن » فهم الذين كانوا مشركين ولا يرون النبوة فلازم ذلك تغاير الفريقين .

وقيل : ان ماجاء فى سورة « الجن » مصدّراً بالامر «قل» من الله تعالى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بان يتحدّث إلى قريش وإلى الناس كافة بانه قد تلقّى وحياً من ربه بأن نفراً من الجن قد استمعوا إليه ، وآمنوا به وتحدّثوا عن القرآن الذى استمعوا إليه هذا الحديث الذى يصف القرآن ببعض ماله من صفات المجادة والعظمة والجلال . . . هو الذى جاء بصورة الخبر فى سورة « الاحقاف » .

ان تسئل : ما الفرق بين الخبر الذى تلقاه النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى سورة « الاحقاف » وهذا الامر الذى تلقّاه فى سورة « الجن » وهو يحمل فى كيانه محتوى هذا الخبر الذى تلقاه فى سورة « الاحقاف » ؟

وما الفرق بين أن يجيىء الخبر غير مصدّر بالامر بالقول ، و بين الخبر الذى يجىء مطلقاً إذا كان القرآن كله فى معرض العرض على الناس دون أن يختص

النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشيء منه يحتجزه لنفسه ولا يذيعه في الناس ؟

تجيب : ان الخبر الذي تصدّر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الامر من الله تعالى بلفظ « قل » انما يراد به مواجهة المشركين خاصة ، والاستعداد لتلقّي مايثيره هذا الخبر فيهم من تأثرات البهت والتكذيب ، وما يفتح لهم من أبواب التشنيع على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والسخرية منه، وأن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا يلتفت إلى تخرصات هؤلاء المشركين ، ولا يحفل بما يثرثرون به من لغو وهذر إزاء هذه الحقيقة التي استيقنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أخبره الله تعالى بها في الايات التي تلقاها في سورة « الاحقاف » .

فالخبر الذي تلقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سورة « الاحقاف » : « و اذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن . . . » هو أشبه بالسرّ بينه وبين الله تعالى، وإن كان هذا السرّ لايلبث أن يذاع بعد أن تلقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرآناً يتلوه على الناس . . .

أما الخبر الذي تلقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سورة « الجن » فهو أمر بالمبادرة باذاعة هذا السرّ الذي كان من شأنه أن يذاع إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد.. ان حثّ على المبادرة باذاعة هذا الخبر وتلاوته جهراً على الناس حتى يقرع أسماع المشركين وليكن منهم ما يكون ! !

﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها - التناسب بينها وما قبلها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « الاعراف » فمن تدبّر في سورة الاعراف يجد سورة الجن إجمالاً لما فيها من التفصيل ، ونحن نكتفي بذكر موارد من التناسب بينهما ، فعلى القارىء الخبير التدبر فيهما :

احدها - لما أمر الله تعالى المشركين في بدء سورة الاعراف و ختامها باتباع ما أنزل عليهم و الاستماع له ، إبتدأ سورة الجن بذكر إستماع الجن للقرآن الكريم و ايمانهم به حثاً على المشركين و تحريضهم فيما امروا به من قبل .

ومن اللطائف ان الله تعالى بينما أشار إلى قصة آدم عليه السلام والمشركون من ذريته ، و إلى استكبار إبليس والجن من قبيله ، وليس من الانصاف أن يكفر المشركون بما يؤمن به الجن ، وهم منه ، أمن الانصاف أن نتبع من نزع لباس أبوينا وأبدى سوآتهما وكان سبباً لاخراجهما من الجنة . . . ؟ ؟

ثانيها - لما جاء في سورة الاعراف الامر باقامة الوجوه عند كل مسجد ، والدعاء على سبيل الاخلاص ، اشير في هذه السورة إلى علة ذلك .

ثالثها ـ لما ذكر في سورة الاعراف دخول طائفة من الجن في النار، وإضلال بعضهم بعضاً ، ودخول الاخرين منهم في الجنة كالانس ، فكأن سائلاً يسئل :أيكون الجن مكلفين كالانس،أخذ في هذه السورة بذكر ايمان نفر منهم بالقرآن الكريم وبالله تعالى وبرسوله ﷺ ، ورفض الانداد لله سبحانه ومقالة الكفرة منهم على الله تعالى .

رابعها ـ لما اشير في سورة الاعراف إلى ست رسالات من الانبياء : نوح و هود وصالح ولوط وشعيب وموسى و محمد رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين على طريقي الاجمال والتفصيل اشير في هذه السورة إلى أنهم يعلمون بعض الغيب بالوحي وهم تحت مراقبة الله تعالى وانهم الذين قد أبلغوا رسالات ربهم . .

خامسهاـ لما ذكر في سورة الاعراف بعض آثار الايمان و حصيلة التقوى من فتح أبواب البركات من السماء والارض على أهل التقوى واليقين أشار في هذه السورة إلى مالابد منه فيها من الاستقامة عليهما .

سادسها : لما ختمت السورة السابقة بذكر الملائكة الذين كان لهم صورة قوية في أذهان العرب بدئت هذه السورة بذكر الجن الذين كان لهم أيضاً صورة قوية في تلك الاذهان، فكلاهما شغلا حيزاً كبيراً في أفكارهم وعقائدهم وتقليدهم، فذكر الملائكة في ختام السابقة ، و ذكر الجن في بدء هذه السورة يلهمنا على ترابط السورتين و كونهما بصدد موقف هذين الخليقين الغيبيين العظيمين من الله تعالى والاخلاص له ، و بصدد دعوة العرب الذين لهما في أذهانهم مالهما إلى الاقتداء والتأسي بهما .

وهذا الترابط بين الختم والبدء يؤيد صحة ترتيب نزول هذه السورة عقب تلك و لعل هذا الترابط يحتوي هدفاً ايجابياً بالنسبة للنبي الكريم ﷺ والمؤمنين من جهة ، والكفار والمشركين من جهة اخرى ، فمن الجهة الاولى فيها تسلية بان الملائكة وبعض طوائف الجن يقفون واياهم في موقف واحد من

الايمان بالله تعالى ورسالته والاخلاص له وإدراك حقيقة ربوبيته وشمولها ووحدتها والسير فى طريق الحق والسداد. ومن الجهة الثانية فيها ترغيب وترهيب للكفار والمشركين حيث تقص عليهم هذه القصص ليكون لهم عبرة ومزدجر وليقتدوا بهذين الخليقين العظيمين اللذين يشغلان فى نفوسهم ذلك الخير الكثير.

وغيرها من المناسبات التى تركناها للاختصار، فتدبروا واغتنم جداً.

و أما الثانية: فمناسبتها لسورة نوح فبامور:

أحدها - ان بين سورة نوح وسورة الجن مقابلة بين عالمين: عالم الانس وعالم الجن، ومقابلة بين تأثير الدعوتين: تأثير دعوة أول نبى من اولى العزم وهو نوح عليه السلام فى الانس، وتأثير دعوة آخر نبى من اولى العزم وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الجن.

وان فى عالم الانس شراً كان حرياً أن يكون خيراً، فانهم من ذرية آدم عليه السلام وفى عالم الجن خيراً كان متوقعاً أن يكون شراً إذ كان الشيطان من الجن، وفى هذا عبرة وذكرى لاولى الالباب.

وذلك لان سورة الجن تكشف صورة الجن فى صورة عملية عما فى الانسان من جانبى الخير والشر، وانه حين تنتكس طبيعته، ويغتال جانب الشر فيه جانب الخير يتحول إلى شيطان رجيم، تعوذ منه الشياطين أو تتلمذ عليه!

وهذا الانسان الشيطانى يبدو على أتم صورته المنكوسة تلك فى قوم نوح عليه السلام كما يبدو هذا الانسان على صورة مجسدة فى كثير من مشركى قريش كأبى جهل وأبى لهب و أبى سفيان وأذنابهم من شياطين قريش الذين تصدّوا للدعوة الاسلامية، وكادوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين أعظم الكيد، فلم يتركوا وسيلة يتوسلون بها إلى أذى النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إلاّ تواصوا بها واجتمعوا عليها.

وفى سورة الجن صورة للخير ينبت فى منابت الشر ويطلع ثمرة الطيب من بين وسط هذا اللهب المتضرم، فمن عالم الجن العاصف بالشرور المحرقة، تهب

تلك الأنسام الرقيقة المنعشة فى صورة جماعة مؤمنة منهم لم تكد تستمع إلى آيات الله تعالى يتلوها رسول الله ﷺ فى ليلة من لياليه مع ربه - وكل لياليه لربه ومع ربه - حتى أنصتوا إليه، وآمنوا به ثم انقلبوا إلى قومهم منذرين.

ثانيها - لما اشير فى السورة السابقة إلى آثار التوحيد والعبادة والتقوى والطاعة من الغفران، وتأخير الاجل المعلق إلى أجل مسمى، وإلى حصيلة الاستغفار من إرسال السماء مدراراً، و الامداد بالاموال والبنين اشير فى هذه السورة إلى ما لابد منه فى الآثار والحصيلة من الاستقامة على ما تقدم.

ثالثها - لما جاء فى السورة السابقة ذكر من خلق السموات وما فيها من القمر المنير والشمس المضيئة، جاء فى هذه السورة ما يتعلق بها من الشهاب والحرس الشديد

رابعها - لما اشير فى السورة السابقة إلى عذاب هذه الامة فى الحياة الدنيا بالضعف والذلة وقلة العدد، وفى الاخرة بالخلود فى نار جهنم.

وأما الثالثة: فلما بدئت السورة بالامر للنبى الكريم ﷺ أن يبيّن للمشركين ما تلقاه من إستماع نفر من الجن لهذا القرآن وايمانهم به وبالله تعالى ورفض الانداد، أخذت بذكر العلة عن الجن على ذلك بانهم لم يؤمنوا بالقرآن الكريم تقليداً عمياء من غير دليل، بل آمنوا به لانهم وجدوه عجباً لا يماثله شيء وإنه يهدى إلى الرشد، ولم يؤمنوا بالله تعالى ولم يرفضوا الانداد كذلك بل لانهم ادركوا انه تعالى جدّ ربهم ما اتخذ صاحبة ولا ولداً.

ثم أشارت إلى اعتذارهم فى الشرك والكفر بقوله تعالى: «وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا - أن لن يبعث الله أحداً»: ٤-٧)

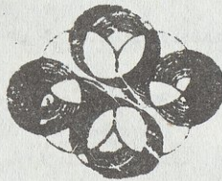
لما ذكرت انكار الجن والانس، البعثة الجديدة بالظن والتخمين من غير علم لهم على ذلك أخذت بذكر بعض علائم الرسالة السماوية الجديدة، وايمانهم بها وبالله تعالى وانذارهم قومهم ودعوتهم إلى الايمان، ثم انقسامهم إلى طائفتين طائفة مؤمنة صالحة، وطائفة كفرة فاجرة مع الاشارة الاجمالية إلى مآل أمر

الطائفين : إما طريق الجنة ، وإما سبيل جهنم في قوله تعالى حكاية عنهم : « و انا لمسنا السماء - فكانوا لجهنم حطباً » : ٨ - ١٥)

ثم إشارة إلى بعض آثار الايمان لو استقاموا عليه في الحياة الدنيا ، من العيش الهنيىء و إلى عاقبة الاعراض عن الايمان من ضنك المعيشة في قوله تعالى: « وأن لو استقاموا عليه - يسلكه عذاباً صعداً » : ١٦ - ١٧)

لما ذكرت السورة توحيد الجن وايمانهم بالقرآن الكريم أخذت بذكر إخلاصهم في العبادة مع الاشارة إلى العلة ، ثم جاءت بأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم باظهار ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه عليه من التوحيد ، وما في وسعه ، وثقته بالله تعالى وبيان مهمته في قوله تعالى : « وان المساجد لله - الابلاغاً من الله ورسالاته » : ١٨-٢٢)

لما أشارت السورة إلى الرسالة الجديدة أخذت بذكر مآل أمر من كفر بالله تعالى وبهذه الرسالة في الحياة الدنيا بالضعف والذلة ، وفي الاخرة بنار جهنم مع الاشارة إلى ما يعلمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الغيب بالوحي و كونه صلى الله عليه وآله وسلم تحت مراقبة الله تعالى وحفظه و حمايته ليتمكن بأداء وظيفته ومهمته ، و هذا الغيب بالوحي من علم الله تعالى الذي لانهاية له .



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم و المتشابه ﴾

ولم أجد كلاماً من الباحثين يدل على أن فى هذه السورة ناسخاً أومنسوخاً أومتشابهاً فآياتها محكمات والله تعالى هوأعلم .



﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١- (قل اوحى الى انه استمع نفرمن الجن فقالوا انا سمعناقرآناًعجباً)

فى « نفر » أقوال : ١- عن أبى روق : كانوا هـم تسعة منهم زوبعة . و عـن الثمالى : انهم من بنى الشيصبان وهم أكثر الجن عدداً وأقواهم شوكة وهم عامة جنود ابليس ، فآمنوا به وأرسلهم إلى سائر الجن . ٢- قيل : كانوا هم سبعة: ثلاثة من أهل حرّان ، وأربعة من أهل نصيبين .

٣ ـ عن الضحاك : انهم كانوا تسعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير التى بالعراق . وقيل : ان الجن الذين أتوا مكة جن نصيبين ، والذين أتوه صلى الله عليه وآله وسلم بنخلة جن نينوى .

وقيل : كان أول من بعث نفراً من أهل نصيبين وهى أرض باليمن وهم أشراف الجن وسادتهم ، فبعثهم إلى تهامة ومايلى اليمن . ٤ ـ قال الخليل : النفر : هم جماعة بين ثلاثة وعشرة . ٥- قيل : النفر : جماعة بين ثلاثة إلى أربعين .

أقول : والثالث هوالمؤيد بالرواية الاتية .

وفى رؤية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الجن قولان : أحدهما- عن إبن عباس: انه قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الجن وما رآهم ، وماكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم عالماً بالجن قبل أن اوحى إليه . و ذهب بعض المفسرين إلى مذهبه ، و قال : ظاهر القرآن يدل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يرهم لقوله تعالى : « استمع » مع أن الجن بسائط والبسائط لاترى .

ثانيهما - عن إبن مسعود انه قال : رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم الجن ليلة الجن . و قال إبن العربى : ان إبن مسعود أعرف من إبن عباس لأن إبن مسعود شاهد الجن فى ليلته إذكان مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وإبن عباس سمعه ، وليس الخبر كالمعاينة وقال بعض المفسرين : ان الجن أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين : مرة بمكة وهى التى ذكرها إبن مسعود ، ومرة اخرى بنخلة وهى التى ذكرها إبن عباس .

أقول : والثانى هوالمؤيد بكثيرمن الروايات ، وأما فساد إمتناع رؤية البسائط فظاهر برؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم الملائكة ، حتى كان جبرئيل يتمثل لمريم عليها السلام بشراً سويا .

و فى « عجباً » أقوال : ١- قيل : أى عجباً فى فصاحة كلامه . ٢- قيل : أى عجباً فى بلاغة مواعظه . ٣- قيل : أى عجباً فى عظم بركاته . ٤ - قيل : أى عزيزاً لايوجد مثله . ٥- قيل : أى يعنون عظيماً .

أقول : والرابع هو الاعم الانسب بسياق التعظيم والتفخيم وذلك لان العجب هوما يدعوإلى التعجب منه لخفاء سببه وخروجه عن العادة فى مثله ، فلما كان القرآن الكريم قد خرج بتأليفه المخصوص عن العادة فى الكلام وخفى سببه عن الانام كان عزيزاً لامحالة ، فانه مباين لكلام الخلق فى المعنى والفصاحة والبلاغة والنظام لايقدرأحد على الايتان بمثله ، وقدتضمن أخبارالاولين والاخرين ، وما كان و ما يكون أجراه الله تعالى على يد رجل امى من قوم اميين فاستعظموه و سمّوه عجباً .

٣- (وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولاولداً)

فى « جد ربنا » أقوال : ١- عن عكرمة ومجاهد وقتادة والسدى : أى أمر ربنا وسلطانه وقدرته وملكه وعظمته وصدق ربوبيته عن إتخاذ الصاحبة والولد . ٢- قيل : أى انه تعالى جلال ربنا وعظمته أن يتخذ صاحبة وولداً للاستئناس بهما والحاجة إليهما ، والرب يتعالى عن ذلك كما يتعالى عن الانداد والنظراء .

فان الجد فى اللغة : العظمة والجلال ومنه قول أنس بن مالك : كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جدّ فى أعيننا أى عظم . ٣ - عن أنس والحسن وعكرمة أيضا : أى غنى ربنا . وعن الخليل وأبى عبيدة : أى ذا الغنى .

٤ - عن الربيع بن أنس : الجد هو أبو الاب ، وهذا من كلام جهلة الجن ، وليس لله تعالى جدّ ، وانما قالته الجن فحكاه سبحانه كما قالت .

٥ - عن مجاهد أيضاً : أى ذكر ربنا . ٦ - عن الحسن ومجاهد أيضا : أى تعالى جلال ربنا وعظمته عن إتخاذ الصاحبة والولد . ٧ - عن الاخفش : أى علا ملك ربنا. ٨ - قيل : أى لا قوة لهم ولا حيلة إلاّ بالعد .

٩ - قيل : الجد : الحظّ والنصيب والبخت والدولة لان الملوك والاغنياء هم المجدودون . والمعنى ، انه حظوظته من الملك والسلطان والقدرة العظيمة عالية أن يتخذله صاحبة أو ولداً حيث ان الصاحبة انما تكون للضعيف العاجز الذى يحتاج فى إدامة حياته إليها ، وان الولد انما لبقاء النسل .

ومنه يقال : رجل مجدود أى محفوظ ، وهو الذى يصيبه الانسان فى حياته من حظوظ الدنيا ، فجده هو كل ماله من مال ومتاع وبنين وعلم وجاه وسلطان..

١٠ - عن إبن عباس والضحاك : أى قدرته و أمره وفعله . ١١ - عن الضحاك أيضاً والقرظى : أى آلاؤه ونعمه على خلقه . ١٢ - عن الجبائى : أى جلّ ربنا فى صفاته فلا تجوز عليه صفات الاجسام والاعراض . . .

١٣ - عن سعيد بن جبير : أى تعالى ربنا وان الجن عنوا بذلك الجد الذى هو أب الاب ويكون هذا من قول الجن وقالته الجن للجهالة فلم يؤاخذوا به. ١٤ - عن أبى عبيدة والاخفش أيضاً : أى ملكه وسلطانه . وعن أبى مسلم : أى تعالت صفات الله التى هى له خصوصاً ، وهى الصفات العالية التى ليست للمخلوقين .

اقول . والتاسع هو المروى وان التلازم بين تنزيهه جل وعلا عن الحظ والبخت و بين الجلالة والعظمة المطلقة لله تعالى مالا يخفى على القارى الخبير

فتدبر جيداً .

٤- (وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا)

فى « سفيهنا » أقوال : ١-عن مجاهد وقتادة وإبن جريج : هو ابليس . وهذا إعتراف من الجن : ان ابليس كان يخرجهم عن الحد بالاغواء ، و يدعوهم إلى الضلال . ٢- قيل : انه كان من الانس . ٣- قيل : انه كان من جهال الجن .٤- قيل: اريد بالسفيه المشرك و العاصى من الجن كما ان المشرك و العاصى من الانس هو سفيههم .

أقول : والرابع هو ظاهر السياق حيث اضيف السفيه إلى ضمير الجن .

وفى « شططا » أقوال : ١- عن إبن زيد ، القول الشطط هو الجور . ٢-قيل: هو القول: ان الملائكة بنات الله سبحانه. ٣- عن إبن زيد أيضاً: أى ظلما . ٤- قيل : هو القول : ان عيسى وعزيراً ابنا الله سبحانه . ٥- قيل : هو نسبة الصاحبة والولد إلى الله سبحانه .

٦- قيل : هو القول بالشرك فى الوجود والايجاد والتدبير والعمل . ٧-قيل: هو القول بعدم البعث والحشر والحساب والجـزاء وبعدم الجنة والنار . ٨- عن الكلبى : هو الكذب وأصله : البعد ، فيعبّر به عن الجور لبعده عن العدل ، و عن الكذب لبعده عن الصدق وهو الكذب فى التوحيد والعدل . ٩- قيل : هو الغلو فى الكفر والاسراف فى ظلم النفس والخروج عن الحق والقصد والاعتدال .

أقول : والخامس هو الانسب بالسياق من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر

٦- (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)

فى « يعوذون برجال من الجن » أقوال : ١- عن مجاهد و الحسن وقتادة وابن زيد والربيع بن أنس : ان الرجل من العرب كان اذا نزل وادياً فى سفره ليلاً يعوذ بالجن من شرّ سفهاء الجن أو من شر الجن مطلقاً ، وكان هذا منهم على حسب إعتقادهم ان الجن تحفظهم . وقال مقاتل : ان اول من عاذ بالجن قوم من اليمن ثم

بنوحنيفة ثم فشى ذلك فى العرب .

٢ـ قيل : كان بعض الانس يعوذ بالجن على الاطلاق وادياً كان أومن كان يخرج ليلاً من بيته أومن داره فيخاف فيعوذ منه ليدفع الأذى عنه . وقيل: كان بعض الناس يعوذون بالجن ويستعينون بهم فى وصولهم إلى مقاصدهم من طريق الكهانة إما لجلب الخير وإما لدفع الشر .

٣ـ عن إبن عباس: قال: كان رجال من الانس يبيت أحدهم بالوادى فى الجاهلية فيقول : أعوذ بعزيز هذا الوادى فزادهم ذلك إثماً .

وقيل : كان الرجال من الانس اذا ينزلون فى سفرهم بمخوف ، فيقول كل رجل : أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه . وعن البلخى : كان رجال من الانس يعوذون برجال من أجل الجن وأذاهم ، وذلك لان الرجال لا تكون إلاّ فى الناس، وقال الاولون : ان فى الجن رجالاً مثل مافى الناس .

٤ـ عن الزجاج : كان رجال من الانس يستعيذون بالجن ويزيدون الجن رهقاً وذلك لان الجن كانوا يزدادون طغياناً فى قومهم بهذا التعوذ ، فيقولون: سددنا الانس والجن .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى « فزادوهم رهقاً » أقوال : ١ـ عن مجاهد : أى ان الانس زادوا الجن طغياناً وغياً بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدّنا الانس والجن. ٢ـ عن قتادة وأبى العالية والربيع بن أنس وابن زيد: أى ازداد الانس بهذا فرقاً وخوفاً من الجن .

٣ـ قيل : أى فزاد الجن الانس خوفاً وغشيان شر باغوائهم وإضلالهم ،فانهم لما تعوّذوا بهم ، و لم يتعوّذوا بالله استولوا واجترؤا عليهم و قال الزمخشرى : أصل الرهق : غشيان المحارم . وقال الحسن : أى شراً .

٤ـ قيل : أى فزاد الجن الانس ذلة وضعفاً ، وذلك لان الرهق فى الاصل : الاعياء والضعف والكلال مما يعترى الانسان من معاناة أمر صعب يحاوله ثم لا يبلغ

منه شيئاً لانه يحاول أمراً محالاً اوقريباً من المحال .

٥- قيل :عن سعيد بن جبير: أى كفراً . فان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله تعالى كفر وشرك .

٦- قيل : أى خسراناً . ٧- قيل : أى سفهاً . ٨- عن ابن عباس ومجاهد و قتادة أيضاً : فزاد رجال الانس رجال الجن إثماً إلى اثمهم الذى كانوا عليه من الكفر والعصيان وخطيئة إلى خطيئتهم بسبب إلتجاء رجال الانس إلى رجال الجن فاستكبر رجال الجن فزادوا على إثمهم .وقيل : أى جرأة و كبراً لانهم إذا سمعوا بذلك استكبروا وطغوا و أثموا . و قيل : أى عتواً وذلك لان الجن لما رأوا ان الانس يتعوذون بهم ولايتعوذون بالله تعالى استذلوهم واجترؤا عليهم فزادوهم فلما جاء الاسلام عاذوا بالله تعالى وحده وتركوهم . ٩- قيل : أى عذاباً .

أقول : والثالث هو الانسب وقريب منه الخامس .

٧- (وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً)

فى الاية أقوال : ١- عن الكلبى وقتادة : ان هؤلاء النفر المؤمنين من الجن بعد أن دعوا قومهم إلى التوحيد دعوهم إلى القول بالرسالة ، فقالوا لكفارهم : ان كفار الانس عامة أو الذين يعوذون برجال من الجن فى الجاهلية ظنوا لجهالتهم وسفاهتهم كما ظننتم ياقوم لسفاهتكم - كما قالوا : يقول سفيهنا على الله شططا- أن لن يبعث الله رسولاً من بعد موسى أو عيسى عليهما السلام أو مطلقا من أول الخلق بالرسالة ليقيم به الحجة على خلقه ، و يدعوهم إلى التوحيد والايمان بالرسالة واليوم الاخر وإلى مافيه سعادتهم الدنيوية والاخروية . . . ثم علمنا اليوم انه تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة إلى الجن والانس رسولاً فآمنا به يا معشر الجن .

فضمير « انهم » راجع إلى الانس ، والخطاب للجن يقول المؤمنون منهم لقومهم .

والمراد بالبعث : الرسالة ، وكان المشركون ينكرون ذلك . والكلام من

الجن ، و هذا توكيد للحجة على قريش أى إذا آمن هؤلاء الجن بمحمد ﷺ فأنتم أحق بذلك وأولى بالتفكر والتدبر لتؤمنوا و تهتدوا مع أن الرسول من جنسكم ولسانه لسانكم .

٢ـ عن الحسن : اريد بالبعث : الاحياء بعد الموت ، والمعنى ان لا يحشر الله تعالى أحداً من قبره ولا يحاسبه ، فلا بعث ولا جزاء ، وكان المشركون ينكرون ذلك . و ان هذه الاية مع ما قبلها إعتراض من اخبار الله تعالى يقول: ان الجن ظنوا كما ظننتم معاشر الانس ان الله لا يحشر أحداً يوم القيامة ولا يحاسبه .وقيل: هذا كلام المؤمنين من الجن لقومهم دعوة لهم إلى يوم البعث والحساب .

٣ ـ قيل : ان الكلام عطف على « انه استمع » أى قال رسول الله ﷺ للمشركين من قريش: أوحى الله تعالى إلى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها المشركون فى جاهليتكم أن الشأن أن لا يبعث الله أحداً أبداً فلا حشر ولا حساب ولا جزاء .

٤ـ قيل: أى ان رجال الانس و رجال الجن الضالون السابقون ظنوا كما ظننتم أنتم الموجودون من القبيلين ، خطاباً لهما من رسل الجن عرفه الجن بما خوطبوا ، والانس بما نزل به القرآن أن لا يبعث الله أحداً بالنبوة فى الحياة الدنيا ولا يبعث أحداً بعد الموت للحساب والجزاء . . .

٨ـ (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً)

فى « لمسنا السماء » أقوال : ١ـ عن الجبائى : أى طلبنا الصعود إلى السماء وعبّر عن ذلك باللمس مجازاً. ٢ـ قيل : أى مسسنا السماء بأيدينا . ٣ ـ قيل : أى تطلبها بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها وخبرها . وذلك لان العرب كانت مخاطبين بهذا القرآن أول مرة يعتقدون ان للجن سلطاناً فى الارض فكان الواحد منهم اذا أمسى بواد أوقفر لجأ إلى الاستعاذة بعظيم الجن الحاكم لما نزل فيه من الارض فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه ثم يبيت آمناً كذلك كانوا يعتقدون ان الجن تعلم الغيب، وتخبر بدالكهان فيتنبأون وفيهم من عبدالجن وجعل بينهم

وبين الله تعالى نسباً ورغم ان لهسبحانه زوجة منهم تلدله سبحانه الملائكة و الاعتقاد فى الجن على هذا النحو أو شبهه كان فاشياً فى كل جاهلية ولاتزال الاوهام والاساطير من هذا النوع تسود بيئات كثيرة إلى يومنا هذاو تصوراتهم فى الجن فى القديم .

وما تزال نجد فى الصف الاخر اليوم منكرين لوجود الجن أصلا يصفون أى حديث عن هذا الخلق المغيث بانه حديث خرافة . فالناس بين الاغراق فى الوهم والاغراق فى الانكار ، ويقرر الاسلام حقيقة الجن ويصحح التصورات العامة عنهم ، ويحرر القلوب من خوفها وخضوعها لسلطانهم الموهوم ، فالجن لهم حقيقة موجودة فعلا كماصرح بذلك فى كثير من الايات القرآينة . . .

٤ـ قيل: أى لمسنا غيب السماء ورمناه ٥ـ عن أبن مسلم : أى التمسنا قرب السماء لاستراق السمع بالصعود إليها .

أقول : والمعانى متقارب والمآل واحد .

١٠ـ (وانا لاندرى أشراريد بمن فى الارض أم أراد بهم رشداً)

فى الاية أقوال : ١ـقيل:أى انالاندرى ان المقصود من منع إستراق السمع هو شراريد باهل الارض من الجن والانس أم صلاح وخيرلهم . ٢ـقيل : أى انا لاندرى ان الغرض من إرسال رسول جديد ، عنده منع من الاستراق هو ان يكذبوه فيهلكوا كما هلك من كذب من الامم أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا .

عن الكلبى: أى انا لاندرى أشر اريد بمن فى الارض بان يعصوه فيهلكهم، أم أراد بهم ربهم رشداً بان يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم .

٣ ـ عن إبن زيد : أى قال ابليس : لا ندرى هل أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الارض عذاباً أو يرسل إليهم رسولاً .

٤ ـ قيل : ان تلك الحراس والشهب، والكرات الحارة الجوية السماوية شر على من فى الارض من الانس والجن أم هو خير و سعادة لهم . قيل : انهم

عنوا ان ما حدث من منعهم السمع من السماء و رجم من استمع منهم بالشهب .

٥ ـ قيل : هذا هو من قول معاشر الجن فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي لا ندري أشر اريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وآله وسلم هل يكذبونه فيهلكون بسبب التكذيب كما هلك من كذّب من الامم السابقة أم هم يؤمنون و يهتدون بهداه فالشر هو الكفر ، والرشد هو الايمان ، فعلى هذا كان عند الجن علم بمبعث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و لما سمعوا قرائته علموا انهم منعوا من السماء حراسة للوحي .

٦ ـ قيل : هذا قول هؤلاء النفر من مؤمني الجن قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين أي لما آمنوا أشفقوا ألا يومن كثير من أهل الارض فقالوا: انا لا ندري أيكفر أهل الارض بما آمنا به أو يؤمنون به .

٧ ـ قيل: أي ان هذا المنع لايدري العذاب سينزل بأهل الارض أم لنبي يبعث ويهدي إلى الرشد ، فان مثل هذا لايكون إلاّ لأحد هذين الامرين ، وسمي العذاب شراً لانه مضرّة ، وسمي بعثة الرسول رشداً لانه منفعة .

٨ ـ قيل : أي انا لاندري بحدوث الرجم بالشهب وحراسة السماء أشر اريد بمن في الارض فجوّزوا هجوم إنقطاع التكليف أم أراد بهم بذلك تغيير الامر بتصديق نبي من الانبياء صلاحاً .

أقول : ومن غير بعيد أن تكون «أم» للانقطاع الذي يكون بمعنى الاضراب محضاً كقوله تعالى : « أم جعلوا لله شركاء » الرعد : ١٦) .

فان المعنى على الاخبار عنهم باعتقاد الشركاء لقوله جل وعلا : « وجعلوا لله شركاء » الانعام : ١٠٠) .

ويقال: « هل لك عندي حق أم أنت رجل ظالم » يراد به : بل أنت ظالم .

١١ ـ (و انا منا الصالحون و منا دون ذلك كنا طرائق قدداً)

في « وانا منا الصالحون و منا دون ذلك » أقوال : ١ـ قيل : هذا من قول

الجن فقال بعضهم لبعض حين دعوا قومهم إلى الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وماجاء : وانا كنا قبل إستماع القرآن منا الصالحون و منا الكافرون . ٢ ـ عن إبن عباس ومجاهد وقتادة : قالت الجن : انا منا الصالحون ، ومنا دون الصالحين في الصلاح .

٣ ـ قيل : الصالحون هم رسل الجن من دون فساد فيهم و «منا دون ذلك»: دون الرسل من مؤمني الجن . ٤ ـ قال هؤلاء النفر من مؤمني الجن بعد أن دعوا قومهم إلى التوحيد والايمان بالرسالة المحمدية و لم يؤمنوا : و ان طائفة منا الصالحون و طائفة منا غير الصالحين و هم الكافرون .

أقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق و عليه أكثر المحققين .

و في « كنا طرائق قدداً » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس و مجاهد و قتادة و عكرمة و ابن زيد : أي كنا على أهواء متباينة و فرق شتى و مذاهب مختلفة : من المؤمن والكافر ، من المصلح والمفسد ، من المسلم والمشرك ، من المطيع والعاصي ، و من الظالم و العادل . ٢ ـ قيل : طرائق : جمع الطريقة وهي السيرة والمذهب ، فلم يكن الجن كلهم كفاراً بل كانوا مختلفين فمنهم كفار ، ومنهم مؤمنون صلحاء و منهم مؤمنون غير صلحاء . ٣ ـ قيل : كنا على أهواء كلها باطلة إذ أخذنا لنا طرقاً شتى كلها واهية و نعمل المعاصي على صور مختلفة ، إذ كنا قبل الاسلام ذوي مذاهب متفرقة ، وذوي آراء مختلفة ، وعقائد متشتتة . . .

٤ ـ قيل : أي كانت طرائقنا طرائق قدداً على حذف المضاف . ٥ ـ قيل: أي كنا في إختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة .

٦ ـ عن السدي : أي فرقاً شتى : منهم قدرية و مرجئة و رافضية و شيعية و خوارج و سنية .

٧ ـ عن الضحاك : أي أدياناً مختلفة .

٨ ـ عن المسيب : أي كنا مسلمين و يهود و نصارى و مجوس . و هذا يدل على ايمان قوم من الجن بالتوراة والانجيل والقرآن ، وهذا مبالغة في دعاء

من دعواهم إلى الايمان .

٩ ـ عن سعيد بن جبير والحسن : أى ألواناً شتى مختلفين .

أقول : والاول هو المروى .

١٦ - (وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءاً غدقاً)

فى الاية أقوال: ١ـ عن مجاهد وإبن زيد وسعيد بن جبير و قتادة وابن عباس والسدى والضحاك: أى لو استقام الجن والانس على طريق الاسلام وآمنوا كلهم لاوسعنا عليهم من الدنيا و متاعها من مال كثير مستمر كقوله تعالى : « ولو ان القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » .

قال القاضى : و هذا هو الصواب لانه أثبت حكماً معللاً بعلة وهو الاستقامة فوجب أن يعم الحكم بعموم العلة . ٢ـ عن زيد بن أسلم و ابنه والكلبى والثمالى و يمان بن رباب وابن كيسان وأبى مجلز : أى لو استقام الجن والانس على طريق الضلالة والكفر لاعطيناهم سعة من الرزق لنستدرجهم بها كقوله تعالى: « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما اوتوا أخذنا هم بغتة فاذاهم مبلسون » .

٣ ـ قيل : أى لو استقام الانس كلهم على الايمان و ملة الاسلام لوسعنا عليهم فى الدنيا و بسطنا لهم فى الارض . لان الترغيب فى الانتفاع بماء غدق انما يليق بالانس لا الجن و ورد ان الجن تنتفع بالنسم . وهذا مردود بان النسم من مواليد الماء ٤ ـ عن إبن عباس ومجاهد أيضاً: الماء الغدق : هو الماء الطاهر الكثير .

٥ ـ قيل : أى لو استقام الجن كلهم على الايمان لاسقيناهم نسماً رغداً هنيئاً مريئاً و ذكر الماء لان لا ينتفع الا بالنسم المتحلل من الماء . ٦ـ قيل: أى لو ثبت أبوالجن و هو الجان على ما كان عليه من عبادة الله و لم يستكبر عن السجود لآدم و تبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم . ٧ ـ قيل : أى لو استقام الجن الذين استمعوا القرآن على طريقتهم التى كانوا عليها قبل الاستماع ، ولم

ينتقلوا عنها إلى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق فى الحياة الدنيا ليذهبوا بطيباتهم فى الحياة الفانية. ٨ - عن مقاتل: أى لو آمن مشركو مكة و استقاموا على الهدى لاسقيناهم ماءاً كثيراً من السماء، و ذلك بعد ما رفع ماء المطر عنهم سبع سنين.

٩ - عن الربيع بن أنس: «ماءاً غدقاً» أى عيشاً رغداً، وضرب الماء الغدق مثلاً لان الخير كله والرزق يكون فى المطر كما ان حياة كل شيء فى الماء. وقيل: أخيراً: أى ماء غزيراً يمطر عليهم من سماء الرحمة: روحانية وجسدانية. فالماء لايختص بالمطر، بل يعم ماء الحياة الروحانية والجسدانية من العلم والايمان والتقوى و صالح الاعمال... و من الحياة المادية فى الدنيا... ١٠ - قيل: أى لواستقاموا على طريقة الكفر فكانوا كفاراً كلهم لاعطيناهم مالاً كثيراً ولوسّعنا عليهم تغليظاً للمحنة فى التكليف.

اقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق وخاصة قول الجن: «كنا طرائق قدداً» ولان الطريقة معرفة بالالف واللام فلابد أن تكون الطريقة طريقة الهدى، و لان الاستقامة لا تكون إلاّ مع الهدى.

١٧ - (لنفتنهم فيه و من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً)

فى «لنفتنهم» أقوال: ١ - عن سعيد بن المسيب وقتادة ومقاتل و الحسن: أى لنختبرهم فيه فنعلم كيف يكون شكرهم للنعم علم ظهور.

٢ - عن أبى مسلم والربيع بن أنس والثمالى والكلبى والفراء وأبى مجلز: أى لنختبرهم بالمال الكثير وسعة الرزق والعيش الرغيد كيف يعملون بها فى خيرهم وصلاحهم، أم فى شرهم وفسادهم، فى سعادهم أم فى شقاءهم...

٣ - قيل: أى لنعاملهم معاملة المختبر فى شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم إليه، وفى ذلك المحنة الشديدة وهى الفتنة والمثوبة على قدر المشقة فى الصبر عما تدعو إليه الشهوات...

أقول : و على الثانى أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : « و من يعرض عن ذكر ربه » أقوال : ١ ـ قيل : أى و من يعرض عن إستماع القرآن والايمان به والعمل بما فيه . و عن إبن زيد : أى و من يعرض عن القرآن نفسه ، و فى الاعراض عنه وجهان : أحدهما ـ عن القبول إن قيل: انها فى أهل الكفر. ثانيهما ـ عن العمل إن قيل: انها فى المؤمنين. ٢ـ قيل : أى و من يعرض عن عبادة ربه . ٣ـ قيل : أى و من يعرض عن موعظة ربه . ٤ـ قيل: أى ومن يعرض عن التوحيد، والايمان بالرسالة المحمدية. ٥ـ قيل : أى ومن يعرض عن شكر النعم الالهية والطاعة له جل وعلا . ٦ـ قيل : أى و من يعدل عن التفكر فيما يؤديه إلى معرفة الله تعالى و توحيده والاخلاص فى عبادته .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق و خاصة قوله تعالى حكاية عن الجن: « فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ـ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به » : ١ ـ ١٣) .

و فى قوله تعالى : « عذاباً صعداً » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و مجاهد : أى عذاباً شاقاً متصعداً فى العظم ، و مشقة من العذاب يصعد فيها . ٢ ـ عن إبن عباس أيضاً وعكرمة : أى عذاباً جبلاً فى جهنم وهو صخرة ملساء فى جهنم يكلف الكافر صعودها ، فاذا انتهى إلى أعلاها حدر إلى جهنم بأن يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها فى أربعين سنة فاذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها ثم يكلّف الصعود مرة اخرى و هكذا أبداً .

٣ ـ عن إبن زيد : أى عذاباً منصباً . ٤ ـ قيل : أى عذاباً يعلو المعذب ويقلبه ويغلبه فلا يطيقه . ٥ـ عن قتادة : أى عذاب صعود لا راحة فيه . ٦ ـ قيل : أى عذاباً ذا صعد . ٧ ـ عن الكلبى انه قال : هذا فى الوليد بن المغيرة إذ يكلف يوم القيامة أن يصعد جبلاً من النار التى هى من صخرة ملساء يجذب من أمامه

بسلاسل، و يضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها ، و لا يبلغ إلا في أربعين سنة ، فاذا بلغ أعلاها احدر إلى أسفلها ثم يكلف أيضاً صعودها ، فذلك دأبه أبداً و هو قوله تعالى : « سارهقه صعوداً » . ٨ ـ قيل : أي في عذاب صعد على حذف الجار كقوله تعالى : « ما سلككم في سقر » المدثر : ١٧) .

أقول : و على الاول أكثر المفسرين ، و لكن الرابع لا يخلو من وجه .

١٨ ـ (و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

في «المساجد» أقوال : ١ـ عن إبن عباس و سعيد بن جبير و عطاء والزجاج و سعيد بن المسيب والفراء : أي مساجد السبعة من مواضع السجود وهي الاعضاء السبعة التي يسجد بها و هي : الجبهة والكفان ، و عينا الركبتين والابهامان . قيل: وهذه نعم إلهية أنعمها على كل مكلف ، فلا يسجد لغير الله تعالى بها، فتجحد نعمته ، وهي لله تعالى إذ خلقها ، فلا ينبغي أن يسجد بها لاحد سوى الله تعالى .

٢ـ عن إبن عباس أيضاً وعكرمة : المساجد : الامكنة والبيوت التي بنيت للصلاة والعبادة من أي ملة كانت . والمعنى: لاتذكروا أيها الجن والانس مع الله تعالى في المواضع التي بنيت للعبادة والصلاة أحداً على وجه الاشراك في عبادته كما تفعل النصارى في بيعهم واليهود في كنائسهم والمشركون في الكعبة .

٣ ـ قيل : اريد بالمساجد : المسجد الحرام ومسجد ايليا ببيت المقدس .

٤ ـ عن الحسن : المساجد: البقاع كلها لقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم «جعلت لي الارض مسجداً » يعني ان الارض كلها مخلوقة لله تعالى ، فلاتسجدوا عليها لغير خالقها. وقيل : وهذا يناسب لمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المقام أي كما انه صلى الله عليه وآله وسلم مفضل على الانبياء ببعثه الى الثقلين ، فكذلك خص بهذا المعجز الاخر. ٥ـ قيل: المساجد : المسجد الحرام ٦ ـ عن الحسن أيضاً : المساجد : هي الصلوات اليومية والنوافل . . .

٧ ـ قيل : ان المراد بالمساجد : الكعبة نفسها لانها قبلة الناس أجمعين.

٨ - عن إبن عباس أيضاً : اريد بالمساجد مكة ومافيها من المساجد و ذلك لان مكة قبلة لاهل الدنيا فكل أحد يسجد إليها . ٩ - قيل اريد بالمساجد : الحرم فقط . ١٠- قيل : المساجد جمع المسجد وهو يشمل إسم مكان وهوما يسجد فيه : « أمكنة العبادة » و ما يسجد عليه : « محال السجدة من الاعضاء السبعة . . . » ومايسجد به : «مواضع السجدة» ويشمل إسم زمان أى زمان السجدة ، فالمساجد كلها لله تعالى ، فكما ان السجدة وهي غاية الخضوع خاصة بالله جل وعلا، كذلك المواضع السبعة التى تسجد بها، وأمكنة السجدة تختص بالله تعالى، فغاية الخضوع قلباً و قالباً والبيوت التى بنيت للعبادة ، ومواضع السجود التى اعدت للسجود ، وأزمنة السجود التى لاينبغى أن يشتغل المكلف بغير العبادة كلها يختص بالله تعالى.

أقول : ان المساجد على ما يتبادر هى مواضع الصلاة و أمكنة العبادة ، و غيرها فمن المصاديق والانطباق .

و فى قوله تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحداً » أقوال : ١ - قيل : اريد بالدعاء الصلاة ٢ - قيل : ان المراد بالدعاء مطلق العبادة صلاة كانت أو ذكراً . ٣ - قيل : أى لا تستعن بغير الله تعالى فى حوائجك . ٤ - عن مجاهد و قتادة : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم و بيعهم أشركوا بالله سبحانه فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها ، فيقول : فلاتشركوا فيها صنماً ولاغيره مما يعبد . ٥- قيل: أى أفردوا المساجد لذكر الله و لا تتخذوها هزواً و متجراً و مجلساً و لا طرقاً و لا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيباً .

أقول : و لكل وجه و لكن الا وجه هو الاول و عليه أكثر المفسرين .

١٩ - (و انه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس والضحاك : لما سمع الجن تلاوة القرآن من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدنوا منه حرضاً على ماسمعوا منه، وماكان محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يعلم بهم حتى أتاه صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل عليه السلام فجعل يقرأه : « قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن » حين كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصلى ببطن نخلة ويقرأ القرآن ، وكاد الجن يركبونه حرصاً على ما سمعوا منه صلى الله عليه وآله وسلم و رغبة فى سماع الذكر . وعن مكحول : ان الجن بايعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الليلة و كانوا سبعين ألفاً وفرغوا من بيعته عند إنشقاق الفجر .

و عن الزبير بن العوام : هم الجن حين استمعوا القرآن من النبى صلى الله عليه وآله وسلم كاد يركب بعضهم بعضاً إزدحاماً ويسقطون حرصاً على سماع القرآن . فالكلام إخبار من الله تعالى .

٢ـ عن إبن عباس أيضاً و سعيد بن جبير : أى إذ استمع نفر من الجن للقرآن رجعوا إلى قومهم فأخبروهم بما سمعوا به و ما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ائتمامهم به فى الركوع والسجود و يتزاحمون عليه صلى الله عليه وآله وسلم حيث يود كل واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فيتلبّد بعضهم على بعض ، فقالوا لقومهم : « لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً » فالكلام من الجن المؤمنين حكاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ ـ عن قتادة والحسن و ابن زيد ومجاهد و إبن عباس أيضاً : إخبار من الله تعالى برسوله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الجن والانس تظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذى جاءهم به ، فأبى الله تعالى إلا إتمامه بأن اتحدوا على أن يطفؤا نور الحق لبداً أى بعضهم على بعض وتراكبوا وتراكموا وصاروا أعواناً لانفسهم على إطفاء نور الحق لان اللبد بعض الشىء فوق بعضه إلا ان الله تعالى أراد أن ينصر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم و يتم نوره .

٤ ـ عن الحسن و قتادة أيضاً : أى لما قام محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى مشركى مكة داعياً لهم إلى التوحيد والايمان برسالته ، كادوا يتراكبون عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالزحمة جماعات متكاثرات ليزيلوه بذلك عن الدعوة و أبى الله جل وعلا إلا أن ينصره و يظهره على من ناوأه ، و على هذا فيكون إبتداء كلام .

٥ـ عن الحسن وسعيد بن جبير أيضاً : أى كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حرداً على النبى ﷺ . وقيل : أى لما قام محمد ﷺ رسولاً يعبد الله وحده مخالفاً للمشركين كادوا لتظاهرهم عليه يزدحمون على عداوته ودفعه . و قيل : لما قام محمد رسول الله ﷺ يدعوالله تعالى بقول : « لا إله الا الله » كاد المشركون يكونون عليه جماعات بعضها فوق بعض .

اقول : وعلى الاول أكثرالمفسرين .

٢١ـ (قل انى لااملك لكم ضراً ولارشداً)

فى « ضراً ـ رشداً » أقوال : ١ـ قيل : أى لا أقدرأن أدفع عنكم وعن نفسى ضراً ولاأن أسوق لكم ولنفسى خيراً . ٢ـ قيل : أى لااملك لكم كفراً ولاهدى ، و انما علىّ التبليغ . ٣ـ قيل : أى لااملك لكم عذاباً ولااملك نعيماً .

٤ـ قيل : أى لاأملك لكم موتاً ولاحياة. ٥ـ قيل : الضرّ بمعنى الغى المقابل للرشد تعبيراً باسم المسبب باسم السبب ، والرشد بمعنى النفع أى لااملك لكم نفعاً أجلبه لكم .

٦ـ قيل : أى لا املك لكم ضراً فى دينكم ولا دنياكم لافى أرواحكم ولا فى أجسادكم، ولا املك لكم رشداً أرشدكم ولالنفسى لان الذى يملك ذلك هو الله تعالى الذى بيده الملك وهوعلى كل شىء قدير .

اقول : وعلى الاخير أكثرالمفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

٢٢ـ (قل انى لن يجيرنى من الله احد ولن أجد من دونه ملتحداً)

فى « ملتحداً » أقوال : ١ـعن قتادة ، أى ملتجاء وملاذاً. ٢ـ عن قتادة أيضاً: أى نصيراً وموليى ووليا ً. ٣ـعن السدى : أى حرزاً. ٤ـ عن الكلبى : أى مدخلاً فى الارض مثل السرب . ٥ـ عن ابن شجرة : أى مذهباً و مسلكاً . ٦ـ عن سفيان : ناصراً .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

٢٣- (الابلاغاً من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً)

في « إلاّ بلاغاً من الله ورسالاته » أقوال : ١- عن الحسن والجبائي : أي ان البلاغ هوملجائي و فيه الأمان والنجاة لي . ٢- عن قتادة و أبي مسلم : أي ان البلاغ من الله تعالى هوالذى املكه بتوفيق من الله تعالى ، و أما الكفر والايمان فلا أملكهما ، والمعنى : لااملك لكم إلاّ أن ابلغكم .

٣- عن الفراء : أي إلاّ أن ابلغكم أي لكن ابلغكم ما ارسلت به . ٤- عن الزجاج: أي لن أجد من دونه ملتحداً إلاّ أن أبلغ ما يأتيني من الله تعالى ورسالاته التي أمرني بتبليغها .

٥- قيل : أي إلاّ أن ابلغ عن الله تعالى وأعمل برسالته فآخذ نفسي بما أمر به غيري . ٦- قيل : أي لن أجد من دونه ملتحداً إن لم أبلغ رسالات ربي بلاغاً .

أقول : وعلى الرابع أكثر المحققين .

وفي « ومن يعص الله ورسوله » أقوال : ١- قيل : أي ومن يعص الله في التوحيد والعبادة و فيما امره به و نهى عنه ، و يعص الله بالتكذيب و مخالفته ، فالمراد بالعصيان هوالشرك والكفر .

٢- قيل : ان المراد بالعصيان هوغير الشرك من المعاصي . . . ٣- قيل :أي ومن يعص الله في تبليغ رسالة رسوله وأداء وحيه .

أقول : والثاني هوالانسب بعموم السياق .

٢٤- (حتى اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً)

في الاية أقوال : ١- قيل : أي إذا رأى المشركون يوم القيامة من العذاب ونار جهنم ماكانوا يوعدون به في الحياة الدنيا ، فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصراً وأقل عدداً هم أم أنا . ٢- قيل : أي إذا رأوا مايوعدون من الموت . ٣- قيل :أي

إذا رأوا ما يوعدون من حساب يوم القيامة .

٤- قيل : أى إذا رأوا مايوعدون من عذاب الدنيا وهو القتل ببدر والفتح ، فسيعلمون يؤمئذ من أضعف أعواناً وأقل جنداً ؟ هم أم المؤمنون ؟

أقول : والاخير هو الانسب بسياق الاية نفسها ، وخاصة « من أضعف ناصراً وأقل عدداً » إذ لاناصر ولاعدد لكافر يوم القيامة .

٢٧- (الامن ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً)

فى « رصداً » أقوال : ١- عن الضحاك : أى حفظة و هم الملائكة الذين يحفظون النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من بين يديه ، و حرساً وهم الجن الذين يحفظون النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من خلفه كما قال : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » فتحفظه كلتا الطائفتين عن أن يقرب منه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم شيطان، فيحفظ الوحى من إستراق الشياطين و الالقاء إلى الكهنة ، وما بعث الله تعالى نبياً إلاّ و معه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبّهوا بصورة الملك، فاذا جاءه شيطان بصورة الملك قالوا : هذا شيطان ، فاحذره وإن جاءه الملك قالوا : هذا رسول ربك .

٢- عن إبن عباس : أى حفظة من الملائكة يحفظون النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من أمامه وورائه من الجن والشياطين. قال سعيد بن المسيب وقتادة : هم أربعة من الملائكة حفظة . وقال الفراء : «رصداً » هو جبرئيل عليه‌السلام فانه كان إذا نزل بالرسالة نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجن الوحى ، فيلقوه إلى كهنتهم فيسبقوا به الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم .

٣- عن السدى : أى حفظة يحفظون الوحى ، فماجاء من عندالله قالوا: انه من عندالله وماألقاه الشيطان قالوا : انه من الشيطان .

قيل : هذا ينافى ماورد عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم انه قال : « ان الله قد عصمنى من الانس والجن » وان الشياطين لايمكن أن ينالوا منه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فكيف يلقون إليه حتى لايفرق بين ما يلقونه وبين الوحى إلى أن تبيّنه له الملائكة .

٤- قيل : أى طريقاً ، والمعنى يجعل له صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى علم ما كان قبله من الانبياء

والسلف وعلم ما يكون بعده طريقاً . ٥ـ قيل: أي حرساً من الملائكة الذين يحرسون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن شر الاعداء وكيدهم فلا يصل إليهم شرهم .

٦ـ قيل : ان المعنى : يجعل الله تعالى جبرئيل عليه السلام من بين يدى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ومن خلفه رصداً كالحجّاب تعظيماً له لما يتحمله من الرسالة كما جرت عادة الملوك بان يضمّوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من خواصّهم تشريفاً له صلى الله عليه وآله وسلم .

٧ـ أى فان الله تعالى ينفذ من بين يدى الوحى الغيبى والمرسل إليه بالغيب ومن خلفه ينفذ من هنا وهناك حفظة يحفظون الغيب من خلط ودس الشياطين، ويحفظون المرسل إليه عن إلقاءات الشياطين .

أقول : والاخير هو الانسب بموضوع السورة وظاهر سياق هذه الاية الكريمة فتدبر جيداً .

٢٨ـ (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً)

فى « ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم » أقوال : ١ـ عن إبن عباس و سعيد بن جبير : أى ليعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن قد أبلغ الملائكة رسالات ربهم إليه صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة ونقصان فى الوحى ، فيعلم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قد أبلغ الرسالة على الوجه الذى قد امر به . وقال سعيد بن جبير : ولم ينزل جبرئيل عليه السلام الوحى إلاّ ومعه أربعة حفظة من الملائكة .

٢ـ عن قتادة ومقاتل : أى ليعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم بحراسة جنود الله تعالى وحفّاظه إياهم كما بلّغ هو الرسالة ، وفى الكلام حذف متعلق اللام ، والتقدير : أخبرناه بحفظنا الوحى ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق .

٣ـ قيل: أى ليعلم المشركون ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم وأبلغوها .

٤ـ عن الزجاج . أى ليعلم الله تعالى علم ظهور ان الشأن قد أبلغوا هؤلاء الرسل

رسالات ربهم وأحاط بمالديهم من الحكم والشرائع ، فعلم ذلك وأحصى عدد كل شيء ولم يخف عليه شيء منها كقوله تعالى : « ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » أي ليعلم الله تعالى ذلك علم مشاهدة كما علمه غيباً ، فعلم انهم قد أبلغوا رسالات ربهم على الوجه الذي اوحى إليهم به .

٥- قيل : أي ليعلم الرسل ان الملائكة بلغوا رسالات ربهم ، وأحاط علمه تعالى بما عندهم ان بما عند الرسل وما عند الملائكة . ٦- قيل : أي ليعلم الرسول أيّ رسول كان ان الرسل سواه بلغوا رسالات ربهم . ٧- قيل : أي ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم سليمة من غير تخليطه وإستراق أصحابه .

٨- عن إبن قتيبة : أي ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل عليهم ، ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم . ٩- عن مجاهد : أي ليعلم من كذّب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم . ١٠- عن مقاتل و قتادة أيضاً : أي ليعلم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان قد أبلغ جبرئيل ومن معه من الملائكة الوحي بلا تحريف ولا تغيير .

١١- قيل : أي ليظهر المعلوم على ما كان الله تعالى يعلمه واقعاً كما كان يعلم انه سيقع : ١٢- عن سعيد بن جبير أيضاً : أي ليعلم الرسل ان ربهم قد أحاط علمه بما لديهم فليبلغوا رسالاته . . .

١٣- عن إبن عباس ومجاهد أيضاً : أي ليعلم الناس ان الرسل قد أبلغوا ، و هذا بناء على قراءة « ليعلم » مبنياً للمفعول .

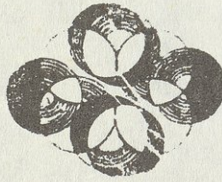
١٤- عن الجبائي : أي ليبلغوا ، فجعل قوله : « ليعلم » إبلاغهم بدلاً عن « ليبلغوا » توسعاً ، و هذا كما يقول الانسان : « ما علم الله ذلك مني » أي ما كان ذلك أصلاً لانه لو كان لعلم الله ذلك ، فوضع العلم موضع الكون .

اقول : وعلى الرابع جمهور المحققين .

وفي « أحصى كل شيء عدداً » أقوال : ١- عن إبن عباس : أي أحصى ما خلق

وعرف عدد ما خلق ولم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذروالخردل . ٢- قيل : أي عدّ جميع المعلومات المعدومة والموجودة فرداً فرداً ، فعلم صغيرها وكبيرها . قليلها وكثيرها ، وما يكون ومالايكون ، وماكان ولم يكن ، ولو كان كيف كان . فهو عالم بجميع الاشياء ، منفرد بذلك على أتم وجه فلا يشاركه في ذلك أحد من خلقه . وعن الجبائي: أي لاشيء يعلمه عالم أو يذكره ذاكر إلاّ وهو تعالى عالم به ومحص إياه . وقال : الاحصاء فعل وليس هو بمنزلة العلم ، فلايجوز أن يقال: احصى مالايتناهى كما يجوز أن يقال : علم مالايتناهى ، فان حمل على العلم تناول جميع المعلومات ، وان حمل على العدّ تناول الموجودات . .

أقول : والمعاني متقارب .



﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (قل اوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجباً)

قل يا أيها النبى للناس أوحى الله تعالى إلىّ على لسان جبرئيل عليه السلام ان الشأن استمع لقرائتى الايات القرآنية جماعة من الجن - وهم كانوا تسعة ، وهم رقيق الاجسام خفيفة على صور مخصوصة بخلاف الانسان والملائكة فان الملك مخلوق من النور والانسان من الطين والجن من النار و هم خلق مستورون من حواسّنا - فقالوا لما رجعوا إلى قومهم - مع تمرّدهم و عدم مجانستهم للانس -: ياقوم ! اناسمعنا من لسان رسول من البشر كتاباً متلواً بديعاً مبايناً لكلام البشر فى الفصاحة والبلاغة ، فى الجزالة و حسن النظم والاسلوب ، و فى علو المعنى و دقة المبانى ، كتاباً جامعاً للحقائق الالهية والاسرار الكونية ، جامعاً للمعارف والحكم والاحكام والمواعظ ، جامعاً للأوامر والنواهى والزواجر والمواعيد ، جامعاً للانذارات المهددة والبشارات المبشّرة . . وجامعاً لجميع ما يحتاج إليه الجن والانس فى أمر الدنيا والاخرة . . . كتاباً عجباً غريباً لاتناسبه عبارة الخلق و لا يدخل تحت قدرتهم .

ان الجن خلقوا قبل الانسان من مارج من نار ، و منهم مذكر و مؤنث كالانس و لهم ذرية و هم يرون الانس و هم لا يرونهم و كان ابليس من الجن و يتشكلون باشكال مختلفة و لا يعلمون الغيب ، و هم عقلاء ذو و شعور و ادراك ، مكلفون من الله تعالى ، مدعوون إلى الايمان بالله تعالى و رسوله و باليوم الاخر

و إلى صالح الاعمال على يدرسل الله تعالى منهم قبل بعثة خاتم الانبياء محمد ﷺ و إن كانـوا مؤمنين بشريعة موسى عليه السلام كما كان منهم الذيـن آمنوا بشريعةالاسلام وفيهم دعاة الدين الذين يستمعون للنبى ﷺ ثم كانوا ينذرون قومهم، وهم قادرون على حركات سريعة و أعمال شاقة كما فى قصص سليمان عليه السلام و تسخير الجن له و قصة ملكة سباء و هم يحشرون يوم القيامة للحساب والجزاء و يدخلون النار . . .

قال الله تعالى : « و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » الكهف : ٥٠) .

و قال : « و خلق الجان من مارج من نار » الرحمن : ١٥) .

وقال : « و انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن » الجن:٦).

و قال : « حور مقصورات فى الخيام ـ لم يطمثهن إنس قبلهـم و لا جان » الرحمن : ٧٢ ـ ٧٤) .

و قال : « انه يرا كم هو و قبيله من حيث لا ترونهم » الاعراف : ٢٧) .

و قال : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون » النمل : ١٧) .

و قال : « و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور فلما قضينا عليه الموت مادلّهم على موته إلاّ دابة الارض تأكل منسأته فلماخرّ تبيّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » سبأ : ١٢ . ١٤) .

و قال : « و لقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها » الاعراف : ١٧٩) .

و قال : « و ما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون » الذاريات : ٥٦) .

و قال : « قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ـ و إذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا بالله يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض و ليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين » الاحقاف : ١٩ ـ ٣٢) .

و قال : « و يوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس ـ يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا و غرّتهم الحياة الدنيا و شهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين » الانعام : ١٢٨ ـ ١٣٠) .

و قال : « لا ملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون » السجدة: ١٣-١٤).

٢ ـ (يهدى الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا أحداً)

هذا القرآن هو الذى يهدى الجن والانس إلى دين الحق وطريق الصواب، يهدى إلى خير وسعادة ، إلى فلاح و عزة ، يهدى إلى سواء السبيل وطريق النجاة ، إلى مراشد الامور والمعرفة بالله تعالى و رفض الانداد و ترك المعاصى ، و إلى صالح الأعمال ، يهدى إلى صراط العزيز الحميد و سبل السلام ، و يهدى للتى هى أقوم لانه هدى من الله تعالى وبيان و نور و بصائر وفرقان و ذكرى و رحمة و بشرى لقوم يؤمنون .

فآمنا بهذا القرآن لانا أيقنا بانه كتاب سماوى أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولن نشرك بربنا الذى بيده تدبير خلقنا وحياتنا، وتدبير امورنا الدنيوية والاخروية ، و لا نشرك به جل و علا أحداً من خلقه فى الوجود والايجاد ، ولا

التدبير والعبادة له جل وعلا من أنواع الشرك ، و لن نعود إلى ما كنا عليه من أنحاء الشرك بالله سبحانه مما سواه من الصنم والوثن أو الانسان والشيطان . . . لانه تعالى هو المتفرد بالربوبية والخلق والتدبير . . .

فاستجابت الطبيعة المستقيمة للجن عند سماع القرآن الكريم، وأدركت طبيعته و تأثر بحقيقته ، فاعترفت بحقيته ، و أذعنت بصوابه ، و أعلنت بالايمان من غير إنكار ولا عناد - كما كان المشركون يفعلون ذلك - ايمان خالص غير مشوب بشرك ولاملتبس بوهم ولاممتزج بخرافة ، ايمان إنبعث من إدراك حقيقة القرآن الكريم التي يدعو إليها القرآن من إدراك انه كلام الله جل و علا ، و نوره المرسل و انه هدى و رحمة للعالمين .

هدى بما ينشئه في القلب من تفتح وحساسية وإدراك ومعرفة واتصال بمصدر النور والهدى ، و إتساق مع النواميس الالهية الكبرى كما يهدى إلى الرشد بمنهجه التنظيمي للحياة وتصريفها ، منهج لم تبلغه البشرية في تاريخها كله في ظل حضارة من الحضارات أو نظام من الانظمة ما بلغته في ظل القرآن الكريم أفراداً و جماعات قلوباً ومجتمعات أخلاقاً فردية ومعاملات اجتماعية على السواء فآمن الجن عند سماع القرآن ، و انما الايمان يقع بأحد الامرين : أحدهما - بان يعلم حقيقة الاعجاز و شروط المعجزة فيقع له العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثانيهما - يكون عنده علم من الكتب الاولى فيها دلائل على انه النبي المبشر به و كلا الامرين يحتملان في الجن .

٣ - (و انه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة و لا ولداً)

و أن الشأن عظم مجد ربنا و تعالى سلطانه و جلّت عظمته أن يكون له حظّ ونصيب وبخت ، إذله العظمة و الجلال ، فتنزه جلاله و عظمته عما نسب إليه من إتخاذ صاحبة أو ولد ، فان إتخاذ الصاحبة أو الولد إنما يكون لمن له حظ و بخت و نصيب ، و إنما يكون عن حاجة إليهما بحيث لو افتقد وجودهما

المحتاج بين يديه تطلعت إليهما نفسه وشغل بهما نفسه ، والله تعالى فى غنى عن كل شيء ، فان كل شيء هومنه وله وإليه .

ان الجن كما نفوا عن أنفسهم الاشتراك بالله سبحانه في الوجود نفوا عن الحظ و النصيب و الدليل على ذلك انه سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، و ان الصاحبة تتخذ للحاجة إليها و لانها عن جنس الزوج كقوله تعالى : « خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها » الروم : ٢١) .

و ان الولد يتخذ للتكثر والاستئناس به والحاجة إليه حين الكبر و بقاء الذكر والله سبحانه منزه عن ذلك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فانه هو الغنى و له ملك السموات والارض . و ان الصاحبة لابد أن تكون من نوع صاحبها ، و من له نوع فهو مركب تركيباً عقلياً من صفة مشتركة و صفة مميزة ، و ان الولد لابد أن يكون جزءاً منفصلا عن والده و من له أجزاء فهو مركب تركيباً حسياً ، و لا يخفى ان ذلك لا يكون الا لمحتاج و ان الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب عقلى أو حسّى . والآية فى معنى قوله تعالى : « هو الغنى له ما فى السموات و ما فى الارض » يونس : ٦٨) .

وقوله : « وقل الحمدلله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك و لم يكن له ولى من الذل و كبّره تكبيراً » الاسراء : ١١١) .

وقوله : «ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ـ وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً أن كل من فى السموات والارض إلا آتى الرحمن عبداً » مريم : ٣٥ـ٩٣) .

و قوله : « الذى له ملك السموات والارض و لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك فى الملك و خلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢) .

٤ ـ (و انه كان يقول سفيهنا على الله شططا)

و ان الشأن كان يقول المشركون العصاة خفاف العقول منّا ، جرأة على الله سبحانه قولاً بعيداً عن الحق والصواب ، قولاً مجاوزاً عن حدّ العقل إذ غلوا

فى وصفهم الله سبحانه بالصاحبة والولد والشرك .

قال الله تعالى حكاية عن أصحاب الكهف : « لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً » الكهف : ١٤) .

وقال : « و كذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » الانعام : ١١٢) .

ان السفيه : هو خفة النفس لنقصان العقل ، ومن آثاره هو الشرك والمعصية والنفاق قال الله تعالى فى المشركين والمنافقين من الانس : « ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ـ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه » البقرة : ١٣-١٣٠).

والمراد بنقصان العقل هو عدم إتباعه و عدم التعقل فى الحق والباطل . فى السعادة والشقاء ، فى العزة والذلة وفى الامور الدينية والاخروية باتباع الهوى و كلما إشتد الاتباع فى جانب نقص جانب آخر ، و فى إتباع العقل تزكية النفس و علوّها كما ان فى إتباع الهوى تدسيتها و خفتها و إنحطاطها و خسرانها .

قال الله تعالى: « و قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » الملك : ١٠) .

و قال : « و مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاء و نداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون » البقرة : ١٧١) .

و قال : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه و كيلاً أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالانعام » الفرقان : ٤٣ ـ ٤٤) .

وقال : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم » القصص: ٥٠).

و قال : « فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » النساء : ١٣٥) .

و قال : « قد أفلح من زكاها و قد خاب من دسّاها » الشمس : ٩ ـ ١٠) .

و قال : « و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » النازعات : ٤٠ ـ ٤١) .

وقال : « أن تقول نفس ياحسرتى على مافرّطت فى جنب الله » الزمر: ٥٦) .

و قال : « ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة » الشورى : ٤٥) .

وقال: « وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم ومايشعرون» الانعام : ٢٦) .

و قال : « ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بماكانوا بآياتنا يظلمون » الاعراف : ٩) .

٥ - (و انا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً)

ونحن كنا نحسب ان الشأن لن تقول الانس والجن من عند أنفسهم على الله تعالى قولاً كذباً ، و انهم صادقون فيما يقولون ، و لا يجاررون على أن ينسبوا إلى الله سبحانه الصاحبة والولد و أن يجعلوا له أنداداً و شركاء ، و لذا اتبعنا هم فى القول و اعتقدنا بصحة قول هؤلاء السفهاء فلما سمعنا القرآن الكريم علمنا انهم كذبوا على الله تعالى ، و كشف لنا الحق و ظهر لنا الصواب .

فكما لم يكن لنا علم بما اتبعناهم به لم يكن لهم علم فيما يدعوننا إليه من الشرك بل كانوا كاذبين .

قال الله تعالى : « الذين قالوا اتخذ الله ولداً مالهم به من علم و لا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً » الكهف : ٤ - ٥) .

و قال : « و جعلوا لله شركاء الجن و خلقهم و خرقوا له بنين و بنات بغير علم سبحانه و تعالى عما يصفون بديع السموات والارض أنى يكون له ولد و لم تكن له صاحبة » الانعام : ١٠٠ - ١٠١) .

و قال : « ألا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله و انهم لكاذبون - و جعلوا بينه و بين الجنة نسباً » الصافات : ١٥١ - ١٥٨) .

٦ - (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً)

وان الشأن كان قبل ذلك رجال من الانس يستجيرون ويلتجاؤن في القفر والليلة الظلماء وفي بعض الامور الاخرى، فزاد الجن هؤلاء الانس العائذين إثماً وطغياناً وشراً إذ كانوا يضلّونهم حتى يستعيذوهم ويعبدوهم ، فاضافة الزيادة إلى الجن لكونهم سبباً لها .

قال الله تعالى: « ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجّلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلاّ ماشاء الله » الانعام : ١٢٨)

وقال : «وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلاّنا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين » فصلت : ٢٩)

وقال : « بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » سباء : ٤١)

٧- (وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً)

و نحن علمنا مما استمعنا لهذا القرآن العجب ان الانس ظنوا كما ظننا نحن معاشر الجن من قبل أن الشأن لن يبعث الله تعالى أحداً من رسله بعد موسى أو عيسى عليهما السلام وهذا ظن باطل، فها هو ذا رسول الله من عند الله جل وعلا يتلو هذا القرآن العجب فيبلغ به رسالة الله تعالى وان كان المشركون يكذبونه بلا تعقل و تدبر فيما جاءهم به .

قال الله تعالى : « أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون » المؤمنون : ٦٨ _ ٧٠)

وقال : « ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » الرعد : ٤٣)

وقال : « وإذا رأوك إن يتخذونك إلاّ هزواً أهذا الذى بعث الله رسولاً إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها » الفرقان : ٤١-٤٢)

٨- (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً)

ونحن معشر الجن كنا من قبل نقترب من السماء بالصعود إليها لاستماع كلام أهلها وأخبارها، ولكننا وجدنا السماء الآن ملئت حفظة أشداء من الملائكة ورواجم يرجموننا، وهى الكواكب والنجوم المحرقة لهم عن إستراق السمع.

قال الله تعالى: « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمّعون إلى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلاّ من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » الصافات: ٦-١٠)

وقال: « ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » الحجر: ١٦ - ١٨)

و قال: « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين و أعتدنا لهم عذاب السعير » الملك: ٥)

وقد ورد ان العرب كانوا يعتقدون بان السحرة والكهان متصلون بالجن أو بشياطينهم، وان منهم من يسترق السمع من السماء و يخبرهم بأخبارها، و ان الشهب تنقض وراءهم، وان هذا الحادث السماوى قد تزايد إبّان ظهور النبى الكريم ﷺ ويؤيد ذلك ما فى قوله تعالى: « وما تنزّلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون - هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزّل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون » الشعراء: ٢١٠-٢٢٣)

وكان إزدياد إنقضاض الشهب قد لفت نظر العرب وجعلهم يكثرون من التحدث عنه والتساؤل عن أسبابه، ولعل تكرر ورود هذا الموضوع فى القرآن الكريم قد قصد به الرد على الكفار الذين كانوا يزعمون ان النبى ﷺ متصل بالشياطين حسب عقائدهم فى الكهان والسحرة مما جعلهم ينسبون اليه السحر حيناً والكهانة حيناً آخر، والجنون ثالثة على ما حكاه القرآن الكريم عنهم فى كثير من آياته...

كقوله تعالى: « فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون » الطور: ٢٩)

وقوله : « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » ص : ٤)

وإعلامهم ان الشياطين لن يجدوا سبيلاً إلى معرفة الغيب أو أخبار السماء لان الله قد حفظها وأعدّ لهم فيها شهباً راجمة وان الجن أنفسهم قد يئسوا من ذلك.

وأما وجود الجن وأحوالهم وحقيقة لمسهم السماء وماهية إستراقهم السمع منها فمن الامور المغيبية التي يقررها القرآن الكريم ، فيجب علينا الايمان بها و لو لم تدركها الحواس البشرية أو يتسق مع ما عرفه الناس من نواميس و نظم كونية كسائر الحقائق المغيبية التي يقررها الكتاب المجيد والوقوف منها عند ماوقف عنده الكتاب دون تزيد وتمحل ، فالعقل الانساني كان وما يزال عاجزاً عن إدراك كنه كثير من أسرار الكون وقواه .

ولما كان سامعوا القرآن في الدرجة الاولى والمباشرة هؤلاء العرب وكانوا يعتقدون بوجود الجن وقوتهم وتأثيرهم وصعودهم إلى السماء واستراقهم السمع منها وإتصالهم بالكهنة والساحرين والشعراء إتصال تلقين وإلهام وتعليم وإخبار ، وكانوا يخشون شرّهم ويدافعون هذا الشر بالاستعاذة بهم وإشراكهم مع الله سبحانه في التذلل والتقرب « بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » سباء : ٤١) اقتضت حكمة التنزيل حكاية هذا الحادث الغيبي ليرى المشركين من السامعين ان من هؤلاء الذين يتصورونهم أقوياء بطاشين جزيئين على السماء ، والذين يتخذونهم معبودات و يتقربون إليهم بالعبادة والاستعاذة من رأى أعلام النبوة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم وآمن بها حينما استمع إلى القرآن الذي يتلوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعترف بما فيه من هدى ورشد وإدراك ماكانوا عليه من سخف وضلال في الشرك ونسبة الصاحبة والولد إلى الله سبحانه وفي إنكار الرسالة .

٩- (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً)

ونحن قد كنا نقعد من السماء مواضع يقعد في مثلها لاستماع الاخبار من

السماء وما يحدث فيها ، فمن يستمع منها الآن ذلك فى السماء يجدله شهاب نار
قد رصد له ليرجم به .

١٠ـ (وانالاندرى أشراريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشداً)

ونحن معشر المؤمنين من الجن لاندرى ان الغرض من المنع من إستراق السمع عند إرسال رسول جديد أشراريد بأهل الارض من الجن والانس ، بل أراد ربهم لهم بهذا المنع، وبرسالة هذا الرسول أن يرشدهم إلى مافيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم فى الدنيا والاخرة ، أراد أن يطهّرهم ويتمّ نعمته عليهم ، أراد أن يبين لهم ويهديهم سنن الذين من قبلهم، أراد أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وأراد أن يمن على المستضعفين من المؤمنين فى الارض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين فان الرب تبارك وتعالى لايريد بعباده شراً ولا ظلماً ولاعسراً ولاحرجاً .

قال الله تعالى : « مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » المائدة : ٦)

وقال : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم» النساء :٢٦)

وقال : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين» الانفال:٧)

وقال : « ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين ونمكّن لهم فى الارض » القصص : ٥و٦)

وقال : « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » الانبياء : ١٠٧)

وقال : « يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر » البقرة : ١٨٥)

وقال : « وما الله يريد ظلماً للعالمين» آل عمران : ١٠٨) وما وردفى الاية فمن باب التأويل فتدبر .

١١ـ (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً)

وقال هؤلاء النفر من مؤمنى الجن ـ لما استمعوا إلى القرآن الكريم و آمنوا به و رجعوا إلى قومهم منذرين و دعوهم إلى التوحيد و تصديق الرسالة

المحمدية - : أنا منا الصالحون الذين آمنوا واهتدوا إلى سبيل الرشاد ، ومنا غير الصالحين ولم يؤمنوا بالله تعالى ولم يهتدوا بهداه . . نحن الجن كنا قبل ذلك على مذاهب مختلفة وآراء متشتتة لايجمعها شيء كالانس قبل ظهور الاسلام .

قال الله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله و آمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء اولئك في ضلال مبين » الاحقاف : ٢٩ ـ ٣٢)

وقال : « يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا اشهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » الانعام : ١٣٠)

١٢ - (وانا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هرباً)

واننا تيقنا وعلمنا بالاستدلال والتفكر فى الايات التكوينية والتدوينية أننا فى قبضة الله جل وعلا وسلطانه لن نفوته بهرب ولاغيره بحال إن أراد بنا سوءاً و انه تعالى يدركنا حيث كنا من أقطار الارض ، وان الانس والجن فى ذلك فى شرع سواء .

قال الله تعالى حكاية عن مؤمنى الجن : « ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء » الاحقاف : ٣٢)

وقال : « وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الارض » الفاطر: ٤٤)

وقال : « وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء » العنكبوت : ٢٢)

وقال : « واعلموا انكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين » التوبة: ٢)

١٣ - (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلايخاف بخساً ولا رهقاً)

وانا معشر الجن لما سمعنا القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم وعلمنا بانه نزل من عندالله تعالى من غير ترديد ولا ريبة آمنا به بلا مكث ولا توان .

وفى كثير من الايات القرآنية يعبّر عن القرآن بالهدى باعتبار ما يتضمنه من الهدى والرشاد ، وان الله تعالى يهدى به من اتبع رضوانه إلى صراط العزيز الحميد ، يهدى إلى الحق ويهدى إلى صراط مستقيم ، فهو هدى لمن اتقى ، وبصائر لمن أيقن ، ورحمة لمن آمن ، وبيان للناس .

قال الله تعالى حكاية عن مؤمنى الجن : « قالوا ياقومنا انا سمعنا كتاباً ـ يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم » الاحقاف : ٣٠)

وقال : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً كبيراً » الاسراء : ٩)

وقال : « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : ١٦)

وقال : « ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل إليك من ربك هو الحق و يهدى إلى صراط العزيز الحميد » سباء : ٦)

وقال : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » البقرة : ٢)

وقال : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » آل عمران :١٣٨)

وقال : « هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » الاعراف : ٢٠٣)

فمن يؤمن بربه فلا يخاف أن ينقص ربه من حسناته ولا من ثوابها ظلماً ، ولا أن يزيد فى سيئاته عدواناً . ان البخس ـ هو نقصان الحق ظلماً ، والرهق :هو غشيان المحارم عدواناً .

قال الله تعالى : « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً » طه : ١١٢)

وقال : « فمن اتبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون - بلى من أسلم وجهه لله وهومحسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون » البقرة : ٣٨ _ ١١٢)

وقال : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون اولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » الاحقاف : ١٣_١٤)

وقال : « فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله » النساء : ١٧٢)

وقال : « وأما الذين سعدوا ففى الجنة - وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص » هود : ١٠٨ _ ١٠٩)

١٤ - (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فاولئك تحروا رشداً)

وأننا معشر الجن مختلفون فى الدعوة الالهية، ومنقسمون إلى من استمعوا إليها فاستجابوا لها وآمنوا بالله تعالى ورسوله وبكتابه واستسلموا لما أمرهم الله جل وعلا به وانقادوا لذلك ، وإلى العدول عن إجابة الدعوة ، والميل إلى الضلالة، العدول عن الايمان وقبول الحق . والميل إلى الكفر والباطل ، والعدول عن النهج القويم وسنن الهدى ، والرغبة فى الكفر والعدوان والى الجور على أنفسهم و على المجتمع البشرى والظلم على الله تعالى .

فمن أسلم وخضع لله جل وعلا بالايمان والطاعة و استسلم لامره و انقادله ، فاولئك قصدوا صراط الحق ، وسبيل الهدى ، واسترشدوا واختاروا طريق الأمن والسلامة . وان مؤمنى الجن يدعون قومهم إلى الايمان كمومن آل فرعون .

قال الله تعالى : « فليستجيبوا الى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون» البقرة:١٨٦)

وقال : « انما يستجيب الذين يسمعون » الانعام : ٣٦)

وقال : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم » القصص : ٥٠)

وقال : « إن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » النمل : ٨١)

وقال : « وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد »غافر:٣٨)

١٥- (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)

وأما الجائرون عن الايمان ، المائلون عن طريق الهدى ، الراغبون عن صراط الحق ، المعرضون عن سنن الدين الاسلامى ، والراكبون لطرق الضلالة والكفر والشرك والطغيان، فكانوا هم فى علم الله تعالى وحكمه وقضاءه لجهنم حصباً و حطباً توقد بهم اذ يلقون فى نارها ، فتحرقهم النار كما تحرق الحطب كالانس الكافرين العاصين والطاغين .

قال الله تعالى : « انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لهاواردون» الانبياء : ٩٨)

وقال : « قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار - ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس » الاعراف : ٣٨ - ١٧٩)

وقال : « ولكن حق القول منى لاملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا » السجدة : ١٣ - ١٤)

وقال : «فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين»البقرة:٢٤)

وقال : « نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة » الهمزة : ٦ - ٩)

١٦- (وأن لواستقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً)

وان الشأن لواتبع الجن والانس المنهج القويم ، ولازموا طريق الحق و ثبتوا على الدين الاسلامى و تركوا الطرائق المختلفة لاسقيناهم ماء غدقاً من السماء والارض يكثر به رزقهم ويرغد به عيشهم .

والاية فى معنى قوله تعالى : «أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون - استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً » نوح : ٣ - ١٢)

وقوله : « ولوأن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » الاعراف : ٩٦)

وقوله : « ولوأن أهل الكتاب آمنوا واتقوا ـ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون » المائدة : ٦٥ـ٦٦)

وأما ذكر الماء فباعتبار أن به حياة لكل شيء حي حدوثاً وبقاء وفيه الايات لاولى النهى .

قال الله تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » الانبياء : ٣٠)

وقال : « وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » البقرة : ٢٢)

وقال : « وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به » الانفال : ١١)

وقال: « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً » الفرقان : ٤٨ ـ ٤٩)

وقال : « فلينظر الانسان إلى طعامه انا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم » عبس : ٢٤ـ٣٢)

وقال : « والارض بعد ذلك دحيها أخرج منها ماءها ومرعاها ـ متاعاً لكم ولانعامكم » النازعات : ٣٠ ـ ٣٣)

وقال : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر ـ فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ـ وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون» المؤمنون : ١٨ ـ ٢٢)

وقال : « والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون » النحل : ٦٥)

وقال : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب » الزمر : ٢١)

وقال : « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى كلوا و ارعوا أنعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى » طه : ٥٣ _ ٥٤)

وما ورد فى الاية الكريمة فمن باب الجرى والتأويل وهو اللب .

١٧- (لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً)

لنختبرهم ونبتليهم بالمال الكثير، وسعة الرزق والعيش الرغيد ... ليظهر كيف عملهم فيه .

ومن غير مراء ان المكلف بماهو مكلف فى عرضة الاختبار والابتلاء فى الحياة الدنيا بكثير من الامور : بالخير والشر، بالاموال والاولاد وبفقدها ، بالعلم والجهل، وبالغنى والفقر . . . مؤمناً كان المختبر أم كافراً .

قال الله تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون و لقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » العنكبوت : ٢ _ ٣)

وقال : « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » الانبياء : ٣٥)

وقال : « واعلموا انما أموالكم و أولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم » الانفال : ٢٨)

وقال : « ولاتمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » طه : ١٣١)

وقال : « فاذا مس الانسان ضرّ دعانا ثم إذا خوّلناه نعمة منا قال إنما اوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثرهم لايعلمون » الزمر : ٤٩)

وقال : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون » الفرقان: ٢٠)

و من يعرض عن القرآن الكريم والايمان به ينفذه الله تعالى عذاباً شاقاً شديداً يعلو عليه لا يطيقه .

وقد عبّر عن القرآن بالذكر فى كثير من الايات القرآنية لما فيه من ذكرى وتذكرة لمن تذكر :

قال الله تعالى: « وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساءلهم يوم القيامة حملاً ـ ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ـ وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة أشد وأبقى » طه : ٩٩ ـ ١٢٧)

و قال : « و من يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين » الزخرف : ٣٦)

وقال : « إن هو إلاّ ذكر للعالمين » ص : ٨٧) وقال : « وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفانتم له منكرون » الانبياء : ٥٠)

وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » الحجر : ٩)

وقال : « أولم يكفهم إنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » العنكبوت : ٥١)

وقال : « كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره » المدثر : ٥٤ ـ ٥٥)

١٨- (وأن المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحداً)

وقل يا أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين : اوحى إليّ : ان المساجد كلها لله تعالى فلاتعبدوا فيها غير الله جل وعلا أحداً، ولاتشركوا به فى كل حال شيئاً .

والاية سلباً وايجاباً فى معنى قوله تعالى : « و أقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين » الاعراف : ٢٩)

وقوله: « فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ـ قل انى نهيت أن

اعبد الذين تدعون من دون الله » غافر : ١٤ - ٦٦)

وقال : « ماكان للمشركين أن يعمروا مساجدالله شاهدين على أنفسهم بالكفر ـ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين » التوبة : ١٧ ـ ١٨)

وما ورد في المقام فمن باب الجرى والانطباق .

١٩- (وانه لماقام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً)

وان الشأن لماقام عبدالله وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعبدالله تعالى وحده كاد الجن يكونون على محمد صلى الله عليه وآله وسلم جماعات بعضها فوق بعض مزدحمين متراكمين تعجباً مماشاهدوامن عبادته وحرصاً لما سمعوا من قرائته ، وإقتداءأصحابه به قياماً و قعوداً ، ركوعاً و سجوداً ، ورأوا مالم يروا مثله بعد ، و سمعوا ما لم يسمعوا مثله قط .

وأما على القول بارجاع ضميرى الجمع إلى المشركين فالمعنى : لما قام محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصلياً أوداعياً لهم إلى التوحيد والايمان وصالح الاعمال كاد المشركون يزدحمون عليه ليفتنونه عن الذى أوحينا إليه .

فالاية في معنى قوله تعالى : « و إن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً » الاسراء : ٧٣)

٢٠- (قل انما أدعوا ربي ولااشرك به أحداً)

قل يا أيها الرسول لهؤلاء الذين كادوا يكونون عليك لبداً : انما اعبد الله ربي وحده ولااشرك به أحداً لافي الوجود ولافي الايجاد ولافي التدبير والعبادة ، وليس ماترون من عبادتي ربي بأمر بديع ، ولا مستنكر يوجب العجب والاطباق على عداوتي ، وانما يتعجب ممن يدعوغيرالله تعالى .

قال الله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» يوسف : ١٠٨)

و قال : « قل انما امرت أن أعبدالله ولااشرك به إليه أدعوا و إليه مآب » الرعد : ٣٦)

وقال : « قل انی نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله » الانعام : ٥٦)

وقال : « كبر على المشركين ماتدعوهم إليه » الشورى : ١٣)

٢١- (قل انی لاأملك لكم ضراً ولارشداً)

قل يا أيها النبی صلی الله علیه و آله وسلم لهم أيضاً : انی لااملك ضراً إن أراد الله تعالى بكم نفعاً ، ولااملك لكم نفعاً وخيراً إن أرادالله جل وعلا بكم ضراً ، فلاأقدر أن أدفع عنكم الضر لوسيق إليكم ، ولاأسوقه عليكم إن دفع عنكم ، ولااقدرأن اجلب لكم خيراً و نفعاً إن منع عنكم ولاامنع لوسيق إليكم ، و انما علیّ التبليغ والهداية إلى سبيل الرشاد لاحول ولاقوة لی إلاّ بالله ، وهوالذی يملك ذلك إذ بيده الخير والملك وهوعلى كل شیء قدير .

قال الله تعالى : « قل من ذا الذی يعصمكم من الله إن أرادبكم سوءاً أو أراد بكم رحمة » الاحزاب : ١٧)

وقال : « قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أرادبكم ضراً أوأرادبكم نفعاً» الفتح : ١١)

وقال : « وإن يمسسك الله بضرّ فلاكاشف له إلاّ هووإن يردك بخير فلا راد لفضله » يونس : ١٠٧)

وقال : « قل لااملك لنفسی نفعاً ولاضراً إلاّ ماشاءالله - إن أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون » الاعراف : ١٨٨)

وقال : « قل اللهم مالك الملك تؤتی الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شیء قدير» آل عمران : ٢٦) وما ورد فی الاية الكريمة فمن باب التأويل .

٢٢- (قل انی لن يجيرنی من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً)

قل لهم: إني لن يعيذني ولا يلجأني من الله تعالى أحد من خلقه لو أراد بي سوءاً أو نهاب ما اوحى إليّ لو عصيته وخالفت أمره في الرسالة ، ولن أجد من غير الله جل وعلا ملجاءاً من الحصن ألجأ إليه ، أو الملاذ الاذبه ، أو الصديق أعتمد عليه ، أو المولى أنتصر منه . . . إن أراد الله تعالى أن يهلكني أو يعذبني لو أركن إلى غيره فبيده جل وعلا ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ، فاذا لم يكن هناك من يدفع عني ضراً غير الله فكيف الكافرون .

قال : « واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لامبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً » الكهف : ٢٧)

وقال . « ولولا أن ثبتّناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً - ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ثم لاتجدلك به علينا وكيلاً » الاسراء : ٧٤ - ٨٦)

و قال : « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير و لا يجار عليه » المؤمنون : ٨٨)

وقال : « قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم » الملك : ٢٨)

٢٣- (الابلاغاً من الله و رسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً)

اني لن أجد ملجاءاً من الله تعالى إلاّ بابلاغ وحيه ورسالاته ، فمجير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو التبليغ ومجير غيره هو الايمان والطاعة .

قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس - ما على الرسول إلاّ البلاغ » المائدة: ٦٧ - ٩٩)

وقال : « واوحي إليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ » الانعام : ١٩)

وقال : « ماكان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدراً مقدوراً الذين يبلّغون رسالات الله و يخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله و كفى بالله حسيباً » الاحزاب : ٣٨ ـ ٣٩)

ومن يعص الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه من التوحيد و رفض الشرك ، و من إمتثال الأوامر وترك المحارم ، ويعص رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالتكذيب و ترك الطاعة له حيث ان طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هى طاعة الله جل وعلا كما ان معصيته هى معصية الله تعالى فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً لامحيد عنها و لا خروج منها و لا نصير فيها .

قال الله تعالى : « ومن يعص الله ورسوله و يتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله » النساء : ١٤ ـ ٨٠)

وقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » الحشر : ٧)

وقال : « خالدين فيها أبداً لايجدون ولياً ولانصيراً يوم تقلّب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » الاحزاب : ٦٥ ـ ٦٦)

٢٤ـ (حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً)

ولايزال المشركون يستضعفون المؤمنين و يستهزؤن بهم حتى إذا رأوا ما يوعدون من غلبة المؤمنين عليهم ببدر وفتح مكة . . . فسيعلمون حيناً بعد حين من أضعف أعواناً ؟ هم أم المؤمنون ؟ ومن أقل عدداً ؟ هم أم حزب الله تعالى الذين هم الغالبون ؟ وانما عليك البلاغ أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلينا الحساب .

قال الله تعالى : « قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً و أضعف جنداً » مريم : ٧٥)

وقال : « أكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة فى الزبر أم يقولون نحن

جميع منتصر سيهزم الجمع ويولّون الدبر » القمر : ٤٣ - ٤٥)

وقال : « فكفروا به فسوف يعلمون و لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين و أبصرهم فسوف يبصرون » الصافات : ١٧٠ - ١٧٥)

وقال : «لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله - رضى الله عنهم و رضوا عنه اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون » المجادلة : ٢٢)

وقال : « فان حزب الله هم الغالبون » المائدة : ٥٦)

وقال : « وإن ما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » الرعد : ٤٠)

٢٥- (قل ان أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمداً)

قل أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء المشركين المعاندين: ما أدرى أقريب زمن ماتوعدون به من الهزم وتولى الدبر أم يجعل ربى غاية ينتهى إليها .

قال الله تعالى : « فان تولوا فقل آذنتكم على سواء و إن أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون ـ وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » الانبياء : ١٠٩-١١١)

وقال : « فاما نذهبنّ بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون » الزخرف : ٤١ - ٤٢)

وقال : « قل ما كنت بدعاً من الرسل وما ادرى مايفعل بى ولا بكم ان أتبع إلاّ ما يوحى إلىّ وما أنا الاّ نذير مبين » : الاحقاف : ٩)

٢٦- (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً)

فان ربى هو العالم بما غاب عن عباده ، وهو يعلم متى يكون الهزم و تولى الدبر وعذاب المشركين ، فلا يطلع على غيبه أحداً من عباده .

والاية فى معنى قوله تعالى : « فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من

المنتظرين » يونس : ٢٠

وقوله تعالى : « قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب إلاّ الله » النمل ٦٥)

وقوله سبحانه : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » الحديد : ٢٥)

وقوله جل وعلا : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ـ وما كان الله ليطلعكم على الغيب » آل عمران : ١٧٩)

٢٧ـ (الامن ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً)

لايطلع الله تعالى أحداً على غيبه إلاّ من اختار من رسله ، فيطلعه على بعض الغيب ، فان الله تعالى يجعل هذا المرتضى وما اوحى اليه من غيبه تحت حفظه ومراقبته بحفظة يحرسونهما من كل سوء ، أوان هذا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يذهب ويتطرق حالكون الحفظة من الملائكة من أمامه ومن ورائه يحفظونه وما أوحى إليه من كل سوءٍ للتحقق من قيامه بمهمته وتبليغ رسالاته التى انتدب إليها .

قال الله تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الطور : ٤٨)

وقال : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته » الحج : ٥٢)

وقال : « لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت : ٤٢)

و قال : « و اما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم » الاعراف : ٢٠٠)

و فى صدر الاية مع إنضمامها بذيل الاية السابقة دلالة على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لايعلم الغيب بالاصالة والاستقلال ولكنه يعلمه بالوحى .

قال الله تعالى : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ـ وما كان الله ليطلعكم

على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء » آل عمران : ٤٤ - ١٧٩)

وقال : « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى » الانعام : ٥٠)

و أما نفي العلم بالغيب عنه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى : « و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير » الاعراف: ١٨٨) فالمراد به على نحو الاستقلال و بالاصالة من غير وحي .

وأما أئمة أهل البيت عليهم السلام فيعلمون الغيب بما علمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

٢٨- (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً)

ان الله تعالى يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته، و يحفظوا ما ينزل إليهم من الوحي ليعلم الله تعالى أن الشأن قد أبلغوا تلك الرسالات على الوجه الذي ارسلوا إلى الناس ، وعلى ما اوحي إليهم من غير توان ، ولا تغيير ولا تبديل.

والمراد بعلم الله تعالى ذلك منهم علم وقوع في الخارج كقوله تعالى: «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » البقرة : ١٤٣)

وقوله : « ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً » الكهف: ١٢)

وقال : « وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ـ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم الله المؤمنين وليعلم الذين نافقوا » آل عمران : ١٤٠ ـ ١٦٦)

و قال : « و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين » العنكبوت : ٣)

وقال : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوأخباركم» محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٣١)

فقد علم الله تعالى بابلاغ رسله رسالاته فانه أعلم حيث يجعل رسالته إذ قال: « وإذا جائتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته » الانعام : ١٢٤)

كيف لا وقد أحاط الله جل وعلا بما كان لدى المرسلين قبل إرسالهم من طاقة صبر وقوة وإحتمال على مواجهة السفهاء والضالين من أقوامهم وفضل بعضهم على بعض وبما أوحى إليهم فى طوال الاعصار ، وكان يعلم عدد المرسلين قبل إرسالهم كيف لا وقد أحصى كل شيء فى كتاب مبين فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .

قال الله تعالى : « وقد أحطنا بما لديهم خبراً » الكهف : ٩١)

وقال : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين » الصافات : ١٧١)

وقال : « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » ص : ٤٧)

وقال « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ـ كل من الصالحين ـ وكلاً فضّلنا على العالمين » الانعام : ٨٣ ـ ٨٦)

وقال : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات » البقرة : ٢٥٣)

وقال : « اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم » مريم:٥٨)

وقال : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى » طه : ١١٥)

وقال : « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل و كنا به عالمين »الانبياء :٥١)

وقال : « ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط » يونس : ٤٧)

وقال: «ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ـ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » النساء : ١٦٤-١٦٥)

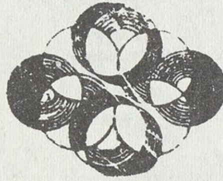
وقال : « والله من ورائهم محيط » البروج : ١٩)

وقال : « وان الله قد أحاط بكل شيء علماً » الطلاق : ١٢)

وقال : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » الملك : ١٤)

وقال : « يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير - ما أصاب من مصيبة في الارض و لا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » الحديد : ٤ - ٢٢)

وقال : « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » يس : ١٢)



﴿جملة المعاني﴾

۵۴۴۸- (قل اوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً)

قل يا محمد ﷺ للانس : أوحى الله تعالى إلىّ ان الشأن استمع لما انزل علىّ من القرآن الكريم طائفة من الجن ، فقالوا حين رجعوا إلى قومهم: ياقوم انا سمعنا من لسان رسول من الانس كتاباً متلواً بديعاً لا يماثله كلام البشر .

۵۴۴۹- (يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً)

كتاباً يهدى الجن والانس إلى دين الحق ، و سبيل الرشاد . فآمنا بهذا القرآن لعلمنا بانه كتاب سماوى خارج من قدرة الخلق ، و لا نشرك بربنا أبداً أحداً من خلقه نحواً من أنحاء الشرك .

۵۴۵۰- (وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً)

وان الشأن عظم مجد ربنا ، وجلّت عظمته أن يكون له حظّ ونصيب ، إذ لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

۵۴۵۱- (وانه كان يقول سفيهنا على الله شططاً)

وان الشأن كان يقول خفاف العقول من مشركينا على الله سبحانه قولاً بعيداً عن الحق .

۵۴۵۲- (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً)

ونحن كنا نحسب ان الشأن لن تقول الانس والجن على الله سبحانه قولاً كذباً .

۵۴۵۳- (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم

رهقاً)

وان الشأن كان قبل ذلك رجال من الانس يلتجأون برجال من الجن فى أمكنة وأزمنة ، فكان الجن يزيدون الانس طغياناً وشراً .

٥٤٥٤- (وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً)

و نحن علمنا بما استمعنا لهذا القرآن : ان الانس ظنوا كما كنا معاشر الجن ظانين من قبل ان الشأن لن يبعث الله تعالى أحداً من رسله بعد موسى أو عيسى عليهما السلام .

٥٤٥٥- (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً)

ونحن معشر الجن كنا من قبل نزول هذا القرآن الكريم نقترب من السماء بالصعود إليها لاستماع كلام أهلها وأخبارها ، و لكنا وجدنا السماء الآن ملئت حفظة أشداء يحرسونها ، ورواجم يرجموننا .

٥٤٥٦- (واناكنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدله شهاباً رصداً)

ونحن قد كنا من قبل نزول هذا القرآن نقعد من السماء مواضع للسمع ، فمن يستمع الآن منها يجدله شهاب ناريرجم به .

٥٤٥٧- (واناالاندرى أشراريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشداً)

ونحن معشر المؤمنين من الجن لاندرى ان الغرض من المنع من الاستراق عند نزول هذا الوحى السماوى العجيب أشر أريد بأهل الارض من الجن والانس ، بل علمنا بهذا الوحى أراد ربهم لهم برسول هذا الوحى سعادة الدارين .

٥٤٥٨- (وانا منا الصالحون ومنادون ذلك كناطرائق قدداً)

ونحن معاشر الجن بعد نزول القرآن الكريم انقسمنا على فريقين : فرقة مؤمنة صالحة ، وفرقة كافرة ضالة ، وقد كنا من قبل ذلك فرقاً مختلفة على آراء متشتتة .

٥٤٥٩- (وانا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هرباً)

ونحن معشر المؤمنين أيقنا بالادلة القاطعة ، والبراهين الواضحة ان الشأن لن نفوت من الله تعالى فى أقطار الارض ، ولا الخروج من حكمه و سلطانه بالفرار من ملكه ، كما اننا لن نقدر أن نعجزه بالنفوذ فى أقطار السماء .

٥٤٦٠- (و انا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً)

ونحن معشر المؤمنين من الجن لما سمعنا القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم ، وعلمنا بانه وحى سماوى نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم آمنا به بدون ريب ، ولا مكث ، فمن يؤمن بربه ، فلا يخاف أن ينقص ربه من حسناته ولا أن يزيد فى سيئاته

٥٤٦١- (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فاولئك تحروا رشداً)

ونحن معاشر الجن بعد ظهور الرسالة الجديدة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم إنقسمنا إلى الطائفتين : الطائفة المسلمة المستسلمة لما أمر الله تعالى عباده به ، والطائفة الجائرة الشاردة المستنفرة ، فمن أسلم وانقاد لامر الله جل وعلا ، فاولئك قصدوا صراط الحق ، وطلبوا سبيل الهدى .

٥٤٦٢- (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)

وأما الجائرون المائلون عن طريق الهدى ، فكانوا لجهنم حطباً توقد بهم .

٥٤٦٣- (وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً)

وان الشأن لو ثبت الجن والانس على طريق الحق ولازموا المنهج القويم و تركوا الآراء المختلفة ، و المذاهب الواهية لاسقيناهم من السماء والارض ماءاً غدقاً يكثر به رزقهم ويرغد به عيشهم .

٥٤٦٤- (لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً)

لنختبرهم بالمال الكثير ، والعيش الرغيد . . ليظهر كيف عملهم فيه ، و

من يعرض عن كتاب ربه و لم يؤمن به ينفذه الله تعالى عذاباً شاقاً يعلو عليه لا يطيقه .

٥٤٦٥- (وأن المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحداً)

و قل ياأيها النبى ﷺ للمؤمنين : اوحى إلىّ : ان المساجد كلها لله تعالى ، فلاتعبدوا فيها غيرالله جل وعلا أحداً ، ولاتشركوا به شيئاً .

٥٤٦٦- (وأنه لماقام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً)

وان الشأن لماقام عبدالله وهوخاتم الانبياء ﷺ يعبد الله تعالى وحده كاد الجن يكونون على محمد ﷺ مزدحمين تعجباً مما شاهدوا من عبادته .

٥٤٦٧- (قل انما أدعوا ربى ولااشرك به أحداً)

قل : يا أيها الرسول لهؤلاء المزدحمين : أنما أعبدالله ربى وحده ولااشرك به أحداً من خلقه ، على أنحاء الشرك .

٥٤٦٨- (قل انى لااملك لكم ضراً ولارشداً)

قل يا محمد ﷺ لهم أيضاً : انى لاأملك لكم ضراً إن أراد الله تعالى بكم نفعاً ، ولانفعاً إن أرادبكم ضراً .

٥٤٦٩- (قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً)

قل ياأيها النبى ﷺ لهم : انى لن يلجأنى من الله تعالى أحد من خلقه لو أراد بى سوءاً ، ولن أجد من غيرالله ملاذاً أن يعيذنى لوأرادالله تعالى أن يعذبنى .

٥٤٧٠- (الابلاغاً من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نارجهنم خالدين فيها أبداً)

انى لن أجد ملجأ من الله تعالى إلاّ بابلاغ وحيه و رسالاته ، فعلى الرسول البلاغ وعلى المرسل إليهم الطاعة ، ومن يعص الله تعالى وخالف رسوله ﷺ فان له نارجهنم خالدين فيها أبداً لامحيد عنها ولاخروج منها .

٥٤٧١- (حتى أذارأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً)

ولايزال المشركون يستضعفون المؤمنين و يستهزؤن بهم حتى إذا رأوا مايوعدون من غلبة المؤمنين عليهم ، فسيعلمون حيناً بعد حين من أضعف أعواناً ومن أقل عدداً هم أم المؤمنون ؟

٥٤٧٢- (قل ان أدرى أقريب ماتوعدون ام يجعل له ربى امداً)

قل لهؤلاء المشركين: ماأدرى أقريب زمن ماتوعدون به من الهزم أم يجعل له ربى غاية ينتهى إليها .

٥٤٧٣- (عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً)

فان ربى هو العالم بماغاب عن عباده ، فهو يعلم متى يكون الهزم وعذاب المشركين بأيدى المؤمنين ، فلا يطلع على غيبه أحداً من عباده .

٥٤٧٤- (الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً)

إلاّ من اختارمن رسله ، فيطلعه على بعض الغيب بالوحى ، فان الله تعالى يجعل لهذا الرسول حفظة يحرسونه من أمامه وورائه .

٥٤٧٥- (ليعلم أن قدأبلغوا رسالات ربهم وأحاط بمالديهم وأحصى كل شيء عدداً)

ليعلم الله تعالى علم ظهور وشهود أن الشأن قدأبلغ المرسلون رسالات ربهم التى امروا بابلاغها للناس ،وأحاط الله تعالى بماكان لدى المرسلين قبل إرسالهم، وأحصى كل شيء فرداً فرداً .

﴿ بحث روائي ﴾

في المجمع : عن علقمة بن قيس قال : قلت لعبد الله ابن مسعود : من كان منكم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن ؟ فقال : ما كان منا معه أحد ، فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة ، فقلنا : اغتيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو استطير فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلاً من نحو حراء فقلنا : يا رسول الله أين كنت ؟ لقد أشفقنا عليك ، وقلنا له : بتنا الليلة بشر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال لنا : انه أتاني داعي الجن ، فذهبت اقرئهم القرآن ، فذهب بنا ، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، فأما أن يكون صحبه منا أحد فلم يصحبه .

وفي الاحتجاج : روى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام ان علياً قال لبعض اليهود : ان الشياطين سخرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها ، وقد سخرت لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشياطين بالايمان ، فأقبل إليه من الجن التسعة من أشرافهم : واحد من جن نصيبين والثمان من بني عمرو بن عامر من الاحجة (من الاجنحة خ) منهم : شضاة ومضاة والهملكان والمرزبان والمازمان ونضاة وهاصب وهاضب وعمرو وهم الذين يقول الله تبارك وتعالى إسمه فيهم : « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن » وهم التسعة « يستمعون القرآن » .

وفي الخصال : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الجن على ثلاثة أجزاء : فجزء مع الملائكة وجزء يطيرون في الهواء وجزء كلاب وحيات .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « وانه تعالى جدّ ربنا » قال : هو شيء

قالته الجن بجهالة ، فلم يرضه الله منهم ومعنى « جدّ ربنا » أى بخت ربنا .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن سنان (سيارخ) عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الجن : « وانه تعالى جد ربنا » فقال : شيء كذبه الجن فقصّه الله كما قالوا .

وفى التهذيب : باسناده عن ميسر عن أبى جعفر عليه السلام قال : شيئان يفسد الناس بهما صلوٰتهم قول الرجل : تبارك إسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وانما هوشيء قالته الجن بجهالة فحكى الله عنهم ، وقول الرجل : السلام علينا و على عبادالله الصالحين .

أقول : ان الجد بمعنى البخت والحظ هوالمنفى عن الله جل وعلا .

وفى المجمع : وقال الربيع ابن أنس انه قال : ليس لله تعالى جدّ ، وانما قالته الجن بجهالة فحكاه سبحانه كماقالت . وروى ذلك عن أبى جعفر الباقر وأبى عبدالله عليهما السلام .

وفى تفسير القمى : فى حديث ـ فجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاسلموا و آمنوا وعلّمهم رسول الله شرائع الاسلام ، فأنزل الله على نبيه : « قل اوحى إلىّ » السورة كلها ، فحكى الله قولهم وولّى عليهم رسول الله منهم ، وكانوا يعودون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فى كل وقت ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلمهم ويفقههم ، فمنهم مؤمنون وكافرون وناصبون و يهود و نصارى و مجوس وهم ولد الجان .

وفى الاحتجاج : عن الامام على عليه السلام ـ فى حديث ـ فأقبل إليه الجن والنبى صلى الله عليه وآله ببطن النخل فاعتذروا بانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم ،فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسلمين ، فاعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً .

أقول : ويؤيد بيعة الجن للنبى الكريم صلى الله عليه وآله على الصوم والصلاة ..الخ قوله تعالى حكاية عنهم فى أول السورة: « فآمنا به ـ وانا لما سمعنا الهدى آمنا به »

وأما كيفية عملهم بها وخاصة الزكاة والجهاد فتناسب بعالمهم الاستتار، وأما إعتذارهم فهذا لابد لكل من يومن بالله تعالى ويرفض الكفر والانداد، و يجتنب المحارم بالتوبة والانابة.

وفي تفسير القمي: باسناده عن زرارة قال: سئلت أباجعفر عليه السلام عن قول الله: «و انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً» قال: كان الرجل ينطلق الى الكاهن الذي يوحي إليه الشيطان، فيقول: قل لشيطانك: فلان «ان فلاناً خ» قد عاذبك.

وقال علي بن ابراهيم: كان الجن ينزلون على قوم من الانس، ويخبرونهم الاخبار التي يسمعونها في السماء من قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان الناس يكهنون بما خبّروهم الجن.

وفي نور الثقلين: وعن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث طويل -: وأما أخبار السماء فان الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذذاك، وهي لا تحجب ولا ترجم بالنجوم، وانما منعت من إستراق السمع لئلايقع في الارض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء، ويلبس على أهل الارض ماجاءهم عن الله لاثبات الحجة ونفي الشبهة، و كان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء، و يلبس على أهل الارض ماجاءهم عن الله من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه، فيختطفها ثم يهبط بها إلى الارض، فيقذفها إلى الكاهن فاذا قدزاد كلمات من عنده فيختلط الحق بالباطل فماأصاب الكاهن من خبر مماكان يخبر به، فهومماأدّاه إليه شيطانه مما سمعه، وما أخطا فيه فهومن باطل مازاد فيه فمذ منعت الشياطين من إستراق السمع انقطعت الكهانة، فقال:

كيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقدكانوا يبنون لسليمان بن داود عليهما السلام من البناء ما يعجز عنه ولدآدم؟ قال: غلظوا لسليمان لما سخروا وهم خلق رقيق غذاءهم التنسم، والدليل على

ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع ولايقدر الجسم ، الكثيف على الارتقاء إليه إلاّ بسلّم أو بسبب .

و في نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها » .

وفي تفسير القمي : باسناده عن الحسين بن زياد قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « وانا لاندرى أشر اريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشداً » فقال : لاوالله شر اريد بهم حين بايعوا معاوية و تركوا الحسن بن على عليهما السلام وقوله : « كنا طرائق قدداً » أى على مذاهب مختلفة .

وفي نهج البلاغة :قال الامام على عليه السلام -في خطبة- « وتركبون قدّتهم » القدّة - بكسر القاف ثم الدال المهملة - : الطريقة ، ويقال لكل فرقة من الناس إذا كانت ذاهوى على حدّة : قدّة .

وفي الكافي : عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضى عليه السلام قال : قلت : قوله : « لما سمعنا الهدى آمنا به » قال : الهدى : الولاية آمنا بمولانا ، فمن آمن بولاية مولاه « فلايخاف بخساً ولارهقاً » قلت : تنزيل ؟ قال :لا،تاويل .

وفي تفسير القمي : في قوله : « فمن يؤمن بربه فلايخاف بخساً ولارهقاً » قال : البخس النقصان ، والرهق العذاب ، و سئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجن أيدخلون الجنة ؟ فقال : لاولكن لله حظائر بين الجنة والنار يكون فيها مؤمنوا الجن وفسّاق الشيعة .

قيل : ولعل المراد بالحظائر بعض درجات الجنة التي هي دون جنة الصالحين وهذالاينافي ما صرّح في الايات القرآنية والروايات الواردة من دخول مؤمني الجن في الجنة على ماتوهمه بعض المتجددين من المفسرين .

وفيه : باسناده عن عبادة بن صهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام

فی قول الله عز وجل : « فمن أسلم فاولئك تحرّوا رشداً » أی الذين أقرّوا بولايتنا فاولئك تحرّوا رشداً « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » : معاوية و أصحابه « وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً » الطريقة : الولاية لعلی عليه السلام.

وفی الكشاف : فی قوله تعالى : « وأما القاسطون » و عن سعيد بن جبير : ان الحجاج قال له حين أراد قتله: ماتقول فیّ؟ قال : « قاسط عادل » فقال القوم: ما أحسن ماقال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل ، فقال الحجاج : يا جهلة انه سمانی ظالماً مشركاً وتلا لهم قوله تعالى : « وأما القاسطون »

وفی تفسير روح البيان : فی قوله تعالى : « و منا القاسطون » قال : أی الجائرون عن طريق الحق والقاسطون هم فرقة معاوية كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلی عليه السلام : « تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين » أما الناكثون فأصحاب عائشة لانهم نكثوا البيعة ونقضوها فاستنزلوا عائشة وساروا بها إلى البصرة على جمل إسمه : عسكر ولذا سميت الواقعة يوم الجمل ، وأما القاسطون فأصحاب معاوية لانهم قسطوا أی جاروا عن الحق حين حاربوا الامام الحق والوقعة تعرف بيوم صفين . وأما المارقون فهم الخوارج لانهم الذين مرقوا أی خرجوا من دين الله واستحلوا القتال مع خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وتعرف تلك الوقعة بيوم النهروان وهی من أرض العراق على أربعة فراسخ من بغداد .

وفی الكافی : عن أبی جعفر عليه السلام فی قول الله : « وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً » قال: يعنی لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين على والاوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم فی أمرهم ونهيهم « لاسقيناهم ماء غدقاً » يقول : لاشربنا قلوبهم الايمان، والطريقة هی الايمان بولاية علی والاوصياء

وفيه باسناده عن أبی بصير عن أبی عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عز و جل : « وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً » يعنی لأمددناهم علماً كی يتعلمونه من الائمة عليهم السلام .

وفي شواهد التنزيل : للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن إبن عباس في قوله تعالى :« ومن يعرض عن ذكر ربه »قال:ذكر ربه ولاية علي بن أبيطالب عليه و على أولاده السلام .

وفي كنز الفوائد : للكراچكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن بريد العجلي قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « وأن لو استقاموا على الطريقة » قال : يعني على الولاية « لاسقيناهم ماء غدقاً » قال : لأذقناهم علماً كثيراً يتعلمونه من الأئمة عليهم السلام قلت : قوله : « لنفتنهم فيه » قال : انما هؤلاء يفتنهم فيه يعني المنافقين .

وفيه : باسناده عن جابر الجعفي قال : سئلت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : « ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً » قال : من أعرض عن علي يسلكه العذاب الصعد وهو أشد العذاب .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن ابيطالب عليه السلام في قوله تبارك وتعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » يقول : ما سجدت به من جوارحك فله فلا تدعوا مع الله أحداً .

وفي تفسير العياشي : عن زرقان صاحب ابن أبي داود - فيما سئل المعتصم أباجعفر الثاني محمد بن علي الجواد عليه السلام عن السارق من أي موضع يجب أن يقطع - فقال عليه السلام : ان القطع يجب أن يكون من مفصل اصول الاصابع فتترك الكف ، قال : وما الحجة في ذلك ؟ قال : قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : السجود على سبعة أعضاء : الوجه واليدين والركبتين والرجلين ، فاذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق (لم يدع خ) له يد يسجد عليها ، وقال الله تبارك و تعالى « وان المساجد لله » يعني به هذه الاعضاء السبعة التي يسجد عليها « فلا تدعوا مع الله أحداً » وما كان لله لم يقطع .

قال : فأعجب المعتصم ذلك ، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف . الحديث

وفي الكافي : باسناده عن حماد بن عيسى عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - وسجد يعني أبا عبدالله عليه السلام على ثمانية أعظم، الكفين والركبتين وإبهامي الرجلين والجبهة والانف ، **وقال** : سبعة منها فرض يسجد عليها وهي التي ذكرها الله في كتابه فقال : « و ان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » وهي الجبهة والكفّان والركبتان والابهامان ووضع الانف على الارض سنة .

وفي رواية : عن إبن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كان إذا دخل المسجد قدّم رجله اليمنى وقال : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » اللهم انا عبدك و زائرك و على كل مزور حق و أنت خير مزور فاسئلك برحمتك أن تفك رقبتي من النار »

فاذا خرج من المسجد قدّم رجله اليسرى وقال : « اللهم صبّ عليّ الخير صباً ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبداً ولا تجعل معيشتي كدّاً واجعل لي في الارض جدّاً » أي غنى .

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن الفضل عن أبي الحسن عليه السلام في قوله : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » قال هم الاوصياء .

وفي تفسير القمي : باسناده عن الحسين بن خالد أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : المساجد الائمة صلوات الله عليهم « وانه لما قام عبدالله يدعوه » يعني محمداً يدعوهم إلى ولاية علي « كادوا » قريش « يكونون عليه لبداً » يتعاونون عليه .

وفي الدر المنثور : أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن في الاية قال : لما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا إله إلاّ الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعاً .

وفيه : أخرج عبد الرزاق وغيره عن قتادة في الاية : تلبدت الانس والجن

على هذا الامر ليطفؤه فأبى الله إلاّ أن ينصره ويظهره على من ناواه.

وفيه: عن إبن عباس في الاية: لما أتى الجن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، فعجبوا من طواعية أصحابه، فقالوا لقومهم: «لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً».

وفيه: عن إبن مسعود قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة إلى نواحي مكة فخط لي خطاً وقال: لا تحدثن شيئاً حتى آتيك ثم لايهولنك شيء تراه، فتقدم شيئاً ثم جلس، فاذا رجال سود كأنهم رجال الزط وكانوا كما قال الله تعالى: «كادوا يكونون عليه لبداً» وعن إبن عباس قال: لما سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلوا القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلوه القرآن ودنوا منه..

وفي الكافي: عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت: قوله: «لاأملك لكم ضراً ولا رشداً» قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا الناس إلى ولاية عليّ، فاجتمعت إليه قريش، فقالوا يا محمد اعفنا من هذا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذه الى الله ليس إليّ فاتهموه وخرجوا من عنده، فأنزل الله عز وجل: «قل اني لااملك لكم ضراً ولارشداً».

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن سهل عن مبارك مولى الرضا عن الرضا عليه السلام قال: لايكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه، وسنة من نبيه، وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتمان سرّه قال الله جل جلاله: «عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول» وأما السنة من نبيه فمداراة الناس فقال: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وأما السنة من وليّه فالصبر في البأساء والضراء ويقول الله جل جلاله: «والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون».

وفي عيون الاخبار : عن الحارث بن دلهاث عن أبيه مولى الرضا عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : الحديث . . .

وفي الكافي : باسناده عن سدير الصيرفي قال : سمعت حمران بن أعين يسئل أباجعفر عليه السلام عن قول الله : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً » فقال أبو جعفر عليه السلام : إلاّ من ارتضى من رسول ، وكان والله محمد إرتضاه ، و أما قوله : « عالم الغيب » فان الله عزوجل عالم بماغاب عن خلقه فيما يقدّر من شيء و يقضيه في علمه قبل أن يخلقه ، وقبل أن يقضيه إلى الملائكة ، فذلك يا حمران علم هو موقوف عنده إليه فيه المشية فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلايمضيه ، فاما الذى يقدره عزوجل ويقضيه ويمضيه فهو العلم الذى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إلينا الحديث .

وفي نور الثقلين : بالاسناد عن ضريس قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ان الله عزو جل علمين : علم مبذول ، و علم مكفوف ، فأما المبذول فانه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلاّ نحن نعلمه ، وأما المكفوف فهو الذى عند الله عزوجل في ام الكتاب إذا خرج نفذ .

وفيه : بالاسناد عن أبى الربيع الشامي عن أبى عبدالله عليه السلام قال : الامام إذا شاء أن يعلم علم .

و في الخرائج والجرائح : عن محمد بن الفضل الهاشمي عن الرضا عليه السلام انه نظر إلى ابن هذاب فقال : إن أنا أخبرتك انك ستبتلى في هذه الايام بدم ذى رحم لك لكنت مصدقاً لى ؟ قال : لافان الغيب لايعلمه إلاّ الله تعالى قال عليه السلام: أوليس انه يقول : «عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول» فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندالله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذى اطلعه الله على مايشاء من غيبه ، فعلمنا ماكان وما يكون إلى يوم القيامة . الحديث .

﴿ بحث فقهي ﴾

وقد استدل بعض المحققين من الفقهاء بقوله تعالى حكاية عن الجن :« و انه كان يقول سفيهنا على الله شططا » الجن : ٤) على بطلان التقليد في الاصول الاعتقادية . . .

وفي المجمع : قال في الآية : « وفي هذا دلالة على انهم كانوا مقلدة حتى سمعوا الحجة وانكشف لهم الحق،فرجعوا عماكانوا عليه ، وفيه إشارة إلى بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل »

واستدل بعضهم بقوله تعالى حكاية عن الجن : « وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً » الجن : ٥) على عدم حجية الظن ، وعدم كفايته في اصول الدين ، فلابد من العلم والاجتهاد فيها .

اقول : وقدأشبعنا الكلام في الظن في سورة « النجم » فراجع .

واستدل بعضهم بقوله تعالى حكاية عن الجن : « فمن أسلم فاولئك تحرّوا رشداً » الجن : ١٤)على لزوم العلم والاجتهاد في الاصول الاعتقادية . . .

واستدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » الجن : ١٨) على عدم جواز القبر في المساجد كما ان المشركين كانوا يعبدون بمسجدالحرام غيرالله تعالى وينصبون فيه التماثيل والانصاب .

اقول : لايجوزدفن المسلم في المساجد سواء ضرّ بالمسلمين و يزاحم المصلين أم لا ، ولايجوز بناء المسجد على القبور الاّ بعد محو آثارها بمضي الأزمان

فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن سماعة بن مهران انه سئل أبا عبدالله عليه السلام عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها فقال : أما زيارة القبور فلا بأس بها ، ولا يبنى عندها مساجد .

وفيه : بالاسناد عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : قلت له : الصلاة بين القبور قال : بين خللها ولا تتخذ شيئاً منها قبلة ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن ذلك ، وقال : لا تتخذوا قبرى قبلة ولا مسجداً ، فان الله عزوجل لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

اقول : ولا يجوز نصب التماثيل والتصاوير فى المساجد مطلقاً ، وقد أشبعنا الكلام فى حرمة ذلك فى محله فى هذا التفسير فراجع .



﴿بحث مذهبي﴾

وقد اختلفت الآراء والمذاهب وكلمات الناس حول الجن:

فمنهم: من ينكر وجود الجن كالماديين الذين لا يرون وراء المادة شيئاً ولا هدف لهم في هذه الحياة الدنيا إلاّ البطن ومايتعلق به، ولا شأن لهم إلاّ الخرص، من غير علم لهم بما يتقوّلونه...

قال الله تعالى فيهم: «و قالوا ماهى الاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلاّ الدهر و مالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون» الجاثية: ٢٤)

وقال: «والذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم» محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٢)

وتبعهم في ذلك من لامعرفة له في نفسه فضلا عما ورائها من أصحاب الاديان قديماً وحديثاً.

وهذا مردود بصراح كثير من الايات القرآنية إذ تصرح بوجود الجن بعد أن خلقوا من نار السموم:

قال الله تعالى: «والجان خلقناه من قبل من نار السموم» الحجر: ٢٧)

وقال: «ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه» الكهف: ٥٠)

وقال: «انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم» الاعراف: ٢٧)

وقال: «وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس» النمل: ١٧)

وقال: «ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه» سباء: ١٢)

ومنهم من أنكر العقل والادراك والشعور والاحساس للجن بعد الاعتراف بوجود الجن.

وهذا ليس بشيء لقوله تعالى في كثير من آيات سورة الجن : « و انه كان يقول سفيهنا على الله شططا - وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً - فمن أسلم فاولئك تحرّوا رشداً - وانه لماقام عبدالله يدعوه كادوا يكونون لبداً»: ٤-١٩)

وفي الايات دلالة على أن للجن عقولاً وإدراكاً وشعوراً وفكراً و احساساً كالانس

قال الله تعالى : « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين » النمل : ٣٩)

وقال : « فلما خر تبيّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين » سباء : ١٤)

وقال تعالى حكاية عنهم : « و انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدله شهاباً رصداً - وانا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هرباً» الجن : ٩ - ١٢)

و منهم : من أنكر كون الجن ذكوراً واناثاً بعد الاقرار بالوجود والعقل والادراك والشعور لهم.

وهذا مردود بقوله تعالى : « فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان » الرحمن : ٥٦)

وقال : « إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني » الكهف : ٥٠)

وقال حكاية عن الجن : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً » الجن : ٦)

و منهم : من أنكر كون الجن مكلفين قبل الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم و هذا ليس بشيء لقوله تعالى : « وماخلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون » الذاريات : ٥٦) وقوله جل وعلا : « يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا » الانعام : ١٣٠)

وقوله : « وحق عليهم القول في امم قدخلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين » فصلت : ٢٥)

وقوله : « قالوا ياقومنا انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم» الاحقاف : ٣٠)

وقوله تعالى حكاية عن الجن : « كنا طرائق قدداً » الجن : ١١)

و منهم : من كان ينكر رسالة رسول من الانس إلى الجن وهذا مردود بقوله تعالى : « و إذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولّوا إلى قومهم منذرين - ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الارض » الاحقاف : ٢٩ ـ ٣٢)

وقوله : « قل اوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به » الجن : ١ ـ ٢)

ومنهم : من أنكر الحشر و البعث و الحساب و الجزاء يوم القيامة للجن كالانس، وهذا مردود بقوله تعالى: «ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس » الانعام : ١٢٨)

وقال : « فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان » الرحمن : ٣٩)

ومنهم : من أنكر دخول الكافرين من الجن في النار ، على أن الجن خلقوا من النار فلا تؤثر النار في النار ، وقصّة أبى حنيفة و بهلول معروفة لاتخفى .

فى تفسير المراغى : فى قوله تعالى: «فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً» قال : « والجن أجسام نارية فكيف تحترق من الشهب »

و في تفسير الفخر : في قوله تعالى حكاية عن الجن: «وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً» قال: «السؤال الثانى: الجن مخلوقون من النار، فكيف يكونون حطباً للنار ؟ الجواب : انهم وان خلقوا من النار لكنهم تغيّروا عن تلك الكيفية

وصاروا لحماً ودماً هكذا » انتهى .

وهذا مردود بكثير من الايات القرآنية :

قال الله تعالى : « قال ادخلوا في امم قدخلت من قبلكم من الجن والانس في النار - ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها » الاعراف : ٣٨ - ١٧٩)

وقال : « وتمت كلمة ربك لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين » هود: ١١٩)

و قال : « و قال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلاّنا من الجن والانس نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين » فصلت : ٢٩)

وقال : « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا - يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلاتنتصران » الرحمن : ٣٣ - ٣٥)

و قال : « فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً » مريم : ٦٨)

وقال تعالى خطاباً لابليس إذقال : « أنا خيرمنه خلقتني من نار و خلقته من طين - لاملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين » ص : ٧٦ - ٨٥)

مع أن الانسان خلق من طين ، ونرى أن الطين يؤذيه فمن أخذ قطعة من طين وضرب بها انساناً أليس يتأذى بها ، كما فعله بهلول بأبي حنيفة إذ كان ينكر تأثير النوع في نوعه ، والجنس في جنسه ، والقصة مشهورة .

فالشيطان والكافرون من الجن يحترقون بالنار كالانس الكافرين والمنافقين سواء بسواء ، وان التصورات الواهية التي تستحيل أو تستبعد عذاب الشيطان والجن بالنار ليست إلاّ صادرة عن أفكار مادية ضيقة وصدور موسوسة من الجن والشيطان تعارض النصوص القرآنية . . .

أمن المستحيل أن تؤثر مادة قوية في جوهرها وهو أضعف منها ؟ ومن غير

ريب ان نارجهنم أقوى من نارخلق منها ابليس والجن ، فتؤثر الاقوى فيما هو أضعف منه ، كما ان الانسان مخلوق من تراب يقتله الحجر المخلوق من التراب

وفى تفسير الجامع لاحكام القرآن: للقرطبى فى قوله تعالى : « وانالما سمعنا الهدى » يعنى القرآن « آمنا به » و بالله و صدّقنا محمداً ﷺ على رسالته ، وكان ﷺ مبعوثاً إلى الانس والجن قال الحسن : بعث الله محمداً ﷺ إلى الانس والجن ، ولم يبعث الله تعالى قط رسولاً من الجن ولامن أهل البادية ولامن النساء وذلك قوله تعالى « وماأرسلنا من قبلك إلا ّرجالاً يوحى إليهم من القرى » .

ويستدل بقوله تعالى : « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً و اناكنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدله شهاباً رصداً » الجن : ٨ ـ ٩) على إمتناع صعود شياطين مع لطافتهم إلى الكرات السماوية ، فكيف شياطين الانس ولو بالوسائل التى يدعيّونها لاستحمار الناس و إستثمارهم والحكومة الجابرة عليهم وخاصة على الممالك الاسلامية والمسلمين . . . وتقبّل منهم ذلك ضعفاء العقول لا شأن لهم فى الاسلام ولا دراية ولقد سبق الكلام منا مراراً فى سورة الحجر والصافات والرحمن والملك فراجع .

وقد استدل جمهور المعتزلة بقوله تعالى : « ومن يعص الله و رسوله فان له نارجهنم خالدين فيها أبداً » الجن : ٢٣)

على أن فسّاق المسلمين مخلدون فى النار : إذلا يجوز حمل الخلود على المكث الطويل لاقترانه بقوله تعالى: « أبداً » أجاب عنه بعض الاشاعرة بجوابين سخيفين : أحدهما ـ ان الحديث فى التبليغ عن الله ، فلم لايجوز أن تكون هذه القرينة مخصصة أى ومن يعص الله فى تبليغ رسالته وأداء وحيه . ومما يقوّى هذه القرينة ان سائر عمومات الوعيد لم يقرن بها لفظ «أبداً » فلابد لتخصيص المقام بها من فائدة ، وما هى إلا ّ ان التقصير فى التبليغ أعظم الذنوب .

ثانيهما - ان قوله : « ومن يعص الله » لا يحتمل أن يجرى على عمومه كأن يراد ومن يعص الله بجميع أنواع المعاصى ، فمن المحال أن يقول شخص واحد بالتجسيم وبالتعطيل ، و إذا صار هذا العام مخصصاً بدليل العقل ، فلم لا يجوز أن يتطرق إليه تخصيص آخر كأن يقال : ومن يعص الله بالكفر ، وحينئذ لا يبقى للخصم شبهة بل نقول : لا حاجة إلى التزام تخصيص آخر ، فان الآتى بالكفرآت بجميع المعاصى الممكنة الجمع .

أقول : ومن غير مراء ان المراد بالعصيان فى الاية الكريمة هو الكفر بالله تعالى ومخالفة الرسول وتكذيب دعوته ﷺ ، وقد اطلقت كلمة العصيان على الكفر بالله وتكذيب ماجاء به الرسول فى كثير من الايات القرآنية :

منها : قوله تعالى : « أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول » المزمل : ١٥ - ١٦)

ومنها : قوله : « وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم » الحاقة : ٩ - ١٠)

و قوله : « قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً ومكروا مكراً كباراً » نوح : ٢١ - ٢٢)

وقوله : « وأنذر عشيرتك الاقربين - فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون الشعراء : ٢١٤ - ٢١٦)

وقوله : « وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد » هود : ٥٩)

ولو سلمنا شمول العصيان فى هذه السورة لفسق المسلمين لصرّح القرآن الكريم بخلود فسّاق المسلمين فى النار .

قال الله تعالى : « ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم » التوبة : ٦٧ - ٦٨)

الامام علي عليه‌السلام

وقتال القاسطين والناكثين والمارقين

قال الله تعالى : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » الجن : ١٥)

ولقد وجدنا الاية الكريمة مناسباً لهذا البحث لعدم ورد كلمة «القاسطون» في غير هذه السورة ، وللترابط بين الكلمتين الاخيرتين بها ، و عدم مجيىء « الناكثون » بلفظها و « المارقون » بمادتها في القرآن الكريم ، فنخوض في البحث على طريق الاختصار :

في نهج البلاغة : قال الامام علي بن أبيطالب عليه‌السلام في خطبة : « ألا و قد قطعتم قيد الاسلام ، وعطّلتم حدوده ، وأمتّم أحكامه ، ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الارض ، فأما الناكثون فقد قاتلت ، و أما القاسطون فقد جاهدت ، وأما المارقة فقد دوّخت ، و أما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ، ورجّة صدره وبقيت بقيّة من أهل البغي ولئن أذن الله في الكرة عليهم لاديلن منهم الا ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّرا »

في شرح الحديد : قال : « قد ثبت عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم انه قال له - لعليّ - عليه‌السلام : « ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين » فكان الناكثون أصحاب الجمل لانهم نكثوا بيعته عليه‌السلام وكان القاسطون أهل الشام بصفين ، وكان المارقون الخوارج في النهروان ، وفي الفرق الثلاث قال الله تعالى : « فمن نكث فانما ينكث على نفسه » وقال : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً »

وقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : « يخرج من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما

يمرق السهم من الرمية ينظر أحدكم في النصل فلا يجد شيئاً فينظر في الفوق - رأس السهم حيث يقع الوتر - فلا يجد شيئاً ، سبق الفرث والدم » وهذا الخبر من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله وسلم ومن أخباره المفصلة بالغيوب .

وأما شيطان الردهة فقد قال قوم : انه ذو الثدية صاحب النهروان ، ورووا في ذلك خبراً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و ممن ذكر ذلك و اختاره الجوهري صاحب الصحاح وهؤلاء يقولون : إن ذا الثدية لم يقتل بسيف ، ولكن الله رماه يوم النهروان بصاعقة ، وإليها أشار عليه السلام بقوله : « فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه » وقال قوم : شيطان الردهة أحد الأبالسة المردة من أعوان عدو الله ابليس ، ورووا في ذلك خبراً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانه كان يتعوّذ منه ، والردهة : شبه نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء ، وهذا مثل قوله عليه السلام : « هذا أزب العقبة » أي شيطانها ولعل "أزب" العقبة هو شيطان الردهة بعينه - والبقية التي بقيت من أهل البغي : معاوية وأصحابه لانه عليه السلام لم يكن أتى عليهم بأجمعهم ، وانما وقفت الحرب بينه وبينهم بمكيدة التحكيم »

وفي نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام - فيما أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله إلى معاوية بجرير بن عبدالله البجلي - : « ان إستعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه ، ولكن قد وقّت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً و الرّأي مع الأناة فأرودوا ولا اكره لكم الاعداد ، ولقد ضربت أنف هذا الامر و عينه ، وقلّبت ظهره وبطنه ، فلم أر فيه إلاّ القتال أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم »

قوله عليه السلام : « الأناة » : التثبّت والتأني . ونهيه عليه السلام لهم عن الاستعداد وقوله عليه السلام بعد : « ولا اكره لكم الاعداد » غير متناقض لانه كره منهم إظهار الاستعداد والجهر به ولم يكره الاعداد سراً . وقوله عليه السلام : « ليس إلاّ القتال أو الكفر » فلان النهي عن المنكر واجب على الامام ، ولا يجوز له الاقرار عليه ، فان تركه فسق و وجب

عزله عن الامامة ، و قوله : « أو الكفر » من باب المبالغة ، و انما هو القتال أو الفسق ، فسمى الفسق كفراً تغليظا و تشديداً فى الزجر عنه .

و فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن المفضل بن عمر عن أبى عبدالله الصادق عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : بلغ ام سلمة زوجة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان مولى لها يتنقص (ينتقص) علياً عليه السلام و يتناوله ، فارسلت إليه فلما ان صار إليها قالت له : يا بنى بلغنى انك تتنقص (تنتقص خ) علياً عليه السلام و تتناوله ؟ قال لها : نعم يا اماه قالت: اقعد ثكلتك امك حتى احدثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اختر لنفسك انا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسع نسوة وكانت ليلتى و يومى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم و هو متهلل اصابعه فى أصابع على عليه السلام واضعاً يده عليه فقال :

يا امسلمة اخرجى من البيت واخليه لنا فخرجت واقبلا يتناجيان اسمع الكلام ، و ما أدرى ما يقولان حتى إذا قلت قد انتصف النهار ، فأتيت الباب ، فقلت: ادخل يارسول الله ؟ قال : لا فكبوت كبوة شديدة مخافة أن يكون ردنى من سخطة (سخطه) أو نزل فى شيء من السماء ثم لم ألبث ان أتيت الباب الثانية ، فقلت : ادخل يا رسول الله ؟ قال : لا فكبوت كبوة أشد من الاولى ثم لم ألبث حتى أتيت الباب الثالثة فقلت : ادخل يا رسول الله ؟ فقال : ادخل (ادخلى ظ) يا امسلمة ، فدخلت وعلى عليه السلام جاث بين يديه وهو يقول: فداك أبى وامى يارسول الله إذا كان كذا و كذا فما تأمرنى؟ قال: آمرك بالصبر ثم أعاد عليه القول الثانية، فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة فقال له : ياعلى يا أخى إذا كان ذاك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك و اضرب به قدماً قدماً حتى تلقانى و سيفك شاهر يقطر من دمائهم ثم إلتفت عليه السلام إلى فقال لى : والله ما هذه الكآبة يا امسلمة ؟

قلت : للذى كان من ردك لى يا رسول الله فقال لى : والله ما رددتك من موجدة وانك لعلى خير من الله و رسوله لكن اتيتنى وجبرئيل عن يمينى وعلى

عن يساري وجبرئيل يخبرني بالاحداث التي تكون من بعدي و أمرني أن اوصى بذلك علياً يا امسلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبيطالب عليه السلام أخي في الدنيا و اخي في الاخرة يا امسلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب عليه السلام وزيري في الدنيا و وزيري في الاخرة يا امسلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبيطالب حامل لوائي في الدنيا و حامل لوائي غداً في القيامة يا امسلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبيطالب وصيي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي.

يا امسلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن ابيطالب سيد المسلمين وأمام المتقين و قائد الغر المحجلين و قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، قلت: يارسول الله: من الناكثون؟ قال الذين يبايعونه بالمدينة و ينكثون بالبصرة، قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام، قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان فقال مولى امسلمة فرجت عني فرج الله عنك والله لا سببت علياً عليه السلام أبداً.

و في نهج البلاغة: قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة: «فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: «تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» بلى والله لقد سمعوها و وعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها».

قال ابن أبي الحديد في الشرح: «فأما الطائفة الناكثة فهم أصحاب الجمل، وأما الطائفة القاسطة فأصحاب صفين وسماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاسطين، و أما الطائفة المارقة فأصحاب النهروان، و أشرنا نحن بقولنا: سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاسطين إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين» و هذا الخبر من دلائل نبوته صلى الله عليه وآله وسلم لانه إخبار صريح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس كما تحتمله الاخبار المجملة، و صدق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «والمارقين» قوله أولاً في الخوارج: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وصدق

قوله صلى الله عليه و آله و سلم : «الناكثين» كونهم، نكثوا البيعة بادىء بدء ، وقد كان علیه السلام يتلو وقت مبايعتهم له : «و من نكث فانما ينكث على نفسه»

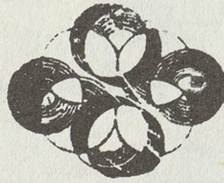
و أما أصحاب صفين فانهم عند أصحابنا مخلدون فى النار لفسقهم ، فصحّ فيهم قوله تعالى : «و أما القاسطون فكانوا لجنهم حطباً» .

و لا يخفى ان الغزوات الثلاث وقعت على الترتيب التالى :

الاولى : غزوة جمل ، و أصحابها الناكثون .

الثانية : غزوة صفين ، و أصحابها صفين يقال لهم : القاسطون .

الثالثة : غزوة النهروان ، و أصحابها الخوارج يقال لهم : المارقون .



﴿ كان الامام على عليه السلام مأموراً بقتال الفرق الثلاث ﴾

و قد أورد فى المقام نقلة آثار العامة و حملة أسفارهم روايات كثيرة باسانيد عديدة نشير إلى نبذة منها :

١ـ روى الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٢٢ ط القاهرة) بالاسناد عن أبى أيوب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه أمرنا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قلت : يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع من ؟ قال : مع على بن أبيطالب عليه السلام

رواه الكنانى المصرى فى (تنزيه الشريعة المرفوعة ج١ ص٣٨٧ ط القاهرة) والبدخشى فى (مفتاح النجا ص ٦٨) .

٢ـ روى الحموينى فى (فرائد السمطين) باسناده عن مخنف بن سليمان قال: أتينا أبا أيوب ، فقلنا : قاتلت بسيفك المشركين مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين والقاسطين و المارقين .

٣ـ روى الهيثمى فى (مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٣٥ ط مكتبة القدسى بالقاهرة) عن مخنف بن سليم قال : أتينا أبا أيوب الانصارى وهو يعلف خيلاً له بصنعاء فقمنا عنده فقلت له : ياأبا ايوب قاتلت المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنى بقتال ثلاثة :الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين وقاتلت القاسطين ، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات بالطرقات بالنهروات،وما أدرى أين هم؟ رواه الهندى

الحنفي في (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٥٤١ ط الميمنية بمصر) وفي (ج ٥ ص ٤٥١) بعد أن ذكر مافي (مجمع الزوائد) ذكر عن أبي صادق: قال: قدم علينا أبو أيوب الانصاري العراق، فقلت له: يا أبا أيوب قد كرّمك الله بصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم و بنزوله عليك فمالي أراك تستقبل الناس تقاتلهم؟ تستقبل هؤلاء مرة؟ و هؤلاء مرة؟ فقال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ عليه السلام الناكثين، فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم - يعني معاوية و أصحابه - و عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ عليه السلام المارقين فلم أرهم بعد.

٤ - روى الامر تسري في (أرجح المطالب ص ٦٠٣ ط لاهور) عن عقاب بن ثعلبة قال: حدّثني أبو أيوب الانصاري في خلافة عمر بن الخطاب قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

٥ - روى الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج ٣ ص ١٣٩ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الانصاري قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي بن أبيطالب عليه السلام: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات و بالشعفات، قال أبو أيوب: قلت: يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع من نقاتل هؤلاء الاقوام؟ قال: مع علي بن أبيطالب.

٦ - روى الذهبي في (تلخيص المستدرك المطبوع بذيل المستدرك ج ٣ ص ١٣٩ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن عقاب ابن ثعلبة: حدثني أبو أيوب الانصاري في خلافة عمر بن الخطاب قال: أمر رسول صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبيطالب عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

٧ - روى أخطب خوارزم في (المناقب ص ١١٨ ط تبريز) باسناده عن غياث بن ثعلبة قال: حدثني أبو أيوب الانصاري في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع

علي بن أبيطالب عليه السلام .

٨ ـ روى الامر تسرى فى (أرجح المطالب ص٦٠٣ ط لاهور) عن علقمة والاسود قالا: أتينا أباأيوب الانصارى عند منصرفه من صفين ، فقلنا : يا أبا أيوب ان الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيتك ولمجييء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حتى اناخت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ؟ فقال : يا هذان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا بقتال ثلاثة مع علي بن أبيطالب الناكثين والقاسطين والمارقين ، فأما الناكثون فقد قاتلناهم، وهم أهل الجمل طلحة والزبير ، و أما القاسطون فهو منصرفنا من عندهم يعنى معاوية و عمرو بن العاص ، و أما المارقون فهم أهل الطرفا والنخيلات و أهل النهروان والله ما أدرى أين هم ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله .

٩ ـ روى أخطب خطباء خوارزم فى (المناقب ص١٢١ ط تبريز) باسناده عن سعد بن عبادة عن علي عليه السلام قال : امرت بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين ، و أما القاسطون فأهل الشام، وأما الناكثون فأهل الجمل ، و أما المارقون فأهل النهروان يعنى الحرورية .

رواه الحمويني فى (فرائد السمطين) والامر تسرى فى (أرجح المطالب ص ٦٠٢ ط لاهور) .

١٠ـ روى الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج١ ص٢٧٤ ط القاهرة) بالاسناد عن علقمة عن علي عليه السلام : امرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين .

رواه الهندى فى (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج٥ ص٤٣٧ ط الميمنية بمصر) ثم ذكر أيضاً عن علقمة قال : سمعت على بن ابيطالب عليه السلام يقول : يوم النهروان امرت بقتال المارقين هؤلاء المارقون .

١١ ـ روى الحافظ الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٤٠ ط القاهرة) باسناده عن خليد العصرى قال : سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول:

يوم النهروان امرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

١٢ ــ روى الحافظ الخطيب البغدادي في (موضح أوهام الجمع والتفريق ج١ ص ٣٨٦) باسناده عن أبي سعيد عقيصا قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : امرت بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين قال : فالناكثين الذين فرغنا منهم، والقاسطين الذين نسير إليهم، والمارقين لم نرهم بعدقال: وكانوا أهل النهروان .

١٣ ــ روى أخطب خوارزم في (المناقب ص ١٠٦ ط تبريز) بالاسناد عن أبي سعيد التميمي عن علي عليه السلام قال: عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أن اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، فقيل له : يا أمير المؤمنين من الناكثون ؟ قال: الناكثون أهل الجمل ، والمارقون الخوارج والقاسطون أهل الشام .

١٤ ــ روى إبن حجر الهيتمي في (مجمع الزوائد ج٧ ص ٢٣٨) و (ج ٥ ص ١٨٦ ط مكتبة القدسي بالقاهرة) عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً عليه السلام على منبر كم هذا يقول : عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أن اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين .

١٥ ــ روى إبن الاثير في (نهاية اللغة ج ٤ ص ١٨٥ ط المنيرية بمصر) في حديث علي عليه السلام : امرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين أراد من الناكثين أهل الجمل ، و بالقاسطين أهل الشام ، و بالمارقين الخوارج .

١٦ــ روى أخطب خوارزم في (المناقب ص ١١٨ ط تبريز) باسناده عن أبي سعيد الخدري أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا : يا رسول الله صلى الله عليه وآله أمرتنا بقتال هؤلاء ، فمع من نقاتل ؟ قال : مع علي بن أبيطالب عليه السلام خاصة ، و معه يقتل عمار ياسر .

رواه الحمويني في (فرائد السمطين) والامر تسري في (أرجح المطالب ص ٦٠٢ ط لاهور) و ابن عساكر في (تاريخه).

١٧ــ روى الهيتمي في (مجمع الزوائد ج٦ ص ٢٣٥) وفي (ج٧ ص٢٣٨

ط مكتبة القدسي بمصر) عن عبدالله ابن مسعود قال: امر علي عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

رواه الطبراني في (الاوسط) وذكر عن أبي سعيد عقيصاء قال: سمعت عماراً ونحن نريد صفين يقول: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

١٨ ـ روى التفتازاني في (شرح المقاصد ج ٢ ص ٢١٧ ط الآستانة) عن امسلمة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: انك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين.

رواه الميبدي في (ديوان أمير المؤمنين ص ٢٠٩) والمولوي شاه تقي في (الروض الازهر ص ٣٨٩ ط حيدرآباد الدكن).

١٩ ـ قال الحاكم بن عبدالله محمد البيع على ما ذكره الحمويني في (فرائد السمطين): اعتقاد المسلم فيما بينه وبين الله تعالى: ان أمير المؤمنين علي بن ابيطالب كرم الله وجهه كان محقاً مصيباً في قتاله الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر رسول الله رب العالمين صلى الله عليه وآله.

٢٠ ـ قال عبدالقاهر بن طاهر التيمي البغدادي في (اصول الدين ص ٢٨٩ الآستانة) ما لفظه: أجمع أصحابنا على أن علياً رضي الله عنه كان مصيباً في قتال أصحاب الجمل، وفي قتال أصحاب معاوية بصفين.

٢١ ـ روى الحاكم أبو عبدالله النيسابوري في (المستدرك ج ٣ ـ ص ١٤١ ط حيدرآباد) باسناده عن جري بن كليب العامري قال: لما سار علي عليه السلام إلى صفين كرهت القتال، فأتيت المدينة، فدخلت على ميمونة بنت الحارث. فقالت: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة قالت: من أيهم؟ قلت: من بني عامر قالت: رحباً على رحب وقرباً على قرب تجيئ ما جاء بك قال: قلت: سار علي عليه السلام بصفين وكرهت القتال، فجئنا إلى ههنا قالت: أكنت بايعته؟ قال: قلت: نعم قالت: فارجع إليه فكن معه، فوالله ما ضل ولا ضل به.

ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

رواه الذهبي في (تلخيص المستدرك المطبوع بهامش المستدرك ج٣ ص١٤١)

٢٢- روى ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٥٩ ط القاهرة) ما لفظه : قال علي عليه السلام :

فلو اني اطعت عصمت قومي إلى ركن اليمامة او شام
و لكنـي اذا أبرمت أمـراً يخالفه الطغـام بنـو الطغام

فأمر علي بن أبيطالب يزيد بن الحارث الجشمي ، فنادى أهل الشام عند غروب الشمس : ألا ان أمير المؤمنين يقول لكم : اني قد استأنيتكم لترجعوا الحق ، و أقمت عليكم الحجة فلم تجيبوا ، واني قد نبذت إليكم على سواء : « ان الله لا يحب الخائنين »

٢٣- روى النسائي في الخصائص ص ٥٠ ط التقدم بمصر) باسناده عن علقمة بن قيس قال : قلت لعلي رضي الله عنه : تجعل بينك و بين إبن آكلة الأكباد قال: اني كنت كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية ، فكتب ما صالح عليه محمد رسول الله قالوا : لو نعلم انه رسول الله ماقاتلناه أمحها قلت : هو والله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ان رغم أنفك ، ولا والله لا امحوها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أرنيه فاريته فمحاها وقال : أما ان لك مثلها وستأتيها وأنت مضطر .

٢٤- روى إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج ١ ص ١٩٠) ما لفظه : فلما اعيد إليه الكتاب أمر بمحوه فقال الاحنف : لا تمح إسم أمير المؤمنين عنك ،فاني اتخوف ان محوتها ألا ترجع إليك أبداً فلا تمحها ، فقال علي عليه السلام : ان هذا اليوم كيوم الحديبية حين اكتب الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسهيل بن عمرو فقال سهيل : لو أعلم انك لرسول الله لم اقاتلك ولم اخالفك اني لظالم لك ان منعتك ان تطوف ببيت الله الحرام ، وأنت رسوله ولكن اكتب من محمد بن عبدالله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي اني لرسول

الله وأنا محمد بن عبدالله ولن يمحوعنى الرسالة كتابى لهم من محمد بن عبدالله فاكتبها وامح ما أراد محوه أما ان لك مثلها ستعطيها وانت مضطهد . وفى (ج ٢ ص ٥٨٨) وقدقال صلى الله عليه وآله وسلم له وهو يومئذ كاتب تلك الصحيفة ستدعى إلى مثلها، فتجيب وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله وسلم ومن دلائل صدقه ومثله جرى له حذو القذوة بالقذوة.

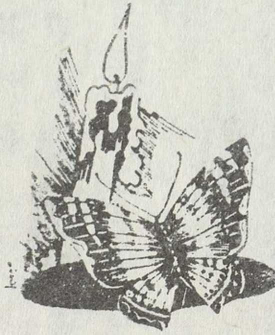
٢٥- روى إبن الاثير فى (الكامل ج ٣ ص ١٦٢ ط المنيرية بمصر) مالفظه ان الاشعث بن قيس قال : امح هذا الاسم « أمير المؤمنين » فمحاه فقال على عليه السلام : الله أكبر سنة بسنة والله انى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية .

رواه القندوزى فى (ينابيع المودة ص ١٥٩ ط اسلامبول) والدهلوى فى (مدارج النبوة ص ١٩٥ ط الدهلى)

٢٦- روى إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ١ ص ١٨٣ ط القاهرة) مالفظه: اورد نصر بن مزاحم فى كتاب صفين فهو ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى الهوى ولا ادغال و هو من رجال أصحاب الحديث قال : حدثنا عمرو بن شمر قال : حدثنى أبو ضرار قال: حدثنى عمار بن ربيعة فى حديث قال : وخرج رجل من أهل الشام ، فنادى بين الصفين ياأباالحسن ياعلى ابرز لى ، فخرج إليه على عليه السلام حتى اختلفت اعناق دابتيهما بين الصفين، فقال : ان لك ياعلى لقدماً فى الاسلام والهجرة فهل لك أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخر هذه الحروب حتى ترى رأيك ، قال : وماهو؟ قال : ترجع إلى عراقك ، فنخلى وبين العراق، ونرجع نحن إلى شامنا فتخلى بيننا وبين الشام فقال على عليه السلام :

قد عرفت ما عرضت ان هذه لنصيحة وشفقة: ولقد أهمنى هذا الامر وأسهرنى وضربت أنفه وعينيه ، فلم أجد إلاّ القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى ذكره لم يرض أولياءه أن يعصى فى الارض ، وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف وينهون عن منكر فوجدت القتال أهون علىّ من معالجة فى الاغلال فى جهنم قال : فرجع الرجل وهو يسترجع .

٢٧ـروى محب الدين الطبرى فى (الرياض النضرة ج٢ ص ٢٤٣ ط الخانجى بمصر) عن مالك بن الجون قال : قام على بن أبيطالب بالربذة فقال : من أحب أن يلحقنا فليلحقنا ، ومن أحب أن يرجع ، فليرجع مأذوناً له غير حرج ، فقام الحسن بن على فقال : ياأبة أو يا أمير المؤمنين لو كنت فى جحر وكان للعرب فيك حاجة لاستخرجوك من جحرك ،فقال : الحمد لله الذى يبتلى من يشاء بما يشاء ويعافى من يشاء بما يشاء أما والله لقد ضربت هذا الامر ظهراً لبطن أوذنباً ورأساً . فوالله ان وجدت له إلا القتال أو الكفر بالله يحلف بالله عليه اجلس يابنى ولاتحن على حنين الجارية .



«قتال الامام علي عليه السلام على تأويل القرآن»

ان الروايات الواردة عن طريق العامة كثيرة فنشير إلى مايسعه المقام :

١ـ روى الحافظ أحمد بن حنبل في (مسنده ج ٣ ص ٣٣ ط الميمنية بمصر) باسناده عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله ، قال : فقام أبو بكر وعمر فقال : لا ولكن خاصف النعل . وعلي عليه السلام يخصف نعله .

٢ـ روى الحافظ أبو نعيم في (حلية الاولياء ج ١ ص ٦٧ ط السعادة بمصر) باسناده عن أبي سعيد الخدري قال : كنا نمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانقطع شسع نعله فتناولها علي عليه السلام يصلحها ثم مشى ، فقال : يا أيها الناس ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قال أبو سعيد : فخرجت فبشّرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكترث به فرحاً كأنه قد سمعه .

٣ ـ روى ابن الاثير في (اسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٢ ط مصر) بالاسناد عن عبدالرحمن بن بشير قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال ليضر بنكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله،فقال أبو بكر : أنا هو قال :لا قال عمر أنا هو ؟ قال : لا ولكن خاصف النعل وكان علي عليه السلام يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه الثلاثة وأبو نعيم .

و رواه ابن حجر العسقلاني في (الاصابة ج ٢ ص ٣٨٤ ط مطبعة مصطفى محمد بمصر) إلاّ انه ذكر بعد قوله : « نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرة عائشة

فبشرناه » والقندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٥٩ ط اسلامبول).

٤ـ روى الديلمى فى (الفردوس) عن وهب بن صفى البصرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا اقاتل على تنزيل القرآن ، وعلى يقاتل على تأويل القرآن .

رواه إبن حجر العسقلانى فى (الاصابة ج ١ ص ٣٩ ط مطبعة مصطفى محمد بمصر) والقندوزى فى (ينابيع المودة ص ٢٣٣ ط اسلامبول)

٥ـ روى أخطب خوارزم فى (المناقب ص ٥٢ ط تبريز) باسناده عن أبى ذر الغفارى قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ببقيع الغرقد ، فقال : والذى نفسى بيده ان فيكم رجلاً يقاتل الناس بعدى على تأويل القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله فكبر قتلهم على الناس حتى يطعنوا على ولى الله ويسخطوا فعله (عمله خ) .

رواه الگنجى الشافعى فى (كفاية الطالب ص ١٩١ ط الغرى) والهندى فى (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٣٦) والبدخشى فى (مفتاح النجا ص ٧١)

٦ ـ روى النسائى فى (الخصائص ص ٤٠ ط التقدم بمصر) باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : كنا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج إلينا قد انقطع (انقطع خ) شسع نعله ، فرمى به إلى على رضى الله عنه فقال : ان منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو بكر : أنا؟ قال : لا قال عمر: أنا ؟ قال : لا ولكن خاصف النعل .

٧ـ الشيخ تقى الدين بن عبدالملك فى (نزهة النواظر ص ٣٩ ط الميمنية بمصر) مالفظه : قال : محمد بن عطية ، وقد علم المؤمنون ان علياً رضى الله عنه هو الذى قاتل أهل التأويل .

٨ـ روى الحاكم النيسابورى فى (المستدرك ج ٣ ص ١٢٢ و ١٢٣ ط حيدر آباد الدكن) قال : كنا مع رسول الله فانقطعت نعله ، فتخلف على يخصفها فمشى

قليلاً ثم قال : ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فاستشرف لها القوم وفيهم أبوبكر وعمر قال أبوبكر أنا هو ؟ قال :لا قال عمر :أنا هو ؟ قال : لا ولكن خاصف النعل يعني علياً فأتيناه وبشرناه فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم قال الحاكم هذا حديث صحيح .

٩ ـ روى إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج ١ ص ٢٠٥ ط مصر) عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فقال أبوبكر : أنا ؟قال : لا قال عمر : أنا ؟ قال : لا ولكن خاصف النعل يعني عليا عليه السلام .

رواه ابن المغازلي الواسطي في (المناقب ص ٦٥) والتقي الهندي في (منتخب كنزل العمال المطبوع بها مش المسند ج ٥ ص ٣٢ ط الميمنية بمصر) وقلندر الهندي الحنفي في (الروض الازهر ص ١١١ ط حيدر آباد) إلا انه ذكر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انك يا علي تقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلتهم على تنزيله .

«الامام على عليه السلام عند المسير الى غزوة صفين»

فى نهج البلاغة قال الامام على بن أبيطالب عليه السلام عند المسير إلى الشام:

« الحمدلله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق، والحمد لله غير مفقود الانعام، ولامكافأ الافضال. أما بعد! فقد بعثت مقدمتى و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط، حتى يأتيهم أمرى، وقد رأيت أن أقطع هذه النطفة إلى شرذمة منكم، موطنين أكناف دجلة، فأنهضهم معكم إلى عدوكم وأجعلهم من أمداد القوة لكم »

وفى شرح الحديد: قال: وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة ومتوجّهاً إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين، ذكرها جماعة من أصحاب السير وزادوا فيها: « وقد أمّرت على المصر عقبة بن عمرو، ولم آلكم ولانفسى، فاياكم والتخلّف والتربّص، فانى قدخلّفت مالك بن حبيب اليربوعى و أمرته ألاّ يترك متخلّفاً الا ألحقه بكم عاجلاً إن شاء الله »

قوله عليه السلام: « وقب »: دخل و « غسق »: أظلم و « خفق »: غاب، و « مقدمتى » مقدمة الجيش - بكسر الدال -: أوله، وما يتقدّم منه على جمهور العسكر، و« الملطاط »: حافة الوادى وشفيره وساحل البحر، و « هذه النطفة » يعنى بها ماء الفرات، و « شرذمة » نفرقليلون، و « موطنين أكناف دجلة » أى قد جعلوا أكتافها وطناً، والاكناف: الجوانب..

فقام إليه معقل بن قيس الرياحى، فقال: يا أمير المؤمنين ، والله مايتخلّف عنك إلاّ ظنين ولا يتربّص بك الاّ منافق ، فمر مالك بن حبيب فليضرب أعناق المتخلفين ، فقال : قد أمرته بأمرى وليس بمقصّر إن شاء الله .

و فـى كتاب صفين لنصر بن مزاحم قال : ثم سار على عليه السلام حتى انتهى إلى مدينة بهرسير - بلد قرب المدائن - وإذاً رجل من أصحابه يقال له : حر بن سهم بن طريف ، من بنى ربيعة بن مالك ينظر إلى آثار كسرى ، و يتمثل بقول الاسود بن يعفر :

جرت الرياح على محل ديارهم　　　فكانما كانوا على ميعاد

فقال له عليه السلام : ألاقلت : « كم تركوا من جنات وعيون و زروع و مقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فمابكت عليهم السماء والارض وماكانوا منظرين » إن هؤلاء كانوا وارثين ، فأصبحوا موروثين و لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية اياكم و كفر النعم لاتحلّ بكم النعم انزلوا بهذه النجوة - أى المكان المرتفع .

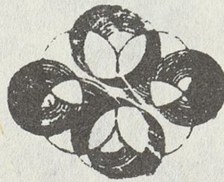
وفيه : عن حبّة العرنى قال : أمر على عليه السلام الحارث الاعور فصاح فى أهل المدائن : من كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين عليه السلام صلاة العصر ، فوافوه فى تلك الساعة،فحمدالله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد !فانى قدتعجّبت من تخلّفكم عن دعوتكم ، و إنقطاعكم عن أهل مصركم فى هذه المساكن ، الظالم أهلها . الهالك أكثرساكنيها ، لامعروف يأمرون به ولامنكر ينهون عنه .

قالوا : يا أمير المؤمنين! إنا كنا ننتظر أمرك مرنا بما أحببت فسار وخلّف عليهم عدىّ بن حاتم ، فأقام عليهم ثلاثاً ثم خرج فى ثمان مأة رجل منهم ، وخلّف إبنه زيداً بعده فلحقه فى أربعمأة رجل منهم .

وجاء على عليه السلام حتى مرّ بالانبار ، فاستقبله بنوخسنوشك دهاقينها ،فلما استقبلوه نزلوا عن خيولهم ، ثم جاؤا يشتدّون معه ، وبين يديه ومعهم براذين،

قدأوقفوها في طريقه ، فقال : ماهذه الدواب التي معكم ؟ و ما أردتم بهذا الذي صنعتم ؟ قالوا : أما هذا الذي صنعناه فهو خلق منا نعظّم به الامراء ، و أما هذه البراذين فهدية لك ، وقد صنعنا للمسلمين طعاماً ، وهيّأنا لدوابكم علفاً كثيراً، فقال عليه السلام : أما هذا الذي زعمتم انه فيكم خلق تعظّمون به الامراء فوالله ما ينفع ذلك الامراء ، وانكم لتشقّون به على أنفسكم وأبدانكم ، فلاتعودواله ، و أما دواتكم هذه فان أحببتم أن آخذها منكم وأحسبها لكم من خراجكم أخذها منكم ، وأما طعامكم الذي صنعتم لنا ، فانانكره أن نأكل من أموالكم الا بثمن، قالوا :

يا أمير المؤمنين نحن نقوّمه ثم نقبل ثمنه قال : إذاً لاتقوّمونه قيمته نحن نكتفي بما هودونه . قالوا : ياأمير المؤمنين ! فان لنا من العرب موالى و معارف أتمنعنا أن نهدى لهم أو تمنعهم أن يقبلوا منا ؟ فقال كلّ العرب لكم موال ،وليس ينبغى لاحد من المسلمين أن يقبل هديتكم ، وإن غصبكم أحد فاعلمونا ، قالوا ياأمير المؤمنين ، انانحبّ أن تقبل هديتنا و كرامتنا قال : ويحكم ! فنحن أغنى منكم وتركهم وسار .



الامام علي عليه السلام

وماشوهد منه عند المسير الى الشام

في شرح الحديد: عن أبي سعيد التيمي المعروف بعقيصى قال : كنا مع علي عليه السلام في مسيره إلى الشام حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السود ، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء ، فانطلق بنا علي عليه السلام حتى أتى بنا إلى صخرة ضرس - أي خشنة - في الارض كأنها ربضة -أي جثة - عنز فأمرنا فاقتلعناها، فخرج لنا من تحتها ماء فشرب الناس منه ،وارتووا ثم أمرنا فأكفاناها عليه ، وسار الناس حتى إذا مضى قليلاً قال عليه السلام : أمنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين : فانطلقوا إليه ، فانطلق منّا رجال ركباناً ومشاة، فاقتصصنا الطريق إليه ، حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى انه فيه ، فطلبناه فلم نقدر على شيء حتى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قرب منا ، فسألناهم : أين هذا الماء الذي عندكم ؟ قالوا : ليس قربنا ماء فقلنا :بلى إنا شربنا منه ، قالوا:أنتم شربتم منه ؟ قلنا : نعم ، فقال صاحب الدير : والله مابني هذا الدير إلاّ بذلك الماء وما استخرجه إلاّ نبي أووصي نبيّ .

ثم مضى عليه السلام حتى نزل بأرض الجزيرة ، فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بجزور - أي ناقة تنحر - فقال عليه السلام ليزيد بن قيس الارحبي : يايزيد ! قال: لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : هؤلاء قومك من طعامهم فاطعم ومن شرابهم فاشرب ،ثم سار حتى أتى الرقة - وجل أهلها عثمانية ، فرّوا من الكوفة إلى معاوية - فاغلقوا

أبوابها دونه، وتحصّنوا وكان أميرهم سماك بن مخرقة الاسدىّ في طاعة معاوية وقد كان فارق علياً عليه السلام في نحو مأة رجل من بني أسد، ثم كاتب معاوية وأقام بالرقة حتى لحق به منهم سبعماة رجل.

وفيه: قال نصر: فروى حبّة ان علياً عليه السلام لما نزل على الرقة نزل بموضع يقال له: البليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعلي عليه السلام: ان عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم؟ أعرضه عليك؟ قال: نعم، فقرأ الراهب الكتاب:

« بسم الله الرحمن الرحيم: الذى قضى فيما قضى وسطر فيما كتب (سطر خ): انه باعث في الاميين رسولاً منهم، يعلّمهم الكتاب والحكمة، و يدلّهم على سبيل الله لافظّ ولاغليظ ولاصخّاب في الاسواق ولايجزى بالسيئة السيئة، بل يعفو و يصفح امته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشز - أى مكان مرتفع - وفي كل صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتكبير والتهليل والتسبيح، وينصره الله على من ناوأه فاذا توفّاه الله اختلفت امته من بعده ثم اجتمعت، فلبثت ما شاء الله ثم اختلفت، فيمرّ رجل من امته بشاطىء هذا الفرات يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا يركس الحكم - الركس: رد الشيء مقلوباً - الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمآن، يخاف الله في السرّ وينصح له في العلانية، لايخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبيّ من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فان القتل معه شهادة.

ثم قال له: أنا مصاحبك فلا افارقك حتى يصيبني ما أصابك، فبكى عليه السلام ثم قال: الحمد لله الذى لم أكن عنده منسياً، الحمد لله الذى ذكرني عنده في كتب الابرار، فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغدّى مع أمير المؤمنين ويتعشّى حتى اصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم، قال عليه السلام:

اطلبوه فلما وجدوه صلّى عليه ودفنه ، وقال : هذا منا أهل البيت ، واستغفر له مراراً .

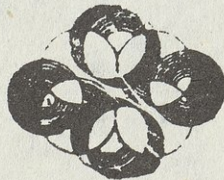
و **فى أمالى الصدوق** رضوان الله تعالى عليه باسناده عن حبيب بن الجهم قال : لما دخل بنا على بن أبيطالب عليه السلام إلى بلاد صفين نـزل بقرية يقـال لها : صندودا ، ثم امرنا فعبرنا عنها ثم عرس بنا فى أرض بلقع ، فقـام إليـه مالك بن الحارث الاشتر، فقال : يا أمير المؤمنين ! أتنزل الناس على غير ماء ؟ فقال عليه السلام يا مالك ان الله عزوجل سيسقينا فى هذا المكان ماء أعذب من الشهد ، وألين من الزبد الزلال ، وأبرد من الثلج ، وأصفى من الياقوت ، فتعجبنا ولاعجب من قول أمير المؤمنين عليه السلام ثم أقبل يجرّ ردائه و بيده سيفه حتى وقف على أرض بلقع فقال :

يا مالك ! احتفر أنت وأصحابك فقال مالك : و احتفرنا فاذاً نحن بصخرة سوداء عظيمة فيها حلقة تبرق كاللجين، فقال لنا : رموها فرمناها بأجمعنا ونحن مأة رجل ، فلم نستطع أن نزيلها عن موضعها ، فدنا أمير المؤمنين عليه السلام رافعاً إلى السماء يدعووهو يقول : طاب طاب مريا عالم طيبوثابوثه شتميا كوباحاحانو ثاتوديثا برحوثاآمين آمين رب العالمين رب موسى وهارون ثم اجتذبها فرماها عن العين أربعين ذراعاً قال مالك بن الحارث الاشتر : فظهر لنا ماء أعذب من الشهد ، وأبرد من الثلج ، وأصفى من الياقوت ، فشربنا و سقينا ثم ردّ الصخرة و امرنا أن نحثوا عليها التراب ، ثم ارتحل و سرنا إلاّغير بعيد ، قال : من منكم يعرف موضع العين ؟ فقلنا : كلنا ياأمير المؤمنين ، فرجعنا فطلبنا العين فخفى مكانها علينا أشد خفاء فظننا ان أمير المؤمنين عليه السلام قد رهقه العطش ، فأومأ بأطرافنا فاذاً نحن بصومعة راهب، فدنونا منها،فاذاًنحن براهب قد سقطت حاجباه على عينيه من الكبر، فقلنا : يا راهب ! عندك ماء نسقى منه صاحبنا ؟ قال :عندى ماء قداستعذبته منذيومين ، فأنزل إلينا ماء مراً خشناً فقلنا : هذا قداستعذبته

منذ يومين ، فكيف ولو شربت من الماء الذى سقانا منه صاحبنا وحدثناه بالأمر فقال :

صاحبكم هذا نبى ؟ قلنا : لا ولكنه وصى نبى ، فنزل إلينا بعد وحشته منا، وقال : انطلقوا بى إلى صاحبكم فانطلقنا به فلما بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال شمعون ؟ قال الراهب : نعم شمعون هذا إسم سمتنى به امى ما اطلع عليه أحد إلا الله تبارك و تعالى ثم أنت ، فكيف عرفته ، فاتم حتى اتمه لك قال : وما تشاء يا شمعون ؟ قال : هذا العين ، وإسمه قال : هذا العين راحوما و هو من الجنة شرب منه ثلاث مأة وثلاثة عشر وصياً ، وانا آخر الوصيين شربت منه قال الراهب هكذا وجدت فى جميع كتب الانجيل ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله و ان محمداً رسول الله وانك وصى محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم رحل أمير المؤمنين عليه السلام والراهب يقدمه حتى نزل صفين و نزل معه بعاندين (بعابدين) والتقى الصفان ، فكان أول من اصابته الشهادة الراهب ،فنزل أمير المؤمنين عليه السلام و عيناه تهملان وهو يقول : المرء مع من أحب ، الراهب معنا يوم القيامة رفيقى فى الجنة .



﴿الامام على عليه السلام وغزوة صفين﴾

صفين : إسم أرض كانت فيها الحرب والقتال بين الامام على بن أبيطالب عليه السلام ومعه عمار بن ياسر وأبوأيوب الانصارى وعبدالله بن عباس ومالك الاشتر ... ومن إليهم من شيعة الامام أمير المؤمنين على عليه السلام وبين معاوية بن أبى سفيان رأس الفئة الباغية ومعه عمرو بن العاص وشمر بن ذى الجوشن ومروان بن الحكم وأضرابهم من الأبالسة . . .

سميت صفين لما كانت الخيل تصفن فيها ، أو تصطف فيها الأقدام .

فى شرح الحديد : كان وصول على عليه السلام إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنة سبع وثلاثين .

وفى معجم البلدان (ج ٣ ص ٤١٤ ط بيروت) مالفظه: «وقتل مع على عليه السلام خمسة وعشرون صحابياً بدرياً ، وكانت مدة المقام بصفين مأة يوم وعشرة أيام »

وفى وقعة صفين : عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال : لما كان غداة الخميس لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين صلّى على عليه السلام الغداة ، فغلّس ما رأيت علياً غلّس بالغداة أشد من تغليسه يومئذ ، وخرج بالناس إلى أهل الشام ، فزحف نحوهم وكان هو يبدؤهم فيسير إليهم ، فاذا رأوه قد زحف استقبلوه بزحوفهم

التغليس : ورود الماء أول ما ينفجر الصبح ، والمعنى : سار على عليه السلام إليهم أول الصبح .

وزحف : مشي نحوهم قليلاقليلاً . ولما بدئت غزوة صفين من يوم الخمس

سميت وقعة الخميس.

وفيه: عن الاصبغ بن نباته قال: ماكان على عليه السلام فى قتال إلاّ نادى: يا كهيعص.

وفيه: عن عبدالرحمن بن حسّان العجلى عمن حدّثه انه سمع علياً عليه السلام يقول يوم لقائه أهل الشام بصفين: اللهم إليك رفعت الابصار، وبسطت الايدى و نقلت الاقدام، ودعت الالسن وأفضت القلوب، وتحوكم إليك فى الاعمال فاحكم بيننا وبينهم بالحق، وأنت خير الفاتحين، اللهم انانشكو إليك غيبة نبينا وقلّة عددنا و كثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا وشدة الزمان وظهور الفتن، فأعنّا على ذلك بفتح منك تعجله، ونصر تعزّ به سلطان الحق وتظهره.

وفيه: عن زيد بن وهب قال: لما خرج على عليه السلام إليهم غداة ذلك اليوم فاستقبلوه، رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم رب هذا السقف المحفوظ المكفوف الذى جعلته محيطاً بالليل والنهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل الكواكب والنجوم وجعلت سكّانه سبطاً من الملائكة لايسأمون العبادة، ورب هذه الارض التى جعلتها قراراً للأنام والهوام والانعام ومالايحصى مما يرى ومما لايرى من خلقك العظيم، ورب الفلك التى تجرى فى البحر المحيط بما ينفع الناس، ورب السحاب المسخّر بين السماء والارض، ورب البحر المسجور المحيط بالعالمين، ورب الجبال الرواسى التى جعلتها للارض أوتاداً، وللخلق متاعاً إن أظهرتنا على عدوّنا، فجنّبنا البغى، وسدّدنا للحق، و إن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصم بقية أصحابى من الفتنة.

قال: فلما رأوه قدأقبل تقدّموا إليه بزحوفهم، وكان على ميمنته يومئذ عبدالله ابن بديل ورقاء الخزاعى، وعلى ميسرته عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب وقراء العراق مع ثلاثة نفر: عمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة، وعبدالله بن بديل، والناس على راياتهم ومراكزهم، وعلى عليه السلام فى القلب فى أهل المدينة جمهورهم

الانصار ومعه من خزاعة و من كنانة عدد حسن ـ إلى أن قال ـ : اذا مشى عليه السلام إلى الحرب هرول ، قد أيّده الله تعالى في حروبه بالنصر والظفر .

وفي شرح الحديد: عن عمرو بن شمر قال : بعث على عليه السلام خيلاً ليحبسوا عن معاوية مادته ، فبعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها وجاءت عيون على عليه السلام فاخبروه بما كان ، فقال لاصحابه : ما ترون فيما ههنا ؟ فقال بعضهم : نرى كذا و قال بعضهم : نرى كذا ، فلما زاد الاختلاف قال على عليه السلام ، اغدوا إلى القتال فغاداهم إلى القتال ، فانهزمت صفوف الشام من بين يديه ذلك اليوم حتى فرّ عتبة بن أبي سفيان عشرين فرسخاً عن موضع المعركة .

وفيه : عن القعطاع بن الأبرد الطهوي قال: والله اني لواقف قريباً من على عليه السلام بصفين يوم وقعة الخميس وقد التقت مذحج ـ وكانوا في ميمنة على عليه السلام ـ وعكّ لخم وجذام والاشعريون و كانوا مستبصرين في قتال على عليه السلام فلقد والله رأيت ذلك اليوم من قتالهم ، وسمعت من وقع السيوف على الرؤس وخبط الخيول بحوا فرها في الارض ، وفي القتلى ، ما الجبال تهدّ ولا الصواعق تصعق ، بأعظم من هؤلاء في الصدور من تلك الاصوات ونظرت إلى على عليه السلام وهو قائم ، فدنوت منه فأسمعه يقول: لاحول ولاقوة الاّ بالله! اللهم إليك الشكوى وأنت! ثم نهض حين قام قائم الظهيرة وهو يقول : ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، وحمل على الناس بنفسه وسيفه مجرّد بيده فلا والله ماحجز بين الناس ذلك اليوم إلاّ الله رب العالمين في قريب من ثلث الليل الاول وقتلت يومئذ أعلام العرب .

وفيه : عن الشعبي قال : أرسل على عليه السلام إلى معاوية أن ابرز إليّ و أعف الفريقين من القتال ، فأيّنا قتل صاحبه كان الامر له ، فقال عمرو : لقد أنصفك الرجل فقال معاوية : أنا أبارز الشجاع الاخرق ؟ أظنك ياعمر وطمعت فيها ! فلما لم يجب ، قال على عليه السلام : و انفساه ! أيطاع معاوية واعصى ! ما قاتلت امة قطّ أهل بيت نبيها وهي مقرّة بنبيّها غير هذه الامة .

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي عن إبن عباس قال : عقم النساء أن يجئن

بمثل علي بن أبيطالب رضي الله عنه ما رأيت محرباً يزن به لرأيته يوم صفين ، وعلى رأسه عمامة بيضاء و كأن عينيه سراجاً سليط ، و هو يقف على شرذمة بعد شرذمة من الناس يعظهم ويحضّهم ويحرّضهم .

رواه ابن الاثير في (النهاية ج ١ ص ٢٣٥ ط المنيرية بمصر) و(ج ٢ص ١٤٣ الطبع) والمصري في (لسان العرب ج ١٣ ص ٢٠٠ ط دار الصادر ببيروت)

وفي ينابيع المودة : وكان يطوف ـ علي عليه السلام ـ بين الصفّين بصفين فقال الحسن عليه السلام له : ما هذا زيّ الحرب ، فقال : يابني ان أباك لايبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه .

و في عقد الفريد : كان علي بن أبيطالب رضي الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين ويقول :

أيّ يوميّ من الموت أفرّ يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ومن المقدور لاينجي الحذر

وفي غرر الخصائص الواضحة : قيل له ـ لعليّ ـ انك مطلوب ، فلو اتخذت طرفاً سابقاً فقال : اني لاافرّ على من كرّ ولااكرّ على من فرّ فالبلغة تكفيني .

وفي الفصول المهمة : ما لفظه : « ومنها ما اتفق بعض أيامها ـ صفين ـ وقد تقابل الجيشان إذ خرج فارس من أبطال عسكر أهل الشام يقال له : كريت بن الصباح ، فوقف بين الصفين و سئل المبارزة فخرج إليه فارس من أهل العراق يقال له : المرقع الخولاني فقتله الشامي ثم خرج إليه الحارث الحكمي ، فقتله الشامي أيضاً فنظر الناس إلى مقام فارس صنديد ، فخرج إليه علي عليه السلام بنفسه الكريمة فوقف بازائه وقال له : من أنت أيها الفارس ؟ فقال : أنا كريت بن صالح الحميري فقال له علي عليه السلام : يا كريت احذرك الله في نفسك و ادعوك إلى كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال كريت: من أنت ؟ فقال : أنا علي بن ابيطالب يا كريت الله الله في نفسك فاني أراك بطلاً فارساً ، فيكون لك مالنا ، وعليك ما علينا ولا

يغرك معاوية فقال: أدن مني ياعلي وجعل يلوح بسيفه فجرّد الامام سيفه ودنا منه فتجاولا ساعة.

ثم اختلفنا بضربتين فسبقه الامام بالضربة فقتله وسقط إلى الارض ثم نادى هل من مبارز فخرج إليه الحارث الحميرى ، فقتله وهكذا لم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس إلى أن قتل منهم أربعة وهو يقول : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واعلموا ان الله مع المتقين »

ثم صاح على عليه السلام يا معاوية ! هلمّ إلى مبارزتي لاتفنى العرب بيننا فقال معاوية : لاحاجة لى فى مبارزتك فقد قتلت أربعة من أبطال العرب بيننا فحسبك فصاح فارس من أصحاب معاوية يقال له عروة فقال : يابن أبيطالب إن كان معاوية قد كره مبارزتك فاناله وجرّد سيفه ، وخرج للامام فتجاولا ثم انه سبق الامام بضربة تلقاها على عليه السلام فى سيفه ثم ان علياً عليه السلام ضربه ضربة على رأسه القاه إلى الارض قتيلاً ، فعظم على أهل الشام قتل عروة لانه كان من أعظم شجعانهم ومشاهير فرسانهم ثم حجز الليل بينهم .

رواه إبن كثير الدمشقى فى (البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٦٢ ط القاهرة) و لما ذكر قتل على عليه السلام لكريز بن الصباح وغيره مالفظه : نادى ويحك يامعاوية! ابرز إليّ ولاتفنى العرب بينى وبينك ، فقال له عمرو بن العاص : اغتنمه فانه قد أثخن بقتل هؤلاء الاربعة ، فقال له معاوية : و الله لقد علمت ان علياً لم يقهر قط وانما أردت قتلى لتصيب الخلافة من بعدى اذهب إليك فليس مثلى يخدع .

وفى الغيث المسجم للصفدى مالفظه : ولما دعا الامام على عليه السلام معاوية إلى البراز قال له عمرو بن العاص : لقد أنصفك فقال له معاوية : ماغششتنى منذ نصحتنى الا اليوم أتأمرنى بمبارزة أبى الحسن أراك طمعت فى أمارة الشام بعدى.

و فى ينابيع المودة : مالفظه : وأنت تعلم انه الشجاع المطرق أراك

طمعت في أمارة الشام بعدي .

و في البدء والتاريخ للمقدسي : قال علي عليه السلام لمعاوية علام يقتل الناس بيني وبينك احاكمك إلى الله عز وجل فأيّنا قتل صاحبه استقام الامر له فقال عمرو بن العاص له : أنصفك والله يا معاوية ، فقال معاوية : تعلم والله انه لم يبارزه أحد الاّ قتله ، فيزعم قوم ان معاوية قال : فابرز أنت يا عمرو فلبس مدرعة ذات فرجين من قدّامها وورائها وبارز علياً فلما حمل عليه و تمكّن من ضربه رفع عمرو رجله فبدت عورته فيصرف عنه عليّ وجهه ويتركه .

و في الفصول المهمة : ما لفظه : ثم ان فارساً من فرسان معاوية كان مشهوراً بالشجاعة يقال له : بسر بن أرطاة حدثته نفسه بالخروج إلى علي بن أبيطالب ومبارزته وكان له غلام شهم شجاع يقال له : لاحق فشاوره في ذلك : فقال: ما اشير عليك إلاّ أن تكون واثقاً من نفسك انك من أقرانه ، ومن فرسان ميدانه ، فابرز اليه فانه الاسد الخادر والشجاع المطرق وانشد العبد يقول :

فأنت له يا بسران كنت مثله و إلاّ فان الليث للضبع آكل

متى تلقه فالموت في رأس رمحه و في سيفه شغل لنفسك شاغل

قال : ويحك هل هو إلاّ الموت والله لا بدلي من مبارزته على كل حال . فخرج بسر بن أرطاة لمبارزة عليّ فلما رآه علي عليه السلام حمل عليه ودقّه بالرمح فسقط على قفاه إلى الارض ، فرفع رجله فبدت سؤته ، فصرف علي عليه السلام وجهه فوثب قائماً ، و قد سقط المغفر من رأسه ، فعرفه أصحاب علي عليه السلام فصاحوا به يا أمير المؤمنين انه بسر بن أرطاة لايذهب فقال :

ذروه وان كان فعليه ما يستحق فركب جواده ، و رجع إلى معاوية فجعل معاوية يضحك منه ويقول له: لا عليك ولا تستحي فقال : نزل بك ما نزل بعمرو فصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم ياأهل الشام أما تستحيون من كشف الاستاه أنشد بقوله :

ألا كل يـوم فارس بعد فارس | له عورة تحت العجاجة بادية
يكف حيا منها على سنانه | ويضحك منها فى الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه | وعورة بسر مثلها حذ وحاذية
فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا | سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما | هما كانتا للنفس والله واقية
فلولا هما لم تنجيا من سنانه | وتلك بما فيها عن العود كافية
متى تلقيا الخيل المغيرة صيحة | وفيها على فاتركا الخيل ناحية

وكان بسر بن أرطاة يضحك من عمرو وصار عمرو يضحك منه و تحامى أهل الشام علياً عليه السلام وخافوه خوفاً شديداً ولم يصر واحد منهم على مبارزته ، و صار على عليه السلام لايخرج إلى المبارزة إلا متنكراً .

وفى شرح الحديد : عن الشعبى : ان أول فارسين إلتقيا فى هذا اليوم - وهو اليوم السابع من صفر ، وكان من الايام العظيمة فى صفين ذا أهوال شديدة - حجر الخير وحجر الشر ، أما حجر الخير فهو حجر إبن عدى صاحب أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وأما حجر الشر فان عمه كلاهما من كندة وكان من أصحاب معاوية ، فاطعنا برميحهما وخرج رجل من بنى أسد يقال له : خزيمة من عسكر معاوية ، فضرب حجر بن عدى ضربة برمحه ، فحمل أصحاب على عليه السلام فقتلوا خزيمة الاسدى ، ونجى حجر الشر هارباً ، فالتحق بصف معاوية ثم برز حجر الشر ثانية ، فبرز إليه الحكم بن أزهر من أهل العراق فقتله حجر الشر ، فخرج إليه رفاعة ابن ظالم الحميرى من صف العراق فقتله وعاد إلى أصحابه يقول : الحمد لله الذى قتل حجر الشر بالحكم بن أزهر .

وفيه : عن أبى اسحق قال : خرج على عليه السلام يوماً من أيام صفين ، وفى يده عنزة - رمح صغير فى أسفله زج - فمر على سعيد بن قيس الهمدانى ، فقال له سعيد : أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوك ؟ فقال على

عليه السلام : انه ليس من أحد إلّا وعليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردى فى قليب -البئر العادية القديمة - أو يخرّ عليه حائط أو تصيبه آفة ، فاذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه .

وفى وقعة صفين : لنصر بن مزاحم قال : «كان على عليه السلام يركب بغلة له يستلذّها قبل أن يلتقى الفئتان بصفين فلما حضر الحرب وبات تلك الليلة يعبّى الكتائب حتى أصبح قال : ائتونى بفرس ، فاتى بفرس له ذنوب أدهم - أى وافر الذنب - يقاد بشطين - أى قوى وشديد - يبحث الارض بيديه جميعاً له حمحمة وصهيل فركبه وقال : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » لاحول ولاقوة إلّا بالله العلى العظيم .

وفيه : عن جابر الجعفى قال :كان على عليه السلام إذا سار إلى قتال ذكر اسم الله قبل أن يركب كان يقول : الحمدلله على نعمه علينا وفضله : « سبحان الذى سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا إلى ربنا لمنقلبون »

ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه إلى السماء ويقول : اللهم إليك نقلت الاقدام واتعبت الابدان وأفضت القلوب ورفعت الايدى وشخصت الابصار: « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »

ثم يقول : سيروا على بركة الله ثم يقول : الله أكبر الله أكبر لاإله إلّا الله الله أكبر ، يا الله ياأحد يا صمد يارب محمد اكفف عنا بأس (شرخ) الظالمين : « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين» بسم الله الرحمن الرحيم ، ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم .

قال : وكانت هذه الكلمات شعاره بصفين .

﴿خطب الامام على عليه السلام فى وقعة صفين﴾

وقد وردت خطب عديدة عن الامام على عليه السلام فى أيام صفين ، ونحن وإن كنا على جناح الاختصار ، ولكن لابدلنا من الاشارة إلى نبذة من الخطب لما فيها من الحقائق والحكم والمعارف الاسلامية ، ومن الدروس لحماة الدين ودعاة الاسلام وولاة المسلمين والرعايا .. ومن الدستور الجندى ... والتشجيع .

فى شرح الحديد : عن أبى عمرو عن أبيه ان علياً عليه السلام خطب فى ليلة هذا اليوم ، فقال: «معاشر المسلمين ! استشعروا الخشية و تجلببوا السكينة ، وعضّوا على النواجذ ، فانه أنبى للسيوف عن الهام ...»

و فيه : بهذا الاسناد: ان علياً عليه السلام خطب ذلك اليوم، وقال: أيها الناس! ان الله تعالى ذكره ، قد دلّكم على تجارة تنجيكم من العذاب ، و تشفى بكم على الخير، ايمان بالله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب، ومساكن طيبة فى جنات عدن و رضوان من الله أكبر و أخبركم بالذى يحبّ فقال : « ان الله يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، و قدّموا الدارع و أخرّوا الحاسر ، و عضّوا على الاضراس ، فانه أنبى للسيوف عن الهام، وأربط للجأش وأسكن للقلوب وأميتوا الاصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار والتووا فى أطراف الرماح فانه أمور للأسنّة و رايتكم فلاتميلوها ولاتزيلوها ولاتجعلوها الاّ بأيدى شجعانكم المانعى الذمار ، والصبر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفّون برايتكم

ويكتنفونها، يضربون خلفها وأمامها ولاتضيّعوها .

أجز أكل امرىء وقدقرنه ، و واسى أخاه بنفسه ، ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجمع عليه قرنه وقرن أخيه، فيكسب بذلك من الاثم ، ويأتي به دناءة،أني هذا، وكيف يكون هكذا! (وأني لايكون هذا هكذا؟ خ) هذا يقاتل اثنين، وهذا ممسك يده قدخلّى قرنه إلى أخيه ، هارباً منه ، أو قائماً ينظر اليه ! من يفعل هذا يمقته الله فلاتعرّضوا لمقت الله ، فانما مردّكم إلى الله قال الله تعالى لقوم عليهم : « لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل و إذاً لاتمتّعون إلاّ قليلاً» وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لاتسلمون من سيف الآخرة،استعينوا بالصدق والصبر، فانه بعد الصبر ينزل النصر .

رواه الطبري في (تاريخه ج ٦ ص ٩-١٠)

وفي وقعةصفين: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قام علي عليه السلام فخطب الناس بصفين فقال : الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق ، من البر والفاجر ، وعلى حججه البالغة على خلقه من أطاعه فيهم و من عصاه إن رحم فبفضله ومنّه ، وان عذّب فيما كسبت أيديهم ، وان الله ليس بظلاّم للعبيد.

أحمده على حسن البلاء و تظاهر النعماء و أستعينه على مانابنا من أمر الدنيا والاخرة وأتوكّل عليه و كفى بالله وكيلاً ، ثم اني أشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق، ارتضاه لذلك وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته ، وجعله رحمة منه على خلقه، فكان علمه فيه رؤفاً رحيماً ، أكرم خلق الله حسباً ، و أجمله منظراً ، وأسخاه نفساً ، وأبرّه لوالد ، وأوصله لرحم ، وأفضله علماً ، وأثقلهم حلماً وأوفاه لعهد، و آمنه على عقد ، لم يتعلّق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قطّ ، بل كان يظلم فيغفر ، ويقدر فيصفح حتى مضى صلى الله عليه وآله وسلم مطيعاً لله صابراً على ماأصابه ، مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله وسلم .

فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الارض : البر و الفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمر كم بطاعة الله ، و ينهاكم عن معصيته ، وقد عهد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهداً ، فلست أحيد عنه ، وقد حضرتم عدوكم وعلمتم أن رئيسهم منافق، يدعوهم إلى النار و ابن عمّ نبيّكم معكم و بين أظهر كم . يدعوكم إلى الجنة و إلى طاعة ربكم ، والعمل بسنّة نبيكم ولاسواء من صلّى قبل كلّ ذكر ، لم يسبقني بصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد ، وأنا من أهل بدر ، ومعاوية طليق وإبن طليق ، و الله إنا على الحق وانهم على الباطل ، فلا يكونن القوم على باطلهم اجتمعوا عليه وتفرقون عن حقكم حتى يغلب باطلهم حقكم : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم» فان لم تفعلوا يعذّبهم بأيدي غير كم .

فأجابه أصحابه فقالوا : ياأمير المؤمنين ! انهض بنا إلى عدوّنا وعدوك إذا شئت فو الله مانريد بك بدلاً بل نموت معك و نحيى معك ، فقال لهم : و الذي نفسي بيده لنظر إلىّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أضرب بين قدامه بسيفي هذا ، فقال:«لاسيف إلاّ ذوالفقار ولافتى إلاّ عليّ » وقال لي : « يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ انه لانبي بعدي وموتك وحياتك ياعليّ معي» والله ما كذب ولا كذبت، ولاضلّ ولاضللت ولاضلّ بي ولانسيت ماعهد إلىّ وإني على بينة من ربي و على الطريق الواضح ، ألفظه لفظاً .

ثم نهض إلى القوم ، فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق الاحمر ، وما كانت صلاة القوم في ذلك اليوم إلا تكبيراً .

و في روضة الكافي : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :

أما بعد فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية أمر كم ، ومنزلتي أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم ، و الحق أجمل

الاشياء فى التواصف وأوسعها فى التناصف لا يجرى لاحد إلاّ جرى عليه ولا يجرى عليه إلاّ جرى له ولو كان لاحد أن يجرى ذلك له، ولا يجرى عليه لكان ذلك لله عزوجل خالصاً دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله فى كل ما جرت عليه ضروب قضائه، ولكن جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل كفّارتهم عليه بحسن الثواب تفضلاً منه، و تطوّلاً بكرمه و توسعاً بما هو من المزيد له أهلاً ثم جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافى فى وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلاّ ببعض.

فأعظم مما افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى فريضة فرضها الله عزوجل لكل على كل، فجعلها نظام الفتهم و عزاً لدينهم و قواماً لسنن الحق فيهم، فليست تصلح الرعية إلاّ بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرعية، فاذا أدّت الرعية إلى الوالى حقه، و أدّى إليها الوالى كذلك عز الحق بينهم، فقامت مناهج الدين، و اعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطاب به العيش وطمع فى بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء وإذا غلبت الرعية واليهم وعلا الوالى الرعية اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت مطامع الجور و كثر الادغال فى الدين وتركت معالم السنن فعمل بالهواء، وعطّلت الآثار و كثرت علل النفوس ولا يستوحش لجسيم حدّ عطّل، ولا لعظيم باطل اثّل فهنالك تذل الابرار وتعزّ الاشرار، و تخرب البلاد، وتعظم تبعات الله عزوجل عند العباد.

فهلمّ أيها الناس إلى التعاون على طاعة الله عزوجل، والقيام بعدله، والوفاء بعهده و الانصاف له فى جميع حقه، فانه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح فى ذلك، وحسن التعاون عليه وليس أحد وان اشتدّ على رضى الله حرصه و طال فى العمل إجتهاده ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحق أهله، ولكن من واجب حقوق الله عزوجل على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم و التعاون على

إقامة الحق فيهم ، ثم ليس امرء وإن عظمت فى الحق منزلته ، وجسمت فى الحق فضيلته بمستغن عن أن يعان على ماحمله الله عزوجل من حقه ، ولا لامرىء مع ذلك حسنت به الامور واقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه، و أهل الفضيلة فى الحال و أهل النعم العظام أكثر فى ذلك حاجة و كلٌّ فى الحاجة إلى الله عزوجل شرع سواء .

قوله عليه السلام : « التواصف » : أن يصف بعضهم لبعض و « التناصف » : أن ينصف بعضهم بعضاً ، و «ضروب قضاته » : أنواعه المتغيرة المتوالية و «أذلالها» مجاريها و « الادغال»: الابداع والتلبيس أو الفساد ، و «علل النفوس»:أمراضها بملكات السوء من الغل والحسد والعداوة وما إليها من رذائل الصفات .

وفى شرح الحديد : لما بلغ القوم إلى مابلغوا إليه قام على عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس قد بلغ بكم الامر وبعدوّكم ماقدرأيتم، ولم يبق منهم إلاّ آخر نفس ، وان الامور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا و أنا غاد عليهم بالغداة احاكمهم إلى الله .

و فى وقعة صفين : عن أبى سنان عن أبيه قال: خطب على عليه السلام أصحابه كأنى أنظر إليه متوكئاً على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنده، فهم يلونه كأنه احبّ أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه فحمدالله وأثنى عليه وقال :

أيها الناس ! اسمعوا مقالتى وعوا كلامى ، فان الخيلاء من التجبر، و ان النخوة من التكبر ، و ان الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل ، ألا إن المسلم أخو المسلم فلا تنابذوا ولاتخاذ لوا ، ألا إن شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من أخذ بها لحق ومن فارقها محق ومن تركها مرق ، ليس المسلم بالخائن اذا ائتمن ولا بالمخلف اذا وعد ولا بالكذاب اذا نطق ، نحن أهل بيت الرحمة وقولنا

الصدق وفعلنا القصد، ومنا خاتم النبيين ، وفينا قادة الاسلام وفينا حملة الكتاب ألا إنا ندعوكم إلى الله وإلى رسوله ، وإلى جهاد عدوه والشدة في أمره و ابتغاء مرضاته وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفيء على أهله .

ألا و ان من أعجب العجائب ان معاوية بن أبي سفيان الاموي و عمرو بن العاص السهمي أصبحا يحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما ، و لقد علمتم أني لم اخالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قط ، و لم أعصه في أمر أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الابطال وترعد فيها الفرائص نجدة ، أكر مني الله سبحانه بها وله الحمد ، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان رأسه لفي حجري ولقد وليت غسله بيدي وحدي تقلّبه الملائكة المقربون معي وأيم الله مااختلفت امة قط بعد نبيها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلاّ ماشاء الله .

وفي نهج البلاغة : ومن خطبة للامام علي عليه السلام : «ألاو إن الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي لبصيرتي مالبّست على نفسي ولالبّس عليّ وأيم الله لافرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه لايصدرون عنه ولايعودون إليه »

عنى الامام علي عليه السلام بالشيطان معاوية . و قوله : «وان معي لبصيرتي » يريد ان البصيرة التي كانت معي في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تتغيّر ، وقوله : « مالبست على نفسي ولالبّس عليّ »تقسيم جيّد لان كل ضال عن الهداية ،فاما أن يضلّ من تلقاء نفسه أو باضلال غيره له . و قوله : «لافرطن لهم حوضاً أنا ماتحه . . . »أي لأملأنّ لهم حياض الحرب التي هي دربتي وعادتي أو لاسبقنهم إلى حياض حرب أنا متدرب لها مجرّب لها إذا وردوها لايصدرون عنها يعني قتلهم وإزهاق أنفسهم ، ومن فرّ منهم لايعود إليها .

«خطب وتشجيع»

خطب كثيرة من شجعان أصحاب الامام على عليه السلام يخطبون بها لتشجيع العساكر، ونحن نورد منها مايسعه المقام :

١ـ فى شرح الحديد : قال نصر: وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الفضل بن أدهم عن أبيه ان الاشتر قام يخطب الناس بقنا صرين ـ موضع بالشام ـ وهو يومئذ على فرس أدهم ، مثل حلك الغراب ، فقال :

« الحمد لله الذى خلق السموات العلى « الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات ومافى الارض ومابينهما وماتحت الثرى » أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء حمداً كثيراً بكرة وأصيلاً ، من هداه الله فقد اهتدى ، ومن يضلل فقد هوى ، أرسل محمداً بالصواب والهدى ، فأظهره على الدين كله و لو كره المشركون ، صلى الله عليه وآله وسلم ثم قدكان مما قضى الله سبحانه و قدّر أن ساقتنا المقادير إلى أهل هذه البلدة من الارض فلفّت بيننا وبين عدوالله وعدونا، فنحن بحمدالله و نعمه و منّه وفضله ، قريرة أعيننا طيّبة أنفسنا ، نرجو بقتالهم حسن الثواب والامن من العقاب .

معنا إبن عمّ نبينا وسيف من سيوف الله على بن أبى طالب صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسبقه إلى الصلاة ذكر حتى كان شيخاً لم تكن له صبوة و لا نبوة ولا هفوة ولاسقطة ، فقيه فى دين الله تعالى ، عالم بحدود الله ، ذو رأى أصيل و صبر جميل وعفاف قديم ، فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجدّ ، واعلموا أنكم على الحق،

وان القوم على الباطل ، انما تقاتلون معاوية ، وأنتم مع البدريين ، قريب من مأة بدرىّ ، سوى من حولكم من أصحاب محمد عليهم السلام أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن يشك فى قتال هؤلاء إذ ميّت القلب ، أنتم على إحدى الحسنيين : إما الفتح ، وإما الشهادة ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه ، وألهمنا وايا كم طاعته وتقواه واستغفر الله لى ولكم » .

٢- فى كتاب صفين لنصر بن حزم قال : « و خطب عبدالله بن العباس أهل العراق يومئذ فقال :

«الحمد لله رب العالمين، الذى دحا تحتنا سبعاً وسمك فوقنا سبعاً ، وخلق فيما بينهن خلقاً ، و أنزل لنا منهن رزقاً ، ثم جعل كل شىء قدراً يبلى و يفنى غير وجهه الحىّ القيوم الذى يحيا ويبقى، ان الله تعالى بعث أنبياء ورسلاً ، فجعلهم حججاً على عباده عذراً أونذراً لايطاع إلاّ بعلمه و إذنه ، يمنّ بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها ويعصى بعلم منه ، فيعفو ويغفر بحلمه لايقدر قدره ، ولايبلغ شىء مكانه أحصى كل شىء عدداً وأحاط بكل شىء علماً .

وأشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له وأشهد ان محمداً عبده و رسوله إمام الهدى والنبى المصطفى ، وقد ساقنا قدر الله إلى ماترون حتى كان مما اضطرب من حبل هذه الامة ، وانتشر من أمرها، أن معاوية بن أبى سفيان ابن آكلة الاكباد وجد من طغام الناس أعواناً على علىّ ابن عم رسول الله وصهره ، وأول ذكر صلّى معه ، بدرىّ قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مشاهده التى فيها الفضل ، و معاوية و أبوسفيان مشركان يعبدان الاصنام ، واعلموا والله الذى ملك الملك وحده فبان به وكان أهله لقد قاتل على بن أبى طالب مع رسول الله وهو يقول : صدق الله ورسوله ومعاوية يقول : كذب الله ورسوله فعليكم بتقوى الله والجدّ والحزم والصبر ، و الله انا لنعلم انكم لعلى حق وانّ القوم لعلى باطل ، فلايكونن أولى بالجدّ على

باطلهم منكم فى حقكم ، وانا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدى غيركم ، اللهم أعنّا ، ولا تخذلنا وانصرنا على عدونا ، ولا تخل عنا و افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » .

٣ ـ وفيه : عن زيدبن وهب ان عبدالله بن بديل قام فى أصحابه فخطبهم فقال : «ألا ان معاوية إدّعى ماليس له ، ونازع الامر أهله ومن ليس مثله ،وجادل بالباطل ليدحض به الحق ، وصال عليكم بالاعراب والاحزاب ، وزيّن لهم الضلالة وزرع فى قلوبهم حبّ الفتنة ، ولبّس عليهم الامور وزادهم رجساً إلى رجسهم ، و أنتم والله على نور وبرهان مبين ، قاتلوا الطغاة الجفاه ، قاتلوهم ولاتخشوهم ، و كيف تخشونهم ، وفى أيديكم كتاب من ربكم ظاهر مبرور: « أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يخزهم و ينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » لقد قاتلتهم (قاتلناهم خ) مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم والله ماهم فى هذه بأزكى ولا أتقى ولاأبرّ ، قوموا إلى عدوالله وعدوكم » .

٤ـ فى شرح الحديد: عن مالك بن قدامة الارحبى قال: قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقناصرين ـ موضع بالشام ـ فقال :

« الحمد لله الذى هدانا لدينه وأورثنا كتابه ، و امتنّ علينا بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فجعله رحمة للعالمين ، وسيداً للمرسلين و قائداً للمؤمنين وخاتماً للنبيين ، و حجة الله العظيم على الماضين والغابرين، ثم كان فيما قضى الله وقدّره ـ وله الحمد على ما أحببنا و كرهنا ـ أن ضمّنا وعدوّنا بقناصرين ، فلا يجمل بنا اليوم الحياص أى الفرار والهرب ـ وليس هذا بأوان إنصراف ، ولات حين مناص ، وقد خصّنا الله منه برحمة لانستطيع أداء شكرها ولانقدر قدرها ، إن أصحاب محمد المصطفين الاخيار معنا و فى حيّزنا ، فوالله الذى هو بالعباد بصير، أن لو كان قائدنا رجلاً مجدعاً الاّ أن معنا من البدايين سبعين رجلاً لكان ينبغى لنا أن تحسن بصائرنا ، وتطيب أنفسنا ،فكيف وانما رئيسنا إبن عم نبينا ، بدرىّ صدق صلّى صغيراً وجاهد

مع نبيكم كثيراً .

ومعاوية طليق من وثاق الأسار وابن طليق ، ألا انه أغوى جفاة فأوردهم النار و أوردهم العار ، والله محلّ بهم الذل والصغار ألا انكم ستلقون عدوّكم غداً ، فعليكم بتقوى الله من الجدّ والحزم والصدق والصبر ، فان الله مع الصابرين ألا انكم تفوزون بقتلهم ويشقون بقتلكم ، والله لا يقتل رجل منكم رجلاً منهم إلاّ أدخل الله القاتل جنات عدن ، وأدخل المقتول ناراً تلظّى ، لاتفترّ عنهم وهم فيه مبلسون ، عصمنا الله وإياكم بماعصم به أولياءه ، وجعلنا و إياكم ممن أطاعه و اتقاه واستغفرالله العظيم لي ولكم وللمؤمنين » .

ثم قال الشعبي : ولقد صدّق فعله ماقال في خطبته .

٥ـ وفيه عن أبي روق الهمداني أن يزيد بن قيس الأرحبي :

« حرّض أهل العراق بصفين يومئذ ، فقال : ان المسلم السليم من سلم دينه ورأيه وان هؤلاء القوم ، و الله ما إن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيّعناه ولا على إحياء حق رأونا أمتناه ولايقاتلوننا إلاّ على هذه الدنيا ليكونوا فيها جبابرة وملوكا ، ولو ظهروا عليكم ـ لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً ـ إذاً لولاّكم مثل سعيد والوليد وعبدالله إبن عامر السفيه ، يحدّث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت كناية عن الحديث مثل : كيت و كيت ـ ويأخذ مال الله ويقول : لاإثم عليّ فيه، كأنما اعطى تراثه من أبيه كيف ! انما هو مال الله أفاءه علينا بأسيافنا و رماحنا قاتلوا عبادالله القوم الظالمين الحاكمين بغيرما أنزل الله ولاتأخذكم فيهم (في جهادهم خ) لومة لائم ، إنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وجرّبتم ، والله ماأرادوا باجتماعهم عليكم إلاشراً وأستغفر الله العظيم لي ولكم » .

﴿ رافة الامام علی عليه السلام بعد الظفر علی أعدائه ﴾

والناظر المدقق لايجد فی قتال الامام علی عليه السلام علی أعدائه غرضاً دنيوياً من الماء والمال والغنيمة ... أو النيل بالجاه والمقام والرئاسة ... الواهية، وإنما كان قتاله عليه السلام لاحقاق الحق وتسيير الامر فی مصيره الطبيعی، وإرتقاء المجتمع البشری إلی الكمال الذی يليق بواقع الانسان، و نيلهم بسعادة الدارين كما يجد عكس ذلك غرضاً فی قتال الاعداء ... و من هنا نجد رأفة الامام علی عليه السلام علی أعدائه بعد أن ظفر عليهم :

فی شرح الحديد : مالفظه : « ولما ملك عسكر معاوية الماء و أحاطوا بشريعة الفرات و قالت رؤساء الشام له اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً ، سئلهم علی عليه السلام وأصحابه أن يسوّغوا لهم شرب الماء ، فقالوا : لاوالله ولاقطرة حتی تموت ظمآء كما مات إبن عفان ، فلما رأی عليه السلام انه الموت لامحالة تقدّم بأصحابه و حمل علی عساكر معاوية حملات كثيفة حتی أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع ، سقطت منه الرؤس والايدی وملكوا عليهم الماء و صار أصحاب معاوية فی الفلاة لاماء لهم فقال له أصحابه وشيعته: إمنعهم الماء ياأمير المومنين كما منعوك ولاتسقهم منه قطرة ، واقتلهم بسيوف العطش وخذهم قبضاً بالايدی فلاحاجة لك إلی الحرب ، فقال : لا و الله لا اكافئهم بمثل فعلهم افسحوالهم عن بعض الشريعة، ففی هذا (حدّ خ) السيف مايغنی عن ذلك »

و فيه : « لما حال معاوية بين أهل العراق و بين الماء قال : ولأمنعنّهم

وروده ، فاقتلهم بشفار الظمآء قال له عمرو بن العاص : خل بين القوم وبين الماء فليسوا ممن يرى الماء ويصبر عنه ، فقال : لا والله لاأخلى لهم عنه ، فسفه رأيه، وقال : أتظن ان ابن أبيطالب وأهل العراق يموتون بازائك عطشاً ، والماء منهم بمعقد الازر وسيوفهم فى أيديهم فلج معاوية ؟ و قال : لااسقيهم قطرة كما قتلوا عثمان عطشاً ، فلما مس أهل العطش أشار على عليه‌السلام إلى الاشعث أن احمل و إلى الاشتر أن احمل ، فحملا بمن معهما ، فضربا أهل الشام ضرباً أشاب الوليد وفر معاوية و من رأى رأيه وتابعه على قوله عن الماء كما تفر الغنم خالطتها السباع ، و كان قصارى أمره ومنتهى همته أن يحفظ رأسه وينجو بنفسه وملك أهل العراق عليهم الماء ودفعوهم عنه .

فصاروا فى البر القفر وصار على عليه‌السلام وأصحابه على شريعة الفرات مالكين لها فما الذى كان يؤمن علياً عليه‌السلام لو أعطش القوم أن يذوق هو وأصحابه منهم مثل ما أذاقهم، وهل بعد الموت والعطش أمر يخافه الانسان ؟ وهل يبقى له ملجأ إلاّ السيف يحمل به فيضرب خصمه إلى أن يقتل أحدهما ؟ »

روى ابن الطقطقى فى (الفخرى ص ٧٥ ط محمد على صبيح بالقاهرة) مالفظه : « وقال على عليه‌السلام :خذوا حاجتكم من الماء ولاتمنعوهم منه»

وفى شرح الحديد : عن عبدالله بن عوف بن الاحمر قال : لما قدمنا على معاوية وأهل الشام بصفين وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واسعاً وأخذوا الشريعة فهى فى أيديهم وقد صف عليها أبو الاعور الخيل و الرجّالة وقدم الرامية ومعهم أصحاب الرماح والدرق ، وعلى رؤسهم البيض وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء ففزعنا إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام فأخبرناه بذلك فدعا صعصعة بن صوحان فقال : ائت معاوية و قل له : إنا سرنا إليك مسيرنا هذا و أنا اكره لقتالكم قبل الاعذار إليكم ، و انك قدمت خيلك ، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، و بدأتنا بالحرب، ونحن ممن رأينا الكف حتى ندعوك و نحتج عليك، وهذه اخرى

قد فعلتموها ، قدحلتم بين الناس وبين الماء ، فخل بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قد منالهوقدمتم له ، وإن كان أحبّ إليك أن ندع ماجئتنا له وندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا .

فلما مضى صعصعة برسالته عليه السلام إلى معاوية قال معاوية لاصحابه: ماترون؟ فقال الوليد ابن عقبة : إمنعهم الماء كما منعوه ابن عفان حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء و لين الطعام ، اقتلهم عطشاً قتلهم الله ! وقال عمرو بن العاص: خلّ بين القوم وبين الماء فانهم لن يعطشوا وأنت ريّان ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم . فأعاد الوليد مقالته . وقال عبدالله بن سعيد بن أبى سرح ـ وكان أخا عثمان من الرضاعة ـ : امنعهم الماء إلى الليل . فانهم انلم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمتهم ، إمنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة! فقال صعصعة بن صوحان : انما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر ، ضربك ـ أى مثلك ـ وضرب هذا الفاسق يعنى الوليد بن عقبة .

فتوا ثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه ، فقال معاوية: كفوا عن الرجل،فانما هو رسول قال عبدالله بن عوف بن أحمر : ان صعصعة لما رجع إلينا حدّثنا بما قال معاوية وما كان منه ومارده عليه قلنا : وما الذى ردّه عليك معاوية؟ قال : لما أردت الانصراف من عنده ، قلت : ماترد عليّ ؟ قال : سيأتيكم رأيى قال : فو الله ماراعنا إلاّ تسوية الرجال والصفوف والخيل ، فأرسل إلى أبى الاعور: امنعهم الماء فازد لفنا و الله إليهم ، فارتمينا و اطّعنّا بالرماح ، و اضطربنا بالسيوف ، فطال ذلك بيننا وبينهم حتى صار الماء فى أيدينا ، فقلنا :لا والله لانسقيهم فارسل إلينا على عليه السلام : ان خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى معسكركم وخلّوا بينهم وبين الماء فان الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم .

فقام الشليل بن عمر إلى معاوية ويحرصه على المنع بأشعاره . . . .

فقال معاوية : أما أنت فتدرك ماتقول ـ وهو الرأى ـ ولكن عمراً لايدري ،

فقال عمرو : خلّ بينهم وبين الماء ، فان علياً لم يكن ليظمأ وأنت ريّان ، فى يده أعنّة الخيل و هو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت وأنت تعلم انه الشجاع المطرق، ومعه أهل العراق وأهل الحجاز،وقد سمعته أنا مراراً وهو يقول :لو استمكنت من أربعين رجلاً يعنى فى الامر الاول .يعنى لوأن معى أربعين رجلاً يوم فتش البيت-يعنى بيت فاطمة عليها السلام .

و فيه : لما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة ، وقال معاوية : يا أهل الشام ! هذا والله أول الظفر لاسقانى الله ولا أباسفيان إن شربوا منه أبداً حتى يقتلوا بأجمعهم عليه ، وتباشر أهل الشام ، فقام إلى معاوية رجل من أهل الشام همدانى ناسك يتألّه ويكثر العبادة يعرف بمعرّى بن أقبل ، وكان صديقاً لعمر وابن العاص وأخاله ، فقال : يامعاوية ! سبحان الله ! لان سبقتم القوم إلى الفرات فغلبتموهم عليه تمنعونهم الماء ! أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات فينز لوا على فرضة اخرى و يجازوكم بما صنعتم !أما تعلمون أن فيهم العبد والامة والاجير والضعيف ، ومن لاذنب له هذا والله أول الجور لقدشجّعت الجبان، ونصرت المرتاب ، وحملت من لايريد قتالك على كتفيك .

فأغلظ له معاوية وقال لعمرو : اكفنى صديقك ، فأتاه عمرو فأغلظ له فقال الهمدانى فى ذلك شعراً :

لعمر أبى معاوية بن حرب ... وعمرو مالدا ئهما دواء
سوى طعن يحار العقل فيه ... وضرب حين تختلط الدماء
ولست بتابع دين ابن هند ... طوال الدهر ما أرسى حراء

ثم سار الهمدانى فى سواد الليل حتى لحق بعلى عليه السلام

ومكث أصحاب على عليه السلام بغير ماء ، واغتمّ على عليه السلام بما فيه أهل العراق من العطش ، وخرج ليلاً قبل رايات مذحج ، فاذاً رجل ينشد شعراً :

أيمنعنا القوم ماء الفرات　　وفينا الرماح و فينا الحجف

فحرّك ذلك علياً عليه السلام ثم مضى إلى رايات كندة فاذاً انسان ينشد إلى جانب منزل الاشعث وهو يقول :

لئن لم يجلّ الاشعث اليوم كربة　　من الموت فيها للنفوس بقية

قال : فلما سمع الاشعث قول الرجل قام فأتى علياً عليه السلام فقال : يا أمير- المؤمنين ، أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا و السيوف في أيدينا ؟ خلّ عنا وعن القوم فوالله لانرجع حتى نرده أونموت ومر الاشتر فيعلو بخيله ويقف حيث تأمره ، فقال علي عليه السلام : ذلك إليكم .

فرجع الاشعث فنادى في الناس : من كان يريد الماء أو الموت فميعاده موضع كذا فاني ناهض، فأتاه اثناعشر ألفاً من كندة وأفناء قحطان واضعي سيوفهم على عواتقهم فشدّ عليه سلاحه ونهض بهم حتى كاد يخالط أهل الشام وجعل يلقي رمحه و يقول لاصحابه : بأبي و امّي أنتم ! تقدّموا إليهم قاب رمحي هذا ، فلم يزل ذلك دأبه حتى خالط القوم وحسر عن رأسه ، ونادى ، أناالاشعث بن قيس! خلّوا عن الماء فنادى أبو الاعور : أما والله حتى لاتأخذنا وايا كم السيوف فلا . فقال الاشعث : قد و الله اظنها دنت منا و منكم ، و كان الاشتر قد تعالى بخيله حيث أمره عليّ عليه السلام فبعث إليه الاشعث : أقحم الخيل فاقحمها حتى وضعت سنابكها في الفرات ، وأخذت أهل الشام السيوف ، فولّوا مدبرين .

وفيه : قال عمر وبن العاص لمعاوية لما ملك أهل العراق الماء : ماظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس ؟ أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه ؟ ماأغنى عنك أن تكشف لهم السوءة ، فقال معاوية: دع عنك مامضى ، فما ظنك بعليّ ؟ قال : ظني أنه لايستحلّ منك ما استحللت منه ، وأن الذي جاء له غير الماء .

وفيه : فقال أصحاب علي عليه السلام له : إمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما

منعوك ، فقال : لا ، خلّوا بينهم وبينه ، لاأفعل مافعله الجاهلون ، سنعرض عليهم كتاب الله و ندعوهم إلى الهدى ، فان أجابوا والاّ ففى حدّ السيف مايغنى إن شاء الله

وفيه : قال نصر : فوالله ماأمسى الناس حتى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشام و رواياهم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء مايؤذى إنسان إنساناً .



﴿معاوية رأس الفئة الباغية وقتل عمار ياسر﴾

وقد وقفت في المقام إلى الآن نحو: (٢١٠) مجلدة من مآخذ العامة وأسفارهم على (٢٩) سنداً نشير إلى نبذة منها:

١ـ روى محمد بن جرير الطبري في (تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٢٧ ط الاستقامة بمصر) باسناده عن حبة بن جوين العرني قال: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفة بالمدائن، فدخلنا عليه، فقال: مرحبا بكما ما خلفتما من قبائل العرب أحداً أحب إلي منكما، فاسندته إلى ابن مسعود فقلنا: يا أبا عبدالله حدثنا، فانا نخاف الفتن فقال عليكما بالفئة التي فيها ابن سمية اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، وان آخر رزقه ضياح من لبن، قال حبة: فشهدته يوم صفين وهو يقول: ايتوني بآخر رزق لي من الدنيا فأتى بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء فما أخطاء حذيفة مقياس شعرة فقال: اليوم القى الاحبة محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا لعفات (سعفات خ) هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل، وجعل يقول: الموت تحت الاسل والجنة تحت البارقة.

رواه جماعة منهم:

الحاكم النيسابوري في (المستدرك ج ٣ ص ٣٩١ ط حيدرآباد) ثم قال هذا حديث صحيح عال.

والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٧٤ ط القاهرة).

والسيوطي (في الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٤١ ط حيدر آباد) وغيرهم تركناهم للاختصار .

٢ـ روى الحاكم النيسابوري في (المستدرك ج ٣ ص ٣٨٦ ط حيدر آباد) باسناده عن محمد بن عمر بن حزم قال : لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص ، فقال : قتل عمار وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : تقتله الفئة الباغية فقام عمرو فزعاً حتى دخل على معاوية ، فقال له معاوية : ما شأنك؟ فقال : قتل عمار بن ياسر فقال : قتل عمار فماذا ؟ فقال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : تقتله الفئة الباغية . ثم قال الحاكم : صحيح على شرطهما .

رواه البيهقي في (السنن الكبرى جزء ٨ ص ١٨٩ ط حيدر آباد)

والهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٤١ ط القدسي بمصر)

والذهبي في (اعلام النبلاء ج ١ ص ٣٠٠ و ٣٠٥ ط دار المعارف بمصر)

٣ـ روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٦٣ ط تبريز) باسناده عن علقمة والاسود قالا : سمعنا أبا أيوب الانصاري يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية ، وأنت مع الحق والحق معك يا عمار اذا رأيت علياً عليه السلام سلك وادياً ، وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس فانه لن يدخلك (يدليك خ) في أذى (في ردى) ولن يخرجك من الهدى يا عمار انه من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحاً من درٍ ، و من تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه السلام قلده الله يوم القيامة وشاحاً من نار قال : قلنا حسبك .

٤ـ قال ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٩ ط حيدر آباد) ما لفظه : وتواتر الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية . ثم قال : قال الواقدي : والذي اجمع عليه في قتل عمار انه قتل مع علي عليه السلام بصفين سنة سبع وثلاثين وهو ابن ٩٣ سنة ودفن هناك بصفين .

٥- قال الذهبي في (تاريخ الاسلام ج٢ ص ١٨٠ ط مصر) مالفظه : وروى هذا الحديث عن ابن عباس وابن مسعود وحذيفة وأبي رافع وابن أبي أوفى وجابر بن سمرة وابن اليسر السلمى و كعب بن مالك وأنس وجابر وغيرهم ، وهو متواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . قال أحمد بن حنبل في هذا : حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قتله الفئة الباغية .

٦- قال ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٢ ص ٢٦٩ ط القاهرة) ما لفظه : روى الناس كافة : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية .

٧- روى ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج٣ ص ٢٥٣ ط دار الصادر بمصر) عن هنى مولى عمر بن الخطاب قال . كنت أول شيء مع معاوية على علي عليه السلام فكان أصحاب معاوية يقولون : لا والله لا تقتل عماراً أبداً إن قتلناه فنحن كما يقولون ، فلما كان يوم صفين ذهبت انظر في القتلى فاذاً عمار بن ياسر مقتول ، فقال هنى : فجئت إلى عمرو بن العاص وهو على سريره فقلت : أباعبدالله قال : ماتشاء؟ قلت : انظر اكلمك فقام إلى ، فقلت: عمار بن ياسر ما سمعت فيه ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقتله الفئة الباغية .

٨ - روى المناوى في (شرح الجامع الصغير ص ٢٥١) عن هانى بن هانى عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال : هانى كنا عند علي عليه السلام فدخل عليه عمار فقال : مرحباً بالطيب المطيب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول تقتله الفئة الباغية.

٩- روى ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٥٢ ط دار الصادر بمصر) باسناده عن ام سلمة : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية .

رواه جماعة من أعلام العامة :

١- أحمد بن حنبل في (المسند ج ص ٣٠٠ ط الميمنية بمصر)

٢- ابن عبدربه الاندلسي في (العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠٣ ط الشرفية بمصر)

٣- النسائي في (الخصائص ص ٤١ ط التقدم بمصر)

٤ـ الحاكم النيسابورى فى (معرفة علوم الحديث ص ٨٤ ط دارالكتب بمصر)

٥ـ أبونعيم الاصبهانى فى (حلية الاولياء ج ٧ ص ١٩٧)

٦ـ الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٨٩ ط السعادة بمصر)

٧ـ البيهقى فى (السنن الكبرى ج ٨ ص ١٨٩ ط حيدرآباد)

وغيرهم تركناهم للاختصار .

١٠ـ روى الطبرانى فى (المعجم الصغير ص ١٠٦ ط الدهلى) باسناده عن عثمان بن عفان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : تقتل عماراً الفئة الباغية.

رواه سنداً ومتناً جماعة منهم :

أبونعيم الاصبهانى فى (حلية الاولياء ج ٤ ص ١٧٢ ط السعادة بمصر)

والذهبى فى (سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٠٠ ط دارالمعارف بمصر)

والهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٤٢ ط القدسى بالقاهرة)

١١ـ روى الترمذى فى (السنن) باسناده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أبشر عمار تقتلك الفئة الباغية .

رواه جماعة منهم :

إبن الاثير فى (اسد الغابة ج ٤ ص ٤٥ ط مصر)

والذهبى فى (تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٧٩ ط الاسلامية بمصر)

والهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٦ ط القدسى بمصر)

١٢ـ روى البخارى فى (الصحيح ج ١ ص ٩٣ ط الاميرية بمصر) باسناده عن عكرمة قال لى إبن عباس ولابنه على : انطلقا إلى أبى سعيد ، فاسمعا من حديثه ، فانطلقنا فاذا هو فى حائط يصلحه فاخذ ردائه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال : كنا نحمل لبنة لبنة ، و عمار لبنتين لبنتين فرآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فينفض التراب عنه ، ويقول : ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قال : يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

رواه بعينه جماعة منهم :

الحاكم النيشابورى فى (المستدرك ج ٢ ص ١٤٩ ط حيدرآباد)

والخطيب الخوارزمى فى (المناقب ص ١٢٠ ط تبريز) ثم قال بعدذكر الحديث : قال البيهقى : حديث صحيح على شرط البخارى .

وإبن كثيرالدمشقى فى (البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٠ ط مصر) .

١٣- روى ابن عبد ربه الاندلسى فى (العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠٣ ط الشرفية بمصر) باسناده عن عبدالله بن عمروبن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار : تقتلك الفئة الباغية .

رواه ابن سعد فى (الطبقات ج ٣ ص ٢٥٣ ط دارالصادر بمصر)

والنسائى فى (الخصائص ص ٤٢ ط التقدم بمصر)

والحاكم النيسابورى فى (المستدرك ج ٣ ص ٣٨٧)

والذهبى فى (تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٣٩ ط مصر)

وابن كثيرالدمشقى فى (البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٦٨ ط مصر)

١٤- روى الخطيب الخوارزمى فى (المناقب ص ٩٠ ط تبريز) عن زيد بن أبى أوفى فى حديث : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمار : ياعمار تقتلك الفئة الباغية وأنت مع الحق والحق معك .

رواه الذهبى فى (سيرأعلام النبلاء ج ١ ص ٩٦ ط دارالمعارف بمصر)

١٥- روى الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٥١ ط السعادة بمصر) باسناده عن أنس بن مالك قال : سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إبن سمية تقتله الفئة الباغية قاتله وسالبه فى النار .

رواه الهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٤٢ ط القدسى بالقاهرة)

١٦- روى إبن سعد فى (الطبقات الكبرى ج٣ ص ٢٤٨ ط دارالصادر بمصر) باسناده عن عمروبن ميمون قال : أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار قال :

فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمرّ به ويمرّ بيده على رأسه، فيقول: يانار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم تقتلك الفئة الباغية.

رواه الذهبى فى (تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٧٧ ط مصر) والهندى فى (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٢٤٥ ط الميمنية بمصر)

١٧ ـ روى إبن سعد فى (الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٤١ ط دار الصارف ببيروت) عن عبدالله بن أبى الهذيل فى حديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عمار ويها (ويحاً خ) ابن سمية تقتلك الفئة الباغية.

رواه الطيالسى فى (المسند ص ٩٠ ط حيدرآباد)

١٨ـ روى إبن الاثيرفى (اسد الغابة ج ٢ ص ٢١٧ ط مصر) عن زياد بن الغرد انه سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية.

رواه العسقلانى فى (الاصابة ج ١ ص ١٢٨ ط مصطفى محمد بمصر)

والهيثمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٦ ط القدسى بالقاهرة)

١٩ـ روى الطبرى فى (منتخب ذيل المذيل ص ١٥ ط الاستقامة بمصر) باسناده عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهولا يسل سيفاً وشهد صفين، و قال: أنالا اضلّ أبداً حتى يقتل عمارفانظر من يقتله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تقتله الفئة الباغية قال: فلما قتل عمار قال خزيمة قد بانت لى الضلالة ثم اقترب فقاتل حتى قتل.

رواه إبن عبد ربه الاندلسى فى (العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠٣ ط مصر)

وإبن سعد فى (الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٥٩ ط الصادر بمصر)

وإبن عساكرفى (التاريخ الكبير ج ٥ ص ١٣٤ ط الترقى بدمشق)

٢٠ـ روى أبوداود الطيالسى فى (المسند ص ٩٠ حيدرآباد) باسناده عن عمار: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية.

رواه الذهبى فى (سيرأعلام النبلاء ج ١ ص ٣٠٠ ط دارالمعارف بمصر)

باسناده عن عمار قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقتلك الفئة الباغية . ثم قال : وفي الباب عن عدة من الصحابة فهو متواتر .

٢١- روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ١٥٢ ط تبريز) عن عمار : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لي : ياعمار آخر زادك في الدنيا ضياح من لبن وتقتلك الفئة الباغية .

٢٢- روى الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٥ ط القدسي بمصر) باسناده عن عمار ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخبرني اني اقتل بين صفين . ثم قال : ورواه البزار باختصار واسناده حسن .

٢٣- روى التميمي في (الصفين ص ٣٦٧ ط القاهرة) عن حبيب بن أبي ثابت قال : لما بنى المسجد جعل عمار يحمل حجرين فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا اليقظان لاتشقق على نفسك قال : يا رسول الله : اني احب ان اعمل في هذا المسجد قال : مسح ظهره ثم قال : انك من أهل الجنة تقتلك الفئة الباغية .

٢٤- روى المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٢٤٦ ط الميمنية بمصر) عن جابر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين لما اخذوا في حفر الخندق جعل عمار بن ياسر يحمل التراب والحجارة من الخندق ويطرحه على شفيره وكان ناقها من مرض صائماً فادركه الغشي فأتاه أبو بكر فقال : اربع على نفسك ياعمار فقد قتلت نفسك ، و أنت ناقه من مرض فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول أبي بكر ، فقام فجعل يمسح التراب عن رأس عمار ومنكبه وهو يقول : يزعمون انك ميت ، و أنت قد قتلت نفسك كلا والله (و لا والله خ) ماأنت بميت حتى تقتلك الفئة الباغية .

٢٥- روى المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٢٤٨ ط الميمنية بمصر) عن سعيد بن جبير قال : كان عمار بن ياسر ينقل الحجارة إلى المسجد فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيل له : مات عمار وقع عليه حجر

فقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما مات عمار تقتله الفئة الباغية .

٢٦- وفيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أخذ في بناء المسجد جعل الناس ينقلون حجراً حجراً ، وعمار حجرين حجرين ، فمسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على ظهر عمار ، فقال : اللهم بارك في عمار ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية و آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن .

٢٧ - روى الحمويني في (فرائد السمطين) باسناده عن ابراهيم بن علقمة والاسود قال (قالا ظ) : أتينا أبا أيوب الانصاري : فقلنا له : يا أبا أيوب ان الله تعالى أكرم نبيه وصفاً لك من فضله من الله فضلك بها أخبرنا بمخرجك مع علي عليه السلام تقاتل أهل لا إله إلا الله ؟ فقال أبو أيوب : اقسم لكما بالله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معي في هذا البيت الذي انتما فيه معي و ما في البيت غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي جالس عن يمينه ، وأنا جالس عن يساره وأنس قائم بين يديه إذ حرك الباب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افتح لعمار الطيب المطيب ، ففتح انس الباب ودخل عمار فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرحب به ثم قال لعمار : انه سيكون بعدي في امتي هناة حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يبرأ بعضهم من بعض ، فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني يعني علي بن أبيطالب فان سلك كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي وخل عن الناس يا عمار .

ان علياً لا يردك عن هدى ولا يدخلك على ردى يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله عز وجل .

رواه القندوزي في (ينابيع المودة ص ١٢٨ ط اسلامبول)

والكشفي الترمذي الحنفي في (المناقب المرتضوية ص ٢٠٢ ط بمبئي)

والخطيب الخوارزمي في (المناقب)

عماربن ياسر وملاك الحق

عند معاوية وأذنا به عليهم الهاوية

فى شرح الحديد : (ج ٨ ص ١٦ ط دار احياء الكتب العربية) مالفظه « قال نصر : فحدّثنا عمربن سعد قال : فبينا على عليه السلام واقفاً بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفناء قحطان - أى أخلاطهم - إذ نادى رجل من أهل الشام : من دلّ على أبى نوح الحميرى ؟ فقيل له : قد وجدته ، فما ذاتريد ؟ قال: فحسر عن لثامه ، فاذا هوذوالكلاع الحميرى ومعه جماعة من أهله ورهطه ، فقال لابى نوح : سرمعى قال : إلى أين ؟ قال : الى أن نخرج عن الصف قال : وماشأنك قال : إن لى إليك لحاجة فقال أبو نوح : معاذالله أن أسير إليك إلا فى كتيبة ، قال ذوالكلاع : بلى فسر فلك ذمة الله وذمّة رسوله وذمة ذى الكلاع ، حتى ترجع إلى خيلك ، فانما اريد أن أسئلك عن أمر فيكم تمارينا فيه ، فسار أبو نوح وسار ذوالكلاع ، فقال له :

انما دعوتك احدّثك حديثاً حدّثناه عمرو بن العاص قديماً فى خلافة عمر بن الخطاب ثم أذكرناه الآن به فأعاده ، انه يزعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله قال: « يلتقى أهل الشام وأهل العراق وفى إحدى الكتيبتين الحق ، وامام الهدى ومعه عمار بن ياسر » فقال أبو نوح : نعم والله انه لفينا قال : نشدتك الله أجادّ هو على قتالنا ؟ قال أبو نوح : نعم ورب الكعبة لهو أشدّ على قتالكم منى ولو ددت انكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم ، و أنت ابن عمى قال ذوالكلاع : ويلك !

علام تمنّى ذلك منّا ! فوالله ماقطعتك فيما بيني وبينك قط ،وإنّ رحمك لقريبة وما يسرّني أن اقتلك قال أبونوح : ان الله قطع بالاسلام أرحاماً قريبة ، ووصل به أرحاماً متباعدة ، واني قاتلك وأصحابك لانا على الحق وأنتم على الباطل قال ذوالكلاع : فهل تستطيع أن تأتي معي صف ّأهل الشام فانالك جارمنهم حتى تلقى عمرو بن العاص ،فتخبره بحال عمار وجدّه في قتالنا لعله أن يكون صلح بين هذين الجندين ! ثم قال إبن أبي الحديد : « قلت : واعجباه من قوم يعتريهم الشك في أمرهم لمكان عمار ، ولايعتريهم الشك لمكان علي عليه السلام ! و يستدلّون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم ولا يعبؤن بمكان علي عليه السلام ! و يحذدون من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « تقتلك الفئة الباغية » ويرتاعون لذلك ولاير- تاعون لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام : « اللهم وال من وال وعاد من عاداه » ولالقوله: « لايحبك إلاّ مؤمن ولايبغضك إلامنافق » وهذايدلّك على أن علياً عليه السلام اجتهدت قريش كلها من مبدا الامر في إخمال ذكره و ستر فضائله وتغطية خصائصه حتى محى فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلاّ قليلاً منهم » .

قال نصر: فقال له أبونوح : انك رجل غادر وأنت في قوم غدر ، و إن لم ترد الغدرأغدروك . وإني أن أموت أحبّ إليّ من أن أدخل مع معاوية ، فقال ذو الكلاع : أنا جارلك من ذلك ألاّ تقتل ولاتسلب ولاتكره على بيعة ولاتحبس عن جندك ، وانما هي كلمة تبلّغها عمرو بن العاص لعل الله أن يصلح بذلك بين هذين الجندين ، و يضع عنهم الحرب ، فقال أبونوح : إني أخاف غدراتك و غدرات أصحابك قال ذوالكلاع :

أنا لك بما قلت زعيم قال أبونوح : اللهم انك ترى ما أعطاني ذوالكلاع وأنت تعلم مافي نفسي فاعصمني واخترلي وانصرني وادفع عني ثم سارمع ذي الكلاع حتى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس وعبدالله بن عمرو يحرّض الناس على الحرب ، فلما وقفا على القوم قال ذوالكلاع لعمرو : ياأباعبدالله هل

لك فى رجل ناصح لبيب مشفق يخبرك عن عمار بن ياسر فلا يكذّبك ؟ قال : من هو قال : هو إبن عمى هذا وهو من أهل الكوفة فقال عمرو : أرى عليك سيما أبى تراب فقال أبو نوح : علىّ سيما محمد وأصحابه ، وعليك سيما أبى جهل وسيما فرعون ! فقام أبو الاعور فسلّ سيفه وقال :

لا أرى هذا الكذاب اللئيم يسبّنا بين أظهرنا وعليه سيما أبى تراب ! فقال ذو الكلاع : اقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطّمن أنفك بالسيف ، ابن عمى و جارى عقدت له ذمتى وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه فقال له عمرو بن العاص : ياأبانوح اذكرك بالله إلاّ ما صدقتنا ولم تكذبنا أفيكم عمار بن ياسر ؟ قال أبو نوح : ماأنا بمخبرك حتى تخبرنى لم تسئل عنه و معنا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدة غيره و كلهم جادّ على قتالكم ؟ فقال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ان عماراً تقتله الباغية وانه ليس لعمار أن يفارق الحق ولن تأكل النار من عمار شيئاً »

فقال أبو نوح : لاإله إلاّ الله والله أكبر والله انه لفينا جادّ على قتالكم ! فقال عمرو : الله الذى لاإله إلاّ هو انه لجادّ على قتالنا ؟ قال : نعم والله الذى لاإله إلاّ هو ولقد حدّثنى يوم الجمل أنا سنظهر على أهل البصرة ولقد قال لى أمس : انكم لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وانكم على الباطل ، ولكانت قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار قال عمرو : فهل تستطيع أن تجمع بينى و بينه ؟ قال : نعم فركب عمرو بن العاص وابناه وعقبة بن أبى سفيان وذو الكلاع و أبو الاعور السلمى وحوشب والوليد بن عقبة وانطلقوا وسار أبو نوح ومعه شرحبيل بن ذى الكلاع يحميه حتى انتهى إلى أصحابه ، فذهب أبو نوح إلى عمار فوجده قاعداً مع أصحاب له منهم : الاشتر وهاشم وابنا بديل وخالد بن معمر وعبدالله بن حجل وعبدالله بن العباس فقال لهم أبو نوح :

انه دعانى ذو الكلاع وهو ذو رحم فقال : أخبرنى عن عمار ابن ياسر أفيكم هو؟

فقلت : لم تسئل ؟ فقال : أخبرني عمرو بن العاص في إمرة عمر بن الخطاب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يلتقى أهل الشام وأهل العراق و عمار مع أهل الحق وتقتله الفئة الباغية » فقلت : نعم ان عماراً فينا فسئلني ، أجادٌ هو على قتالنا ؟ فقلت : نعم والله انه لأجدّ مني ذلك ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته و بدأت بك ذا الكلاع ، فضحك عمار وقال : أيسرّك ذلك ؟ قال : نعم ثم قال أبو نوح : أخبرني الساعة عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « تقتل عماراً الفئة الباغية » قال عمار : أقررته بذلك ؟ قال : نعم لقد قرّرته بذلك فاقرّ فقال عمار : صدق وليضرّنه ما سمع ولا ينفعه قال أبو نوح :

فانه يريد أن يلقاك فقال عمار لاصحابه : اركبوا فركبوا و ساروا قال : فبعثنا إليهم فارساً من عبدالقيس يسمّى عوف بن بشر فذهب حتى إذا كان قريباً منهم نادى : أين عمرو بن العاص ؟ قالوا : ههنا فأخبره بمكان عمار و خيله قال عمرو : قل له : فليسرّ إلينا قال عوف : انه يخاف غدراتك وفجراتك قال عمرو : ما أجرأك عليّ وأنت على هذه الحال ؟ قال عوف : جرّأني عليك بصرني فيك و في أصحابك وان شئت نابذتك الآن على سواء وان شئت التقيت أنت و خصماؤك وأنت كنت غادراً ، فقال عمرو : انك لسفيه واني باعث إليك رجلاً من أصحابي يواقفك (يوافقك خ) قال : ابعث من شئت فلست بالمستوحش وانك لاتبعث إلاّ شقياً ، فرجع عمرو وأنفذ إليه أبا الاعور فلما تواقفا تعارفا فقال عوف :

اني لاعرف الجسد وأنكر القلب واني لاأراك مؤمناً ولاأراك إلاّ من أهل النار قال أبو الاعور : يا هذا لقد اعطيت لساناً يكبّك الله به على وجهك في النار قال عوف : كلاّ والله اني لأتكلّم بالحق و تتكلّم بالباطل ، واني أدعوك إلى الهدى و اقاتلك على الضلال (أهل الضلال خ) وافرّ من النار وأنت بنعمة الله ضال ، تنطق بالكذب وتقاتل على ضلالة وتشتري العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى انظر إلى وجوهنا ووجوهكم و سيمانا وسيماكم و اسمع دعوتنا ودعوتكم فليس أحد

منا إلاّ وهوأولى بالحق وبمحمد و أقرب إليه منكم فقال أبو الاعور : لقد أكثرت الكلام وذهب النهار ويحك ! ادع أصحابك وأدعو أصحابى وليأت أصحابك فى قلة إن شاؤا أو كثرة فانى أجبىء من أصحابى بعدتهم ، فان شاء أصحابك فليقلّوا و إن شاؤا فليكثروا فسار عمار فى إثنى عشر فارساً ، حتى إذا كانوا بالمنصف سار عمرو بن العاص فى إثنى عشر فارساً حتى اختلفت أعناق الخيل ، خيل عمار وخيل عمرو ونزل القوم واحتبوا بحمائل سيوفهم ، فتشهد عمرو بن العاص فقال له عمار:

اسكت فلقد تركتها وأنا أحق بها منك ، فان شئت كانت خصومة فيدفع حقّنا باطلك و ان شئت كانت خطبة ، فنحن أعلم بفصل الخطاب منك ، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصيل بيننا وبينك ، وتكفّرك قبل القيام ، وتشهد بها على نفسك ولا تستطيع أن تكذّبنى فيها فقال عمرو : يا أبا اليقظان ليس لهذا جئت انما جئت لانى رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم ، أذكرك الله إلاّ كففت سلاحهم وحقنت دماءهم ، وحرصت على ذلك فعلام تقاتلوننا ؟ أو لسنا نعبد إلهاً واحداً ، ونصلّى إلى قبلتكم وندعو دعوتكم ونقرأ كتابكم ونومن بنبيكم ! فقال عمار : الحمد لله الذى أخرجها من فيك ، وانها لى ولاصحابى القبلة والدين و عبادة الرحمن والنبى والكتاب من دونك ودون أصحابك .

الحمد لله الذى قرّرك لنا بذلك وجعلك ضالاً مضلاً أعمى ، وسأخبرك على ما اقاتلك عليه وأصحابك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنى أن اقاتل الناكثين ، فقد فعلت وأمرنى أن اقاتل القاسطين وأنتم هم، وأما المارقون فلاأدرى أدركهم أو لا أيها الابتر ألست تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فأنا مولى الله ورسوله و علىّ مولاى بعدهما ، قال عمرو : لم تشتمنى يا أبا اليقظان ولست أشتمك ! قال عمار: وبم تشتمنى ؟ أتستطيع أن تقول : انى عصيت الله ورسوله يوماً قطّ ! قال عمرو : ان فيك لمسابّ سوى ذلك قال عمار : ان الكريم من أكرمه الله ! كنت وضيعاً فرفعنى الله و مملوكاً

فاعتقني الله وضعيفاً فقوّاني الله وفقيراً فأغناني الله ! قال عمرو : فماترى في قتل عثمان ؟ قال : فتح لكم باب كل سوء قال عمرو : فعليّ قتله؟ قال عمار: بل الله رب عليّ قتله ، وعليّ معه قال عمرو: فكنت (أكنت خ) فيمن قتله ؟ قال : كنت مع من قتله وأنا اليوم أقاتل معهم قال عمرو : فلم قتلتموه ؟ قال عمار: انه أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه فقال عمرو : ألاتسمعون ؟قد اعترف بقتل إمامكم ! فقال عمار قدقالها فرعون قبلك لقومه : « ألاتستمعون » فقام أهل الشام ولهم زجل فركبوا خيولهم ورجعوا، وقام عمار وأصحابه فركبوا خيولهم ورجعوا وبلغ معاوية ما كان بينهم ، فقال : هلكت العرب إن حرّكتهم ـ خفة العبد الأسود ـ يعني عماراً .



«رأى العامة فى قتال الامام على عليه السلام مع الباغين»

ولقد كان هناك خطّان متمايزان :

خط مستقيم بالوحى ورسول الوحى ونازله ، و هو طريق الحق والصواب سبيل الهدى والرشاد ، وصراط السعادة والجنة . . . يتطرق فيه الامام على بن أبيطالب عليه السلام وشيعته كسلمان الفارسى وأبى ذرالغفارى ، وعماربن ياسر ومقداد . . . وقد أمرالله تعالى باتباع هذا الطريق فى قوله : « وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه » الانعام : ١٥٣)

وخط معوج يتشعب منه خطوط كثيرة لاتنتهى إلى الوحى والحق ، من خط الشرك والكفر والنفاق ، يتطرق فيه أبوجهل وأمثاله ، وأبوسفيان وأضرابه ، ومعاوية وأذنابه عليهم نار الهاوية . وقد نهى الله تعالى عن إتباع تلك الخطوط فى قوله تعالى : « ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله » الانعام : ١٥٣)

ومن غير مراء انه لم يكن فى الخطين المتمايزين إبهام حتى يقابل أحدهما على الاخر باجتهاد على ماتوهمه من ليس أقل كفراً و نفاقاً من معاوية وأذنابه : بان كان قتال معاوية مع على عليه السلام باجتهاده ، فلو أخطأ فيه لكان له أجر واحد .

فاذا كان كذلك فقد كان لكل أهل الباطل الذى يجتهد فى إطفاء نور الحق أجر واحد من غير طعن عليه .

فجدير لنا أن نشير فى المقام إلى رأى بعض أعلام العامة وماورد عنهم وما جراه الله تعالى على ألسنتهم .

١ ـ قال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التيمي البغدادى في (اصول الدين ص ٢٨٤ ط الآستانة بمطبعة الدولة) ما لفظه: «و ما قاتل عليّ أصحاب الجمل وأهل صفين ليسلموا وانما قاتلهم لبغيهم عليه لذلك قال لاصحابه لاتبدؤهم بقتال حتى يبدوكم و نهى عن إتباع من أدبر منهم، و عن أن يذفّف على جريح منهم».

٢ ـ قال القاضى أبويوسف فى (الخراج ص ٢١٤ ط السلفية بمصر): «ان الصحيح عندنا من الاخبار عن على بن ابيطالب رضى الله عنه انه لم يقاتل قوماً قطّ من أهل القبلة ممن خالفه حتى يدعوهم، وانه لم يتعرّض بعد قتالهم وظهوره عليهم بشيء من مواريثهم ولا لنساءهم ولا لذراريهم، و لم يقتل منهم أسيراً ولم يذفف منهم على جريح و لم يتبع منهم مدبراً».

و قال: حدّثنا بعض المشيخة عن جعفربن محمد عن أبيه: ان علياً رضى الله عنه أمر مناديه، فنادى يوم البصرة لا يتّبع مدبر و لا يذفف على جريح، و لا يقتل أسير و من أغلق به فهو آمن و من ألقى سلاحه فهو آمن، قال: و لم يأخذ من متاعهم شيئاً.

٣ ـ قال إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ١ ص ٧ ط القاهـرة): «و حاربه ـ علياً عليه السلام ـ أهل البصرة و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسيف و سبّوه و لعنوه فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم و نادى مناديه فى أقطار العسكر: الا يتبع مولٍّ و لا يجهّز على جريح و لا يقتل مستأثر، و من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيّز إلى عسكر الامام فهو آمن، ولم يأخذ أثقالهم ولاسبى ذراريهم، و لا غنم شيئاً من أموالهم، و لو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل و لكنه أبى الا الصفح والعفو و تقبّل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة، فانه عفى والاحقاد لم تبرد والاسائة لم تنس».

٤ ـ قال إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ٢ ص ٥٧٨ ط القاهـرة):

« كان على عليه السلام لا يستعمل فى حربه إلا ما وافق الكتاب والسنة ، و كان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة كما يستعمل الكتاب والسنة ، و يستعمل جميع المكايد حلالها و حرامها ، و يسير فى الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى و خاقان إذا لاقى و تبيل و على عليه السلام يقول : لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم و لا تتبعوا مدبراً و لا تجهزوا على جريح و لا تفتحوا باباً مغلقاً » .

٥ ـ قال المسعودى فى (مروج الذهب ج ٢ ص ٤٧ ط مصر) : « حيث قال عمرو بن العاص فى جواب معاوية : فانى أعلم ان على بن ابيطالب على الحق و أنا على ضده فقال معاوية : مصر والله أعمتك ، و لولا مصر لالفيتك بصيراً ثم ضحك معاوية ضحكاً ذهب به كل مذهب قال: مم تضحك ياأمير المؤمنين أضحك الله سنك؟ قال: اضحك من حضور ذهنك يوم بارزت علياً عليه السلام و ابداءك سوءتك، أما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا و رأيت الموت عياناً ، ولو شاء لقتلك ولكن أبى ابن أبيطالب فى قتلك الا تكرماً ، فقال عمرو : أما والله ! انى لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فأحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما اكره ذكره لك من نفسك فاضحك أو دع .

٦ ـ روى الكشفى الترمذى الحنفى فى (المناقب المرتضوية ص ١٨٤ ط بمبىء) ما لفظه : روى عن الواقدى قال : دخلت يوماً على هارون الرشيد، وعنده الشافعى و محمد بن أبى يوسف و محمد بن اسحق فقال للشافعى : كم تحفظ من فضائل على عليه السلام ؟ فقال : خمسماة حديث ، و قال لمحمد بن أبى يوسف : كم تحفظ من فضائل على عليه السلام ؟ قال : ألف حديث ، بل أزيد و قال لابى اسحق : كم تحفظ من فضائل على عليه السلام ؟ قال:أحاديث متواترة لولامخافة الخليفة لذكرتها، فقال هارون : اذكرها ، ولاتخف ، فقال : خمسة عشر ألف حديث مسند ، وخمسة عشر ألف حديث مرسل ، فقال هارون : اخبركم بفضيلة فيه رأيتها بعينى .

ثم قال: كتب إلى عامل دمشق يخبرنى عن خطيب كان يشتم علياً ، فطلبته

وسئلته عن ذلك فقال : انى اشتمه لقتله آبائنا ، فقلت له كل من قتله عليه السلام كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : إذا أبغضه أيضاً ، فامرت أن يضربوه مأة سوط ثم حبسته فى بيت مقفّل ، و كنت افكّر فى كيفيّة قتله ، فنمت فرأيت فى المنام ان أبواب السماء انفتحت ، و نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وبيده كأس من الماء ، فنادى من كان من شيعة على عليه السلام فليقم، فقام أربعون منهم فأسقاهم منه ثم أمر باحضار الخطيب الدمشقى فلما جىء به نظر إليه على عليه السلام فقال :

اللهم امسخه فتحوّل وجهه بصورة الكلب فانتبهت من النوم، فامرت باحضاره ففتحوا باب البيت الذى فيه الخطيب، فلم نجد فيها إلا كلباً يشبه أُذُنه أذن الانسان، فقلت له : كيف رأيت عقوبة ربك فاطرق رأسه وسالت الدموع من عينيه قال الواقدى: فامر الخليفة باحضار الكلب، فأرانا إياه فقال الشافعى تنحوا عنه لا نأمن من نزول العذاب ، فلما ردّوه إلى البيت نزلت صاعقة فاحرقته » .

٧- فى (شرح النهج ج٦ ص١٢٩ ط دار الاحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩هـ) ما لفظه : « واعلم أن النظام لما تكلم فى كتاب «النكت» وانتصر لكون الاجماع ليس بحجة اضطر إلى ذكر عيوب الصحابة ، فذكر لكل منهم عيباً، و وجّه إلى كل واحد منهم طعناً، وقال فى على عليه السلام : انه لما حارب الخوارج يوم النهروان كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ينظر إليها ، ثم يطرق إلى الارض ، فينظر إليها تارة اخرى يوهم أصحابه انه يوحى إليه ثم يقول : « ما كذبت ولا كذّبت » فلما فرغ من قتالهم و اديل عليهم و وضعت الحرب أوزارها قال الحسن ابنه : ياأمير المؤمنين أكان رسول الله صلى الله عليه وآله تقدّم إليك فى أمر هؤلاء بشىء ؟ فقال: لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنى بكل حق ، و من الحق أن اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين .

قال النظام : و قوله : « ما كذبت و لا كذّبت » و رفعه رأسه أحياناً إلى السماء و إطراقه إلى الارض ايهام ، إما لنزول الوحى عليه ، أو لانه قد اوصى من

قبل فى شأن الخوارج بأمر ، ثم يقول : ما اوصى فيهم على خصوصيتهم بأمر ، و انما اوصى بكل الحق و قتالهم من الحق .

ثم قال إبن أبى الحديد : و هذا عجيب طريف . ثم قال :

فنقول : ان النظام أخطأ عندنا فى تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحاً ، وقال قولاً منكراً ، نستغفرالله له من عقابه و نسئله عفوه عنه ، و ليست الرواية التى رواها عن الحسن و سؤاله لابيه و جوابه له ، بصحيحة و لا معروفة ، والمشهور المعروف المنقول نقلاً يكاد يبلغ درجة المتواتر من الاخبار : ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى معنى الخوارج بأعيانهم وذكرهم بصفاتهم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام: «انك مقاتلهم وقاتلهم، وان المخدج - وهو ناقص اليد - ذا الثدية منهم وانك ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين و المارقين » .

فجعلهم أصناماً ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه ، و هذا من معجزات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و إخباره عن الغيوب المفصّلة ، فما أعلم من أىّ كتاب نقل النظام هذه الرواية ، و لا عن أىّ محدث رواها ، و لقد كان رحمه الله تعالى بعيداً عن معرفة الاخبار والسير منصباً فكره مجهداً نفسه فى الامور النظرية الدقيقة كمسئلة الجزء ومداخلة الاجسام وغيرهما ، ولم يكن الحديث والسير من فنونه ولامن علومه ، ولاريب انه سمعها ممن لايوثق بقوله فنقلها كما سمعها .

فاما كونه عليه السلام كان ينظر تارة إلى السماء و تارة إلى الارض ، و قوله : « ما كذبت و لا كذّبت » فصحيح و موثوق بنقله لاستقامته و شهرته و كثرة رواته ، والوجه فى ذلك انه استبطأ وجود المخدج حيث طلبه فى جملة القتلى ، فلما طال الزمان ، وأشفق من دخول شبهة على أصحابه لما كان قدّمه إليهم من الاخبار قلق و اهتمّ ، وجعل يكرر قوله : « ما كذبت ولا كذبت » أى ما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لا كذّبنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخبرنى به .

فاما رفعه رأسه إلى السماء تارة ، و إطراقه إلى الارض اخرى ، فانه حيث

كان يرفع رأسه كان يدعو و يتضرّع إلى الله فى تعجيل الظفر بالمخدج وحيث يطرق كان يغلبه الهم والفكر فيطرق، ثم حين يقول: «ما كذبت ولا كذّبت» كيف ينتظر نزول الوحى، فان من نزل عليه الوحى لا يحتاج أن يسند الخبر إلى غيره و يقول: ما كذبت فيما أخبرتكم به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و فى شرح الحديد: عن أبى‌جعفر و زيد بن الحسن قالا: طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوّى صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: على أنّ لى حكمى إن قتل الله ابن أبى‌طالب، و استوثقت لك البلاد! فقال: أليس حكمك فى مصر! قال: و هل مصر تكون عوضاً عن الجنة، و قتل ابن أبى‌طالب ثمناً لعذاب النار الذى «لايفتّر عنهم وهم فيه مبلسون» فقال معاوية: ان لك حكمك أباعبدالله إن قتل ابن أبى‌طالب رويداً لا يسمع أهل الشام كلامك، فقام عمرو فقال: معاشر أهل الشام سوّوا صفوفكم قصّ الشارب و أعيرونا جماجمكم ساعة، فقد بلغ الحق مقطعه، فلم يبق إلاّ ظالم أو مظلوم.

وفيه: عن جندب بن عبدالله قال: قام عمار يوم صفين فقال: انهضوا معى عبادالله إلى قوم يزعمون انهم يطلبون بدم ظالم، انما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالاحسان، فقال هؤلاء الذين لايبالون إذا سلمت لهم دنياهم، و لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لاحداثه، فقالوا: انه لم يحدث شيئاً، و ذلك لانه مكّنهم من الدنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يبالون لو انهدمت الجبال والله ماأظنّهم يطلبون بدم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلّوها واستمروها و علموا أن صاحب الحق لو وليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون و يرعون منها.

ان القوم لم يكن لهم سابقة فى الاسلام يستحقون بها الطاعة والولاية فخدعوا اتباعهم بأن قالوا: قتل امامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة و ملوكاً تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون و لولاها ما بايعهم من الناس رجل اللهم إن تنصرنا فطالماً نصرت وإن تجعل لهم الامر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب

الاليم .

ثم مضى و مضى معه أصحابه فدنا من عمرو بن العاص فقال : يا عمرو بعت دينك بمصر فتباً لك و طالماً بغيت للاسلام عوجاً - إلى أن قال - نادى عمار عبدالله بن عمرو ابن العاص فقال له : بعت دينك بالدنيا من عدوالله و عدوالاسلام معاوية و طلبت هوى أبيك الفاسق ، فقال : لا ولكنى اطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم قال : كلاّ أشهد على علمى فيك انك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله و إنك إن لم تقتل اليوم فستموت غداً فانظر إذا أعطى الله العباد على نياتهم ما نيتك ؟

وفيه : عن الاصبغ بن نباته قال : جاء رجل إلى على عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد فماذا نسمّيهم؟ قال: سمّهم بما سمّاهم الله فى كتابه قال: ما كل مافى الكتاب أعلمه قال : أما سمعت الله تعالى : يقول : « تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض - إلى قوله - ولوشاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات و لكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من كفر » فلما وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله و بالكتاب و بالنبى و بالحق فنحن الذين آمنوا و هم الذين كفروا و شاء الله قتالهم فقاتلهم بمشيئته و إرادته .

وفيه : عن زيد بن وهب الجهنى : ان عمار بن ياسر نادى فى صفين يوماً قبل مقتله بيوم أو يومين : أين من يبغى رضوان الله عزوجل ولا يؤوب إلى مال و لا ولد ؟ فأتته عصابة من الناس ، فقال : أيها الناس اقصدوا بنا قصد هؤلاء القوم الذين يتبعون دم عثمان ويزعمون انه قتل مظلوماً والله إن كان إلاّ ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله .

و فى شرح الحديد : ما لفظه : و أما عسكر الشام بصفين فانهم هالكون كلهم عند أصحابنا لا يحكم لاحد منهم إلاّ بالنار لاصرارهم على البغى و موتهم

عليه رؤساؤهم والاتباع جميعاً .

اقول : و نختم البحث بالروايتين الواردتين عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

فى امالى الصدوق : رضوان الله تعالى عليه عن حبة العرنى قال : أبصر عبدالله بن عمر رجلين يختصمان فى رأس عمار (رض) يقول هذا : أنا قتلته، ويقول هذا : أنا قتلته فقال ابن عمر : يختصمان أيهما يدخل النار أو لائم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قاتله و سالبه فى النار فبلغ ذلك معاوية لعنه الله فقال: ما نحن قتلناه و انما قتله من جاء به .

ثم قال الشيخ قدس سره : يلزم على هذا أن يكون النبى ﷺ قاتل حمزة (ره) و قاتل الشهداء معه لانه عليه السلام هو الذى جاء بهم .

وفيه : عن بلال بن يحيى العبسى قال : لما قتل عمار (رض) أتـوا حذيفة فقالوا : يا أباعبدالله قتل هذا الرجل و قد اختلف الناس فما تقول ؟ قال : أما إذا أتيتم فاجلسونى قال: فاسندوه إلى صدر رجل منهم، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول أبواليقظان على الفطرة ثلاث مرات لن يدعها حتى يموت .

معاوية كهف المنافقين

وعمرو بن العاص رأس الخادعين

فى شرح ابن الحديد : عن الاعمش قال : كتب معاوية إلى أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وكان سيداً معظماً من سادات الانصار وكان شيعة على عليه السلام - كتاباً و كتب إلى زياد بن سمية - و كان عاملاً لعلى عليه السلام على بعض فارس - كتاباً ثانياً ، فأما كتابه إلى أبى أيوب فكان سطراً واحداً : « حاجيتك ! لاتنسى الشيباء أباعذرها ولاقاتل بكرها » فلم يدر أبوأيوب ما هو؟ قال : فأتى به علياً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ان معاوية كهف المنافقين كتب إلىّ بكتاب لاأدرى ما هو وقال على عليه السلام : فأين الكتاب ؟ فدفعه إليه ، فقرأه وقال : نعم هذا مثل ضربه لك يقول : لاتنسى الشيباء أباعذرها، والشيباء : المرأة البكر ليلة إفتضاضها ، لاتنسى بعلها الذى افترعها أبداً ولاتنسى قاتل بكرها ، وهو أول ولدها ، كذلك لاأنسى أنا قتل عثمان .

وأما الكتاب الذى كتبه إلى زياد فانه كان وعيداً وتهدّداً فقال زياد :ويلى على معاوية كهف المنافقين وبقيّة الاحزاب ! يتهدّدنى و يتوعّدنى ، و بينى و بينه ابن عم محمد معه سبعون ألفاً سيوفهم على عواتقهم يطيعونه فى جميع ما يأمرهم به لايلتفت رجل منهم وراءه حتى يموت ! أما والله لوظفر ثم خلص إلى ليجدنّنى أحمر ضرّاباً بالسيف .

قال نصر : أحمر أى مولى . فلما ادّعاه معاوية عاد عربياً منافياً .

فلما قرىء الكتاب على عليه السلام قال، لشدّ ما شحذ كم معاوية ! يا معشر الانصار أجيبوا الرجل، فقال أبوأيوب : ياأمير المؤمنين انى ماأشاء أن أقول شيئاً من الشعر يعيابه الرجال إلاّ قلته، فقال : فأنت إذاً أنت.

فكتب أبوأيوب إلى معاوية: أما بعد فانك كتبت : «لاتنسى الشيباء أباعذر ها ولاقاتل بكرها» فضربتها مثلاً بقتل عثمان، وما نحن وقتل عثمان ! ان الذى تربص بعثمان وثبط يزيد بن أسد وأهل الشام عن نصرته لأنت و ان الذين قتلوه لغير الانصار.

فلما أتى معاوية كتاب أبى أيوب كسره.

وفيه : عن زيد بن وهب ان علياً عليه السلام مرّ على جماعة من أهل الشام بصفين منهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه ويقصبونه - يسبّونه - فاخبر بذلك، فوقف على ناس من أصحابه وقال: انهدوا إليهم، وعليكم السكينة والوقار وسيما الصالحين أقرب بقوم من الجهل، قائدهم ومؤدّبهم معاوية وابن النابغة وأبوالاعور السلمى وابن أبى معيط شارب الحرام والمحدود - المجلود - فى الاسلام ! وهم اولاء يقصبوننى ويشتموننى، وقبل اليوم ما قاتلونى وشتمونى، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الاسلام، وهم يدعوننى إلى عبادة الاصنام، فالحمد لله ولا إله إلاّ الله لقديماً ما عادانى الفاسقون، إن هذا لهو الخطب الجلل ان فساقاً كانوا عندنا غير مرضيين وعلى الاسلام وأهله متخوّفين، أصبحوا وقد خدعوا شطر هذه الامة، و أشربوا قلوبهم حبّ الفتنة واستمالوا أهواءهم بالافك والبهتان ونصبوا لنا الحرب، وجدّوا فى إطفاء نورالله، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون. اللهم فانهم قدردّوا الحق فافضض جمعهم وشتّت كلمتهم، وأبلسهم بخطاياهم، فانه لا يذلّ من واليت ولا يعزّ من عاديت.

وفيه : قال نصر : فقال معاوية لمايئس من جهة الاشعث لعمرو بن العاص : ان رأس الناس بعد علىّ هو عبدالله بن العباس، فلو كتبت إليه كتاباً لعلك ترقّقه

ولعلّه لوقال شيئاً لم يخرج عليّ منه ، وقد أكلتنا الحرب ، ولاأرانا نصل إلى العراق إلاّ بهلاك أهل الشام ، فقال عمرو: إن ابن عباس لايخدع ولو طمعت فيه لطمعت في عليّ ، قال معاوية : على ذلك فاكتب ، فكتب عمرو إليه : أمابعد فان الذي نحن فيه ، وأنتم ليس بأول أمر قاده البلاء وأنت رأس هذا الجمع بعد عليّ ، فانظر فيما بقي ودع ما مضى ، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا و لا لكم حياة ولا صبراً .

فاعلم أن الشام لاتهلك إلاّ بهلاك العراق ، وان العراق لا تهلك إلاّ بهلاك الشام فما خيرنا بعد هلاك أعدادنا منكم ، وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا ! ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ،ولكنا نقول : ليتها لم تكن وان فينا من يكره اللقاء كما ان فيكم من يكرهه، وانما هوأمير مطاع ومأمور مطيع أومؤتمن مشاور وهوأنت فأما الاشتر الغليظ الطبع القاسي القلب، فليس بأهل أن يدعى في الشورى ولافي خواص أهل النجوى .

وكتب في أسفل الكتاب :

طال البلاء وما يرجى له آسي ... بعد الاله سوى رفق ابن عباس

قولاً له قول من يرجو مودّته ... لاتنس حظك إن الخاسر الناسي

انظر فدى لك نفسي قبل قاصمة ... للظهر ليس لها راق و لا آسي

ان العراق وأهل الشام لن يجدوا ... طعم الحياة مع المستغلق القاسي

يابن الذي زمزم سقيا الحجيج له ... أعظم بذلك من فخر على الناس

إني أرى الخير في سلم الشآم لكم ... والله يعلم ما بالسلم من باس

فيها التقى و امور ليس يجهلها ... إلاّ الجهول وما نوكى كأكياس

فلما وصل الكتاب إلى إبن عباس عرضه على أمير المؤمنين عليه السلام فضحك وقال : قاتل الله ابن العاص ! ما أغراه بك يا عبدالله أجبه وليردّ عليه شعره الفضل إبن العباس فانه شاعر، فكتب إبن عباس إلى عمرو :

أما بعد فانى لاأعلم أحداً من العرب أقلّ حياء منك ، انه مال بك معـاوية إلى الهوى فبعته دينك بالثمن اليسير ثم خبطت الناس فى عشوة طمعاً فى الدنيا ، فأعظمتها إعظام أهل الدنيا ثم تزعم انك تتنزّه عنها تنزّه أهل الورع ، فان كنت صادقاً فارجع إلى بيتك، ودع الطمع فى مصر والركون إلى الدنيا الفانية، وأعلم أن هذه الحرب ما معاوية فيها كعلى عليه السلام بدأها على عليه السلام بالحق وانتهى فيها إلى العذر ، وبدأها معاوية بالبغى وانتهى فيها إلى السرف ، و ليس أهل العراق فيها كأهل الشام بايع أهل العراق علياً وهو خير منهم ، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ،ولست أنا وأنت فيهاسواء أردت الله وأردت مصر ، وقد عرفت الشىء الذى باعدك منى و لا أعرف الشىء الذى قرّبك من معاوية ، فان ترد شراً لا نسبقك به ، وإن ترد خيراً لاتسبقنا إليه والسلام .

ثم دعا أخاه الفضل فقال : يابن ام أجب عمراً فقال الفضل :

يا عمرو حسبك من مكر و وسواس ... فاذهب فليس لداء الجهل من آسى
الاّ تواتر طعن فى نحـوركـم ... يشجى النفوس ويشفى نخوة الراس
أمّا علىّ فان الله فضّله ... بفضل ذى شرف عال على الناس
إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيّسة ... أو تبعثوها فانا غيـر أنكاس
قد كان منا ومنكم فى عجاجتها ... مالا يردّ و كـل عـرضة البأس
قتلى العراق بقتلى الشام داهبة ... هذا بهذا و ما بالحق مـن بأس
لا بارك الله فى مصر لقد جلبت ... شراً و حظك منها حسوة الكاس
يا عمرو انك عار من مغارمها ... والراقصات و من يوم الجزاكاس

ثم عرض الشعر والكتاب على على عليه السلام فقال : لاأراه يجيبك بعدها أبداً بشىء إن كان يعقل وإن عاد عدت عليه ، فلما انتهى الكتاب إلى عمرو بن العاص عرضه على معاوية ، فقال : إن قلب إبن عباس وقلب علىّ قلب واحد ، و كلاهما ولد عبدالمطلب ، وإن كان قد خشن فلقدلان ، وان كان قد تعظّم أو عظّم صاحبه

فلقد قارب وجنح إلى السلم.

قال نصر: وقال معاوية لأكتبنّ إلى إبن عباس كتاباً استعرض فيه عقله، و انظرما فى نفسه، فكتب إليه:

أما بعد فانكم معشر بنى هاشم لستم إلى أحد أسرع بالمساءة منكم إلى أنصار ابن عفان حتى انكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمه و استعظامهما مانيل منه، فان كان ذلك منافسة لبنى امية فى السلطان، فقد وليها عدىّ وتيم فلم تنافسو هم وأظهرتم لهم الطاعة، وقد وقع من الامر ماترى، وأكلت هذه الحروب بعضها بعضاً حتى استوينا فيهافما يطمعكم فينا يطمعنا فيكم، وما يؤيسنا منكم يؤيسكم منا ولقد رجونا غيرما كان، وخشينا دون ما وقع، ولست ملاقينا اليوم بأحدّ من حدّ أمس، ولاغداً بأحدّ من حدّ اليوم و قد قنعنا بما فى أيدينا من ملك الشام، فاقنعوا بما فى أيديكم من ملك العراق، وأبقوا على قريش، فانما بقى من رجالها ستة:

رجلان بالشام، ورجلان بالعراق، ورجلان بالحجاز، فأما اللذان بالشام فأنا وعمرو وأما اللذان بالعراق فأنت وعلىّ وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر فاثنان من الستة ناصبان لك واثنان واقفان فيك وأنت رأس هذا الجمع ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا إليك أسرع منّا إلى علىّ.

فلما وصل الكتاب إلى إبن عباس أسخطه وقال: حتى متى يخطب ابن هند إلىّ عقلى! وحتى متى أجمجم على مافى نفسى! و كتب إليه:

أما بعد فقد أتانى كتابك وقرأته، فاما ماذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة إلى أنصار ابن عفان، و كراهتنا لسلطان بنى امية فلعمرى لقد أدركت فى عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره، حتى صرت إلى ماصرت إليه، وبينى وبينك فى ذلك ابن عمك واخو عثمان، وهو الوليد بن عقبة، وأما طلحة والزبير فانهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه ثم خرجا ينقضان البيعة و يطلبان الملك فقاتلناهما

على النكث ، كما قاتلناك على البغى ، وأما قولك : انه لم يبق من قريش غير ستة ، فماأكثر رجالها وأحسن بقيتها ، وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا إلا خذلك ، وأما إغراؤك ايانا بعدي وتيم فان أبابكر وعمر خير من عثمان كما ان عثمان خير منك ، وقد بقى لك منا ما ينسيك ماقبله ، وتخاف مابعده ، وأماقولك لوبايع الناس لى لاستقاموا فقد بايع الناس علياً عليه السلام وهو خير منى فلم يستقيموا له ، وماأنت الخلافة يا معاوية ، وانما انت طليق وابن طليق ! والخلافة للمهاجرين الاولين ، وليس للطلقاء منها فى شيء ! والسلام .

فلما وصل الكتاب إلى معاوية قال : هذا عملى بنفسى لا اكتب والله إليه كتاباً سنة كاملة .

وفيه : عن أبى جحيفة قال : جمع معاوية كل قرشي بالشام وقال لهم: العجب يا معشر قريش ! انه ليس لاحد منكم فى هذه الحرب فعال يطول بها لسانه غداً ماعدا عمراً فما بالكم ! أين حمية قريش ؟ فغضب الوليد بن عقبة وقال : أى فعال تريد ؟ والله مانعرف فى أكفائنا من قريش العراق من يغنى غناءنا باللسان ولا باليد ، فقال معاوية ، بلى ان اولئك وقوا علياً بأنفسهم قال الوليد : كلا بل وقاهم علي بنفسه قال : ويحكم ! أما فيكم من يقوم لقرنه منهم مبارزة و مفاخرة ! فقال مروان : أما البراز فان عليا لايأذن لحسن ولا لحسين ولا لمحمد بنيه فيه ، و لا لابن عباس وإخوته ويصلى بالحرب دونهم ، فلا يهم نبارز ! وأما المفاخرة فبماذا نفاخرهم ! بالاسلام أم بالجاهلية ! فان كان باسلام ، فالفخر لهم بالنبوة ، وإن كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن ، فان قلنا قريش ، قالوا لنا عبد المطلب .

﴿ كفر معاوية وجناياته فى الاسلام ﴾

فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام - فى معاوية و أذنابه - لاصحابه عند الحرب :

« والذى فلق الحبة و بـرأ النسمة ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر ، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه » .

فى شرح الحديد : قال : « أقسم - على عليه السلام - أن معاوية و عمراً و من والاهما من قريش ما أسلموا و لكن استسلموا خوفاً من السيف و نافقوا ، فلما قدروا على إظهار مافى أنفسهم أظهروه ، وهذا يدل على أنه عليه السلام جعل محاربتهم له كفراً .

ثم قال : و قد تقدّم فى شرح حال معاوية و ما يذكره كثير من أصحابنا من فساد عقيدته ما فيه كفاية » .

و فى نهج البلاغة : - فيما كتب الامام على عليه السلام إلى معاوية - : « فنفسك نفسك ! فقد بيّن الله لك سبيلك ، وحيث تناهت بك امورك ، فقد أجريت إلى غاية خسر ، و محلّة كفر ، فان نفسك قد أولجتك شراً ، و أقحمتك غيّاً ، و أوردتك المهالك ، أو عرت عليك المسالك » .

و فى الشرح : عن الحسن البصرى انه قال : أربع خصال كنّ فى معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة : ابتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه

بعده ابنه يزيد سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، و إدعاؤه زياداً ، و قد قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش و للعاهر الحجر » ، و قتله حجر بن عدي و أصحابه فياويله من حجر و أصحاب حجر !

وفي تاريخ الطبري (ج ٥ ص ٢٨٨) : « انه لما قرب يوم صفين خاف معاوية على نفسه أن يأتيه علي بأهل العراق ، و قيس بأهل مصر ، فيقع بينهما ففكر في استدراج قيس و إختداعه فكتب إليه :

« أما بعد : فانكم إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو في شتمه رجلاً أو تسييره أحداً أو في إستعماله الفتيان من أهله فقد علمتم أن دمه لم يحل لكم بذلك ، فقد ركبتم عظيما من الامر و جئتم شيئاً إداً فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً ، فأما صاحبك فانا استيقنا انه الذي أغرى الناس وحملهم حتى قتلوه ، و انه لم يسلم من دمه عظيم قومك ، فان استطعت أن تكون ممن يطلب بدم عثمان؟ فبايعنا على علي في أمرنا ، ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت ، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان ، وسلني غير هذا ما تحب » .

فكتب إليه قيس :

« أما بعد : فقد وصل إلي كتابك و فهمت الذي ذكرت من أمر عثمان وذلك أمر لم اقاربه ، و ذكرت ان صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان و دسهم إليه حتى قتلوه وهذا أمر لم اطلع عليه ، و ذكرت لي أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري إن أولى الناس كان في أمره عشيرتي ، و أما ما سئلتني من مبايعتك على الطلب بدم عثمان و ما عرضته علي فقد فهمته ، و هذا أمر لي فيه نظر و فكر ، و ليس هذا مما يعجل إلى مثله ، و أنا كاف عنك ، و ليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى و نرى » .

فكتب إليه معاوية :

« أما بعد : فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فاعدّك سلماً ، ولم ارك تتباعد فأعدّك حرباً ، أراك كحبل الجزور ، و ليس مثلى يصانع بالخداع ، ولا يخدع بالمكايد ، ومعه عدد الرجال و بيده أعنّة الخيل ، فان قبلت الذى عرضت عليك فلك ما أعطيتك ، و إن أنت لم تفعل ملأت عليك خيلاً و رجلاً والسلام » .

فكتب إليه قيس :

« أما بعد : فالعجب من استسقاطك رأيى والطمع فى أن تسومنى ـ لا أباً لغيرك ـ الخروج عن طاعة أولى الناس بالامر ، و أقولهم للحق و أهداهم سبيلاً ، و أقربهم من رسول الله وسيلة ، و تأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الامر و أقولهم للزور و أضلّهم سبيلاً ، و أبعدهم من رسول الله وسيلة ولديك قوم ضالون مضلّون ، طاغوت من طواغيت ابليس ، و أما قولك : انك تملأ علىّ مصر خيلاً و رجلاً ، فوالله إن لم اشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهمّ إليك انك لذوجدّ والسلام » .

رواه ابن الاثير فى (الكامل ج ٣ ص ١٠٧) و إبن أبى الحديد فى شرح النهج ج ٢ ص ٢٣) .

و فى البيان والتبيين : (ج ٢ ص ٦٨) للجاحظ : فلما آيس معاوية منه ـ من قيس ـ كتب إليه :

« أما بعد : فانك يهودى ابن يهودىّ ، إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك ، و استبدل بك ، و إن ظفر أبغضهما إليك قتلك و نكل بك ، وكان أبوك وترقوسه ، و رمى غيرغرضه ، فأكثر الحزّ ، و أخطأ المفصل ، فخذله قومه و أدركه يومه ثم مات طريداً بحوران والسلام » .

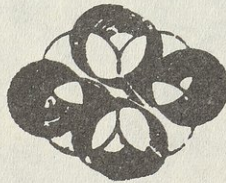
فكتب إليه قيس :

« أما بعد فانما أنت وثن ابن وثن ، دخلت فى الاسلام كرهاً ، و خرجت

منه طوعاً ، لم يقدم ايمانك و لم يحدث نفاقك ، و قدكان أبى و ترقوسه و رمى غرضه ، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره ، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه ، و أعداء الدين الذى دخلت فيه والسلام » .

رواه المبرد فى (الكامل ج ١ ص ٣٠٩) و ابن قتيبة فى (عيون الاخبار ج ٢ ص ٢١٣) و إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ٤ ص ١٥) ومسعودى فى (مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢) ويعقوبى فى (تاريخه ج٢ ص١٦٣) والخوارزمى فى (المناقب ص ١٧٣) .

و فى التاج : للجاحظ « كتب قيس إلى معاوية : يا وثن إبن وثن ! تكتب إلى تدعونى إلى مفارقة على بن أبيطالب ، والدخول فى طاعتك، وتخوفنى بتفرق أصحابه عنه ، و إقبال الناس عليك و إجفالهم إليك ، فوالله الذى لاإله غيره لولم يبق له غيرى ولم يبق لى غيره ما سالمتك أبداً وأنت حربه ، ولادخلت فى طاعتك وأنت عدوه ، ولااخترت عدوالله على وليه ولاحزب الشيطان على حزب الله والسلام».



خديعة معاوية ولد الزاني

ومكر عمرو بن العاص وليد الزانية

ونحن نرجّح أن نشير إلى عمرو بن العاص ونسبه المجهول ، فانه هو الذى إدعى عليه ستة من العرب، وهم: أبوسفيان بن حرب ، وعتبة بن أبى سفيان أخو معاوية ، والعاص بن وائل ، وامية بن شمس ، وعبدالرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم ، وعقبة بن أبى معيط وأضاف عليهم بعض المورخين أبالهب .

وام عمرو بن العاص : هى النابغة كانت أمة لرجل من عنزة ، فسبيت فاشتراها عبدالله بن جذعان التيمى بمكة : وهى أشهر بغىّ بمكة وأرخصهنّ اجرة . وقيل: إسمها ليلى ولما وضعت عمراً إدّعاه هولاء الستة إذ كلهم كانوا يأتونها ، غير أن امه ألحقته بالعاص بن وائل لكونه أكثر نفقة عليها . . .

ولما وضعته امّه تخالف فيه أبوسفيان والعاص بن وائل ، فقال أبوسفيان: والله وضعته أنا فى حرّ امه ، فقال العاص : ليس هو كما تقول هو ابنى لكونه أقرب شبهاً بى ، فحكّما امه فيه ، فقالت : للعاص ، فقيل لها بعد ذلك : ما حملك على ما صنعت وأبوسفيان أشرف من العاص ؟ فقالت : ان العاص كان ينفق على بناتى : ولو ألحقته بأبى سفيان لم ينفق علىّ العاص شيئاً وخفت الضيعة .

وقيل : ألحقته بالعاص لكونه أقرب شبهاً به ، وذلك لانها حين سئلت عنهم فقالت : كلهم أتانى ، فانظروا أشبههم به فالحقوه به ، فلما غلب على عمرو شبه العاص بن وائل ألحقوه به .

و في الأنساب لابى‌عبيدة معمر بن المثنى: «ان عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبوسفيان والعاص، فقيل: لتحكم امه فقالت: انه من العاص بن وائل، فقال أبوسفيان: أما انى لا اشك اننى وضعته فى رحم امه، فأبت إلاّ العاص، فقيل لها: أبوسفيان أشرف نسباً؟ فقالت: ان العاص بن وائل كثير النفقة عليّ و ابو ـ سفيان شحيح»

فقد ظهر لك ان معاوية هو ولد زان، وعمرو بن العاص هو وليد زانية وزنى.

ومن شك فى رجس مولدهما وخبث طينتهما وسوء سريرتهما، فلعمرى انى لا اشك فى رجس مولده وخبث طينته وسوء سريرته و هو إما ولد زان أو ولد زانية من أىّ فرقة وزىّ كان، فان المرء مع من أحبّ.

ولايخفى: ان العاص بن وائل هو الابتر فى قوله تعالى: «ان شانئك هو الابتر» الكوثر: ٣) إذ قال العاص ـ لما مات ابراهيم ولد محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انه صار أبتر لا عقب له، فنزلت السورة.

وان عمرو بن العاص هو الذى ظهرت منه الخدع والفتن، و ما كان معاوية أخاه بادّعاء أبيه أقل منه فى المكر والحيل، وقد كاناهما شيطانين عظيمين من شياطين الانس... فى تاريخ الاسلام.

ومن طالع بعين الانصاف ما ورد فى شئون عمرو بن العاص و أطواره... فلايعتريه ريب ان عمراً لم يعتنق الدين الاسلامى اعتناقاً، وانما انتحله انتحالاً للخديعة والفتنة فيه وهو الذى نزل بالحبشة مع عمارة بن الوليد لاغتيال جعفر وأصحابه رسل النبى الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم تنتهى إليه الأنباء من أمر الرسالة، و يبلغه التقدم والنشور له، وسمع من النجاشى قوله:

«أتسئلنى أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله؟ فقال: أيها الملك! أكذلك هو؟ فقال: ويحك يا عمرو أطعنى و اتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده»

رواه ابن هشام فى (السيرة ج ٣ ص ٣١٩)

وفى شرح الحديد (ج ١ ص ١٣٧) مالفظه : « قال شيخنا أبو القاسم البلخي: قول عمرو بن العاص لمعاوية لما قال له معاوية : ياأباعبدالله ! اني لأكره لك أن تتحدّث العرب عنك انك انما دخلت فى هذا الامر لغرض الدنيا : دعنا عنك كناية عن الالحاد بل تصريح به أى دع هذا الكلام لاأصل له ، فان اعتقاد الاخرة وانها لاتباع بعرض الدنيا من الخرافات ، و مازال عمرو بن العاص ملحداً ما تردّد قطّ فى الالحاد ، والزندقة و كان معاوية مثله »

وفـى الشرح (ج ٢ ص ١٧٩) مالفظه : « وأما معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والانحراف عن الاسلام ، و كذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص ومن تبعهما من طغام أهل الشام و أجلافهم و جهّال الاعراب ، فلم يكن أمرهم خافياً فى جواز محاربتهم واستحلال قتالهم »

وفى كتاب صفين : لنصر بن مزاحم بن بشار العقيلي : « دخل زيد بـن أرقم على معاوية فاذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما فقال له : عمرو بن العاص : أما وجدت لك مجلساً إلاّ أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين ؟ فقال زيد : ان رسول الله ﷺ غزا غزوة وأنتما معه فرآكما مجتمعين ، فنظر إليكما نظراً شديداً ثم رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث كل ذلك يديم النظر إليكما ، فقال فى اليوم الثالث : إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما فانها لن يجتمعا على خير »

رواه ابن عبد ربه فى (العقد الفريد ج ٢ ص ٢٩٠) عن عبادة بن الصامت، وفيه: انه ﷺ قال له فى غزوة تبوك ولفظه : إذا رأيتموهما إجتمعا ففرّقوا بينهما فانهما لايجتمعان على خير .

وفيه : لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يوم صفين يدعون إلى حكم القرآن قال على عليه السلام : عباد الله ! أناأحق من أجاب إلى كتاب الله و لكن

معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولاقرآن، اني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً فكانوا شر أطفال، وشر رجال، انها كلمة حق يراد بها الباطل، انهم والله مارفعوها انهم يعرفونها ولايعملون بها، ومارفعوها لكم إلاّ خديعة ومكيدة.

وفيه: عن شيخ من بكر بن وائل قال: كنا مع علي بصفين، فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة في رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يزالوا كذلك حتى بلغ علياً فقال علي عليه السلام: هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ ان عدوّ الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الشقة، فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: وما فيها يا رسول الله؟ قال: فيها أن لا تقاتل به مسلماً: ولاتقرّ به من كافر فاخذها، فقد والله قرّ به من المشركين و قاتل به اليوم المسلمين، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ماأسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منا إلاّ انهم لم يدعوا الصلاة.

وفيه: كتب علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمرو بن العاص:

«من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص بن وائل شانىء محمد وآل محمد في الجاهلية والاسلام: سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانك تركت مروءتك لامرىء فاسق مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فصار قلبك لقلبه تبعاً كما قيل: وافق شنّ طبقة، فسلبك دينك وأمانتك و دنياك و آخرتك، وكان علم الله بالغاً فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجى أوأتى الصبح يلتمس فاضل سؤره، وحوايا فريسته، و لكن لانجاة من القدر، ولو بالحق أخذت لادركت ماترجوت، وقد رشد من كان الحق قائده، فان يمكن الله منك ومن ابن آكلة الاكباد ألحقتكما بما قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان تعجزا وتبقيا بعدي فالله حسبكما، وكفى بانتقامه إنتقاماً وبعقابه عقاباً والسلام»

و في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٩١) ما لفظه : « لما علم معاوية ان الامر لم يتم له إن لم يبايعه عمرو فقال له : ياعمرو! أتبعني قال : لما ذا للآخرة؟ فوالله مامعك آخرة ، أم للدنيا؟ فوالله لاكان حتى أكون شريكك فيها، قال : فأنت شريكي فيها ، قال : فاكتب لي مصرو كورها ، فكتب له مصرو كورها ، و كتب في آخر الكتاب : وعلى عمرو السمع والطاعة : قال عمرو : واكتب : ان السمع والطاعة لاينقصان في شرطه شيئاً قال معاوية : لاينظر الناس إلى هذا قال عمرو : حتى تكتب قال : فكتب ووالله ما يجدبداً من كتابتها و دخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية وهو يكلم عمراً في مصر وعمرو يقول له : انما ابايعك بها ديني فقال عتبة ائتمن الرجل بدينه فانه صاحب من أصحاب محمد ، و كتب عمرو إلى معاوية :

معاوي لا اعطيك ديني و لم أنل ... به منك دنياً فانظرن كيف تصنع

و ما الدين والدنيا سواء و اني ... لآخذ ما تعطي و رأسي مقنع

فان تعطني مصراً فاربح صفقة ... أخذت بها شيخاً يضر و ينفع

و في المحاسن والاضداد للجاحظ (ص ١٠٢ ـ ١٠٤) : « بلغ غانمة بنت غانم سب معاوية وعمرو بن العاص بني هاشم وهي بمكة قالت : يا معشر قريش والله ما معاوية بأمير المؤمنين ولاهو كما يزعم ، هو والله شانيء رسول الله ﷺ اني آتية معاوية وقائلة له بما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله ، فكتب عامل معاوية إليه بذلك فلما بلغه أن غانمة قدقربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت و ألقى فيها فرش ، فلما قربت من المدينة إستقبلها يزيد في حشمه و مماليكه ، فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم فقال لها يزيد :

ان أبا عبدالرحمن يأمرك أن تصيري الى دار ضيافته وكان لاتعرفه ، فقالت من أنت ؟ كلاك الله ؟ قال يزيد بن معاوية ، قالت : فلارعاك الله يا ناقص لست بزائد ، فتمعر لون يزيد ، فأتى أباه فأخبره ، فقال : هي أسن قريش و أعظمهم فقال يزيد : كم تعد لها ياأمير المؤمنين ؟ قال: كانت تعد على عهد رسول الله ﷺ

أربعمأة عام وهى من بقية الكرام فلماكان من الغدأتاها معاوية ، فسلّم عليها ، فقالت: على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان،ثم قالت: أفيكم عمرو بن العاص قال عمرو : ها أناذا فقالت : وأنت تسبّ قريشاً و بنى هاشم ؟ وأنت أهل السب و فيك السب وإليك يعود السبّ ياعمرو ! انى والله لعارفه بعيوبك وعيوب امك و انى اذ كرلك ذلك عيباً عيباً : ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيام، وتعلوها اللئام اذا لامسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفته ، ركبها فى يوم واحد أربعون رجلاً ، وأنت أنت فقد رأيتك غاوياً غيرراشد ، ومفسداً غير صالح ، ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت .

وأماأنت يا معاوية ! فما كنت فى خير ولاربّيت فى خير، فمالك ولبنى هاشم؟ أنساء بنى امية كنسائهم .

رواه البيهقى فى (المحاسن والمساوى ص ٦٩ ـ ٧١)

وفى المحاسن والمساوى : دخل عمرو بن العاص على معاوية و عنده ناس فلما رآه مقبلاً استضحك فقال : ياأمير المؤمنين ! أضحك الله سنّك و أدام سرورك وأقرّ عينك ما كلّ ماأرى يوجب الضحك ، فقال معاوية : خطر ببالى يوم صفين يوم بارزت أهل العراق فحمل عليك على بن أبيطالب رضى الله عنه فلما غشيك طرحت نفسك عن دابتك وأبديت عورتك كيف حضرك ذهنك فى تلك الحال ؟ أما والله لقد واقفت هاشمياً منافياً ، و لو شاء أن يقتلك لقتلك ، فقال عمرو : يا معاوية ان كان أضحك شأنى فمن نفسك فاضحك ، أما والله لو بدا له من صفحتك مثل الذى بداله من صفحتى لاوجع قذلك ، وأيتم عيالك ، و أنهب مالك ، وعزل سلطانك ، غير انك تحرّزت منه بالرجال فى أيديها العوالى ، أما أنى قد رأيتك يوم دعاك إلى البراز فاحولّت عيناك ، و أربد شدقاك ، و تنشّر منخراك ، وعرق جبينك ، وبدامن أسفلك ما أكره ذكره ، فقال معاوية :حسبك حيث بلغت لم نرد كل هذا .

وفي كتاب صفين: « وكان معاوية لم يزل يشمت عمراً و يذكر يومه المعهود ويضحك وعمرو يعتذر بشدة موقفه بين يدى أمير المؤمنين، فشمت به معاوية يوماً وقال: لقد أنصفتكم إذلقيت سعيد بن قيس و فررتم و انك لجبان، فغضب عمرو ثم قال: والله لو كان علياً ما قحمت عليه يا معاوية؟ فهلاّ برزت إلى عليّ اذ دعاك إن كنت شجاعاً كما تزعم.

وفيه: عن إبن عباس قال: تعرّض في عمرو بن العاص لعلي عليه السلام يوماً من أيام صفين وظن انه يطمع منه في غرة فيصيبه، فحمل عليه علي عليه السلام فلما كاد أن يخالطه أذرى نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه و شعر برجله، فبدت عورته، فصرف عليه السلام وجهه عنه وارتثّ، وقام معفّراً بالتراب هارباً على رجليه معتصما بصفوفه، فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين أفلت الرجل! فقال: أتدرون من هو؟ قالوا لا قال: فانه عمرو بن العاص، تلقّاني بسوءته، فصرفت وجهي عنه، و رجع عمرو الى معاوية، فقال: ماصنعت يا أبا عبدالله؟ فقال: لقيني عليّ فصر عني، قال: احمد الله وعورتك، والله انى لاظنك لوعرفته لما أقحمت عليه، وقال معاوية فى ذلك:

ألا لله من هفوات عمرو	يعاتبني على تركي برازي
فقد لاقى أبا حسن عليا	فآب الوائلي مآب خازي
فلو لم يبد عورته لطارت	بمهجته قوادم أيّ بازي
فان تكن المنيّة أخطأته	فقد غنّى بها أهل الحجاز

فغضب عمرو وقال: ما أشد تعظيمك علياً أباتراب في أمرى! هل هو إلاّ رجل لقاه إبن عمّه فصرعه! أفترى السماء قاطرة لذلك دماً! قال: لا و لكنها معقبة لك خزياً.

وفيه: ان معاوية دعا يوماً بصفين مروان بن الحكم، فقال: ان الاشتر قد غمّني وأقلقني فأخرج بهذه الخيل في يحصب والكلاعيين فألقه فقاتل بها،

فقال مروان : ادع لها عمراً فانه شعارك دون دثارك ، قال : و أنت نفسى دون و ريدى، قال: لو كنت كذلك ألحقتنى به فى العطاء أو ألحقته بى فى الحرمان ، ولكنك أعطيته ما فى يدك ، ومنّيته مافى يد غيرك ، فان غلبت طاب له المقام، وإن غلبت خفّ عليه الهرب ، فقال معاوية سيغنى الله عنك قال : أما إلى اليوم فلن يغن ، فدعا معاوية عمراً وأمره بالخروج إلى الاشتر، فقال : أما انى لاأقول لك ما قال مروان ، قال : فكيف تقول ؟! وقد قدّمتك وأخرته ، وأدخلتك وأخرجته قال : أما والله إن كنت فعلت لقد قدّمتنى كافياً وأدخلتنى ناصحاً ، وقد أكثر القوم عليك فى أمر مصر ، وإن كان لا يرضيهم إلا أخذها فخذها ، ثم قام فخرج فى تلك الخيل ، فلقاه الاشتر أمام القوم وهو يقول :

يا ليت شعرى كيف لى بعمرو ذاك الذى أو جبت فيه نذرى
ذاك الذى أطلبه بوترى ذاك الذى فيه شفاء صدرى
ذاك الذى إن ألقه بعمرى تغلى به عند اللقاء قدرى
أجعله فيه طعام النسر اولا فربّى عاذرى بعذرى

فلما سمع عمرو هذا الرجز وعرف انه الاشتر فشل وجبن واستحى أن يرجع وأقبل نحو الصوت وقال :

ياليت شعرى كيف لى بمالك كم جاهل خيّبته و حارك
و فارس قتلته وفاتك و مقدم آب بوجه حالك
ما زلت دهرى عرضة المهالك

فغشيه الاشتر بالرمح فزاغ عنه عمرو فلم يصنع الرمح شيئاً ، و لوى عمرو عنان فرسه ، وجعل يده على وجهه وجعل يرجع راكضاً نحو عسكره، فنادى غلام من يحصب يا عمرو : عليك العفا ماهبت الصبا .

أقول : فاقض أيها القارىء المنصف فانك قاض فى إمام ـ معاوية ان صحت الاحلام ـ يكون عمرو بن العاص وليد الزنا شعاره ، و مروان بن الحكم

نفسه ، وفى محاورات هذا المأموم فى معترك القتال مع إمامه المفترضة عليه طاعته . . .

و فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٣٩) مالفظه : « حج عمرو بن العاص وقام بالموسم فأطرى معاوية وبنى امية وتناول بنى هاشم ثم ذكر مشاهده بصفين فقال إبن عباس : ياعمرو! انك بعت دينك من معاوية ، فأعطيته ما فى يدك و منّاك مافى يد غيره ، فكان الذى أخذ منك فوق الذى أعطاك وكان الذى أخذت منه دون ما أعطيته، وكل راض بما أخذ واعطى ، فلماصارت مصر فى يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقص حتى لوأن نفسك فى يدك لألقيتها إليه وذكرت يومك مع أبى موسى فلاأراك فخرت إلاّ بالغدر ولامنّيت إلاّ بالفجور والغش وذكرت مشاهدك بصفين فوالله ماثقلت علينا وطأتك ولقد كشفت فيهاعورتك ولانكتنا فيهاحربك، ولقد كنت فيها طويل اللسان قصير السنان آخر الحرب إذا أقبلت وأوّلها إذا أدبرت لك يدان : يدلاتبسطها إلى خير، ويد لاتقبضها عن شرّ ووجهان :

وجه مونس ووجه موحش ، ولعمرى ان من باع دينه بدنيا غيره لحرىّ أن يطول حزنه على ماباع واشترى، لك بيان وفيك خطل ، ولك رأى وفيك نكد ولك قدروفيك حسد ، فأصغرعيب فيك أعظم عيب غيرك ، فقال عمرو : أما والله مافى قريش أحد أثقل وطأة علىّ منك ولا لأحد من قريش قدرعندى مثل قدرك.

وفى شرح الحديد : روى المداينى قال :وفد عبدالله بن عباس على معاوية مرة وعنده ابنه يزيد وزياد بن سميّة وعتبة بن أبى سفيان ، ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن ام الحكم فقال عمرو بن العاص : هذا والله ياأمير المؤمنين ! نجوم أول الشر ، وافول آخر الخير ، و فى حسمه قطع مادته فبادره بالحملة ، و انتهز منه الفرصة و اردع بالتنكيل به غيره ، وشرّ دبه من خلفه .

فقال إبن عباس : يابن النابغة : ضلّ والله عقلك وسفه حلمك ونطق الشيطان

على لسانك ، هلا تولّيت ذلك بنفسك يوم صفين حين دعيت نزال ، وتكافح الابطال وكثرت الجراح وتقصّفت - تكسرت - الرماح وبرزت إلى أمير المؤمنين مصاولاً فانكفأ نحوك بالسيف حاملاً، فلمارأيت الكواثر من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه والانكفاء عنه بعد إجابة دعائه ، فمنحته رجاء النجاة عورتك وكشفت له خوف بأسه سؤتك ، حذراً أن يصطلمك بسطوته أويلتهمك بحملته ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته ، وحسّنت له التعرّض لمكافحته ، رجاء أن تكتفى مؤنته ، وتعدم صورته ، فعلم غلّ صدرك ، وما انحنت عليه من النفاق أضلعك وعرف مقرّ سهمك فى غرضك، فاكفف غرب لسانك ، واقمع عوراء لفظك فانك بين أسد خادر، وبحر زاجر، إن تبرّزت للأسد إفترسك وإن عمت فى البحر قمسك - أى غمسك وأغرقك .

وفى الاستيعاب لابن عبدالبر (ج ٢ ص ٤٣٦) : دخل إبن عباس على عمرو بن العاص فى مرضه فسلّم عليه وقال : كيف أصبحت يا أباعبدالله ! قال:أصبحت وقد أصلحت من دنياى قليلاً وأفسدت من دينى كثيراً، فلو كان الذى أصلحت هو الذى أفسدت والذى أفسدت هو الذى أصلحت لفزت، ولو كان ينفعنى أن أطلب طلبت ولو كان ينجينى أن أهرب هربت ، فصرت كالمنخنق بين السماء والارض ، لاأرقى بيدين ولاأهبط برجلين ، فعظنى بعظة انتفع بها يابن أخى ، فقال له ابن عباس هيهات يا أباعبدالله ا صارابن أخيك أخاك ولا تشاء أن تبكى إلاّ بكيت كيف يؤمن برحيل من هومقيم ؟ فقال عمرو: وعلى حينها - الوفاة و حين ابن بضع و ثمانين سنه تقنطنى من رحمة ربى ؟ اللهم ! ان إبن عباس تقنطنى من رحمتك ، فخذمنى حتى ترضى ، قال ابن عباس : هيهات ياأباعبدالله ! أخذت جديداً وتعطى خلقاً ، فقال عمرو : مالى ولك يابن عباس ؟ ما أرسلت كلمة الاّ أرسلت نقيضها .

وفى تاريخ يعقوبى : (ج ٢ ص١٩٨) : لماحضرت عمراً الوفاة قال لابنه لود أبوك انه كان مات فى غزات ذات السلاسل ، انى قد دخلت فى امور لا أدرى

ما حجتي عند الله فيها ، ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته ، فقال : ياليته كان بعراً ياليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة أصلحت لمعاوية دنياه و أفسدت ديني ، آثرت دنياي و تركت آخرتي عمي علي رشدي حتى حضرني أجلي ، كأني بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي .

توفي عمر وليلة الفطر سنة ٤٣ ﻫ وقد عاش نحو تسعين سنة ، و قال العجلي : تسعاً وتسعين سنة .



قصة التحكيم

والمصيبة العظمى على الاسلام والمسلمين

ونحن لم نجد بداً إلاّ بذكر القصة على طريق الاختصار لما فيها من الدروس للمسلمين والاعتبار لقادتهم فى طوال الاعصار . . .

فى شرح الحديد : « ان الذى دعا إليه طلب أهل الشام له ، و اعتصامهم به من سيوف أهل العراق فقد كانت أمارات القصر والغلبة لاحت ، و دلائل النصر والظفر وضحت، فعدل أهل الشام عن القراع إلى الخداع، وكان ذلك برأى عمرو بن العاص ، و هذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير ، وهى الليلة العظيمة التى يضرب بها المثل . وهذا من هرير الفرسان بعضهم على بعض كما تهر السباع وهو صوت دون النباح .

عن عمارة بن ربيعة قال : غلّس على عليه السلام بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر ربيع الاول سنة سبع و ثلاثين . وقيل : عاشر شهر صفر ثم زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق والناس على راياتهم و أعلامهم و زحف إليهم أهل الشام ، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنها فى أهل الشام أشد نكاية ، و أعظم وقعاً ، فقد ملّوا الحرب و كرهوا القتال و تضعضعت أركانهم .

قال : فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب ، عليه السلاح لايرى منه إلاّ عيناه وبيده الرمح فجعل يضرب رؤس أهل العراق بالقناة ويقول : سوّوا صفوفكم رحمكم الله ! حتى إذا عدل الصفوف والرايات ، استقبلهم بوجهه

و ولّى أهل الشام ظهره ثم حمد الله وأثنى عليه وقال : الحمد لله الذى جعل فينا ابن عمّ نبيه ، أقدمهم هجرة وأوّلهم إسلاماً، سيف من سيوف الله على أعدائه فانظروا إذا حمى الوطيس- هى تنور يشبه به حرّ الحرب - وثار القتام و تكسّر المران- جمع مرانة و هى الرماح الصلبة - وجالت الخيل بالابطال ، فلا اسمع إلاّ غمغمة أو همهمة فاتبعونى و كونوا فى أثرى ، ثم حمل على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع فاذا هو الاشتر .

ولما رأى على عليه السلام الظفر من قبله يمدّه بالرجال، ولما بلغ القوم إلى ما بلغوا إليه قام على عليه السلام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : «أيها الناس قد بلغ بكم الامر و بعد و كم ما قد رأيتم و لم يبق منهم إلا آخر نفس ، و ان الامور اذا اقبلت اعتبر آخرها بأولها ، و قد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا ، و أنا غاد عليهم بالغداة احاكمهم إلى الله » .

وبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص ، و قال : يا عمرو ! انما هى الليلة حتى يغدو علىّ علينا بالفيصل فما ترى ؟ قال : ان رجالك لا يقومون لرجاله ، ولست مثله هو يقاتلك على أمر ، و أنت تقاتله على غيره ، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء ، و أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم ، وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم ، ولكن ألق إلى القوم أمراً إن قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك و بينهم ، فانك بالغ به حاجتك فى القوم، وانى لم أزل اوخر هذا الامر لوقت حاجتك إليه، فعرف معاوية ذلك وقال له: صدقت.

قال تميم بن حذيم : لما أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فاذاً أشباه الرايات أمام أهل الشام فى وسط الفيلق حيال موقف على عليه السلام و معاوية ، فلما أسفرنا إذاً هى المصاحف قد ربطت فى أطراف الرماح وهى عظام مصاحف العسكر ، وقد شدّوا ثلاثة أرماح جميعاً وربطوا عليها مصحف المسجد الاعظم يمسكه عشرة رهط.

استقبلوا علياً عليه السلام بمأة مصحف و وضعوا فى كل ميمنة الجيش وميسرته مأتى مصحف فكان جميعها خمسمأة مصحف، ثم قام الطفيل بن أدهم حيال على عليه السلام و قام أبو شريح الجذامى حيال الميمنة و قام و رقاء بن المعمّر حيال الميسرة ثم نادوا : يامعشر العرب ! الله الله فى النساء والبنات والابناء من الروم والاتراك و اهل فارس غداً اذا فنيتم ! الله الله فى دينكم هذا كتاب الله بيننا و بينكم .

فقال على عليه السلام : اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون ، فاحكم بيننا و بينهم انك أنت الحكم الحق المبين .

فاختلف أصحاب على عليه السلام فى الرأى فطائفة قالت: القتال ، وطائفة قالت : المحاكمة إلى الكتاب ولا يحلّ لنا الحرب و قدد عينا إلى حكم الكتاب ، فعند ذلك بطلت الحرب و وضعت أوزارها .

و قال صعصعة : وقدكان الاشعث بن قيس بدر منه قول ليلة الهرير ، نقله الناقلون إلى معاوية ، فاغتنمه وبنى عليه تدبيره ، وذلك ان الاشعث خطب أصحابه من كندة تلك الليلة ، فقال : الحمد لله أحمده و استعينه و اومن به و اتوكّل عليه و أستنصره و أستغفره و أستجيره و أستهديه و أستشيره و أستشهد به ، فان من هداه الله فلا مضل له ، و من يضلل الله فلا هادى له ، و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم قال : قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان فى يومكم هذا الماضى ، و ما قد فنى فيه من العرب ، فوالله لقد بلغت من السّنّ ماشاءالله أن أبلغ ، فما رأيت مثل هذا اليوم قطّ ، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب ، إنا نحن إن تواقفنا غداً ، انه لفناء العرب وضيعة الحرمات أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب ، و لكنى رجل مسنّ أخاف على النساء والذرارى غداً إذا فنينا ، اللهم انك تعلم أنى قد نظرت لقومى و لا هل دينى فلم آل ، و ما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلت و إليه انيب ، والرأى يخطىء ويصيب ، وإذا قضى الله أمراً أمضاه على ما احبّ العباد أو كرهوا ، أقول قولى هذا و استغفرالله العظيم لى و لكم .

قال صعصعة : فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الاشعث ، فقال : أصاب و رب الكعبة ، لئن نحن إلتقينا غداً لتميلن الروم على ذرارى أهل الشام ونسائهم و لتميلن فارس على ذرارى أهل العراق و نساءهم ! انما يبصر هذا ذو والاحلام والنهى ثم قال لاصحابه : اربطوا المصاحف على أطراف القنا ، فثار أهل الشام فى سواد الليل ينادون عن قول معاوية و أمره : يا أهل العراق ، من لذرارينا إن قتلتمونا ! ومن لذراريكم إذا قتلناكم ! الله الله فى البقية ! و أصبحوا وقد رفعوا المصاحف على رؤس الرماح ، وقد قلدوها الخيل ، ومصحف دمشق الاعظم يحمله عشرة رجال على رؤس الرماح و هم ينادون : كتاب الله بيننا و بينكم .

و أقبل أبوالاعور السلمى على برذون أبيض ، و قد وضع المصحف على رأسه ينادى : يا أهل العراق ! كتاب الله بيننا و بينكم .

قال: فجاء عدى بن حاتم الطائى فقال : يا أميرالمؤمنين ! انه لم يصب منا عصبة إلا و قد اصيب منهم مثلها ، و كل مقروح و لكننا أمثل بقية منهم ، وقد جزع القوم وليس بعدالجزع إلاما نحب فناجزهم. المناجزة فى القتال: المبارزة والمقاتلة بان يتبارز الفارسان فيتمارسا حتى يقتل كل واحد منهما صاحبه أو يقتل أحدهما .

وقام الأشتر فقال: ياأمير المؤمنين! ان معاوية لاخلف له من رجاله ولكن بحمدالله لك الخلف ، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولانصرك، فاقرع الحديد بالحديد و استعن بالله الحميد .

ثم قام عمروبن الحمق فقال: ياأمير المؤمنين! اناوالله ما أجبناك ولانصرناك على الباطل ولا أجبنا إلا الله ولا طلبنا إلا الحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه لا ستشرى - أى اشتد - فيه اللجاج و طالت فيه النجوى و قد بلغ الحق مقطعه ، و ليس لنا معك رأى .

فقام الاشعث بن قيس مغضباً، فقال : يا أميرالمؤمنين ! انا لك اليوم على

ما كنا عليه أمس وليس آخر أمرنا كأوله ، و ما من القوم أحد أحنى على أهل العراق و لا أوتر لاهل الشام منى ! فاجب القوم إلى كتاب الله عزوجل ، فانك أحق به منهم و قد أحبّ الناس البقاء و كرهوا القتال .

فقال على عليه السلام : هذا أمر ينظر فيه .

فنادى الناس من كل جانب : الموادعة .

فقال على عليه السلام : أيها الناس ! انى أحق من أجاب إلى كتاب الله و لكنّ معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبى معيط و ابن أبى سرح و ابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، انى أعرف بهم منكم ، صحبتهم صغاراً و رجالاً ، فكانوا شر صغار و شر رجال ، و يحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل ، انهم ما رفعوها انهم يعرفونها و يعملون بها ، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة ! أعيرونى سواعدكم و جماجمكم ساعة واحدة ، فقد بلغ الحق مقطعه ، و لم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا .

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنّعين فى الحديد ، شاكى سيوفهم على عواتقهم وقد اسودّت جباههم من السجود ، يتقدمهم مسعر بن فدكىّ و زيد بن حصين و عصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد ، فنادوه باسمه لا بامرة المؤمنين : يا على ! أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ، و إلاّ قتلنا كما قتلنا ابن عفان فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم .

فقال على عليه السلام لهم : ويحكم ! أنا أول من دعا إلى كتاب الله ، و أوّل من أجاب الله إليه ، و ليس يحلّ لى و لا يسعنى فى دينى أن أدعى إلى كتاب الله فلا اقبله ، انى انما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن ، فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، ونقضوا عهده و نبذوا كتابه ، ولكنى قد أعلمتكم انهم قد كادوكم ، و انهم ليس العمل بالقرآن يريدون . قالوا : فابعث إلى الاشتر ليأتينّك ، و قد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير أشرف على عسكر معاوية ليدخله .

﴿ مالك الاشتر وقضية التحكيم ﴾

فى كتاب صفين لنصر بن حزم : عن رجل من النخع قال : سئل مصعب بن إبراهيم الاشتر عن الحال كيف كانت ؟ فقال : كنت عند على عليه السلام حين بعث إلى الاشتر ليأتيه ، وقد كان الاشتر أشرف على معسكر معاوية ليدخله ، فارسل إليه على عليه السلام يزيد بن هانى : أن ائتنى فأتاه فبلغه ، فقال الاشتر : ائته فقل له : ليس هذه بالساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى عن موقفى انى قد رجوت الله أن يفتح لى فلا تعجلنى . فرجع يزيد بن هانىء إلى على عليه السلام فاخبره فما هو إلاّ أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج وعلت الاصوات من قبل الاشتر ، و ظهرت دلائل الفتح والنصر لاهل العراق ودلائل الخذلان والادبار على أهل الشام ، فقال القوم لعلىّ : والله ماتراك أمرته إلا بالقتال! قال : أرايتمونى شاورت رسولى إليه! أليس انما كلمته على رؤسكم علانية وأنتم تسمعون ! قالوا : فابعث إليه فليأتك، وإلاّ فوالله اعتزلناك ! فقال : ويحك يايزيد ! قل له :

أقبل إلىّ فان الفتنة قد وقعت، فأتاه فاخبره فقال الاشتر ألرفع هذه المصاحف؟ قال : نعم قال : أما والله لقد ظننت انها حين رفعت ستوقع خلافاً و فرقة ، انها مشورة ابن النابغة ـ أى عمرو بن العاص ـ ثم قال ليزيد بن هانىء : ويحك ! ألا ترى إلى الفتح ! ألا ترى إلى ما يلقون ! ألا ترى إلى الذى يصنع الله لنا ؟ أينبغى أن ندع هذا و ننصرف عنه ؟ فقال له يزيد : أتحبّ انك ظفرت ههنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو فيه يفرج عنه ، ويسلم إلى عدوه ؟ قال : سبحان الله ! لا

والله لا احبّ ذلك ، قال : فانهم قد قالوا له وحلفوا عليه لترسلنّ الى الاشتر فليأتينّك أولنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أولنسلمنك إلى عدوّك .

فأقبل الاشتر حتى انتهى إليهم ، فصاح : يا أهل الذل والوهن احين علوتم القوم ، وظنّوا انكم لهم قاهرون ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى مافيها ! و قد والله تركوا ما أمر الله به فيها وتركوا سنة من أنزلت عليه ، فلاتجيبوهم أمهلوني فواقا- الفواق: ما بين الحلبتين يقال : انتظرتك فواق ناقة - فاني قد أحسست بالفتح قالوا : لانمهلك قال : فأمهلوني عدوة الفرس، فاني قد طمعت في النصر قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك .

قال : فحدّثوني عنكم ، وقد قتل أماثلكم ، و بقي أراذلكم متى كنتم محقين ؟ أحين كنتم تقتلون أهل الشام ! فأنتم الآن حين أمسكتم عن قتالهم مبطلون ! أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقّون ! فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم ، وانهم خير منكم في النار . قالوا : دعنا منك ياأشتر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا ، فقال : خدعتم والله فانخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فاجبتم ياأصحاب الجباه السود ، كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله ! فلا أرى فراركم إلاّ الى الدنيا من الموت ، ألا فقبحاً يا أشباه النيب - و هي الناقة المسنة - الجلالة ، ماأنتم برائين بعدها عزاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون .

فسبّوه وسبّهم ، وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابّهم وصاح بهم علي عليه السلام فكفّوا ،وقال الاشتر: ياأمير المؤمنين! احمل الصف على الصفّ تصرع القوم فتصايحوا إنّ أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ، ورضي بحكم القرآن فقال الاشتر : ان كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي ، فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين ، فأقبل الناس يقولون : قد رضي أمير المؤمنين ، قد قبل أمير المؤمنين و هوساكت لايبضّ - يتكلم - بكلمة مطرق إلى الارض ، ثم قام فسكت الناس

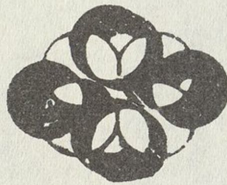
كلهم ، فقال : أيها الناس ، ان أمرى لم يزل معكم على ماأحب إلى أن أخذت منكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وأخذت من عدوكم فلم تترك وانها فيهم أنكى وأنهك ،ألا إنى كنت أمس أمير المؤمنين ، فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فاصبحت منهياً ، وقد أحببتم البقاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون ثم قعد .

وفيه : عن ربيعة الجرمى قال : لما كتبت الصحيفة دعى لها الاشتر ليشهد مع الشهود عليه ، فقال : لاصحبتنى يمينى ولانفعنى بعدها الشمال إن كتب لى فى هذه الصحيفة إسم على صلح أو موادعة ، أولست على بينة من أمرى ويقين من ضلالة عدوى ! أولستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور ! فقال له رجل من الناس : والله مارأيت ظفراً ولاخوراً ، هلمّ فاشهد على نفسه و أقر ربما كتب فى هذه الصحيفة فانه لارغبة لك عن الناس ، فقال : بلى والله ، إن لى لرغبة عنك فى الدنيا للدنيا وفى الاخرة للآخرة ولقد سفك الله بسيفى هذا دماء رجال ماأنت عندى بخير منهم ولاأحرم دماً .

قال نصر بن مزاحم : الرجل هو الاشعث بن قيس ، قال : فكأنما قصع ـ أى ذلك ـ على أنفه الحميم ثم قال : ولكننى قد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين ، ودخلت فيما دخل فيه وخرجت مما خرج منه، فانه لايدخل إلاّ فى الهدى والصواب.

وفيه : عن فضيل بن خديج قال : قيل لعلى عليه السلام لما كتبت الصحيفة : ان الاشتر لم يرض بما فى الصحيفة ، ولايرى إلاّ قتال القوم ، فقال على عليه السلام : بلى ان الاشتر ليرضى إذا رضيت ، وقد رضيت ورضيتم ولايصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الاقرار ، إلاّ أن يعصى الله أو يتعدى مافى كتابه ، وأما الذى ذكرتم من تركه أمرى وما أنا عليه ، فليس من اولئك و ليس أتخوفه على ذلك وليست فيكم مثله اثنين بل ليست فيكم مثله واحداً ، يرى فى عدوّى مثل رأيه ، إذاً لخفت مؤنتكم علىّ ورجوت أن يستقيم لى بعض أودكم .

وفيه : قال نصر بن مزاحم . قلت : لله امّ قامت عن الاشتر! لو أن انساناً يقسم ان الله تعالى ما خلق في العرب ولافي العجم أشجع منه إلاّ استاذه عليه السلام لماخشيت عليه الاثم! ولله درّ القائم و قد سئل عن الاشتر : ماأقول في رجل هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق، وبحق ماقال فيه أمير المؤمنين عليه السلام : كان الاشتر كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .



مكاتبات بين الامام على عليه السلام

ومعاوية وعمروبن العاص فى التحكيم

فى كتاب صفين : كتب معاوية إلى على عليه السلام :

« أما بعد ! فان هذا الامر قد طال بيننا وبينك ، و كل واحد منا يرى انه على الحق فيما يطلب من صاحبه ، ولن يعطى واحد منا الطاعة للآخر ، وقدقتل فيما بيننا بشر كثير ، وأنا أتخوّف أن يكون ما بقى أشد مما مضى ، وانا سوف نسئل عن هذه المواطن ، ولايحاسب به غيرى وغيرك ، وقد دعوتك إلى أمرلنا و لك فيه حياة وعذر و برائةوصلاح للامة وحقن للدماء والفةللدين وذهاب للضغائن والفتن أن نحكّم بينى و بينكم حكمين مرضيين: أحدهما من أصحابى والآخرمن أصحابك ، فيحكمان بيننا بما أنزل الله ، فهوخيرلى ولك وأقطع لهذه الفتن،فاتق الله فيما دعيت إليه ، وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله، والسلام »

أقول : و لعمرى ان هذا كان خداعاً و كيداً من معاوية بن أبى سفيان عليهما الهاوية ، كيف يدعو معاوية ، على بن أبيطالب مولى الموحدين و امام المتقين عليه السلام إلى كتاب الله تعالى وعلى عليه السلام هو كتاب الله الناطق، وأحد الثقلين اللذين تركهما النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى الامة الاسلامية ؟ وقد نصّت النصوص بان معاوية لم يسلم رغبة ، ولم يؤمن بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولابكتابه قط .

فكتب الامام أمير المؤمنين على عليه السلام إلى معاوية .

« من عبدالله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان ، أما بعد ! فان

أفضل ما شغل به المرء نفسه إتباع ما يحسّن به فعله ويستوجب فضله ويسلم من عيبه ، و ان البغي والزور يزريان بالمرء في دينه ودنياه ، فاحذر الدنيا فانه لا فرح في شيء وصلت إليه منها ، ولقد علمت انك غير مدرك ماقضى فواته ، و قدرام قوم أمراً بغير الحق فتألوا على الله جل وعزفأ كذبهم وأمتّعهم قليلاً ثم اضطرهم إلى عذاب غليظ ، فاحذر يوماً يغتبط فيه من حمد عاقبه عمله و يندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحادّه وغرّته الدنيا واطمأن إليها ، ثم انك قد دعوتني إلى حكم القرآن ولقد علمت انك لست من أهل القرآن ولاحكمه تريد ، والله المستعان ، فقد أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا إياك أجبنا ، ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » .

وكتب الامام أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام إلى عمرو بن العاص يعظه ويرشده :

« أما بعد ! فان الدنيا مشغلة عن غيرها ، و لن يصيب صاحبها منها شيئاً إلاّ فتحت له حرصاً يزيده فيها رغبة . ولن يستغني صاحبها بمانال عما لم يبلغه ومن وراء ذلك فراق ما جمع ، والسعيد من وعظ بغيره ، فلا تحبط أبا عبدالله اجرك ولاتجار معاوية في باطله والسلام » .

فكتب إليه عمرو جواباً :

« أما بعد أقول : فان مافيه صلاحنا والفتنا الانابة إلى الحق ، و قد جعلنا القرآن بيننا حكماً ، وأجبنا إليه ، فصبر الرجل منّا نفسه على ماحكم عليه القرآن وعذره الناس بعد المحاجزة والسلام » .

اقول : وهذا ليس ببعيد عمن ادعى فيه ستة من الزناة ، وألحقته امه بمن كثرت نفقته عليها ، أهذا بعيد عن مجهول النسب ، وليد الزنا ، وإبن الدنيا ، و غرّه معاوية بمصر وهو مولاه ؟ .

﴿ اختلاف الاصحاب فى التحكيم ﴾

فى كتاب صفين : قال نصر : ثم تكلم رؤساء القبائل ، فكلّ قال : ما يراه ويهواه ، إما من الحرب أومن السلم ، فقام كردوس بن هانىء البكرى فقال : أيها الناس : انا والله ما تولينا معاوية منذ تبرّأنا منه ، ولاتبرّأنا من علىّ منذ توليناه ، وإنّ قتلانا لشهداء وان أحيائنا لابرار ، وان علياً لعلى بينة من ربه ، وما أحدث إلاّ الانصاف ، فمن سلّم له نجى ومن خالفه هلك .

ثم قام شقيق بن ثور البكرىّ فقال : أيها الناس ، انا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله فردّوه علينا فقاتلناهم عليه ، وانهم قد دعونا اليوم إلى كتاب الله ، فان رددناه عليهم حلّ لهم منا ما حلّ لنا منهم ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله ، ألا ان علياً ليس بالراجع الناكس ، ولاالشاك الواقف ، وهواليوم على ما كان عليه أمس ، وقد أكلتنا هذه الحرب ، ولا نرى البقاء إلاّ فى الموادعة .

قال نصر : ثم ان أهل الشام لما أبطأ عنهم علم حال أهل العراق : هل أجابوا إلى الموادعة أم لا ؟ جزعوا فقالوا : يا معاوية ، ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه فأعدها جذعة ـ أى أبدأبها مرة اخرى ـ فانك قد غمرت بدعائك القوم ، و أطمعتهم فيك ، فدعامعاوية عبدالله بن عمرو بن العاص ، فأمره أن يكلّم أهل العراق ويستعلم له ما عندهم ، فاقبل حتى إذاكان بين الصفين ، نادى : يا أهل العراق أنا عبدالله بن عمرو بن العاص ، انه قدكانت بيننا وبينكم امور للدين أوالدنيا فان تكن للدين فقد والله أعذرنا وأعذرتم ، و إن تكن للدنيا فقد والله

أسرفنا وأسرفتم ، وقد دعونا كم الى أمر لودعوتمونا إليه لأجبنا كم فان يجمعنا و إياكم الرضا فذاك من الله، فاغتنمواهذه الفرصة ، عسى أن يعيش فيهاالمحترف أى المحروم ـ وينسى فيها القتيل ، فان بقاء المهلك بعد الهالك قليل .

فأجابه سعد بن قيس الهمدانى فقال : أما بعد يا أهل الشام ، انه قدكانت بيننا وبينكم امورحامينا فيها على الدين والدنيا ، وسميتموها غدراً و سرفاً ، وقددعوتمونا اليوم إلى ما قاتلنا كم عليه أمس، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم ، وأهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم فيه بما أنزل الله سبحانه فالامر فى أيدينا دونكم ، وإلاّ فنحن نحن وأنتم أنتم .

فقام الناس إلى على عليه السلام فقالوا له : أجب القوم إلى ما دعوناك إليه فاناقد قلبنا و ان الاشعث لم يرض بالسكوت ، بل كان من أعظم الناس قولاً فى إطفاء الحرب والركون إلى الموادعة . وان الاشتر لا يرى إلاّ الحرب و لكنه سكت على مضض ، وأما سعيد بن قيس ، فكان تارة هكذا وتارة هكذا .

وفيه : جاء الاشعث إلى على عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أرى الناس إلاّ قد رضوا وسرّهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فان شئت أتيت معاوية فسئلته ما يريد ، ونظرت ما الذى يسئل ، قال : آته إن شئت ، فأتاه فسئله: يا معاوية : لاىّ شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به فى كتابه، فابعثوا رجلاً منكم ترضون به ، ونبعث منا رجلاً، ونأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله ولا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال الاشعث هذا هو الحق .

وانصرف إلى على عليه السلام فأخبره ، فبعث على عليه السلام قرّاء من أهل العراق وبعث معاوية قرّاء من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصحف، فنظروا فيه و تدارسوه واجتمعوا على أن يحيوا ما أحيى القرآن و يميتوا ما أمات القرآن ، ورجع كل فريق إلى صاحبه ، فقال أهل الشام : انا قد رضينا و اخترنا

عمرو بن العاص ، وقال الاشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد .

قد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الاشعري . فقال لهم علي عليه السلام : فاني لا أرضى بأبي موسى ولاأرى أن اوليه ، فقال الاشعث وزيدبن حصين ومسعربن فدكي في عصابة من القراء : انا لانرضى إلاّ به ، فانه قدكان حذّرنا ما وقعنا فيه ، فقال علي عليه السلام : فانه ليس لي برضاً ، وقد فارقني وخذّل الناس عنّي ، وهرب مني حتى أمنته بعد أشهر ، ولكن هذا إبن عباس اوليه ذلك ، قالوا : والله ما نبالي ، أكنت أنت أو إبن عباس ، ولانريد إلاّ رجلاً هومنك ومن معاوية سواء ، ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر ، قال علي عليه السلام : فاني أجعل الاشتر فقال الاشعث : وهل سعّر الارض علينا إلاّ الاشتر؟ وهل نحن إلاّ في حكم الاشتر؟ قال علي عليه السلام : و ما حكمه ؟ قال : حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتى يكون ماأردت وماأراد .

وفيه : عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : لماأراد الناس علياً عليه السلام أن يضع الحكمين قال لهم : ان معاوية لم يكن ليضع لهذا الامر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص ، وانه لايصلح للقرشي إلاّ مثله ، فعليكم بعبدالله بن العباس ، فارموه به ، فان عمراً لايعقد عقدة إلاّ حلّها عبدالله ، ولايحلّ عقدة الاّ عقدها ، ولايبرم أمراً إلاّ نقضه ، ولاينقض أمراً الاّ أبرمه ، فقال الاشعث : لا والله ، لايحكم فينا مضريّان حتى تقوم الساعة ، و لكن اجعل رجلاً من أهل اليمين إذ جعلوا رجلاً من مضر ، فقال علي عليه السلام : إني أخاف أن يخدع يمنيّكم فان عمراً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى ، فقال الاشعث : والله لان يحكما ببعض مانكره ، وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون بعض مانحبّ في حكمهما وهما مضريّان .

وفيه قال نصر بن مزاحم ، فقال علي عليه السلام : قدأبيتم إلاّ أبا موسى! قالوا : نعم قال : فاصنعوا ما شئتم ، فبعثوا إلى أبي موسى ـ وهو بارض من أرض الشام

يقال لها عرض وهو بلد بين تدمر ورصافة الشام ـ قد اعتزل القتال ، فأتاه مولى له، فقال : ان الناس قد اصطلحوا ، فقال : الحمد لله رب العالمين قال : وقد جعلوك حكماً ، فقال : انا لله وانا إليه راجعون .

فجاء أبوموسى حتى دخل عسكر على عليه السلام وجاء الاشتر علياً ، فقال : يا أمير المؤمنين ألزّنى بعمرو بن العاص ، فوالذى لا إله غيره لئن ملات عينى منه لأ قتلنّه وجاء الاحنف بن قيس علياً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ! انك قد رميت بحجر الارض ومن حارب الله ورسوله أنف الاسلام ـ أى أوله ـ و انى قد عجمت هذا الرجل ـ يعنى أبا موسى ـ وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القمر، وانه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاّ رجل يدنو منهم حتى يكون فى اكفّهم ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم ، فان تجعلنى حكماً فاجعلنى، وإن أبيت أن تجعلنى حكماً فاجعلنى ثانياً أو ثالثاً فان عمراً لا يعقد عقدة إلاّ حللتها ، ولا يحلّ عقدة إلاّ عقدت لك أشد منها .

فعرض على عليه السلام ذلك على الناس فأبوه وقالوا : لا يكون إلاّ أباموسى.

مال الاحنف إلى على عليه السلام فقال : ياأمير المؤمنين ! انى خيّرتك يوم الجمل أن آتيك فيمن أطاعنى أو أكفّ عنك بنى سعد ، فقلت : كفّ قومك فكفى بكفّك نصيراً فأقمت بأمرك ، وان عبدالله بن قيس ـ وهو أبوموسى الاشعرى ـ رجل قد حلبت أشطره فوجدته قريب القعر كليل المدية ، و هو رجل يمان و قومه مع معاوية ؟ وقد رميت بحجر الارض وبمن حارب الله ورسوله ، وان صاحب القوم من ينأى حتى يكون مع النجم ، ويدنو حتى يكون فى أكفّهم ، فابعثنى ، فوالله لا يحل عنك عقدة إلاّ عقدت لك أشد منها ، فان قلت : انى لست من أصحاب رسول الله فابعث رجلاً من أصحاب رسول الله وابعثنى معه .

فقال على عليه السلام : ان القوم أتونى بعبدالله بن قيس مبرنساً ، فقالوا : ابعث هذا ، رضينا به والله بالغ أمره .

قال نصر : وروى ان ابن الكواء ، قام إلى على عليه السلام فقال : هذا عبدالله إبن قيس وافد أهل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب مقاسم أبى بكر - أى هو الذى يتولى أمر قسمة الغنائم - وعامل عمر وقد رضى به القوم ، و عرضنا عليهم إبن عباس ، فزعموا انه قريب القرابة منك ، ظنون - أى متهم - فى أمرك .

فبلغ ذلك أهل الشام فبعث أيمن بن خزيم الاسدى و كان معتزلاً لمعاوية بهذه الابيات وكان هواه أن يكون الامر لاهل العراق :

لو كان للقوم رأى يعصمون به ... من الضلال رموكم بابن عباس
لله در أبيه أيما رجل ... ما مثله لفصال الخطب فى الناس
لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن ... لا يهتدى ضرب أخماس لاسداس
إن يخل عمرو به يقذفه فى لجج ... يهوى به النجم تيساً بين أتياس
أبلغ لديك علياً غير عاتبه ... قول امرىء لا يرى بالحق من بأس
ما الاشعرى بمأمون أبا حسن ... فاعلم هديت وليس العجز كالرأس
فاصدم بصاحبك الادنى زعيمهم ... ان ابن عمك عباس هو الآسى

فلما بلغ الناس هذا الشعر طارت أهواء قوم من أولياء على عليه السلام و شيعته إلى ابن عباس وأبت القرّاء إلا أبا موسى .

قال نصر : وكان أيمن بن خزيم رجلاً عابداً مجتهداً ، وقد كان معاوية جعل له فلسطين على أن يتابعه و يشايعه على قتال على عليه السلام ، فقال أيمن ، و بعث بها إليه :

و لست مقاتلاً رجلا يصلّى ... على سلطان آخر من قريش
له سلطانه و علىّ إثمى ... معاذ الله من سفه وطيش
أأقتل مسلماً فى غير جرم ... فليس بنافعى ماعشت عيشى

﴿الموادعة بين الحكمين﴾

وقد وردت صور عديدة للموادعة التى كانت بين الحكمين : أبى موسى الاشعرى وعمرو بن العاص ونحن نشير الى نبذة منها :

فى كتاب صفين : قال نصر : فلما رضى أهل الشام بعمرو و أهل العراق بأبى موسى ، أخذوا فى سطر كتاب الموادعة ، وكانت صورته :

« هذا ما تقاضى عليه علىّ أمير المؤمنين و معاوية بن أبى سفيان » فقال معاوية : بئس الرجل أنا إن أقررت انه أمير المؤمنين ثم قاتلته ! و قال عمرو : بل نكتب إسمه وإسم أبيه إنما هو أمير كم ، فأما أمير نا فلا ، فلا اعيد إليه الكتاب أمر بمحوه ، فقال الاحنف : لا تمح إسم أمير المؤمنين عنك ، فانى اتخوّف إن محوتها ألاّ ترجع إليك أبداً فلا تمحها ، فقال على عليه السلام : ان هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتّاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو أعلم انك رسول الله لم اقاتلك و لم اخالفك إنى إذاً لظالم لك ان منعتك أن تطوف بيت الله الحرام و أنت رسوله و لكن اكتب :

« من محمد بن عبدالله » فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ياعلى انى لرسول الله وأنا محمد بن عبدالله ولن يمحو عنى الرسالة كتابى لهم من محمد بن عبدالله فاكتبها وامح ما أراد محوه أما ان لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد » .

قال نصر : وقد روى ان عمرو بن العاص عاد بالكتاب الى على عليه السلام ، فطلب

منه أن يمحو إسمه من إمرة المؤمنين ، فقصّ عليه و على من حضر قصّة صلح الحديبية قال : ان ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين ، واليوم اكتبه إلى أبناءهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتبه إلى آباءهم سنة ومثلاً فقال عمرو : سبحان الله شبّهتنا بالكفار ونحن مؤمنون ؟ فقال علي عليه السلام : يابن النابغة ، و متى لم تكن للكافرين ولياً وللمسلمين عدواً ؟ فقام عمرو وقال : والله لايجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم ، فقال علي عليه السلام : أما والله انى لارجو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك .

وجاءت عصابة قد وضعت سيوفها على عواتقها ، فقالوا : ياأمير المؤمنين ، مرنا بما شئت فقال لهم سهل بن حنيف: أيها الناس ! اتّهموا رأيكم ، فلقد شهدنا صلح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا .

وفيه : قال نصر: و قد روى أبو إسحق الشيباني قال : قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء ، عليها خاتمان : خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها على خاتم علي عليه السلام محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى خاتم معاوية محمد رسول الله . وقيل لعلي عليه السلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاوية و أهل الشام : أتقرّ انهم مؤمنون مسلمون ؟ فقال علي عليه السلام : ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه انهم مؤمنون ولا مسلمون . ولكن يكتب معاوية ماشاء بماشاء ، و يقرّ بماشاء لنفسه ولاصحابه ويسمّي نفسه بماشاء وأصحابه فكتبوا :

« هذا ما تقاضى عليه علي بن أبيطالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي بن أبيطالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، و قاضى معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام و من كان معه شيعته من المؤمنين والمسلمين إننا ننزل عند حكم الله تعالى و كتابه ، ولايجمع بيننا إلاّ إياه ، وان كتاب الله سبحانه وتعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نحيي ما أحيى القرآن ، ونميت ما أمات القرآن ، فان وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه و إن لم

يجداه أخذا بالسنة العادلة غير المفرّقة ، والحكمان :

عبدالله بن قيس - وهو أبو موسى الاشعرى - وعمرو بن العاص ، و قد أخذ الحكمان من علىّ ومعاوية ومن الجندين انهما أمينان على أنفسهما وأموالهما أهلهما والامة لهما أنصار وعلى الذى يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهدالله أن يعملوا بما يقضيان عليه ، مما وافق الكتاب والسنة وان الامن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين ، إلى أن يقع الحكم ، وعلى كل واحد من الحكمين عهدالله ليحكمنّ بين الامة بالحق لا بالهوى و أجل الموادعة سنة كاملة ، فان أحب الحكمان أن يعجّلا الحكم عجّلاه وإن توفّى أحدهما ، فلامير شيعته أن يختار مكانه رجلاً ، لو يألو الحق والعدل ، وإن توفّى أحد الاميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ويحمدون طريقته ، اللهم انا نستنصرك على من ترك مافى هذه الصحيفة وأراد فيها إلحاداً وظلماً .

وفيه : قال نصر : هذه رواية محمد بن على بن الحسين والشعبى ، وروى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات على هذه النسخة :

« هذا ما تقاضى عليه ابن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله و سنة رسوله قضيّة علىّ على أهل العراق و من كان من شيعته من شاهد أو غائب ، وقضيّة معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب ، اننا رضينا أن ننزل عند حكم القرآن فيما حكم وأن نقف عند أمره فيما أمر ، فانه لا يجمع بيننا إلاّ ذلك ، و انا جعلنا كتاب الله سبحانه حكماً بيننا فيما اختلفنا فيه ، من فاتحته إلى خاتمته ، نحيى ما أحيى القرآن و نميت ما أماته ، على ذلك تقاضينا ، وبه تراضينا وان علياً وشيعته رضوا أن يبعثوا عبدالله بن قيس ناظراً و محاكماً ، و رضى معاوية و شيعته أن يبعثوا عمرو بن العاص ناظراً ومحاكماً ، على أنهم اخذوا عنهما عهدالله و ميثاقه ، وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه ليتخذان الكتاب إماماً فيما بعثا إليه ، لا يعدوانه الى غيره ماوجداه فيه مسطوراً ، و مالم يجداه مسمّى فى الكتاب ردّاه إلى سنة رسول الله

ﷺ الجامعة ، لايتعمدان لها خلافاً ، ولايتبعان هوى ، ولايدخلان في شبهة .

وقد أخذ عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهدالله وميثاقه بالرضا مما حكما به من كتاب الله و سنّة نبيه ، و ليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره ، وانهما آمنان فى حكمهما على دمائهما وأموالهما وأهلهما ،ما لم يعدوا الحق رضى بذلك راض أو انكره منكر ، وان الامة أنصار لهما على ما قضيا به من العدل ، فان توفّى أحد الحكمين قبل إنقضاء الحكومة فأمير شيعته واصحابه يختارون مكانه رجلاً ، لايألون عن أهل المعدلة والاقساط على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق والحكم بكتاب الله وسنة رسوله ، وله مثل شرط صاحبه ، وإن مات أحد الاميرين قبل القضاء ، فلشيعته أن يولّوا مكانه رجلاً يرضون عدله .

وقد وقعت هذه القضية ، و معها الامن والتفاوض ، ووضع السلاح والسلام والموادعة وعلى الحكمين عهدالله وميثاقه ألاّ يألوا اجتهاداً ولا يتعمّدا جوراً ، ولايدخلا فى شبهة ، ولايعدوا حكم الكتاب، فان لم يقبلا برئت الامة من حكمهما ولاعهدلهما ولاذمة ، وقد وجبت القضية على ما قدسمى فى هذا الكتاب من مواقع الشروط على الحكمين والاميرين والفريقين ، والله أقرب شهيداً وأدنى حفيظاً و الناس آمنون على أنفسهم و أهلهم و أموالهم إلى انقضاء مدة الاجل ، والسلاح موضوع والسبل مخلاّة والشاهد والغائب من الفريقين سواء فى الامن ،وللحكمين أن ينزلا منزلاً عدلاً بين أهل العراق والشام ، لا يحضرهما فيه إلاّ من أحبّا عن ملاء منهما وتراض .

وان المسلمين قد أجلّوا هذين القاضيين إلى إنسلاخ شهر رمضان ، فان رأيا تعجيل الحكومة فيما وجّهاله عجّلاها وإن أرادا تأخّرها بعد شهر رمضان إلى انقضاء الموسم فذلك إليهما ، وان هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى إنقضاء الموسم فالمسلمون على أمرهم الاول فى الحرب ، ولا شرط بين الفريقين،

وعلق الامة عهدالله وميثاقه على التمام والوفاء بما فى هذا الكتاب ، وهم يدعلى من أراد فيه إلحاداً وظلماً ، أوحاول له نقضاً ، وشهد فيه من أصحاب علىّ عشرة ومن أصحاب معاوية عشرة : وتاريخ كتابته لليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين.

وفى شرح الحديد ، عن أبن الوادك قال : لما تداعى الناس إلى المصاحف وكتبت صحيفة الصلح والتحكيم قال على عليه السلام : انما فعلت ما فعلت لمابدأفيكم من الخور والفشل عن الحرب .



الحكمان: خادع و مخدوع
و خيانتهما على الاسلام والمسلمين

في كتاب صفين لنصر بن مزاحم عن عمرو بن محمد قال: دعا معاوية بن أبي‌سفيان عمرو بن العاص ليبعثه حكماً، فجاء وهو متحزّم على ثيابه و سيفه و حوله أخوه وناس من قريش، فقال له معاوية: ياعمرو ان أهل الكوفة أكرهوا علياً على أبي‌موسى، و هولا يريده، و نحن بك رضوان، و قد ضمّ إليك رجل طويل اللسان، كليل المدية، وله بعد حظّ من دين، فاذا قال فدعه يقل، ثم قلّ فأوجز واقطع المفصل ولاتلقه بكل رأيك واعلم ان خب الرأي زيادة في العقل، فان خوّفك بأهل العراق فخوّفه بأهل الشام، وإن خوّفك بعليّ فخوّفه بمعاوية، و إن خوّفك بمصر فخوّفه باليمن، وإن أتاك بالتفصيل فأته بالجمل، فقال له عمرو: يا معاوية أنت وعليّ رجلا قريش، ولم تنل في حربك ما رجوت، ولم تأمن ما خفت، ذكرت أنّ لعبد الله ديناً، وصاحب الدين منصور، وأيم الله لافتينّ عليه علله، ولاستخرجن خبأه ولكن إذا جاءني بالايمان والهجرة ومناقب عليّ، ما عسيت أن أقول: قال: قل ماترى، فقال عمرو: وهل تدعني وماأرى؟ و خرج مغضباً كأنه كره أن يوصى ثقة بنفسه، وقال لاصحابه حين خرج: انما أراد معاوية أن يصغّر أمر أبي موسى لانه علم أني خادعه غداً، فاحب أن يقول: ان عمراً لم يخدع أريباً فقد كدته بالخلاف عليه.

وفيه: عن زياد بن النضر ان علياً عليه السلام بعث أربعمأة عليهم شريح بن هانيء

الحارثی ، ومعه عبدالله بن عباس یصلّی بهم ویلی امورهم ومعهم أبوموسی الاشعری، وبعث معاویة عمرو بن العاص فی أربعمأة ، فکان إذا کتب علیّ بشیء أتاه أهل الکوفة فقالوا : ما الذی کتب به إلیك أمیر المؤمنین ؟ فیکتمهم ، فیقولون له : کتمتنا ما کتب به إلیك ! انما کتب فی کذا و کذا ، ثم یجیء رسول معاویة إلی عمرو بن العاص ، فلایدری فی أیّ شیء جاء ولافی أیّ شیء ذهب ولا یسمعون حول صاحبهم لغطاء فأنب ابن عباس أهل الکوفة بذاك وقال : إذا جاء رسول قلتم بأیّ شیء جاء فان کتمکم قلتم : لم تکتمنا ؟ جاء بکذا و کذا ، فلا تزالون توقفون و تقاربون حتی تصیبوا فلیس لکم سر، ثم انهم خلّوا بین الحکمین فکان رأی عبدالله بن قیس أبوموسی - فی عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وکان یقول : والله إن استطعت لاحیین سنة عمر .

وفیه : عن الجرجانی قال: لما أراد أبوموسی المسیر قام إلیه شریح بن هانیء فأخذ بیده وقال : یا أبا موسی ، انك قد نصبت لأمر عظیم لا یجبر صدعه ولا یستقال فتقه ، ومهما تقل من شیء علیك أولك یثبت حقه وترصحته ، وإن کان باطلاً ،وانه لابقاء لاهل العراق إن ملکهم معاویة ، ولابأس علی أهل الشام إن ملکهم علیّ ، وقد کانت منك تثبیطة أیام الکوفة والجمل ، فان تشفعها بمثلها یکن الظن بك یقیناً ، والرجاء منك یأساً ، ثم قال له شریح فی ذلك شعراً :

أبا موسی رمیت بشرّ خصم — فلا تضع العراق فدتك نفسی
و أعط الحق شامهم وخذه — فانّ الیوم فی مهل کأمس
و انّ غداً یجیء بما علیه — کذاك الدهر من سعد ونحس
و لا یخدعك عمرو إن عمراً — عدوّ الله مطلع کل شمس
له خدع یحار العقل منها — ممّوهة مزخرفة بلبس
فلا تجعل معاویة بن حرب — کشیخ فی الحوادث غیر نکس
هداه الله للاسلام فرداً — سوی عرس النبی وأیّ عرس

فقال أبوموسى : ما ينبغى لقوم اتهمونى أن يرسلونى لأدفع عنهم باطلاً أو أجرّ اليهم حقاً .

وفيه : قال نصر بن مزاحم : لما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى ، وأحضروه للتحكيم على كره من على عليه السلام أتاه عبدالله بن العباس و عنده وجوه الناس وأشرافهم ، فقال له : يا أبا موسى ! ان الناس لم يرضوا بك ولم يجتمعوا عليك لفضل لاتشارك فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والانصار والمتقدمين قبلك ؟ و لكن أهل العراق أبوا إلاّ أن يكون الحكم يمانياً و رأوا الآن معظم أهل الشام يمان ، وأيم الله ، انى لاظن ذلك شراً لك ولنا ، فانه قد ضمّ إليك داهية العرب ، وليس فى معاوية خلّة يستحق بها الخلافة ، فان تقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك منه وإن يطمع باطله فى حقك يدرك حاجته منك .

واعلم يا أبا موسى ! ان معاوية طليق الاسلام وان أباه رأس الاحزاب ، و انه يدّعى الخلافة من غير مشورة ولابيعة ، فان زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق ، استعمله عمر وهو الوالى عليه ، بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهى و يوجره ما يكره ثم استعمله عثمان برأى عمر ، وما أكثر من استعملا ممن لم يدّع الخلافة ! و اعلم ان لعمرو مع كل شيء يسرّك خبيثاً يسوءك ، ومهما نسيت فلا تنس أن علياً عليه السلام بايعه القوم الذين بايعوا أبابكر و عمر وعثمان ، وأنها بيعة هدى وانه لم يقاتل إلاّ العاصين والناكثين .

فقال أبوموسى : رحمك الله ! والله مالى إمام غير علىّ و انى لواقف عند ما رأى ، وان حق الله أحب إلىّ من رضا معاوية وأهل الشام ، وماأنت وأنا الاّ بالله .

وفيه : وكان آخر من ودّع أبا موسى الاحنف بن قيس أخذ بيده ثم قال له يا أبا موسى ! اعرف خطب هذا الامر ، و اعلم أن له مابعده ، وانك إن أضعت العراق فلاعراق ، اتق الله فانها تجمع لك دنياك وآخرتك ، وإذا لقيت غداً عمراً فى تبدأه بالسلام ، فانها وإن كانت سنّة إلاّ انه ليس من أهلها ، ولاتعطه يدك فانها

أمانة ، وإياك أن يقعدك على صدر الفراش فانها خدعة ، ولاتلقه إلاّ وحده ، واحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع تخبأ لك فيه الرجال والشهود ثم أراد أن يثوّر ـ يختبر ـ ما في نفسه لعلي ّ فقال له : فان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي ّ، فليختر أهل العراق من قريش الشام من شاؤا أو فليختر أهل الشام من قريش العراق من شاؤا .

فقال أبو موسى : قد سمعت ماقلت ، ولم ينكر ماقاله من زوال الامر عن علي ّ، فرجع الاحنف إلى علي عليه السلام فقال له : أخرج أبو موسى والله زبدة سقائه في أول مخضه ، لاأرانا إلا بعثنا رجلاً لا ينكر خلعك ، فقال علي عليه السلام : الله غالب على أمره .

وفيه : عن النضر بن صالح قال : كنت مع شريح بن هانيء في غزوة سجستان ، فحدثني ان علياً عليه السلام أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص : وقال له : قل لعمرو إذا لقيته : ان علياً يقول لك : ان أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه ، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه ، وإن زاده ، والله ياعمر وانك لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل ؟ أبأنّ اوتيت طمعاً يسيراً صرت لله ولا وليائه عدواً ! فكأنّ ماقد اوتيت قد زال عنك ، فلا تكن للخائنين خصيماً ولا للظالمين ظهيراً ، أما اني أعلم أن يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك ، وسوف تتمنّى أنك لم تظهر لي عداوة ولم تأخذ على حكم الله رشوة

قال شريح : فأبلغته يوم لقيته فتمعّر ـ أي تغيّر وجهه غيظاً ـ وجهه وقال : متى كنت أقبل مشورة على أو انيب إلى أمره وأعتد برأيه ! فقلت : ومايمنعك يابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيّهم مشورته ! لقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه ، فقال : ان مثلي لايكلّم مثلك . فقلت : بأي أبويك ترغب عن كلامي ! بأبيك الوشيظ ـ أي الخسيس التابع ـ أم بامك النابغة ! فقام من مكانه وقمت .

وفيه : قال نصر : وروى أبو جناب الكلبي : ان عمراً وأبا موسى لما التقيا

بدومة الجندل ، أخذ عمرو يقدّم أباموسى فى الكلام ، ويقول : انك صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلى وأنت أكبر منى سناً ، فتكلم أنت ثم أتكلم أنا ، فجعل ذلك سنة وعادة بينهما وانما كان مكراً وخديعة و إغتراراً له أن يقدّمه فيبدأ بخلع علىّ عليه السلام ثم يرى رأيه .

وفى شرح الحديد : أعطاه - أبا موسى - عمرو صدر المجلس ، وكان لايتكلم قبله ، وأعطاه التقدم فى الصلاة وفى الطعام لا يأكل حتى يأكل ، وإذا خاطبه فانما يخاطبه بأجل الاسماء ويقول له : ياصاحب رسول الله حتى اطمأن إليه و ظنّ انه لايغشّه .

قال نصر: فلما انمخضت الزبدة بينهما قال له عمرو : أخبرني ما رأيك يا أبا موسى ؟ قال: أرى أن أخلع هذين الرجلين ، ونجعل الامر شورى بين المسلمين، يختارون من شاؤا فقال عمرو : الرأى والله ما رأيت : فاقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فتكلم أبو موسى فحمدالله وأثنى عليه ، ثم قال : ان رأيي ورأى عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الامة ، فقال عمرو: صدق ثم قال له : تقدّم يا أبا موسى ، فتكلم ، فقام ليتكلم فدعاه ابن عباس ، فقال له: ويحك والله انى لاظنّه خدعك ، إن كنتما قد اتفقتما على أمر، فقدّمه قبلك ليتكلم به ثم تكلم أنت بعده ، فانه رجل غدّار، ولا آمن ان يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فاذاقمت به فى الناس خالفك ، وكان أبو موسى رجلاً مغفّلاً ، فقال ايهاً عنك انّا قد اتفقنا !

فتقدّم أبوموسى ، فحمدالله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ! اناقدنظرنافى أمر هذه الامة ، فلم نر شيئاً هواصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من ألاتتباين امورها . وقد أجمع رأيى ورأى صاحبى على خلع علىّ ومعاوية ، و أن يستقبل هذا الامر فيكون شورى بين المسلمين ، يولّون امورهم من أحبوا ، وانى قد خلعت علياً و معاوية ،فاستقبلوا اموركم، وولّوامن رأيتموه لهذا الامر أهلاً ثم تنحى،فقام عمرو

بن العاص فى مقامه :

فحمدالله وأثنى عليه ثم قال : ان هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، و أنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت معاوية فى الخلافة فانه ولىّ عثمان ، والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه .

فقال له أبوموسى : مالك لاوفّقك الله قد غدرت و فجرت ! انما مثلك : « كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أوتتر كه يلهث »

فقال له عمرو : انما مثلك : « كمثل الحمار يحمل أسفاراً »

وحمل شريح بن هانىء على عمروفقنّعه بالسوط ، وحمل ابن عمروعلى شريح فقنّعه بالسوط وقام الناس فحجزوابينهما ، فكان شريح يقول بعد ذلك : ما ندمت على شىء ندامتى ألاّ أكون ضربت عمراً بالسيف بدل السوط ، أتى الدهر بما أتى به .

والتمس أصحاب على عليه السلام أبا موسى فركب ناقته و لحق بمكة . و كان ابن عباس يقول ، قبح الله أبا موسى ! لقد حذّرته وهديته إلى الرأى فما عقل ، و كان أبوموسى يقول : لقد حذّرنى ابن عباس غدرة الفاسق ، ولكنى اطمأننت إليه وظننت انه لايؤثر شيئاً على نصيحة الامة .

ولما فعل عمرو مافعل، واختلط الناس ، رجع إلى منزله فجهّز راكباً إلى معاوية يخبره بالامر من أوله إلى آخره و كتب فى كتاب على حده :

أتتك الخلافة مزفوفة هنيئاً مريئاً تقرّ العيونا
تزفّ إليك زفاف كزف العروس باهون من طعنك الدارعينا
و ما الاشعرىّ بصلد الزناد ولاخامل الذكر فى الاشعرينا
و لكن اتيحت له حيّة يظلّ الشجاع لها مستكينا
فقالوا و قلت و كنت امرءاً أجهجه بالخصم حتى يلينا
فخذها ابن هند على بعدها فقد دافع الله ما تحذرونا

و قد صرف الله عن شامكم عدواً مبيناً و حرباً زبوناً

قال نصر : فقام سعد بن قيس الهمدانی و قال : والله لو اجتمعتما علی الهدی مازد تمانا علی ما نحن الآن علیه ، وما ضلا لکما بلازم لنا ، وما رجعتما إلاّ بما بدأتما به ، وإنا الیوم لعلی ما کنا علیه أمس .

وقام کردوس بن هانیء مغضباً فقال :

ألا لیت من یرضی من الناس کلهم بعمرو و عبدالله فی لجّة البحر
رضینا بحکم الله لا حکم غیره و بالله رباً و النبی و بالذکر
و بالاصلع الهادی علیّ إمامنا رضینا بذاک الشیخ فی العسر والیسر
رضینا بـه حیاً ومیتاً و أنه إمام هدی فی الحکم والنهی والامر
فمن قال لا قلنا بلی ان أمره لا فضل ما نعطاه فی لیلة القدر
و ما لابن هند بیعة فی رقابنا و ما بیننا غیر المثقّفة السّمر
و ضرب یزیل الهام عن مستقرّة وهیهات هیهات الرضا آخر الدهر
أبت لی أشیاخ الأراقم سبّة اسبّ بها حتی اغیّب فی القبر

فتشاءم عمرو وأبوموسی من لیلته ، فاذاً ابن عم لابی موسی یقول :

أبا موسی خدعت و کنت شیخاً قریب القعر مدهوش الجنان
رمی عمرو صفاتك یا ابن قیس بأمر لا تنوء بـه الیدان
و قد کنّا نجمجم عن ظنون فصرّحت الظنون عن العیان
فعضّ الکف من ندم و ماذا یردّ علیك عضّك بالبنان

وفی شرح الحدید : قال عبدالرحمن بن خالد ابن الولید : حضرت الحکومة فلما کان یوم الفصل جاء عبدالله بن عباس ، فقعد إلی جانب أبی موسی و قد نشر أذنیه حتی کاد أن ینطق بهما ، فعلمت أن الامر لا یتمّ لنا مادام هناك ، وانه سیفسد علی عمرو حیلته ، فاعملت المکیدة فی أمره ، فجئت حتی قعدت عنده ، وقد شرع عمرو وأبوموسی فی الکلام ، فکلّمت ابن عباس کلمة استطعمته جوابها فلم یجب

فكلّمته اخرى فلم يجب ، فكلمته ثالثة فقال : انى لفى شغل عن حوارك الآن فجبهته ، وقلت : يابنى هاشم ، لاتتر كون بأو كم ـ أى تفاخر كم ـ و كبر كم أبداً أما والله لولا مكان النبوة لكان لى ولك شأن ، قال : فحمى و غضب ، و اضطرب فكره ورأيه ، وأسمعنى كلاماً يسوء سماعة ، فأعرضت عنه ، وقمت فقعدت إلى جانب عمرو بن العاص فقلت :

قد كفيتك التقوالة ـ أى الكثير القول ـ أنى قد شغلت باله بما دار بينى و بينه فاحكم أنت أمرك ، قال : فذهل والله ابن عباس عن الكلام الدائر بين الرجلين حتى قام أبوموسى ، فخلع علياً .

وفيه : قال نصر : وكان على عليه السلام لما خدع عمرو أبا موسى بالكوفة، كان قد دخلها منتظراً مايحكم به الحكمان ، فلماتمّ على أبى موسى ماتمّ من الحيلة ، غمّ ذلك علياً وساءه ووجم له وخطب الناس فقال :

« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب القادح ، والحدث الجليل و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له ليس معه إله غيره وان محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

أما بعد ! فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرّب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأيى ، لو كان يطاع لقصير أمر ، فأبيتم على إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضنّ الزند بقدحه ، فكنت أنا وإياكم كما قال أخو هوازن :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح الاّ ضحى الغد

ثم قال الامام عليه السلام : « ألا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب وأحييا ما أمات واتبع كل واحد منهما هواه ، وحكم بغير حجة ولا بينة ولا سنة ماضية، واختلفا فيما حكما ، فكلاهما لم يرشد الله ، فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير وأصبحوا فى معسكر كم يوم كذا »

قوله عليه السلام : « الحمد لله وإن أتى الدهر » أى أحمده على كل حال من

السرّاء والضراء ، و« الفادح » : الثقيل ، و« نخلت لكم » أى أخلصته من نخلت الدقيق بالمنخل ، و « لقصيرامر » : هوقصير صاحب جذيمة ، و هذا مثل يضرب لكل ناصح يعصى بقصير ، و « حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه» يشير إلى نفسه ، يقول : خالفتمونى حتى ظننت أن النصح الذى نصحتكم به غير نصح لاطباقكم واجماعكم على خلافى .

وذلك لان ذا الرأى الصواب إذا كثر مخالفوه يشك فى نفسه ، و أما « ضن الزند بقدحه » فمعناه انه لم يقدح لى بعد ذلك رأى صالح لشدة مالقيت منكم من الاباء والخلاف والعصيان ، وذلك لان المشير الناصح إذا اتهم واستغش عمى قلبه و فسد رأيه .

وأخوهوازن صاحب الشعر هودريد بن الصمة .

وفى شرح الحديد : وهذه الالفاظ من خطبة خطب بها على عليه السلام بعد خديعة ابن العاص لابى موسى وافتراقهما وقبل وقعة النهروان .

وفيه : ان سعد بن أبى وقّاص دخل على معاوية عام الجماعة ، فلم يسلّم عليه بامرة المؤمنين فقال له معاوية : لو شئت أن تقول فى سلامك غير هذا لقلت ، فقال سعد : نحن المؤمنون ولم نؤمّرك ، كأنك قد بهجت بما أنت فيه يا معاوية! والله ما يسرّنى ما أنت فيه وانى هرقت محجمة دم ، قال : ولكنى وابن عمك علياً يا أبا اسحق قد هرقنا أكثر من محجمة ومحجمتين ، هلمّ فاجلس معى على السرير فجلس معه ، فذكر له معاوية اعتزاله الحرب يعاتبه . فقال سعد : انما كان مثلى و مثل الناس كقوم أصابتهم ظلمة ، فقال واحد منهم لبعيره : إخ ، فأناخ حتى أضاء له الطريق فقال معاوية : والله يا أبا اسحق مافى كتاب الله « إخ » وانما فيه : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » فوالله ما قاتلت الباغية و لا المبغى عليها ، فأفحمه .

فقال سعد ، أتأمرني أن اقاتل رجلاً قال له رسول الله صلّی الله علیه وآله وسلّم : « انت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ انه لانبي بعدى » ؟ فقال معاوية : من سمع هذا معك قال : فلان وفلان وام سلمة ، فقال معاوية : لو كنت سمعت هذا لما قاتلته .

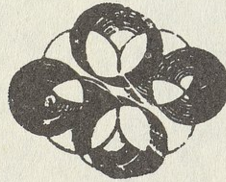
اقول : و لعمری ان قول معاوية عليه الهاوية خديعة اخرى من خداعه وكذب من أكاذيبه . . .

تمت سورة الجن والحمدلله رب العالمين
وصلوات الله على محمد و آله الطاهرين

فهرس ماجاء في تفسير سورة المعارج

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



فهرس ماجاء في تفسير سورة نوح

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثانى : فـى مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية

المبحوث عنها فى سورة المعارج وفيها :

بصيرة واحدة : وفيها أربعة عشر أمراً :

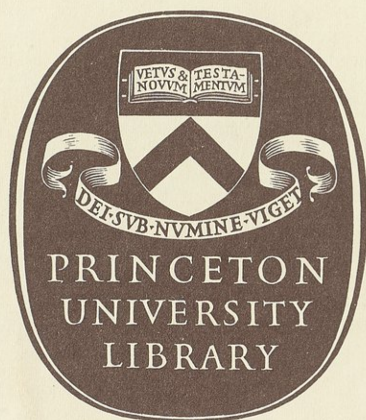
فهرس ماجاء في تفسير سورة الجن

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة الجن وفيها :

بصيرة واحدة : وفيها الواحد والعشرون أمراً :


VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

